جامع السعادات

تأليف
العلامة النراقي

مؤسسة الأعلمي للمطبوعات
بيروت - لبنان



جامع السعادات


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

منشورات
جامعة النجف الدينية
٢

تحقيقات

جامع السعادات

للشيخ الجليل أحد أعلام المجتهدين المولى

محمد مهدي النراقي

المتوفى ١٢٠٩ هـ

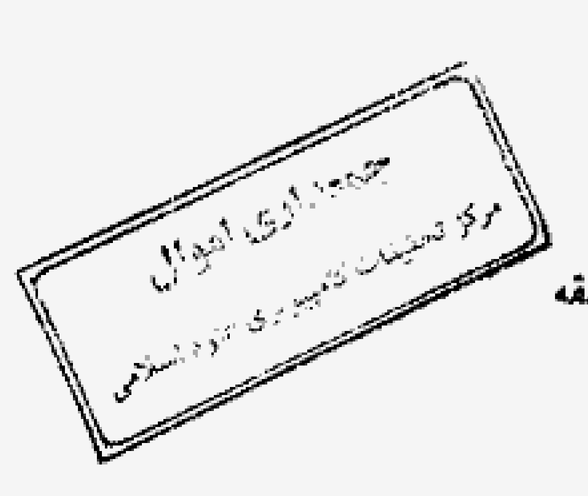




الجزء الثاني

تصدى لنشره والتعليق عليه وتصحيحه

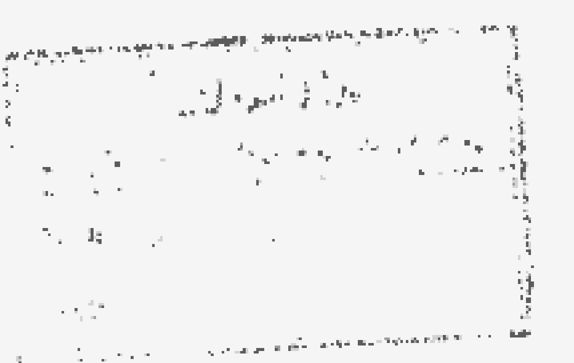
السيد محمد كلانتر



قدم له

الشيخ محمد رضا المظفر عميد كلية الفقه

الطبعة الرابعة



مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

المقام الثالث

(فيما يتعلق بالقوة الشهوية من الرذائل والفضائل وكيفية العلاج)

الشره ـ فوائد الجوع ـ الشهوة الجنسية ـ خمود الشهوة ـ العفة ـ الاعتدال في الشهوة ـ حب الدنيا ـ لابد للمؤمن من مكسب ـ الدنيا المذمومة هي الهوى ـ ذم الدنيا وانها عدوة الله والانسان ـ خسائس صفات الدنيا ـ تشبيهات الدنيا وأهلها ـ عاقبة حب الدنيا وبغضها ـ الجمع بين ذم المال ومدحه ـ حب المال ـ ذم المال ـ غوائل المال وفوائده ـ الأمور المنجية من غوائل المال ـ الزهد ـ مدح الزهد ـ اعتبارات الزهد ودرجاته ـ الزهد الحقيقي ـ ذم الغنى ـ الفقر ـ اختلاف احوال الفقراء ـ مراتب الفقر ومدحه ـ الموازنة بين الفقر والغنى ـ ماينبغي للفقير ـ وظيفة الفقراء ـ موارد قبول العطاء وردها ـ لايجوز السؤال من غير حاجة ـ الحرص وذمه ـ القناعة ـ علاج الحرص ـ الطمع وذمه ـ الاستغناء عن الناس ـ البخل ـ ذم البخل ـ السخاء معرفة ما يجب أن يبذل ـ الايثار ـ علاج البخل ـ الزكاة ـ سر وجوب الزكاة وفضيلة سائر الانفاقات ـ الحث على التعجيل في الاعطاء ـ فضيلة اعلان الصدقة الواجبة ـ ذم المن والأذى فى الصدقة ـ ماينبغي للمعطي ـ ماينبغي للفقراء في أخذ الصدقة ـ زكاة الابدان ـ الخمس ـ الانفاق على الأهل والعيال ـ ماينبغي في الانفاق على العيال ـ صدقة التطوع ـ فضيلة الاسرار في الصدقة المندوبة ـ الهدية ـ الضيافة ـ ماينبغي أن يقصد في الضيافة ـ آداب الضيافة ـ الحق المعلوم وحق الحصاد والجذاذ ـ القرض ـ إنظار المعسر والتحليل ـ بذل الكسوة والسكنى ونحوهما ـ مايبذل لوقاية العرض والنفس ـ ما ينفق في المنافع العامة ـ الفرق بين الانفاق والبر

والمعروف - طلب الحرام - عزة تحصيل الحلال - انواع الاموال - الفرق بين الرشوة والهدية - الورع عن الحرام - مدح الورع - مداخل الحلال - درجات الورع - الغدر - أنواع الفجور - الخوض في الباطل - التكلم بما لايعني - حد التكلم بما لايعني - أسباب الخوض فيما لايعنى - الصمت ، فنقول : أما جنسا رذائلها (١) فاحدهما :

الشره

وهو اطاعة شهوة البطن والفرج ، وشدة الحرص على الأكل والجماع وربما فسر باتباع القوة الشهوية في كل ماتدعو اليـه : من شهوة البطن والفـرج ، وحب المال ، وغـير ذلك ، ليكون أعم من سائر رذائل قوة الشهوة ، وتتحقق جنسيته ، وعلى الأول يكون بعض رذائلها كحب الدنيا المتعلق بها أعم منه ، إلا أن القوم لـمـا فسروه بالأول فنحن اتبعناهم ، إذ الأمر في مثله هين .

وبالجملة : رذيلة الشره من طرف الافراط ولا ريب في كونه أعظم المهلكات لابن آدم ، ولذا قال رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم -: « من وقى شر قبقبـة وذبذبة ولقلقة فقد وقى » ، والقبقب : البطن ، والذبذب : الفرج ، واللقلق : اللسان . وقال - صلى الله عليه وآله وسلم :- « ويل للناس من القبقبين ! فقيل : وما هما يارسول الله ؟ ! قال : الحلق والفرج » . وقال - صلى الله عليه وآله وسلم - : « أكثر مايلج به أمتى النار الأجوفان : البطن والفرج » . وقال - صلى الله عليه وآله وسلم - : « ثلاث أخافهن على أمتي من بعـدي : الضلالـة بعد المعرفة ، ومضلات

(١) أي القوة الشهوية .

الفتن ، وشهوة البطن والفرج » .

ويدل على ذم (الأول) - أعني شهوة البطن والحرص على الأكل والشرب - قوله - صلى الله عليه وآله وسلم - : « ماملأ ابن آدم وعاء شراً من بطنه ، حسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه ، وإن كان لابد فاعلا فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه » . وقال - صلى الله عليه وآله وسلم - : « لاتميتوا القلوب بكثرة الطعام والشراب ، فان القلب كالزرع يموت اذا كثر عليه الماء » . وقال - صلى الله عليه وآله وسلم - : « أفضلكم منزلة عند الله أطولكم جوعاً وتفكراً ، وأبغضكم الى الله تعالى كل نؤم أكول شروب » وقال - صلى الله عليه وآله وسلم - : « المؤمن يأكل في معاء واحد والمنافق يأكل في سبعة أمعاء » ، أى يأكل سبعة أضعاف مايأكله المؤمن أو تكون شهوته سبعة أمثال شهوته ، فالمعاء كناية عن الشهوة . وقال - صلى الله عليه وآله وسلم - : « إن أبغض الناس الى الله المتّخمون الملأى ، وما ترك عبد أكلة يشتهيها إلا كانت له درجة في الجنة » . وقال - صلى الله عليه وآله وسلم - : « بئس العون على الدين قلب نخيب وبطن رغيب ونعظ شديد » [1] وقال - صلى الله عليه وآله وسلم - : « أطول الناس جوعاً يوم القيامة أكثرهم شبعاً في الدنيا وقال - صلى الله عليه وآله وسلم - : « لايدخل ملكوت السماوات من ملأ بطنه » . وفي التوراة : « إن الله ليبغض الحبر السمين » ، لأن السمن يدل على الغفلة وكثرة الأكل . وفي بعض الآثار : « ان الله يبغض القارىء السمين » . وقال لقمان لابنه : « يابني ! اذا امتلأت المعدة نامت الفكرة

(١) صححنا الحديث على نسخ الوسائل المصححة في كتاب الاطعمة، والوافي ١٠ : ٦٦ - . وكذا ذكره في مجمع البحرين مادة (نخب) ، والنخيب : الجبان الذي لافؤاد له : والرغيب : الواسع .

وخرست الحكمة ، وقعدت الأعضاء عن العبادة » . وقال الباقر - عليه السلام - « إذا شبع البطن طغى » . وقال - عليه السلام - : « مامن شيء أبغض الى الله - عز وجل - من بطن مملو » . وقال الصادق - عليه السلام - : « إن البطن ليطغى من أكلة ، وأقرب مايكون العبد من الله اذا خف بطنه وأبغض مايكون العبد الى الله اذا امتلأ بطنه » . وقال - صلى الله عليه وآله وسلم - : « ليس لابن آدم بد من أكلة يقيم بها صلبه ، فاذا أكل أحدكم طعاماً ، فليجعل ثلث بطنه للطعام ، وثلث بطنه للشراب ، وثلثه للنفس ، ولا تسمنوا تسمن الخنازير للذبح » . وقال - عليه السلام - : « مامن شيء أضر لقلب المؤمن من كثرة الأكل ، وهي مورثة شيئين : (قسوة) القلب ، و (هيجان) الشهوة . والجوع إدام للمؤمن ، وغذاء للروح ، وطعام للقلب ، وصحة للبدن » .

والأخبار الواردة بهذه المضامين كثيرة ، ولا ريب في أن أكثر الأمراض والأسقام تترتب على كثرة الأكل . قال الصادق - عليه السلام - : « كل داء من التخمة إلا الحمى فانها ترد وروداً » . وقال - عليه السلام - : « الأكل على الشبع يورث البرص » . وكفى لشهوة البطن ذماً أنها صارت منشأ لاخراج آدم وحواء من دار القرار الى دار الذل والافتقار ، إذ نهيا عن أكل الشجرة فغلبتهما شهوتها حتى أكلا منها ، فبدت لهما سوآتها .

والبطن منبت الأدواء والآفات وينبوع الشهوات ، إذ تتبعها شهوة الفرج شدة السبق الى المنكوحات ، وتتبع شهوة المطعم والمنكح شدة الرغبة في الجاه والمال ، ليتوسل بهما إلى التوسع في المطعومات والمنكوحات ، ويتبع ذلك أنواع الرعونات ، وضروب المحاسدات والمنافسات ، وتتولد من ذلك آفة الرياء ، وغائلة التفاخر والتكاثر والعجب والكبر ، ويداعي ذلك الى الحقد والعداوة والبغضاء ، ويفضي ذلك بصاحبه الى اقتحام البغي والمنكر

والفحشاء. وكل ذلك ثمرة اهمال المعدة وما يتولد من بطر الشبع والامتلاء ولو ذلل العبد نفسه بالجوع، وضيق مجاري الشيطان، لم يسلك سبيل البطر والطغيان، ولم ينجر به الى الانهاك في الدنيا والانغمار فيما يفضيه الى الهلاك والردى، ولذا ورد في فضيلة الجوع والصبر عليه ماورد من الأخبار، قال رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - : «جاهدوا أنفسكم بالجوع والعطش، فان الأجر في ذلك كأجر المجاهد فى سبيل الله، وأنه ليس من عمل احب إلى الله من جوع وعطش» وقال - صلى الله عليه وآله وسلم - : «أفضل الناس من قل مطعمه وضحكه، ورضى بما يستر عورته». وقال - صلى الله عليه وآله وسلم - : «سيد الأعمال الجوع، وذل النفس لباس الصوف» وقال - صلى الله عليه وآله وسلم - : «اشربوا وكلوا فى انصاف البطون فانه جزء من النبوة». وقال - صلى الله عليه وآله وسلم - : «قلة الطعام هي العبادة». وقال - صلى الله عليه وآله - : «إن الله يباهي الملائكة بمن قلّ مطعمه في الدنيا» يقول: انظروا الى عبدى ابتليته بالطعام والشراب في الدنيا فصبر وتركها، اشهدوا ياملائكتي : مامن أكلة يدعها إلا ابدلته بها درجات في الجنة». وقال - صلى الله عليه وآله وسلم - «أقرب الناس من الله - عز وجل - يوم القيامة من طال جوعه وعطشه وحزنه في الدنيا». وقال عيسى (ع): «أجيعوا أكبادكم وأعروا اجسادكم لعل قلوبكم ترى الله - عز وجل -»: وقالت بعض زوجاته - صلى الله عليه وآله - : «إن رسول الله لم يمتل قط شبعاً، وربما بكيت رحمة مما أرى به من الجوع فامسح بطنه بيدى، وأقول: نفسي لك الفداء! لو تبلغت من الدنيا بقدر مايقويك ويمنعك من الجوع» فيقول: اخوانى من أولى العزم من الرسل قد صبروا على ماهو أشد من هذا، فمضوا على حالهم فقدموا على ربهم فاكرم مآبهم وأجزل ثوابهم، فاجدني أستحي إن

ترفهت في معيشتي أن يقصر بي غداً دونهم ، فاصبر أياماً يسيرة أحب إلي من أن ينقص بي حظي غداً في الآخرة ، وما من شيء أحب إلي من اللحوق بأصحابي وإخواني » . وروى : « انه جاءت فاطمة - عليها السلام - ومعها كسيرة من خبز ، فدفعتها الى النبي - صلى الله عليه وآله - فقال : ماهذه الكسيرة ؟ قالت : قرص خبزته للحسن والحسين - عليهما السلام - جئتك منه بهذه الكسيرة ، فقال : أما إنه أول طعام دخل فم أبيك منذ ثلاث » (١) .

فوائد الجوع

ثم للجوع فوائد : هي صفاء القلب ورقته ، وانقاد الذهن وحدته والالتذاذ بالمناجاة والطاعة ، والابتهاج بالذكر والعبادة ، والترحم لارباب الفقر والفاقة ، والتذكر بجوع يوم القيامة . والانكسار المانع عن الطغيان والغفلة ، وتيسر المواظبة على الطاعة والعبادة ، وكسر شهوات المعاصي المسعولية بالشبع ، ودفع النوم الذي يضيع العمر ويكل الطبع ويفوت القيام والتهجد ، والتمكن من الايثار والتصديق بالزائد ، وخفة المؤنة الموجبة للفراغ عن الاهتمام بالتحصيل والاعداد ، وصحة البدن ودفع الأمراض ، إذ المعدة بيت كل داء والحمية رأس كل دواء ، وورد : « كلوا في بعض بطونكم تصحوا » ، وأضداد هذه الفوائد من المفاسد يترتب على الشبع .

ثم علاج الشره بالأكل والشرب : أن يتذكر الأخبار الواردة في ذمه ، وينبه نفسه على رذالة المأكولات وخساستها ، وعلى خسة الشركاء من الحيوانات ، ويتأمل في المفاسد المترتبة على الولوع به : من الذلة، والمهانة وسقوط الحشمة والمهابة ، وفتور الفطنة ، وظهور البلادة ، وحدوث العلل

(١) صححنا الحديث على ما في سفينة البحار - ١ : ١٩٥ .

والامراض الكثيرة ، وبعد ذلك يحافظ نفسه عن الافراط في الاكل ولو بالتكلف حتى يصير الاعتدال فيه عادة .

الشهوة الجنسية

(وأما الثاني) - اعني طاعة شهوة الفرج والافراط في الوقاع - فلا ريب في أنه يقهر العقل حتى يجعل الانسان مقصور الهم على التمتع بالنسوان والجواري ، فيحرم من سلوك طريق الآخرة ، أويقهر الدين حتى يجر إلى اقتحام الفواحش وربما انتهت هذه الشهوة بمن غاب وهمه على عقله الى العشق البهيمي الذي ينشأ من استيلاء الشهوة ، فيسخر الوهم العقل لخدمة الشهوة ، وقد خلق العقل ليكون مطاعاً لا ليكون خادماً للشهوة . وهذا مرض قلوب فارغة خلت عن محبة الله وعن الهمم العالية :

ويجب الاحتراز من أوائله بترك معاودة الفكر والنظر ، وإذا استحكم عسر دفعه ، وكذلك حب باطل من الجاه والمال والعقار والأولاد . فمثل من يكسره في اول انبعاثه مثل من يصرف عنان الدابة عند توجهها الى باب ليدخله ، وما أهون منعها بصرف عنانها ، ومثل من يعالجه بعد استحكامه مثل من يترك الدابة حتى تدخل وتتجاوز الباب ثم يأخذ بذنبها ويجرها الى ورائها ، وما اعظم التفاوت بين الأمرين في اليسر والعسر : فليكن الاحتراز والاحتياط في بدايات الامور ، إذ في أواخرها لاتقبل العلاج إلا بجهد شديد يكاد يوازى نزع الروح :

وربما انتهى افراط هذه الشهوة بطائفة الى أن يتناولوا مايقويها ليستكثروا من الجماع ، ومثلهم كمثل من بلى بسباع ضارية تغفل عنه في

بعض الأوقات فيحتال لإثارتها وتهييجها فى هذا الوقت ثم يشتغل بعلاجها واصلاحها . والتجربة شاهدة بأن من ينقاد لهذه الشهوة ويسعى في تكثير مايهيجها من النسوان وتجديدهن والتخيل والنظر وتناول الأغذية والأدوية المحركة لها يكون ضعيف البدن سقيم الجسم قصير العمر ، وقد ينجر افراطها الى سقوط القوة واختلال القوى الدماغية وفساد العقل - كما برهن عليه في الكتب الطبية - : والوقاع أضر الأشياء بالدماغ ، إذ جل المواد المنوية يجلب منه ، ولذا شبه الغزالى هذه الشهوة بالعامل الظالم الذى لو أطلقه السلطان ولم يمنعه من ظلمه أخذ أموال الرعية على التدريج بأسرها وابتلاهم بالفقر والفاقة ، فأهلكهم الجوع وعدم تمكنهم من تحصيل القوت ، وكذا هذه القوة لو لم يقهرها سلطان العقل ولم يقمها على طريق الاعتدال صرفت جميع المواد الصالحة والأخلاط المحمودة التي اكتسبتها القوى الغذائية لبدل مايتحلل من الأعضاء في مصارف نفسها وجعلها بأسرها منياً ، وتبقى جميع الأعضاء بلا قوت ، فتضعف ويدركها الفناء بسرعة . ولو كانت مطيعة للعقل ، بحيث تقدم على مايأمرها به وتنزجر عما ينهاها عنه ، كانت كالعامل الذي يأخذ الخراج على طريق العدل والمروة ، ويصرفه في مصارف المملكة من سد الثغور واصلاح القناطر وخروج العساكر ، وتبقى سائر أموال الرعية لأنفسهم ، فيبقى لهم القوت وسائر مايحتاجون اليه .

ولعظم آفة هذه الشهوة واقتضائها هلاك الدين والدنيا إن لم تضبط ولم ترد الى حد الاعتدال ، ورد في ذمها ماورد من الأخبار ، وقال رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - في بعض دعواته : « اللهم إنّي أعوذ بك من شر سمعي وبصري وقلبي وشر مني » . وروى : « أنه إذا قام ذكر الرجل ذهب ثلثا عقله » ، وورد في تفسير قوله تعالى :

« وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ » (١)

أي : ومن شر الذكر إذا قام أو دخل . وقال ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ : « النساء حبائل الشيطان » وقال ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ : « مابعث الله نبياً فيما خلا إلا لم ييأس ابليس أن يهلكه بالنساء ، ولا شي أخوف عندي منهن » (٢) وقال ـ صلى الله عليه وآله ـ « اتقوا فتنة النساء ، فإن أول فتنة بني اسرائيل كانت من قبل النساء » وروى : « أن الشيطان قال لموسى عليه السلام : لاتخل بأمرأة لاتحل لك : فإنه ماخلا رجل بامرأة لاتحل له إلا كنت صاحبه دون اصحابي حتى أفتنه بها » : وروى ايضاً : « أن الشيطان قال : المرأة نصف جندي ، وهي سهمي الذى أرمي فلا اخطىء ، وهي موضع سرى ، وهي رسولى في حاجتي » ولا ريب في أنه لولا هذه الشهوة لما كان للنساء تسلط على الرجال :

وقد ظهر بالعقل والنقل : أن الافراط في هذه الشهوة وكثرة الطروقة والنزو على النسوان مذموم . ولا تغرنك كثرة نكاح رسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ فانه كان لايشغل قلبه جميع مافي الدنيا ، وكان استغراقه في حب الله بحيث يخشى احتراق قبلبه والسراية منه الى قالبه ، فكان ـ صلى الله عليه وآله ـ يكثر من النسوان ويشغل نفسه الشريفة بهن ، ليبقى له نوع التفات الى الدنيا ، ولا يؤدى به كثرة الاستغراق الى مفارقة الروح عن البدن ، ولذا إذا غشيته كثرة الاستغراق وخاض في غمرات الحب والانس ، يضرب يده على فخذ عائشة ويقول ـ صلى الله عليه وآله ـ :

(١) الفلق ، الآية : ٣ .

(٢) في احياء العلوم ـ ٣ : ٨٦ ان هذا الكلام من قول سعيد بن المسيب لامن كلام النبي ـ صلى الله عليه وآله ـ .

« كلميني واشغليني ياحميراء ! » وهي تشغله بكلامها عن عظيم ما هو فيه لقصور طاقة قالبه عنه .

ثم لما كانت جبلته الانس بالله ، وكان أنسه بالخلق عارضاً يتكلفه رفقاً ببدنه ، فاذا طالت مجالسته معهم لم يطق الصبر معهم وضاق صدره فيقول : « أرحنا يابلال ! » ، حتى يعود الى ماهو قرة عينه . فالضعيف إذا لاحظ احواله فهو معذور ، لأن الافهام تقصر عن الوقوف على أسرار أفعاله (١) .

ثم علاج افراط هذه الشهوة - بعد تذكر مفاسدها المذكورة - كسرها بالجوع ، وسد الطرق المؤدية اليها : من التخيل والنظر والتكلم والخلوة ، فإن أقوى الأسباب المهيجة لها هو النظر والخلوة ، ولذا قال الله تعالى :

« قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ » (٢)

وقال النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - : « النظرة سهم مسموم من سهام ابليس ، فمن تركها خوفاً من الله تعالى أعطاه الله ايماناً يجد حلاوته في قلبه » . وقال - صلى الله عليه وآله وسلم - : « لكل عضو من اعضاء ابن آدم حظ من الزنا ، فالعينان تزنيان وزناهما النظر » . وقال - صلى الله عليه وآله وسلم - : « لاتدخلوا على المغيبات - أي التي غاب عنها زوجها - فان الشيطان يجري من أحدكم مجرى الدم » : وقال عيسى بن مريم - عليهما السلام - : « اياكم والنظرة ، فإنها تزرع في القلب شهوة ، وكفى بها فتنة » . وقيل ليحيى بن زكريا : مابدء

(١) هذا الكلام كله عن تعليل كثرة طروق النبي - صلى الله عليه وآله مأخوذ من كلام الغزالي في احياء العلوم - ٣ : ٨٧ - .

(٢) النور ، الآية : ٣٠ .

الزنا ؟ قال : « النظرة والتمني » . وقال داود - عليه السلام - لابنه : « يابني ! امش خلف الأسد (و) (١) الاسود ولا تمش خلف المرأة » .
وقال أبليس : « النظرة قوسي وسهمي الذي لا اخطيء به » .

ولكون النظر مهيجاً للشهوة ، حرم في الشريعة نظر كل من الرجل والمرأة الى الآخر ، وكذا حرم استماع كل منهما لكلام الآخر ، إلا مع الضرورة وعموم الحاجة ، وكذا حرم نظر الرجال الى المرد من الصبيان إذا كان مورثاً للفتنة ، ولذا كان كبراء الأخيار وعظماء الأبرار في الأعصار والامصار محترزين عن النظر الى وجوه الصبيان ، حتى قال بعضهم « ما انا بأخوف على الشباب الناسك من سبع ضار كخوفي عليه من غلام أمرد يجلس اليه » .

ثم إن لم تنقمع الشهوة بالجوع والصوم وحفظ النظر ، فينبغي كسرها بالنكاح ، بشرط الاستطاعة والأمن من غوائله . قال رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - : « معاشر الشباب ! عليكم بالباءة ، فمن لم يستطع فعليه بالصوم ، فان الصوم له وجاء » . وقال رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - : « إن المرأة إذا أقبلت أقبلت بصورة شيطان ، فاذا رأى أحدكم امرأة فأعجبته فليأت أهله ، فان معها مثل الذي معها » .

(وثانيها) - أي ثاني جنسي رذائل قوة الشهوة - :

---

(١) حرف (و) موجود في نسختنا الخطية وفي احياء العلوم - ٣ : ٨٧ - ، ولكنه قد شطب عليها في النسخة المطبوعة .

الخمود

وهو التفريط في كسب ضروري القوت ، والفتور عما ينبغي من شهوة النكاح ، بحيث يؤدي الى سقوط القوة وتضييع العيال وانقطاع النسل ولا ريب في كون ذلك مذموماً غير مستحسن في الشرع ، إذ تحصيل المعارف الالهية واكتساب الفضائل الخلقية والعبادات البدنية موقوف على قوة البدن ، فالتفريط في ايصال بدل مايتحلل الى البدن يوجب الحرمان عن تحصيل السعادات . وهو غاية الخسران . وكذا اهمال قوة شهوة النكاح يوجب الحرمان عن الفوائد المترتبة عليها ، فان هذه القوة إنما سلطت على الانسان لبقاء النسل ودوام الوجود ، ولأن يدرك لذته فيقيس بها لذات الآخرة ، فان لذة الوقاع لو دامت لكانت أقوى اللذات الجسمانية ، كما أن ألم النار أعظم الآلام الجسدانية ، فالترغيب والترهيب يسوقان الخلق إلى سعاداتهم ، وليس ذلك إلا بلذة مدركة وألم محسوس مشابهين للذات والآلام الأخروية .

ولبقاء النسل فوائد : موافقة محبة الله بالسعي في تحصيل الولد لبقاء نوع الانسان ، وعدم قطعه السلسلة التي وصلت اليه من مبدأ النوع ، وطلب محبة رسول الله – صلى الله عليه وآله – في تكثير من به مباهاته ، وطلب التبرك بدعاء الولد الصالح بعده ، وطلب الشفاعة بموت الولد الصغير إذا مات قبله ، كما استفاضت به الأخبار .

ومن فوائد النكاح : كسر التوقان والتحرز من الشيطان ، بغض البصر وحفظ الفرج وقطع الوساوس وخطرات الشهوة من القلب ، واليه الاشارة

بقوله - صلى الله عليه وآله وسلم - : « من تزوج فقد أحرز نصف دينه »

ومن فوائد النكاح : تفريغ القلب عن تدبير المنزل ، والتكفل بشغل الطبخ والفرش والكنس ، وتنظيف الاواني وتهيئة أسباب المعيشة ، فان الفراغ عن ذلك أعون شيء على تحصيل العلم والعمل ، ولذا قال النبي - صلى الله عليه وآله - : « ليتخذ أحدكم لساناً ذاكراً وقلباً شاكراً وزوجة مؤمنة صالحة تعينه على آخرته » .

ومنها : مجاهدة النفس ورياضتها بالسعي في حوائج الأهل والعيال ، والاجتهاد في اصلاحهم وارشادهم الى طريق الدين ، وفي تحصيل المال الحلال لهم من المكاسب الطيبة ، والقيام بتربية الأولاد ، والصبر على اخلاق النساء ، وكل ذلك من الفضائل العظيمة ، ولذا قال رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - : « الكاد في نفقة عياله كالمجاهد في سبيل الله » . وقال - صلى الله عليه وآله وسلم - : « من حسنت صلاته ، وكثر عياله وقل ماله ، ولم يغتب المسلمين : كان معي في الجنة كهاتين » . وقال - صلى الله عليه وآله وسلم - : « من الذنوب لايكفرها إلا الهم بطلب المعيشة » . وقال - صلى الله عليه وآله وسلم - : « من كانت له ثلاث بنات فانفق عليهن واحسن اليهن حتى يغنيهن الله عنه أوجب الله تعالى له الجنة » .

ولا ريب في أن الخمود عن الشهوة يلزمه الحرمان عن الفوائد المذكورة فهو مرجوح .

ثم لما كان للنكاح آفات أيضا ، كالاحتياج الى المال وصعوبة تحصيل الحلال منه - لاسيما في أمثال زماننا - والعجز عن القيام بحقوق النسوان ، والصبر على أخلاقهن ، واحتمال الأذى منهن ، وتفرق الخاطر لأجل القيام بتدبير المعيشة وتهيئة مايحتاجون اليه ، وتأدية ذلك غالباً الى مالاينبغي من

الانغمار في الدنيا والغفلة عن الله - سبحانه - وعما خلق لأجله ، فاللائق أن يلاحظ في كل شخص أن الراجح في حقه ماذا ؟ - بعد ملاحظة الفوائد والمفاسد - فيأخذ به .

وصل

العفــة

قد عرفت أن ضد الجنسين (العفة) ، وهو انقياد قوة الشهوة للعقل في الاقدام على مايأمرها به من المأكل والمنكح كما وكيفاً ، والاجتناب عما ينهاها عنه ، وهو الاعتدال الممدوح عقلا وشرعاً ، وطرفاه من الافراط والتفريط مذمومان ،فان المطلوب في جميع الأخلاق والأحوال هو الوسط ، إذ خير الامور أوساطها . وكلا طرفيها ذميم ، فلا تظنن مما ورد في فضيلة الجوع أن الافراط فيه ممدوح ، فان الأمر ليس كذلك ، بل من أسرار حكمة الشريعة أن كلما يطلب الطبع فيه طرف الافراط بالغ الشرع في المنع عنه على وجه يتوهم الجاهل منه أن المطلوب طرف التفريط ، والعالم يدرك أن المقصود هو الوسط ، فان الطبع اذا طالب غاية الشبع ، فالشرع ينبغي أن يطلب غاية الجوع ، حتى يكون الطبع باعثاً والشرع مانعاً ، فيتقاومان ويحصل الاعتدال . ولما بالغ النبي - صلى الله عليه وآله - في الثناء على قيام الليل وصيام النهار ، ثم علم من حال بعضهم أنـه يقوم الليل كله ويصوم الدهر كله ، فنهى عنه . والأخبار الواردة في مدح العفة وفضيلتها كثيرة ، قال أمير المؤمنين عليه السلام : « أفضل العبادة العفاف » . وقال الباقر عليه السلام : « مامن عبادة أفضل من عفة بطن وفرج » . وقال عليه السلام : « ماعبد الله بشيء أفضل من عفة بطن وفرج » ، وقال عليه

السلام : « أي الاجتهاد أفضل من عفـة بطن وفرج » : وفي معناهـا أخبار أخر .

واذا عرفت هذا ، فاعلم أن الاعتدال في الأكل أن يأكل بحيث لايحس بثقل المعدة ولا بألم الجوع ، بل ينسى بطنه فلا يؤثر فيه أصلا ، فان المقصود من الأكل بقاء الحياة وقوة العبادة ، وثقل الطعام يمنع العبادة وألم الجوع أيضاً يشغل القلب ويمنع منها فالمقصود أن يأكل أكلا معتـدلا بحيث لايبقى للأكل فيه أثر ، ليكون متشبهاً بالملائكة المقدسين عن ثقل الطعام وألم الجوع ، واليه الاشارة بقوله تعالى :

« وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلاَ تُسْرِفُوا » (١)

وهذا يختلف بالنسبة الى الاشخاص والاحوال والاغذية ، والمعيار فيه ألا يأكل طعاما حتى يشتهيه ، ويرفع يده عنه وهو يشتهيه : وينبغي ألا يكون غرضه من الأكل التلذذ ، بل حفظ القوة على تحصيل ماخلق لاجله ، فيقتصر من انواع الطعام على خبز البر في بعض الاوقات ، وعلى خبز الشعير في بعضها ، ولو ضم اليه الأدام فيكتفي بأدام واحد في بعض الأحيان ، ولا يواظب على اللحم ، ولا يتركه بالمرة ، قال أمير المؤمنين عليه السلام : « من ترك اللحم أربعين يوماً ساء خلقه ، ومن داوم عليه أربعين يوماً قسى قلبه » .

(الاعتدال في الشهوة)

والاعتدال أن يكتفي في اليوم بليلته بأكلة واحدة في وقت السحر ، بعد الفراغ عن التهجد أو بعد صلاة العشاء ، أو باكلتين : التغدى والتعشى ـ

(١) الاعراف ، الآية : ٣٠ .

إن لم يقدر على الاكتفاء بمرة واحدة ـ وقد استفاضت أخبار أئمتنا الراشدين ـ عليهم السلام ـ بالحث على التعشي .

ثم للعرفاء ترغيبات على الجوع وتصريحات على كثرة فوائده ، وعلى توقف كشف الاسرار الالهية والوصول الى المراتب العظيمة عليه ، ولهم حكايات فى امكان الصبر عليه ، وعلى عدم الاكل شهراً أو شهرين أوسنة ونقلوا حصوله عن بعضهم ، وهذا أمر وراء ماوردت به السنة وكلفت به عموم الامة ، فان كان ممدوحاً فانما هو لقوم مخصوصين .

وأما الجماع ، فالاعتدال فيه أن يقتصر فيه على مالا ينقطع عن النسل ويحصل له التحصن ، وتزول به خطرات الشهوة ، ولا يؤدي الى ضعف البدن والقوى :

•••

وأما غير الجنسين من الأنواع والنتائج والآثار المتعلقة بالقوة الشهوية ـ وإن كان بعضها أعم الجنسين او مساويا لهما ـ :

فمنها :

حب الدنيا

اعلم أن للدنيا ماهية في نفسها وماهية فى حق العبد ، أما ماهية الدنيا وحقيقتها في نفسها ، فعبارة عن أعيان موجودة : هي الأرض وما عليها والأرض هي العقار والضياع وأمثالها ، وما عليها تجمعه المعادن والنبات والحيوان ، والمعادن تطلب لكونها إما من الآلات والزينة كالنحاس والرصاص والجواهر وأمثالها ، أو من النقود كالذهب والفضة ، والنبات يطلب لكونه

من الأقوات أو الادوية ، والحيوانات تطلب إما لملكية ابدانها واستخدامها كالعبيد والغلمان أو لملكية قلوبها وتسخيرها ليترتب عليه التعظيم والاكرام وهو الجاه ، أو للتمتع والتلذذ بها كالجوارى والنسوان ، أوللقوة والاعتضاد كالأولاد . هذه هي الاعيان المعبر عنها بالدنيا ، وقد جمعها الله سبحانه في قوله :

« زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا » (١) .

وحب جميع ذلك من رذائل قوة الشهوة ، إلا حب تسخير القلوب لقصد الغلبة والاستيلاء ، فانه من رذائل قوة الغضب ـ كما تقدم ـ وبذلك يظهر أن حب الدنيا المتعلق بقـوة الشهوة أعم من الشره باول تفسيريه ـ كما اشير اليه ـ .

وأما ماهيتها في حق العبد ، فعبارة عن جميع ماله قبل الموت ، كما أن بعد الموت عبارة عن الآخرة ، فكل ماللعبد فيه نصيب وشهوة وحظ وغرض ولذة في عاجل الحال قبل الوفاة فهي الدنيا في حقه ، وللعبد فيه علاقتان ، علاقة بالقلب : وهو حبه له ، وعلاقة بالبدن : وهو اشغاله باصلاحه ، ليستوفي منه حظوظه . إلا أن جميع ماله اليه ميل ورغبة ليس بمذموم ، وذلك لأن مايصحبه في الدنيا وتبقى ثمرته معه بعد الموت ـ أعني العلم النافع والعمل الصالح ـ فهو من الآخرة في الحقيقة ، وانما سمي بالدنيا

(١) آل عمران ، الآية : ١٤ .

باعتبار دنوه ، فان كلا من العالم والعابد قد يلتذ بالعلم والعبادة بحيث يكون ذلك ألذ الاشياء عنده ، فهو وان كان حظاً عاجلا له في الدنيا إلا أنه ليس من الدنيا المذمومة ، بل هو من الآخرة في الحقيقة ، وان عد من الدنيا من حيث دخوله في الحس والشهادة ، فان كل مايدخل فيها فهو من عالم الشهادة - أعني الدنيا - ولذا جعل نبينا - صلى الله عليه وآله - الصلاة من الدنيا ، حيث قال : « حبب إلي من دنياكم ثلاث : الطيب والنساء ، وقرة عيني في الصلاة » ، مع أنها من أعمال الآخرة :

فالدنيا المذمومة عبارة عن حظ عاجل ، لايكون من أعمال الآخرة ولا وسيلة اليها ، وما هو إلا التلذذ بالمعاصي والتنعم بالمباحات الزائدة على قدر الضرورة في تحصيل العلم والعمل .

وأما قدر الضرورة من الرزق ، فتحصيله من الأعمال الصالحة - كما نطقت به الأخبار - قال رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - : العبادة سبعون جزءاً ، أفضلها طلب الحلال » . وقال - صلى الله عليه وآله - : ملعون من القى كله على الناس » . وقال السجاد عليه السلام : « الدنيا دنياءان : دنيا بلاغ ، ودنيا ملعونة » . وقال الباقر عليه : « من طلب الدنيا استعفافا عن الناس ، وسعياً على أهله ، وتعطفاً على جاره ، لقى الله - عزوجل - يوم القيامة ووجهه مثل القمر ليلة البدر » . وقال الصادق عليه السلام : « الكاد على عياله كالمجاهد في سبيل الله » . وقال عليه السلام « إن الله تبارك وتعالى ليحب الاغتراب في طلب الرزق » . وقال عليه السلام : « ليس منا من ترك دنياه لآخرته ولا آخرته لدنياه » . وقال - عليه السلام - : « لاتكسلوا في طلب معايشكم ، فان آباءنا كانوا يركضون فيها ويطلبونها » . وقال له عليه السلام رجل : « انا لنطلب الدنيا ونحب أن نؤتاها ، فقال : تحب أن تصنع بها ماذا ؟ قال : أعود بها على نفسي

وعيالي ، وأصل بها وأتصدق ، وأحج وأعتمر ، فقال أبو عبد الله عليه السلام : ليس هذا طلب الدنيا ، هذا طلب الآخرة » . وكان أبو الحسن عليه السلام يعمل في أرض قد استنقعت قدماه في العرق ، فقيل له : « جعلت فداك ! اين الرجال ؟ فقال : وقد عمل باليد من هو خير مني في أرضه ومن أبي ، فقيل : ومن هو ؟ فقال : رسول الله - صلى الله عليه وآله - وأمير المؤمنين وآبائي كلهم كانوا قد عملوا بايديهم ، وهو من عمل النبيين والمرسلين والأوصياء والصالحين » وقد ورد بهذه المضامين أخبار كثيرة أخر مشهورة .

تذنيب

(لابد للمؤمن من مكسب)

قد ظهر من هذه الأخبار أن الراجح - بل اللازم - لكل مؤمن أن يكون له مكسب طيب يحصل منه مايحتاج اليه من الرزق وغيره من المخارج المحمودة ، وقد صرح بذلك في أخبار كثيرة أخر ، قال أمير المؤمنين عليه السلام : « أوحى الله - عز وجل - الى داود عليه السلام : إنك نعم العبد لولا أنك تأكل من بيت المال ولا تعمل بيدك شيئاً ، قال : فبكى داود أربعين صباحاً ، فأوحى الله - عز وجل - الى الحديد أن لن لعبدي داود فألان الله له الحديد ، وكان يعمل كل يوم درعاً فيبيعها بألف درهم ، فعمل ثلثمائة وستين درعاً فباعها بثلثمائة وستين الفاً ، واستغنى عن بيت المال » . وقال الصادق عليه السلام « من احبنا أهل البيت فليأخذ من الفقر جلباباً

أو تجفافاً » ، والجلباب : كناية عن الستر على فقره ، والتجفاف (١) : كناية عن كسب طيب يدفع فقره . وقيل له في رجل قال : لأقعدن في بيتي ، ولأصومن ، ولأعبدن ربي ، فأما رزقي فسيأتيني : قال أبو عبد الله « هذا أحد الثلاثة الذين لايستجاب لهم » .

وهذا ـ أي ملكة تحصيل المال الحلال من المكاسب الطيبة وصرفها في المخارج المحمودة ـ هو الحرية بأحد المعنيين ، إذ للحرية اطلاقان : (أحدهما) ذلك ، وهو الحرية بالمعنى الأخص ، (وثانيها) التخلص عن أسر الهوى وعبودية القوة الشهوية ، وهو الحرية بالمعنى الأعم المرادفة ، وضده الرقية بالمعنى الأعم الذي هو طاعة قوة الشهوة ومتابعة الهوى .

وضد الأول ـ أعني الرقية بالمعنى الأخص ـ هو افتقاره الى الناس فيما يحتاج اليه من الرزق ، والقاء نظره الى ايديهم ، وحوالة رزقه على أموالهم ، إما على وجه محرم ، كالغصب والنهب والسرقة وانواع الخيانات أو غير محرم ، كأخذ وجوه الصدقات وأوساخ الناس ، بل مطلق الأخذ منهم إذا جعل يده يداً سفلى ويدهم يداً عليا . ولا ريب في كون الرقية بهذا المعنى مذمومة ، إذ (الوجه الأول) محرم في الشريعة وموجب للهلاك الأبدي ، و (الوجه الثاني) وإن لم يكن محرماً إذا كان فقيراً مستحقاً ، إلا أنه لإيجابه التوقع من الناس وكون نظره اليهم يقتضي المذلة والانكسار والتخضع للناس والرقية والعبودية لهم ، وهذا يرفع الوثوق بالله والاعتماد والتوكل عليه ، وينجر ذلك الى سلب التوكل على الله بالكلية ، وترجيح المخلوق على الخالق ، وهذا ينافي مقتضى الايمان والمعرفة الواقعية بالله سبحانه

---

(١) التجفاف : آلة للحرب يتقى بها كالدرع وعن تفسير أمثال هذا الحديث راجع الجزء الأول من المجلد الخامس عشر من البحار ص ٦٥ ، ففيه تفصيل معناه وقد نقل عن ابن الأثير في النهاية ، وابن أبي الحديد في شرحه : كلاماً في هذا الباب .

فصل

(الدنيا المذمومة هي الهوى)

قد ظهر مما ذكر : أن الدنيا المذمومة حظ نفسك الذي لا حاجة اليه لأمر الآخرة ، ويعبر عنه بالهوى ، واليه أشار قوله تعالى :

« وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ » (١) .

ومجامع الهوى هي المذكورة في قوله تعالى :

« إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلَادِ » (٢) .

والاعيان التي تحصل منها هذه الأمور هي المذكورة في قوله سبحانه :

« زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ » (٣) .

فهذه أعيان الدنيا ، وللعبد معها علاقتان :

---

(١) النازعات ، الآية : ٤٠ .

(٢) الحديد ، الآية : ٢٠ .

(٣) آل عمران ، الآية : ١٤ .

(علاقة مع القلب) : وهي حبه لها وحظه منها وانصراف همه اليها حتى يصير قلبه كالعبد أو المحب المستهتر بها ، ويدخل في هذه العلاقة جميع صفات القلب المتعلقة بالدنيا : كالرياء ، والسمعة ، وسوء الظن ، والمداهنة والحسد ، والحقد ، والغل ، والكبر ، وحب المدح ، والتفاخر والتكاثر : فهذه هي الدنيا الباطنة ، والظاهرة هي الاعيان المذكورة .

و (علاقة مع البدن) : وهو اشتغاله باصلاح هذه الاعيان لتصلح لحظوظه وحظوظ غيره ، وهذا الاشتغال عبارة عن الصناعات والحرف التي اشتغل الناس بها ، بحيث أنستهم انفسهم وخالقهم وأغفلتهم عما خلقوا لأجله ، ولو عرفوا سبب الحاجة اليها واقتصروا على قدر الضرورة ، لم يستغرقهم اشتغال الدنيا والانهماك فيها ، ولما جهلوا بالدنيا وحكمتها وحظهم منها لم يقتصروا إلا على قدر الاحتياج ، فأوقعوا انفسهم في اشغالها، وتتابعت هذه الأشغال واتصلت بعضها ببعض ، وتداعت الى غير نهاية محدودة ، فغفلوا عن مقصودها ، وتاهوا في كثرة الاشغال . فان امور الدنيا لايفتح منها باب إلا وتنفتح لأجله عشرة أبواب اخر ، وهكذا يتداعى الى غير حد محصور ، وكأنها هاوية لانهاية لعمقها ، ومن وقع في مهواة منها سقط منها الى اخرى ... وهكذا على التوالى . ألا ترى أن مايضطر اليه الانسان بالذات منحصر بالمأكل والملبس والمسكن ؟ ولذلك حدثت الحاجة الى خمس صناعات هي أصول الصناعات : الفلاحة ، والرعاية للمواشي ، والحياكة والبناء والاقتناص - أي تحصيل ماخلق الله من الصيد والمعادن والحشائش والأحطاب - وتترتب على كل من هذه الصناعات صناعات أخر ، وهكذا الى أن حدثت جميع الصناعات التي نراها في العالم ، وما من أحد إلا وهو مشتغل بواحدة منها أو أكثر ، إلا أهل البطالة والكسالة ، حيث غفلوا عن الاشتغال في أول الصبا ، اومنعهم مانع واستمروا على غفلتهم وبطالتهم ، حتى نشأوا

بلا شغل واكتساب ، فاضطروا الى الاخذ مما يسعى فيه غيرهم ، ولذلك حدثت حرفتان خبيثتان هي (اللصوصية) و (الكدية) (١) ولكل واحد منها أنواع غير محصورة لاتخفى على المتأمل .

فصل

(ذم الدنيا وأنها عدوة الله والانسان)

اعلم أن الدنيا عدوة لله ولاوليائه ولاعدائه : أما عداوتها لله ، فإنها قطعت الطريق على العبادة ، ولذلك لم ينظر اليها مذ خلقها ، كما ورد في الأخبار (٢) وأما عداوتها لاوليائه واحبائه ، فانها تزينت لهم بزينتها وعمتهم بزهرتها ونضارتها ، حتى تجرعوا مرارة الصبر في مقاطعتها . وأما عداوتها لاعدائه ، فإنها استدرجتهم بمكرها ومكيدتها واقتنصتهم بشباكها وحبائلها حتى وثقوا بها وعولوا عليها ، فاجتنوا منها حسرة وندامة تنقطع دونها الاكباد ، ثم حرمتهم عن السعادة أبد الآباد ، فهم على فراقها يتحسرون ومن مكائدها يستغيثون ولا يغاثون ، بل يقال لهم :

« اخْسَؤُا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ » (٣) . « أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ » (٤) .

---

(١) قال في المنجد : الكدية : الاستعطاء وحرفة السائل الملح .

(٢) سيأتي الخبر بهذا المعنى ـ ص ٢٦ ـ وهو عامي .

(٣) المؤمنون ، الآية : ١٠٩ .

(٤) البقرة ، الآية : ٨٦ .

والآيات الواردة في ذم الدنيا وحبها كثيرة ، واكثر القرآن مشتمل على ذلك وصرف الخلق عنها ودعوتهم الى الآخرة ، بل هو المقصود من بعثة الأنبياء ، فلا حاجة الى الاستشهاد بآيات القرآن لظهورها . فلنشر الى نبذة من الأخبار الواردة في ذم الدنيا وحبها وفى سرعة زوالها ، قال رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - : « لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ماسقى كافراً منها شربة ماء » . وقال رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - : « الدنيا ملعونة ، ملعون مافيها إلا ما كان لله منها » وقال - صلى الله عليه وآله وسلم - : « الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر » وقال - صلى الله عليه وآله وسلم - « من أصبح والدنيا اكبر همه فليس من الله في شيء ، وألزم الله قلبه أربع خصال : هماً لاينقطع عنه أبداً ، وشغلا لايتفرغ منه ابداً وفقراً لاينال غناه أبداً . وأملا لايبلغ منتهاه أبداً » ، وقال - صلى الله عليه وآله - : « ياعجباً كل العجب للمصدق بدار الخلود وهو يسعى لدار الغرور ! » . وقال - صلى الله عليه وآله - : « لتأتينكم بعدى دنياً تأكل إيمانكم كما تأكل النار الحطب » . وقال : « ألهاكم التكاثر ، يقول ابن آدم : مالي مالي . وهل لك من مالك إلا ماتصدقت فأبقيت ، أو أكلت فأفنيت ، أو لبست فأبليت ؟ » . وقال : « أوحى الله - تعالى - الى موسى : لاتركنن الى حب الدنيا ، فلن تأتين بكبيرة هي أشد عليك منها » وقال - صلى الله عليه وآله - : « حب الدنيا رأس كل خطيئة » . وقال - صلى الله عليه وآله - : « من أحب دنياه أضر بآخرته ومن أحب آخرته أضر بدنياه ، فآثروا مايبقى على مايفنى » . ومر - صلى الله عليه وآله - على مزبلة ، فوقف عليها وقال : « هلموا الى الدنيا ! » وأخذ خرقا قد بليت على تلك المزبلة وعظاماً قد نخرت ، فقال : « هذه الدنيا ! » وقال - صلى الله عليه وآله - « إن الله لم يخلق خلقاً أبغض اليه

من الدنيا ، وإنه لم ينظر اليها منذ خلقها ». وقال - صلى الله عليه وآله - « الدنيا دار من لا دار له ومال من لا مال له ، ولها يجمع من لاعقل له ، وعليها يعادي من لاعلم عنده ، وعليها يحسد من لافقه له ، ولها يسعى من لايقين له » . وقال - صلى الله عليه وآله وسلم - : « لما هبط آدم من الجنة الى الأرض قال له : إبن للخراب ولد للفناء » . وقال - صلى الله عليه وآله - : « لتجيئن أقوام يوم القيامة وأعمالهم كجبال تهامة . فيؤمر بهم الى النار » ، فقيل : يارسول الله ! أمصلين ؟ قال : نعم ، ! كانوا يصومون ويصلون ويأخذون هنيئة من الليل ، فاذا عرض لهم من الدنيا شيء وثبوا عليه » . وقال - صلى الله عليه وآله - : « هل منكم من يريد أن يذهب الله عنه العمى ويجعله بصيراً ؟ ألا إنه من رغب في الدنيا وطال فيها أمله أعمى الله قلبه على قدر ذلك ، ومن زهد في الدنيا وقصر أمله فيها أعطاه الله علماً بغير تعلم وهدى بغير هداية » . وقال - صلى الله عليه وآله - : « فو الله ما الفقر أخشى عليكم ، ولكني أخشى عليكم ان تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من كان قبلكم ، فتنافسوها كما تنافسوها ، وتهلككم كما اهلكتهم » وقال : « أكثر ما أخاف عليكم مايخرج الله لكم من بركات الأرض » ، فقيل : مابركات الأرض ؟ قال : « زهرة الدنيا » . وقال - صلى الله عليه وآله - : « دعوا الدنيا لأهلها من أخذ من الدنيا فوق مايكفيه فقد أخذ حتفه وهو لايشعر » . وقال - صلى الله عليه وآله - : « سيأتي قوم بعدي يأكلون أطايب الطعام وانواعها ، وينكحون أجمل النساء والوانها ، ويلبسون ألين الثياب والوانها ويركبون أقوى الخيل والوانها ، لهم بطون من القليل لاتشبع ، وأنفس بالكثير لاتقنع ، عاكفين على الدنيا ، يغدون ويروحون اليها ، اتخذوها آلهة دون إلههم ورباً دون ربهم الى أمرهم ينتهون وهواهم يلعبون ؛ فعزيمة

من محمد بن عبد الله لمن أدرك ذلك الزمان من عقب عقبكم وخلف خلفكم أبدا لايسلم عليهم ولا يعود مرضاهم ولا يتبع جنائزهم ولا يوقر كبيرهم ومن فعل ذلك فقد أعان على هدم الاسلام » . وقال ـ صلى الله عليه وآله ـ : « مالي وللدنيا وما انا والدنيا ؟ ! إنما مثلي ومثلها كمثل راكب سار في يوم صائف ، فرفعت له شجرة ، فقال تحت ظلها ساعة ، ثم راح وتركها » وقال ـ صلى الله عليه وآله ـ : « احذروا الدنيا ، فانها أسحر من هاروت وماروت » . وقال ـ صلى الله عليه وآله ـ : « حق على الله ألا يرفع شيئاً من الدنيا إلا وضعه » . وقال عيسى بن مريم ـ عليه السلام ـ « ويل لصاحب الدنيا ! كيف يموت ويتركها ، ويأمنها وتغره ، ويثق بها وتخذله ، ويل للمغترين ! كيف ألزمهم مايكرهون ، وفارقهم مايحبون ، وجاءهم مايوعدون ، ويل لمن اصبحت الدنيا همه والخطايا عمله ! كيف يفتضح غداً بذنبه » . وقال ـ عليه السلام ـ : « من ذا الذي يبني على أمواج البحر داراً تلكم الدنيا ، فلا تتخذوها قراراً » . وقال عليه السلام « لايستقيم حب الدنيا والآخرة في قلب مؤمن ، كما لايستقيم الماء والنار في اناء واحد » . وأوحى الله ـ تعالى ـ الى موسى : « ياموسى : ! مالك ولدار الظالمين ! إنها ليست لك بدار ، اخرج منها همك وفارقها بعقلك فبئست الدار هي ، إلا لعامل يعمل فيها فنعمت الدار هي ، ياموسى ! إني مرصد للظالم حتى آخذ منه للمظلوم » . وأوحى اليه : « ياموسى ! لاتركنن الى حب الدنيا ، فلن تأتين بكبيرة هي أشد منها » . ومر موسى عليه السلام برجل وهو يبكي ، ورجع وهو يبكي ، فقال موسى : « يارب عبدك يبكي من مخافتك » ، فقال تعالى : « يابن عمران ! لو نزل دماغه مع عينيه ورفع يديه حتى يسقطا لم اغفر له وهو يحب الدنيا ! » .

وقال أمير المؤمنين عليه السلام ـ بعد ماقيل له صف لنا الدنيا ـ :

« وما أصف لك من دار من صح فيها سقم ، ومن أمن فيها ندم ، ومن افتقر فيها حزن ، ومن استغنى فيها افتتن ، في حلالها الحساب ، وفي حرامها العقاب » . وقال ـ عليه السلام ـ : « إنما مثل الدنيا كمثل الحية ما الين مسها وفي جوفها السم الناقع ، يحذرها الرجل العاقل ويهوى اليها الصبي الجاهل » . وقال في وصف الدنيا : « ما أصف من دار اولها عناء وآخرها فناء ، في حلالها حساب وفي حرامها عقاب ، من استغنى فيها فتن ، ومن افتقر فيها حزن ، ومن ساعاها فاتته ، ومن قعد عنها آتته ، ومن بصر بها بصرته ، ومن ابصر اليها اعمته » ، وقال عليه السلام في بعض مواعظه : « ارفض الدنيا ، فان حب الدنيا يعمي ويصم ويبكم ويذل الرقاب ، فتدارك مابقي من عمرك ، ولا تقل غداً وبعد ، فانما هلك من كان قبلك باقامتهم على الاماني والتسويف ، حتى اتاهم أمر الله بغتة وهم غافلون فنقلوا على اعوادهم الى قبورهم المظلمة الضيقة ، وقد اسلمهم الأولاد والأهلون ، فانقطع الى الله بقلب منيب . من رفض الدنيا وعزم ليس فيه انكسار ولا انخذال » . وقال ـ عليه السلام ـ : « لاتغرنكم الحياة الدنيا فانها دار بالبلاء محفوفة ، وبالفناء معروفة ، وبالغدر موصوفة ، فكل مافيها الى زوال ، وهي بين أهلها دول وسجال ، لاتدوم احوالها ، ولا يسلم من شرها نزالها ، بينا أهلها منها في رخاء وسرور إذا هم منها في بلاء وغرور احوال مختلفة ، وتارات متصرمة ، العيش فيها مذموم ، والرخاء فيها لايدوم ، وإنما أهلها فيها اغراض مستهدفة ، ترميهم بسهامها ، وتفنيهم بحمامها . واعلموا عباد الله انكم وما انتم فيه من هذه الدنيا على سبيل من قد مضى ، ممن كان اطول منكم اعماراً ، واشد منكم بطشاً ، واعمر دياراً وأبعد آثاراً ، فاصبحت اصواتهم هامدة خامدة من بعد طول تقلبها ، واجسادهم بالية ، وديارهم على عروشها خاوية ، وآثارهم عافية ، استبدلوا

بالقصور المشيــدة والسرر والنمارق الممهدة الصخور والاحجار المسندة في القبور اللاطئة الملحدة فمحلها مقترب ، وساكنها مغترب ، بين أهل عمارة موحشين ، وأهل محلة متشاغلين ، لايستأنسون بالعمران ، ولا يتواصلون تواصل الجيران الاخوان ، على مابينهم من قرب الجوار ودنو الدار ، وكيف يكون بينهم تواصل ، وقد طحنهم بكلكله البلاء ، وأكلتهم الجنادل والثرى واصبحوا بعد الحياة أمواتاً ، وبعد نضارة العيش رفاتاً ، فجع بهم الاحباب وسكنوا تحت التراب ، وظعنوا فليس لهم إياب ، هيهات هيهات !

« كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ » (١) .

فكأن قد صرتم الى ماصاروا اليه من البلى والوحدة في دار المثوى ، وارتهنتم في ذلك المضجع ، وضمكم ذلك المستودع ، وكيف بكم لوعاينتم الأمور ، وبعثرت القبور ، وحصل مافي الصدور ، واوقفتم للتحصيل بين يدي الملك الجليل ، فطارت القلوب لاشفاقها من سالف الذنوب ، وهتكت عنكم الحجب والأستار ، فظهرت منكم العيوب والاسرار ، هنالك .

« تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ » (٢) .

وقال ايضا - عليه السلام - في بعض خطبه : « اوصيكم بتقوى الله والترك للدنيا التاركة لكم ، وان كنتم لاتحبون تركها ، المبلية أجسامكم وانتم تريدون تجديدها ، فإنما مثلكم ومثلها كمثل قوم في سفر سلكوا طريقاً

(١) المؤمنون ، الآية : ١٠١ .
(٢) المؤمن ، الآية : ١٧ .

وكأنهم قد قطعوه ، وافضوا الى علم ، فكأنهم قد بلغوه ، وكم عسى أن يجرى المجرى حتى ينتهي الى الغاية ، وكم عسى أن يبقى من له يوم في الدنيا ، وطالب حثيث يطلبه حتى يفارقها ، فلا تجزعوا لبؤسها وضرائها فإنه الى انقطاع ، ولا تفرحوا بمتاعها ونعمائها فانه الى زوال ، عجبت لطالب الدنيا والموت يطلبه ، وغافل وليس بمغفول عنه » .

وقال السجاد ـ عليه السلام ـ : « إن الدنيا قد ارتحلت مدبرة ، وإن الآخرة قد ارتحلت مقبلة ، ولكل واحدة منها بنون ، فكونوا من ابناء الآخرة ولا تكونوا من ابناء الدنيا ، ألا وكونوا من الزاهدين في الدنيا الراغبين في الآخرة ، ألا إن الزاهدين في الدنيا اتخذوا الأرض بساطاً والتراب فراشاً والماء طيباً ، وقرضوا من الدنيا تقريضاً ، ألا ومن اشتاق الى الجنة سلا عن الشهوات ، ومن اشفق من النار رجع عن المحرمات ، ومن زهد في الدنيا هانت عليه المصائب ، ألا إن لله عباداً كمن رأى أهل الجنة في الجنة مخلدين ، وكمن رأى أهل النار في النار معذبين ، شرورهم مأمونة وقلوبهم محزونة ، أنفسهم عفيفة ، وحوائجهم خفيفة ، صبروا أياماً قليلة ، فصاروا بعقبى راحــة طويلة ، أما الليل فصافون أقدامهم ، تجرى دموعهم على خدودهم ، وهم يجأرون الى ربهم ، يسعون في فكاك رقابهم ، وأما النهار فحلماء علماء بررة اتقياء كأنهم القــداح ، قد براهم الخوف من العبادة ، ينظر اليهم الناظر فيقول مرضى ، وما بالقوم من مرض ، أم خولطوا ، فقد خالط القوم أمر عظيم من ذكر النار وما فيها » . وقال ـ عليه السلام ـ « مامن عمل بعد معرفة الله ـ عز وجل ـ ومعرفة رسوله ـ صلى الله عليه وآله ـ أفضل من بغض الدنيا ، فان لذلك لشعباً كثيرة ، وللمعاصي شعباً فأول ماعصى الله به الكبر معصية ابليس حين أبى واستكبر وكان من الكافرين ثم الحرص ، وهي معصية آدم وحواء حين قال الله ـ عز وجل ـ لهما :

« فَكُلاَ مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلاَ تَقْرَبَا هٰذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِيْنَ » (١) .

فأخذا مالا حاجة بهما اليه ، فدخل ذلك على ذريتهما الى يوم القيامة وذلك إن أكثر ما يطلب ابن آدم مالا حاجة به اليه . ثم الحسد ، وهو معصية ابن آدم حيث حسد أخاه فقتله ، فتشعب من ذلك حب النساء وحب الدنيا ، وحب الرئاسة ، وحب الراحة ، وحب الكلام ، وحب العلو والثروة ، فصرن سبع خصال ، فاجتمعن كلهن في حب الدنيا . فقال الأنبياء والعلماء - بعد معرفة ذلك - : حب الدنيا رأس كل خطيئة ، والدنيا دنيا آن : دنيا بلاغ ودنيا ملعونة » . وقال الباقر عليه السلام لجابر: « ياجابر ! إنه من دخل قلبه صافي خالص دين الله شغل قلبه عما سواه ياجابر ! ما الدنيا وما عسى أن تكون الدنيا ؟ ! هل هي إلا طعام أكلته أو ثوب لبسته ، أو امرأة أصبتها ؟ ياجابر ! إن المؤمنين لم يطمأنوا الى الدنيا ببقائهم فيها ، ولم يأمنوا قدومهم الآخرة . ياجابر ! الآخرة دار قرار ، والدنيا دار فناء وزوال ، ولكن أهل الدنيا أهل غفلة ، وكان المؤمنون هم الفقهاء أهل فكرة وعبرة ، لم يصممهم عن ذكر الله - جل اسمه - ماسمعوا باذانهم ، ولم يعمهم عن ذكر الله مارأوا من الزينة بأعينهم ففازوا بثواب الآخرة كما فازوا بذلك العلم » (٢) وقال الصادق - عليه

---

(١) الاعراف ، الآية : ١٩ .

(٢) صححنا الحديث على الكافي في باب ذم الدنيا ، وصدر الحديث هكذا : « قال جابر : دخلت على أبي جعفر - عليه السلام - فقال : ياجابر ! والله لمحزون ! واني لمشغول القلب ، قلت : جعلت فداك ! وما شغلك وما حزن قلبك . . . » الى آخر الحديث :

السلام - : « مثل الدنيا كمثل ماء البحر ، كلما شرب منه العطشان ازداد عطشاً حتى يقتله » . وقال : فيما ناجى الله - عز وجل - به موسى : « ياموسى ! لاتركن الى الدنيا ركون الظالمين وركون من اتخذها أباً وأما ياموسى ! لووكلتك الى نفسك لتنظر لها إذن لغلب عليك حب الدنيا وزهرتها ياموسى ! نافس في الخير أهله واستبقهم اليه ، فان الخير كاسمه ، واترك من الدنيا مابك الغنى عنه ولا تنظر عينك الى كل مفتون بها وموكل الى نفسه ، واعلم أن كل فتنة بدؤها حب الدنيا ، ولا تغبط أحداً بكثرة المال فان مع كثرة المال تكثر الذنوب لواجب الحقوق ولا تغبطن أحداً برضى الناس عنه . حتى تعلم أن الله راض عنه ، ولا تغبطن مخلوقا بطاعة الناس له ، فان طاعة الناس له واتباعهم اياه على غير الحق هلاك له ولمن تبعه » وأوحى الله - تعالى - الى موسى وهارون لما أرسلهما الى فرعون : « لو شئت أن ازينكما بزينة من الدنيا ، يعرف فرعون حين يراها ان مقدرته تعجز عما أوتيتما لفعلت ، ولكني أرغب لكما عن ذلك وازوى ذلك عنكما وكذلك افعل بأوليائي ، إني لازويهم عن نعيمها ، كما يزوى الراعي الشفيق غنمه عن مواقع الهلكة ، وإني لاجنبهم عيش سلوتها ، كما يجنب الراعي الشفيق إبله عن مواقع الغرة ، وما ذلك لهوانهم علي ، ولكن ليستكملوا نصيبهم من كرامتي سالماً موفراً ، إنما يتزين لي أوليائي : بالذل والخشوع والخوف والتقوى » . وقال الكاظم - عليه السلام - : « قال ابو ذر - رحمه الله - : جزى الله الدنيا عن مذمة بقدر رغيفين من الشعير ، اتغذى باحدهما واتعشى بالآخر ، وبعد شملتي الصوف ، اتزر باحداهما وارتدي بالأخرى » . وقال لقمان لابنه : « يابني ! بع دنياك باخرتك تربحهما جميعاً ، ولا تبع آخرتك بدنياك تخسرهما جميعاً » . وقال له : « يابني ! إن الدنيا بحر عميق ، قد غرق فيها ناس كثير ، فلتكن سفينتك فيها تقوى

الله ـ عز وجل ـ وحشوها الايمان ، وشراعها التوكل على الله ، لعلك ناج وما اراك ناجياً » . وقال : « يابني ! إن الناس قدجمعوا قبلك لأولادهم فلم يبق ماجمعوا ولم يبق من جمعوا له ، وانما أنت عبد مستأجر قد امرت بعمل ووعدت عليه أجراً ، فاوف عملك واستوف أجرك ، ولا تكن في هذه الدنيا بمنزلة شاة وقعت في زرع أخضر فاكلت حتى سمنت ، فكان حتفها عند سمنها ، ولكن اجعل الدنيا بمنزلة قنطرة على نهر جزت عليها وتركتها ، ولم ترجع اليها آخر الدهر ، أخر بها ولا تعمر ، فانك لم تؤمر بعمارتها ، واعلم أنك ستسأل غداً اذا وقفت بين يدى الله ـ عز وجل ـ عن أربع : شبابك فيما أبليته ، وعمرك فيما افنيته ، ومالك مما اكتسبته . وفيما أنفقته ، فتأهب لذلك ، وأعد له جوابا ، ولا تأس على مافاتك من الدنيا . فان قليل الدنيا لايدوم بقاؤه ، وكثيرها لايؤمن بلاؤه ، فخذ حذرك وجد في أمرك ، واكشف الغطاء عن وجهك ، وتعرض لمعروف ربك ، وجدد التوبة في قلبك ، واكمش في فراغك قبل أن يقصد قصدك ، ويقضى قضاؤك ، ويحال بينك وبين ماتريد » .

وقال بعض الحكماء : « الدنيا دار خراب ، واخرب منها قلب من يعمرها . والجنــة دار عمران ، وأعمر منهما قلب من يعمرها » . وقال بعضهم : « الدنيا لمن تركها ، والآخرة لمن طلبهـا » . وقال بعضهم : « إنك لن تصبح في شيء من الدنيا إلا وقد كان له أهل قبلك ، ويكون له أهل بعدك ، وليس لك من الدنيا إلا عشاء ليلة وغداء يوم ، فلا تهلك نفسك في أكلة ، وصم الدنيا ، وافطر على الآخرة ، فان رأس مال الدنيا الهوى ، وربحها النار » . وقال بعض أكابر الزهاد : « الدنيا تخلق الابدان وتجدد الآمال ، وتقرب المنية ، وتبعد الأمنية ، ومن ظفر بها تعب ، ومن فاتته نصب » . وقال بعضهم : « مافي الدنيا شيء يسرك إلا وقد التزق

به شيء يسؤك » . وقال آخر : « لاتخرج نفس ابن آدم من الدنيا إلا بحسرات ثلاث : إنه لم يشبع مما جمع ، ولم يدرك ما امل ، ولم يحسن الزاد لما قدم عليه » وقال حكيم: كانت الدنيا ولم اكن فيها ، وتذهب ولا اكون فيها ، فكيف اسكن اليها ؟ فان عيشها نكد ، وصفوها كدر ، وأهلها منها على وجل ، إما بنعمة زائلة ، أو بلية نازلة ، أو منية قاضية » . وقال بعض العرفاء : « الدنيا حانوت الشيطان ، فلا تسرق من حانوته شيئاً ، فيجيء في طلبك ويأخذك » . وقال بعضهم : « لو كانت الدنيا من ذهب يفنى والآخرة من خزف يبقى ، لكان ينبغي أن يختار العاقل خزفا يبقى على ذهب يفنى ، فكيف والآخرة ذهب يبقى والدنيا أدون من خزف يفنى ؟ » وقد ورد : « أن العبد اذا كان معظما للدنيا ، يوقف يوم القيامة ، ويقال : هذا عظم ماحقره الله » . وروى : « أنه لما بعث النبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ أتت ابليس جنوده ، فقالوا : قد بعث نبي واخرجت امة ، قال : يحبون الدنيا ؟ قالوا : نعم ! قال : إن كانوا يحبونها ما ابالي ألا يعبدوا الأوثان ، وانا اغدو عليهم واروح بثلاثة : أخذ المال من غير حقه ، وانفاقه في غير حقه ، وامساكه عن حقه ، والشر كله لهذا تبع » . وروى : « انه أوحى الله تعالى الى بعض انبيائه احذر مقتك ، فتسقط من عيني ، فاصب عليك الدنيا صبا » . وقال بعض الصحابة : « ما اصبح أحد من الناس في الدنيا إلا وهو ضيف ، وماله عارية . فالضيف مرتحل ، والعارية مردودة » . وقال بعضهم : « إن الله جعل الدنيا ثلاثة أجزاء : جزء للمؤمن ، وجزء للمنافق ، وجزء للكافر . فالمؤمن يتزود ، والمنافق يتزين ، والكافر يتمتع » . وقيل : « من أقبل على الدنيا احرقته نيرانها حتى يصير رماداً ، ومن أقبل على الآخرة صفته نيرانها فصار سبيكة ذهب ينتفع بها ، ومن أقبل على الله سبحانه ، احرقته

نيران التوحيد ، فصار جوهراً لاحد لقيمته » . وقيل أيضا : « العقلاء ثلاثة: من ترك الدنيا قبل أن تتركه ، وبنى قبره قبل أن يدخله وارضى خالقه قبل ان يلقاه » . وسأل بعض الامراء رجلا بلغ عمره مائتي سنة عن الدنيا ، فقال : « سنيات بلاء وسنيات رخاء ، يوم فيوم ، وليلة فليلة ، يولد ولد ، ويهلك هالك ، فلولا المولود باد الخلق ، ولولا الهالك لضاقت الدنيا بمن فيها » ، فقال له الأمير : سل ماشئت ، قال : « اريد منك أن ترد علي مامضى من عمرى ، وتدفع عني ماحضر من أجلي » ، قال : لا أملك ذلك ، قال: « فلا حاجة لي اليك » .

والأخبار والآثار في ذم الدنيا وحبها ، وفي سرعة زوالها وعدم الاعتبار بها ، وفي هلاك من يطلبها ويرغب اليها ، وفي ضديتها للاخرة ، أكثر من أن تحصى. وما ورد في ذلك من كلام أئمتنا الراشدين ، (لا) سيما عن مولانا أمير المؤمنين - صلوات الله عليهم أجمعين الى يوم الدين - فيه بلاغ لقوم زاهدين . ومن تأمل في خطب علي عليه السلام ومواعظه كما في نهج البلاغة وغيره - يظهر له خساسة الدنيا ورذالتها : وقضية السؤال والجواب بين روح الأمين ونوح في كيفية سرعة زوال الدنيا مشهورة ، وحكاية مرور روح الله على قرية هلك أهلها من حب الدنيا معروفة (١) ولعظم آفة الدنيا وحقارتها ومهانتها عند الله ، لم يرضها لأحد من أوليائه وحذرهم عن غوائلها ، فتزهدوا فيها وأكلوا منها قصداً ، وقدموا فضلا أخذوا منها مايكفي ، وتركوا مايلهي ، لبسوا من الثياب ماستر العورة ، وأكلوا من الطعام ماسد الجوع . نظروا الى الدنيا بعين أنها فانية ، والى الآخرة أنها باقية ، فتزودوا منها كزاد الراكب ، فخربوا الدنيا وعمروا

(١) ذكرها (الكافي) عن أبي عبد الله الصادق (ع) في باب حب الدنيا بتمامها .

بها الآخرة ، ونظروا الى الآخرة بقلوبهم فعلموا أنهم سينظرون اليها باعينهم فارتحلوا اليها بقلوبهم لما علموا أنهم سيرتحلون اليها بابدانهم صبروا قليلا ونعموا طويلا .

فصل

(خسائس صفات الدنيا)

اعلم أن للدنيا صفات خسيسة قد مثلت في كل صفة بما تماثله فيها فمثالها في سرعة الفناء والزوال وعدم الثبات : مثل النبات الذي اختلط به ماء السماء فاخضر ، ثم اصبح هشيما تذروه الرياح ، أو كمنزل نزلته ثم ارتحلت عنه ، او كقنطرة تعبر عنها ولا تمكث عليها . وفي كونها مجرد الوهم والخيال ، وكونها مما لا أصل لها ولا حقيقة ، كفيء الظلال ، أو خيالات المنام وأضغاث الأحلام ، فإنك قد تجد في منامك ماتهواه ، فاذا استيقظت ليس معك منه شيء .

وفي عداوتها لأهلها واهلاكها اياهم : بامرأة تزينت للخطاب ، حتى اذا نكحتهم ذبحتهم . فقد روى : « أن عيسى عليه السلام كوشف بالدنيا فرآها في صورة عجوز شمطاء هتماء عليها من كل زينة ، فقال لها : كم تزوجت ؟ قالت : لا أحصيهم ، قال : فكلهم مات عنك او كلهم طلقك ؟ قالت : بل كلهم قتلت ، فقال عيسى ـ عليه السلام ـ : بؤساً لازواجك الباقين ، كيف لايعتبرون بالماضين ؟ كيف تهلكينهم واحداً واحداً ولا يكونون منك على حذر ؟! » .

وفي مخالفة باطنها لظاهرها : كعجوز متزينة تخدع الناس بظاهرها : فاذا وقفوا على باطنها وكشفوا القناع عن وجهها ، ظهرت لهم قبائحها

روى : « أنه يؤتى بالدنيا يوم القيامة في صورة عجوز شمطاء زرقاء ، انيابها بادية ، مشوه خلقها ، فتشرف على الخلائق ، ويقال لهم : تعرفون هذه فيقولون : نعوذ بالله من معرفة هذه ! فيقال : هذه الدنيا التي تفاخرتم عليها ، وبها تقاطعتم الارحام ، وبها تحاسدتم وتباغضتم واغررتم ، ثم يقذف بها في جهنم ، فتنادى : أي رب ! أين اتباعي واشياعي ؟ فيقول الله ـ عز وجل ـ : ألحقوا بها اتباعها واشياعها » .

وفي قصر عمرها لكل شخص بالنسبة الى ماتقدمه من الأزل وما يتأخر عنه من الأبد : كمثل خطوة واحدة ، بل أقل من ذلك ؛ بالنسبة الى سفر طويل ، بل بالنسبة الى كل مسافة الأرض اضعافاً غير متناهية ؛ ومن رأى الدنيا بهذه العين لم يركن اليها ، ولم يبال كيف انقضت أيامه في ضيق وضر أو في سعة ورفاهية ، بل لايبني لبنة على لبنة . توفي سيد الرسل صلى الله عليه وآله وما وضع لبنة على لبنة ولا قصبة على قصبة . ورأى بعض أصحابه يبني بيتاً من جص ، فقال : « أرى الأمر اعجل من هذا » . والى هذا أشار عيسى عليه السلام حيث قال : « الدنيا قنطرة ، فاعبروها ولا تعمروها » .

وفي نعومة ظاهرها وخشونة باطنها : مثل الحية التي يلين مسها ويقتل سمها .

وفي قلة مابقى منها بالاضافة الى ماسبق : مثل ثوب شق من أوله الى آخره ، فبقى متعلقاً في آخره ، فيوشك ذلك الخيط ان ينقطع .

وفي قلة نسبتها الى الآخرة : كمثل مايجعل احد اصبعه في اليم ، فلينظر بم يرجع اليه من الأصل .

وفي تأديه علائقها بعض الى بعض حتى ينجر الى الهلاك : كماء البحر كلما شرب منه العطشان ازداد عطشا حتى يقتله .

وفي تأدية الحرص عليها الى الهلاك غماً : كمثل دودة القز كلما ازدادت على نفسها لفاً كان أبعد لها من الخروج حتى تموت غماً ،

وفي تعذر الخلاص من تبعاتها واستحالة عدم التلوث بقاذوراتها بعد الخوض فيها : كالماشي في الماء ، فإنه يمتنع ألا تبتل قدماه .

وفي نضارة أولها وخباثة عاقبتها : كالأطعمة التي تؤكل ، فكما أن الطعام كلما كان الذ طعماً واكثر دسومة كان رجيعه اقذر واشد نتناً ، فكذلك كل شهوة من شهوات الدنيا التي كانت للقلب اشهى واقوى ، فنتنها وكراهيتها والتأذى بها عند الموت أشد ، وهذا مشاهد في الدنيا . فان المصيبة والألم والتفجع في كل ما فقد بقدر الالتذاذ بوجوده وحرصه عليه وحبه له ، ولذا ترى أن من نهبت داره واخذت اهله واولاده ، يكون تفجعه وألمه أشد مما اذا اخذ عبد من عبيده ، فكل ماكان عند الوجود اشهى عنده والذ ، فهو عند الفقد أدهى وأمر ، وما للموت معنى إلا فقد ما في الدنيا .

وفي تنعم الناس بها ثم تفجعهم على فراقها : مثل طبق ذهب عليه بخور ورياحين ، في دار رجل هيأه فيها ، ودعا الناس على الترتيب واحداً بعد واحد ليدخلوا داره ، ويشمه كل واحد وينظر اليه ، ثم يتركه لمن يلحقه ، لا ليتملكه ويأخذه ، فدخل واحد وجهل رسمه ، فظن أنه قد وهب ذلك له ، فتعلق به قلبه ، لما ظن أنه له ، فلما استرجع منه ضجر وتألم ، ومن كان عالماً برسمه انتفع به وشكره ورده بطيب قلب وانشراح صدر . فكذلك من عرف سنة الله في الدنيا ، علم أنها دار ضيافة سبلت على المجتازين لينتفعوا بما فيها ، كما ينتفع المسافر بالعواري ، ثم يتركوها ويتوجهوا الى مقصدهم من دون صرف قلوبهم اليها ، حتى تعظم مصيبتهم عند فراقها ، ومن جهل سنه الله فيها ، ظن أنها مملوكة له ، فيتعلق بها

قلبه ، فلما اخذت منه عظمت بليته واشتدت مصيبته .

وفى اغـترار الخلق بها وضعف ايمانهم بقوله تعالى في تحذيره إياهم غوائلها : كمفازة غبراء لانهاية لها ، سلكوها قوم وتاهوا فيها بلا زاد وماء وراحلة ، فأيقنوا بالهلاك ، فبيناهم كذلك إذ خرج عليهم رجل وقال : أرأيتم إن هديتكم إلى رياض خضر وماء رواء ماتعملون ؟ قالوا : لانعصيك في شيء . فأخـذ منهم عهوداً ومواثيق على ذلك ، فأوردهم ماء رواء ورياضاً خضراء ، فمكث فيهم ماشاء الله ، ثم قال : الرحيل ! قالوا: الى اين ؟ قال : الى ماء ليس كمائكم ، والى رياض ليست كرياضكم . فقال اكـثرهم : لانريد عيشا خيراً من هذا ، فـلم يطيعوه . وقالت طائفة - وهم الأقلون - : ألم تعطوا هذا الرجل عهودكم ومواثيقكم بالله ألا تعصوه وقد صدقكم في أول حديثه ؟ فو الله إنه صادق في هذا الكلام أيضاً ! فاتبعه هذا الأقل ، فذهب فيهم الى أن أوردهم في ماء ورياض أحسن بمراتب شتى مما كانوا فيه أولا ، وتخلف عنه الأكثرون ، فبدرهم عدو ، فأصبحوا من بين قتيل وأسير .

تذنيب

(تشبيها الدنيا وأهلها)

قد شبه بعض الحكماء حال الانسان واغتراره بالدنيا ، وغفلته عن الموت وما بعده من الأهوال ، وانهماكه في اللذات العاجلة الفانية الممتزجة بالكدورات : بشخص مدلى في بئر ، مشدود وسطه بحبل ، وفي أسفل ذلك البئر ثعبان عظيم متوجه اليـه ، منتظر سقوطه ، فاتح فاه لالتقامه ، وفي أعلى ذلك البئر جرذان أبيض وأسود ، لايزالان يقرضان ذلك الحبل شيئاً فشيئاً ، ولا يفتران عن قرضه آناً من الآنات ، وذلك الشخص ،

مع أنه يرى ذلك الثعبان ويشاهد انقراض الحبل آنا فآنا ، قد اقبل على قليل عسل قد لطخ به جدار ذلك البئر وامتزج بترابه واجتمعت عليه زنابير كثيرة ، وهو مشغول بلطعه منهمك فيه ، ملتذ بما أصاب منه ، مخاصم لتلك الزنابير عليه ، قد صرف باله بأجمعه الى ذلك ، غير ملتفت الى مافوقه والى ماتحته . فالبئر هو الدنيا ، والحبل هو العمر ، والثعبان الفاتح فاه هو الموت ، والجرذان الليل والنهار القارضان للعمر ، والعسل المختلطة بالتراب هو لذات الدنيا الممتزجة بالكدورات والآلام ، والزنابير هم ابناء الدنيا المتزاحمون عليها .

وشبه بعض العرفاء الدنيا وأهلها ، في اشتغالهم بنعيمها وغفلتهم عن الآخرة ، وحسراتهم العظيمة بعد الموت ، من فقدهم نعيم الجنة بسبب انغمارهم في خسائس الدنيا : بقوم ركبوا السفينة ، فانتهت بها الى جزيرة فأمرهم الملاح بالخروج لقضاء الحاجة ، وحذرهم المقام فيها ، وخوفهم مرور السفينة واستعجالها ، فتفرقوا في نواحي الجزيرة ، فقضى بعضهم حاجته ، وبادر الى السفينة ، فصادف المقام خالياً ، فأخذ أوسع الأماكن واوفقها بمراده . وبعضهم توقف في الجزيرة ، واشتغل بالنظر الى أزهارها وانوارها واشجارها واحجارها ونغمات طيورها ، ثم تنبه لخطر فوات السفينة فرجع اليها ، فلم يصادف إلا مكاناً ضيقاً ، فاستقر فيه . وبعضهم ، بعد التنبه لخطر مرور السفينة ، لما تعلق قلبه ببعض احجار الجزيرة وازهارها وثمارها ، لم تسمح نفسه باهمالها ، فاستصحب منها جملة ورجع الى السفينة فلم يجد فيها إلا مكاناً ضيقاً لايسعه إلا بالتكلف والمشقة ، وليس فيه مكان لوضع ماحمله ، فصار ذلك ثقلا عليه ووبالا ، فندم على أخذها ، ولم يقدر على رميها ، فحملها في السفينة على عنقه متأسفاً على أخذها . وبعضهم اشتغل بمشاهدة الجزيرة ، بحيث لم يتنبه أولا من خطر مرور السفينة ومن

نداء الملاح ، حتى امتلأت السفينة ، فتنبه أخيراً ورجع اليها ، مثقلا بما حمله من احجار الجزيرة وحشائشها ، ولما وصل الى شاطىء البحر سارت السفينة ، أولم يجد فيها موضعاً أصلا ، فبقى على شاطىء البحر . وبعضهم لكثرة الاشتغال بمشاهدة الجزيرة وما فيها نسوا المركب بالمرة ، ولم يبلغهم النداء اصلا ، لكثرة انغمارهم في أكل الثمار وشرب المياه والتنسم بالانوار والأزهار والتفرج بين الاشجار ، فسارت السفينة وبقوا في الجـزيرة من دون تنبههم بخطر مرورها ، فتفرقوا فيها ، فبعضهم نهشته العقارب والحيات وبعضهم افترسته السباع ، وبعضهم مات في الأوحال ، وبعضهم هلك من الندامة والحسرة والغصة ، وأما من بقي على شاطىء البحر فمات جوعاً ، وأما من وصل الى المركب مثقلا بما اخذه ، فشغله الحزن بحفظها والخوف من فوتها ، وقـد ضيق عليه مكانه ، فلم يلبث ان ذبلت ما اخذه من الأزهار ، وعفنت الثمار ، وكمدت الوان الأحجار ، فظهر نتن رائحتها ، فتأذى من نتن رائحتها ولم يقدر على القائها في البحر لصيرورتها جزءاً من بدنه ، وقد أثر فيه ما أكل منها ، ولم ينتـه الى الوطن إلا بعد احاطة الامراض والأسقام عليه لأجل مالم ينفك عنه من النتن ، فبلغ اليـه سقيما مدنفاً ، فبقى على سقمه أبداً ، أومات بعد مدة . واما من رجع الى المركب بعد تضيق المكان ، فما فاته إلا سعـة المحل ، فتأذى بضيق المكان مدة ، ولكن لما وصل الى الوطن استراح ، ومن رجع اليه اولا ووجد المكان الأوسع فلم يتأذ من شيء أصلا ووصل الى الوطن سالماً . فهذا مثال اصناف أهل الدنيا فى اشتغالهم بحظوظهم العاجلة ، ونسيانهم وطنهم الحقيقي ، وغفلتهم عن عاقبـة امرهم . وما اقبح بالعاقـل البصـير ان تغره بأحجار الأرض وهشيم النبت ، مع مفارقته عند الموت وصيرورته كلا ووبالا عليه .

فصل

(عاقبة حب الدنيا وبغضها)

اعلم انه لايبلغ مع العبد عند الموت إلا صفاء القلب ، اعني طهارته عن ادناس الدنيا وحبه لله وانسه بذكره ، وصفاء القلب وطهارته لايحصل إلا بالكف عن شهوات الدنيا ، والحب لايحصل إلا بالمعرفة ، والمعرفة لاتحصل إلا بدوام الفكرة ، والانس لايحصل إلا بكثرة ذكر الله والمواظبة عليه ، وهذه الصفات الثلاث هي المنجيات المسعدات بعد الموت ، وهي الباقيات الصالحات .

أما طهارة القلب عن ادناس الدنيا ، فهي الجنة بين العبد وبين عذاب الله ، كما ورد في الخبر : « ان اعمال العبد تناضل عنه ، فاذا جاء العذاب من قبل رجليه جاء قيام الليل يدفع عنه ، واذا جاء من قبل يديه جاءت الصدقة تدفع عنه ... » الحديث .

وأما الحب والانس ، فهما يوصلان العبد الى لذة المشاهدة واللقاء . وهذه السعادة تتعجل عقيب الموت الى ان يدخل الجنة ، فيصير القبر روضة من رياض الجنة ، وكيف لايصل صاحب الصفات الثلاث بعد موته غاية البهجة ونهاية اللذة بمشاهدة جمال الحق ، ولا يكون القبر عليه روضة من الرياض الخلد ، ولم يكن له إلا محبوب واحد ، وكانت العوائق تعوقه عن الانس بدوام ذكره ومطالعة جماله ، وبالموت ارتفعت العوائق وافلت من السجن وخلي بينه وبين محبوبه ، فقدم عليه مسروراً سالماً من الموانع آمنا من الفراق ؟ وكيف لايكون محب الدنيا عند الموت معذبا ولم يكن له محبوب إلا الدنيا ، وقد غصبت منه وحيل بينه وبينها ، وسدت عليه طرق

الحيلة في الرجوع اليه ؟ وليس الموت عدماً ، إنما هو فراق لمحاب الدنيا وقدوم على الله ، فإذن سالك طريق الآخرة هو المواظب على أسباب هذه الصفات الثلاث ، وهي : الذكر ، والفكر ، والعمل الذي يفطمه عن شهوات الدنيا ويبغض اليه ملاذها ويقطعه عنها . وكل ذلك لا يمكن إلا بصحة البدن ، وصحة البدن لاتنال إلا بالقوت والملبس والمسكن ، ويحتاج كل واحد الى اسباب ، فالقدر الذى لابد منه من هذه الثلاثة إذا أخذه العبد من الدنيا للآخرة لم يكن من ابناء الدنيا وكانت الدنيا في حقه مزرعة الآخرة ، وإن اخذ ذلك على قصد التنعم وحظ النفس صار من ابناء الدنيا والراغبين في حظوظها . إلا أن الرغبة في حظوظ الدنيا تنقسم الى مايعرض صاحبه لعذاب الله في الآخرة ، ويسمى ذلك حراماً ، والى ما يحول بينه وبين الدرجات العلى ويعرضه لطول الحساب ، ويسمى ذلك حلالا . والبصير يعلم أن طول الموقف في عرصات القيامة لأجل المحاسبة أيضا عذاب ، فمن نوقش في الحساب عذب ، ولذلك قال رسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ : « في حلالها حساب وفي حرامها عقاب » . بل لو لم يكن الحساب ، لكان مايفوت عن الدرجات العلى في الجنة وما يرد على القلب من التحسر على تفويتها بحظوظ حقيرة خسيسة لابقاء لها ، هو أيضاً عذاب

ويرشدك إلى ذلك حالك في الدنيا إذا نظرت الى أقرانك ، وقد سبقوك الى السعادات الدنيوية ، كيف ينقطع قلبك عليها حسرات ، مع علمك بأنها سعادات متصرمة لابقاء لها ، ومنغصة بكدورات لاصفاء لها ، فما حالك في فوات سعادات لايحيط الوصف بعظمتها وتنقطع الأذهان والدهور دون غايتها ؟ وكل من تنعم في الدنيا ، ولو بسماع صوت من طائر أو بالنظر إلى خضرة او بشربة ماء بارد ، فهو ينقص من حظه في الآخرة والتعرض لجواب السؤال فيه ذل ، وحذر ، وخوف ، وخطر ، وخجل

وانكسار ، ومشقة ، وانتظار ، وكل ذلك من نقصان الحظ .

فالدنيا - قليلها وكثيرها ، حلالها وحرامها - ملعونة ، إلا ما أعان على تقوى الله ، فان ذلك القدر ليس من الدنيا ، وكل من كانت معرفته أقوى وانم كان حذره من نعيم الدنيا أشد واعظم ، حتى أن عيسى عليه السلام وضع رأسه على حجر لما نام ثم رمى به ، اذ تمثل له ابليس وقال رغبت في الدنيا . وحتى أن سليمان - عليه السلام - في ملكه كان يطعم الناس من لذائذ الأطعمة وهو يأكل خبز الشعير ، فجعل الملك على نفسه بهذا الطريق امتحاناً وشدة ، فان الصبر من لذيذ الأطعمة مع وجودها أشد . ولذا زوى الله - تعالى - الدنيا على نبينا - صلى الله عليه وآله - فكان يطوى اياماً ، وكان يشد الحجر على بطنه من الجوع ، ولهذا سلط الله المحن والبلاء على الأنبياء والأولياء، ثم الامثل فالأمثل في درجات العلى . كل ذلك نظراً لهم وامتنانا عليهم ، ليتوفر من الآخرة حظهم ، كما يمنع الوالد المشفق ولده لذائذ الفواكه والأطعمة ويلزمه الفصد والحجامة ، شفقة عليه وحباً له لابخلا به عليه . وقد عرفت بهذا أن كل ماليس لله فهو من الدنيا وما هو لله فليس من الدنيا .

ثم الأشياء على أقسام ثلاثة :

(الأول) مالا يتصور أن يكون لله ، بل من الدنيا صورة ومعنى وهي انواع المعاصي والمحظورات وأصناف التنعم بالمباحات ، وهي الدنيا المحضة المذمومة على الاطلاق .

(الثاني) ماصورته من الدنيا ، كالأكل والنوم والنكاح وأمثالها ، ويمكن أن يجعل معناه لله ، فإنه يمكن أن يكون المقصود منه حظ النفس فيكون معناه كصورته أيضا من الدنيا ، ويمكن أن يكون المقصود منه الاستعانة على التقوى ، فهو لله بمعناه وان كانت صورته صورة الدنيا ،

قال رسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ : « من طلب من الدنيا حلالا مكاثراً مفاخراً لقى الله وهو عليه غضبان ، ومن طلبها استعفافاً عن المسألة وصيانة لنفسه جاء يوم القيامة ووجهه كالقمر ليلة البدر » .

(الثالثة) ماصورته لله ، ويمكن أن يجعل معناه من الدنيا بالقصد ، وهو ترك الشهوات ، وتحصيل العلم ، وعمل الطاعات والعبادات . فهذه الثلاث اذا لم يكن لها باعث سوى أمر الله واليوم الآخر فهى لله صورة ومعنى ، ولم تكن من الدنيا أصلا ، وان كان الغرض منها حفظ المال والحمية والاشتهار بالزهد والورع وطلب القبول بين الخلق باظهار المعرفة صار من الدنيا معنى وان كان يظن بصورته أنه لله .

ومنها :



حب المال

وهو من شعب حب الدنيا ، إذ حب الدنيا يتناول حب كل حظ عاجل ، والمال بعض اجزاء الدنيا ، كما ان الجاه بعضها ، واتباع شهوة البطن والفرج بعضها ، وتشفى الغيظ بحكم الغضب والحسد بعضها ، والكبر وطلب العلو بعضها .

وبالجملة : لها أبعاض كثيرة يجمعها كل ماللانسان فيه حظ عاجل ، فآفات الدنيا كثيرة الشعب والارجاء ، واسعة الأرجاء والاكناف ، ولكن أعظم آفاتها المتعلقة بالقوة الشهوية هو (المال) ، اذ كل ذى روح محتاج اليه ولا غناء له عنه ، فان فقد حصل الفقر الذي يكاد أن يكون كفراً وإن وجد حصل منه الطغيان الذي لاتكون عاقبة أمره إلا خسرا ، فهو

لايخلو من فوائد وآفات ، وفوائده من المنجيات وآفاته من المهلكات ، وتميز خيرها وشرها من المشكلات ، إذ من فقده تحصل صفة الفقر ، ومن وجوده تحصل صفة الغناء ، وهما حالتان يحصل بهما الامتحان :

ثم (للفاقد) حالتان : القناعة ، والحرص . واحداهما محمودة والأخرى مذمومة . و (للحريص) حالتان : تشمر للحرف والصنائع مع اليأس عن الخلق ، وطمع بما في ايديهم . واحـدى الحالتين شر من الأخرى . و (للواجد) حالتان : امساك ، وانفاق . واحدهما مذموم والآخر ممدوح و (للمنفق) حالتان : اسراف ، واقتصاد . والأول مذموم والثاني ممدوح وهذه امور متشابهـة لابد أولا من تميزها ، ثم الأخذ بمحمودها والترك لمذمومها ، حتى تحصل النجاة من غوائل المال وفتنتها . ومن هنا قال بعض الأكابر : الدرهم عقرب ، فان لم تحسن رقيته فلا تأخذه ، فانه إن لدغك قتلك سمه . قيل وما رقيته ؟ قال : أخذه من حله ، ووضعه في حقه .

فصل

الكتاب والسنة متظاهران في ذم المال وكراهة حبه ، قال الله سبحانه :

« يَا أَيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنُوا لاَ تُلْهِكُمْ أَمْوالُكُمْ وَلاَ أَوْلاَدُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذٰلِكَ فَأُولٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُوْنَ » (١) . وقال : « وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوالُكُمْ وَأَوْلاَدُكُمْ فِتْنَةٌ » (٢) .

---

(١) المنافقون ، الآية : ٩ .

(٢) الانفال ، الآية : ٢٨ .

وقال: «الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ...» الآية (١).

وقال رسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ : « حب المال والشرف ينبتان النفاق، كما ينبت الماء البقل». وقال ـ صلى الله عليه وآله ـ : « ماذئبان ضاريان ارسلا في زريبة غنم باكثر فساداً من حب المال والجاه في دين الرجل المسلم»، وقال : « شرار الأغنياء». وقال ـ صلى الله عليه وآله ـ : « يقول الله ـ تعالى ـ : يا ابن آدم! مالي، مالي! وهل لك من مالك إلا ماتصدقت فامضيت، أو أكلت فأفنيت، أو لبست فأبليت ؟!» وقال صلى الله عليه وآله : « أخلاء ابن آدم ثلاثة : واحد يتبعه إلى قبض روحه وهو ماله، وواحد يتبعه إلى قبره وهو أهله، وواحد يتبعه الى محشره وهو عمله». وقال صلى الله عليه وآله : « يجاء بصاحب الدنيا الذي أطاع الله فيها وماله بين يديه، كلما يكفأ به الصراط قال له ماله: إمض وقد أديت حق الله في. ثم يجاء بصاحب الدنيا الذي لم يطع الله فيها وماله بين كفيه، كلما يكفأ به الصراط قال ماله: ويلك ألا أديت حق الله في؟ ... فما يزال كذلك حتى يدعو بالثبور والويل» وقال صلى الله عليه وآله : « إن الدينار والدرهم أهلكا من كان قبلكم، وهما مهلكاكم». وقال صلى الله عليه وآله : « لكل أمة عجل، وعجل هذه الأمة الدينار والدرهم». وقال صلى الله عليه وآله : « يؤتى برجل يوم القيامة، وقد جمع مالا من حرام وانفقه في حرام فيقال : اذهبوا به الى النار. ويؤتى برجل قد جمع مالا من حلال وانفقه في حرام، فيقال اذهبوا به الى النار. ويؤتى برجل قد جمع مالا من حرام وانفقه في حلال فيقال اذهبوا به الى النار. ويؤتى برجل قد جمع مالا من حلال وانفقه في

(١) الكهف، الآية : ٤٧.

حلال ، فيقال له : قف لعلك قصرت في طلب هذا بشيء مما فرضت عليك من صلاة لم تصلها لوقتها ، وفرطت في شيء من ركوعها وسجودها ووضوئها ، فيقول : لا يارب ! كسبت من حلال وانفقت في حلال ، ولم أضيع شيئاً مما فرضت ، فيقال : لعلك اختلت في هذا المال في شيء من مركب أو ثوب باهيت به ، فيقول : لا يارب ! لم اختل ولم أباه في شيء ، فيقال : لعلك منعت حق أحد أمرتك أن تعطيه من ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل ، فيقول : لايارب ! لم اضيع حق احد أمرتني أن اعطيه . فيجيء اولئك فيخاصمونه ، فيقولون : يارب اعطيته واغنيته وجعلته بين اظهرنا وامرته أن يعطينا ، فان كان قد اعطاهم وما ضيع مع ذلك شيئاً من الفرائض ولم يختل في شيء ، فيقال : قف الآن هات شكر نعمة أنعمتها عليك من أكلة أو شربة أو لقمة أو لذة ... فلا يزال يسأل » .

فليت شعري ـ يا اخي ـ ان الرجل الذى فعل في الحلال ، وأدى الفرائض بحدودها ، وقام بالحقوق كلها ، اذا حوسب بهذه المحاسبة ، فكيف يكون حال امثالنا الغرقى في فتن الدنيا وتخاليطها ، وشبهاتها وشهواتها وزينتها ، فيالها من مصيبة ماأفظعها ، ورزية ماأجلها ، وحسرة ما أعظمها لاندرى ماتفعل بنا الدنيا غداً في الموقف عند يدى الجبّار .

ولخوف هذا الخطر قال بعض الصحابة : « مايسرني ان اكتسب كل يوم الف دينار من حلال وانفقها في طاعة الله ، ولم يشغلني الكسب عن صلاة الجماعة » ، قالوا له : ولم ذلك رحمك الله ؟ قال : « لأني غني عن مقامي يوم القيامة ، فيقول الله : عبدى من أين اكتسبت وفي أى شيء انفقت ؟ » .

فينبغي لكل مؤمن تقي ألا يتلبس بالدنيا ، فيرضى بالكفاف ، وإن

كان معه فضل فليقدمه لنفسه ، إذ لو بقي بعده لكان له مفاسد وآفات .
روى : « أنه قال رجل : يارسول الله ، مالى لا أحب الموت ؟ فقال :
هل معك من مال ؟ قال : نعم يارسول الله ، قال : قدم مالك امامك
فان قلب المؤمن مع ماله ، إن قدمه احب أن يلحقه ، وإن خلفه احب
ان يتخلف معه » . ووضع أمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ درهما على كفه
ثم قال : « أما انك مالم تخــرج عني لاتنفعني » . وروى : « ان اول
ماضرب الدينار والدرهم رفعهما ابليس ، ثم وضعهما على جبهته ، ثم قبلهما
وقال : من احبكما فهو عبدى حقاً » . وقال عيسى عليه السلام : «لاتنظروا
إلى أموال أهل الدنيا ، فان بريق أموالهم يذهب بنور ايمانكم » . وقال
بعض الأكابر : « مصيبتان لم يسمع الاولون والآخرون بمثلهما للعبد في
ماله عنــد موته » ، قيل : وما هما ؟ قال : « يؤخذ منه كله ، ويسأل
عنه كله » .

ثم جميع ماورد في ذم الغنى ومدح الفقر ـ كما يأتي بعضه ـ ، وجميع
ماورد في ذم الدنيا ـ كما تقدم بعضه ـ يتناول ذم المال ، لأنه أعظم اركان
الدنيا .

فصل

(الجمع بين ذم المال ومدحه)

أعلم أنه كما ورد ذم المال في الآيات والأخبار ورد مدحه فيها أيضاً
وقد سماه الله خيراً في مواضع ، فقال :

« إِنْ تَرَكَ خَيْراً الْوَصِيَّةُ ... » (١) . وقال في مقام الامتنان :

---

(١) البقرة ، الآية : ١٨٠ .

« وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَاراً »(١) .

وقال رسول الله - صلى الله عليه وآله - : « نعم المال الصالح للرجل الصالح » . وكل ماجاء في ثواب الصدقة ، والضيافة ، والسخاء ، والحج وغير ذلك مما لايمكن الوصول اليه إلا بالمال ، فهو ثناء عليه .

ووجه الجمع بين الظواهر المادحة والذامة هو : أن المال قد يكون وسيلة الى مقصود صحيح هو السعادة الاخروية ، إذ الوسائل اليها في الدنيا ثلاث ، وهي : الفضائل النفسية ، والفضائل البدلية ، والفضائل الخارجية التي عمدتها المال . وقد يكون وسيلة الى مقاصد فاسدة وهي المقاصد الصادة عن السعادة الأخروية والحياة الأبدية ، والصادة سبيل العلم والعمل . فهو اذن محمود ومذموم بالاضافة الى المقصودين . فالظواهر الذامة محمولة على صورة كونه وسيلة الى مقاصد فاسدة ، والمادحة على صورة كونه وسيلة الى مقاصد صحيحة . ولما كانت الطبائع مائلة الى اتباع الشهوات القاطعة لسبيل الله ، وكان المال مسهلا لها وآلة اليها ، عظم الخطر في مايزيد على قدر الكفاية ، فاستعاذ طوائف الأنبياء والأولياء من شره ، حتى قال نبينا صلى الله عليه وآله وسلم : «اللهم اجعل قوت آل محمد كفافاً » وقال - صلى الله عليه وآله - : « اللهم احيني مسكيناً وأمتني مسكيناً ».

---

(١) نوح ، الآية : ١٢ .

فصل

(غوائل المال وفوائده)

قد ظهر مما ذكر : أن المال مثل حية فيها سم وترياق ، فغوائله سمه ، وفوائده ترياقه ، فمن عرفها أمكنه أن يحترز من شره ويستدر منه خيره .

ولبيان ذلك نقول : إن غوائله اما دنيوية أو دينية :

والدنيوية : هي مايقاسيه أرباب الأموال : من الخوف ، والحزن ، والهم ، والغم ، وتفرق الخاطر ، وسوء العيش ، والتعب في كسب الاموال وحفظها ، ودفع الحساد وكيد الظالمين ، وغير ذلك .

والدينية : ثلاثة انواع :

اولها ـ اداؤه إلى المعصية . إذ المال من الوسائل الى المعاصي ، ونوع من القدرة المحركة لداعيتها . فاذا استشعرها الانسان من نفسه ، انبعثت الداعية ، واقتحم فى المعاصي ، وارتكب انواع الفجور . ومهما كان آيساً عن القدرة لم يتحرك داعيته اليها : إذ العجز قد يحول بين المرء وبين المعصية ، ومن العصمة ألا يقدر ، واما مع القدرة فإن اقتحم مايشتهيه هلك ، وإن صبر وقع في شدة . إذ الصبر مع القدرة أشد ، وفتنة السراء من فتنة الضراء أعظم .

وثانيها ـ أداؤه إلى التنعم في المباحات . فإن الغالب أن صاحب المال يتنعم بالدنيا ويمرن عليه نفسه ، فيصير التنعم محبوباً عنده مألوفاً ، بحيث لايصبر عنه ، ويجره البعض منه الى البعض . وإذا اشتد الفه به وصار عادة لـه ، ربما لم يقدر عليه من الحلال ، فيقتحم فى الشبهات

ويخوض في المحرمات : من الخيانة ، والظلم ، والغصب ، والرياء ، والكذب والنفاق ، والمداهنة ، وسائر الأخلاق المهلكة ، والأشغال الردية ، لينتظم أمر دنياه ويتيسر له تنعمه . وما أقبل لصاحب الثروة والمال ألا يصير التنعم مألوفاً له ، إذ متى يقدر أن يقنع بخبز الشعير ولبس الخشن وترك لذيذ الأطعمة بأسرها ، فإنما ذلك شأن نادر من أولى النفوس القوية القدسية كسليمان بن داود عليه السلام وأمثاله . على أن من كثر ماله كثرت حاجته الى الناس ، ومن احتاج الى الناس فلا بد أن ينافقهم ويسخط الله في طلب رضاهم ، فإن سلم من الآفة الاولى ، أعني مباشرة المحرمات ، فلا يسلم من هذه أصلا . ومن الحاجة الى الناس تثور العداوة والصداقة ، ويحصل الحقد ، والحسد ، والكبر ، والرياء ، والكذب ، والغيبة ، والبهتان والنميمة ، وسائر معاصي القلب واللسان ، وكل ذلك يلزم من شؤم المال والحاجة الى حفظه واصلاحه .

وثالثها ـ وهو الذي لاينفك عنه أحد من ارباب الأموال ، وهو أنه يلهيه اصلاح ماله وحفظه عن ذكر الله تعالى ، وكل مايشغل العبد عن الله تعالى فهو خسران ووبال . ولذا قال روح الله عليه السلام : « في المال ثلاث آفات ، أن يأخذه من غير حله » ، فقيل : إن أخذه من حله ؟ قال : « يضعه في غير حقه » ، فقيل : إن وضعه في حقه ؟ فقال : « يشغله اصلاحه عن الله » ; وهذا هو الداء العضال ، إذ أصل العبادات وروحها وحقيقتها هو الذكر والفكر في جلال الله تعالى ، وذلك يستدعي قلباً فارغاً . وصاحب الضيعة يصبح ويمسى متفكراً في خصومة الفلاح ومحاسبته وخيانته ، ومنازعة الشركاء وخصومتهم في الماء والحدود ، وخصومة أعوان السلطان في الخراج ، وخصومة الاجراء في التقصير في العمارة وغير ذلك . وصاحب التجارة يكون متفكراً في خيانة الشركاء وانفرادهم بالربح

وتقصيرهم في العمل وتضييعهم المال ، ويكون غالباً في بلاد الغربة متفرق الهم محزون القلب من كساد مايصحبه من مال التجارة . وكذلك صاحب المواشي وغيره من أرباب أصناف الأموال . وأبعدها عن كثرة الشغل النقد المكنون تحت الأرض ، وصاحبه أيضا لايزال متفكراً متردداً فيما يصرف اليه ، وفي كيفيـة حفظه ، وفي الخوف ممن يعثر عليه ، وفي دفع طمع الخلق منه . وبالجملة : اودية افكار أهل الدنيا لانهاية لها ، والذي ليس معه إلا قوت يومه أو سنته ، ولا يطلب أزيد من ذلك ، فهو في سلامة من جميع ذلك .

وأما فوائده : فهي أيضاً دنيوية ودينية :

أما الدنيوية : فهي مايتعلق بالحظوظ العاجلة : من الخلاص من ذل السؤال ، وحقارة الفقر ، والوصول الى العز والمجد بين الخلق ، وكثرة الاخوان والاصدقاء والاعوان ، وحصول الوقار والكرامة في القلوب .

وأما الدينية : فثلاثة انواع :

اولها ـ أن ينفقه على نفسه في عبادة ، كالحج والجهاد ، أوفيما يقوى على العبادة ، كالمطعم والملبس والمسكن .

وثانيها ـ أن يصرفه الى اشخاص معينة : كالصدقـة ، والمروة ، ووقاية العرض ، واجرة الاستخدام . وأما الصدقة بانواعها ، فلا يحصى ثوابها ، وربما نشير الى فضيلتها في موضعها . وأما المروة ، ونعنى بها صرف المال الى الأغنياء والأشراف في ضيافة أو هدية أو إعانة ومايجري مجراها مما يكتسب به الاخوان والاصدقاء ويجلب به صفة الجود والسخاء، إذ لايتصف بالجود إلا من يصطنع المعروف ويسلك سبيل الفتوة والمروة، فلا ريب في كونه مما يعظم ثوابه : فقد وردت اخبار كثيرة في الهدايا والضيافات وأطعام الطعام ، من غير اشتراط الفقر والفاقة في مصارفها :

وأما وقايـة العرض ، ونعني بها بذل المال لدفع ثلب السفهاء ، وهجو الشعراء ، وقطع ألسنة الفاحشين والمغتابين ، ومنع شر الظالمين وامثال ذلك فهو أيضا من الفوائد الدينيـة . قال رسول الله صلى الله عليه وآله : « ماوقى المرء به عرضه فهو له صدقة » . وأما اجرة الاستخدام ، فلا ريب في اعانته على أمور الدين ، إذ الأعمال التي يحتاج اليها الانسان لتهيئة اسبابه كثيرة ، ولو تولاها بنفسه ضاعت أوقاته ، وتعذر عليه سلوك سبيل الآخرة بالفكر والذكر الذى هو أعلى مقامات السالكين ، ومن لامال له يحتاج أن يتولى بنفسه جميع الاعمال التي يحتاج اليها في الدنيا ، حتى نسخ الكتاب الذي يفتقر اليه ، وكلما يتصور أن يقوم به الغير فتضييع الوقت فيه خسران وندامة .

وثالثها ـ أن يصرفه الى غير معين يحصل به خير عام ، وهي الخيرات الجارية : من بناء المساجد ، والمدارس ، والقناطر ، والرباطات ، ونصب الخشبات في الطرق ، واجراء القنوات ، ونسخ المصاحف والكتب العلمية وغير ذلك من الأوقاف المرصدة للخيرات المؤبدة ، الدائرة بعد الموت ، المستجلبة ببركة أدعية الصالحين إلى اوقات متمادية :

فصل

(الأمور المنجية من غوائل المال)

من أراد النجاة من غوائل المال ، فليحافظ على امور :

الأول ـ أن يعرف مقصود المال وباعث خلقه وعلة الاحتياج اليه حتى لايكتسب ولا يحفظ إلا قدر حاجته .

الثاني ـ أن يراعي جهة دخله ، فيجتنب الحرام والمشتبه ، والجهات

المكروهة القادحة في المروة والحرية ، كالهدايا المشوبة بالرشوة ، والسؤال الذى فيه الانكسار والذلة .

الثالث — أن يراعى جهة الخرج ، ويقتصد في الانفاق ، غير مبذر ولا مقتّر . قال الله تعالى :

« وَالَّذِيْنَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَاماً » (١) .

وقال النبي صلى الله عليه وآله : « ماعال من اقتصد » . ثم للاقتصاد في المطعم والملبس والمسكن درجات ثلاث : أدنى واوسط وأعلى ، وربما كان الميل الى الأول أحرى وأولى ، ليدخل في زمرة المخفين يوم القيامة.

الرابع — أن يضع ما اكتسبه من حله في حقه ، ولا يضعه في غير حقه ، فان الأثم في الاخذ من غير حله والوضع في غير حقه سواء .

الخامس — أن يصلح نيته في الاخذ والترك والانفاق والامساك ، فيأخذ مايأخذ استعانة به على ماخلق لأجله ، ويترك مايترك زهداً فيه واستحقاراً له واجتناباً عن وزره وثقله ، وإذا فعل ذلك لم يضره وجوده قال أمير المؤمنين عليه السلام : « لو أن رجلا أخذ جميع مافي الارض وأراد به وجه الله فهو زاهد ، ولو ترك الجميع ولم يرد به وجه الله فليس بزاهد » .

فينبغي لكل مؤمن أن يكون باعث جميع افعاله التقرب إلى الله ليصير الجميع عبادة . فإن أبعد الأفعال عن العبادة الأكل والوقاع وقضاء الحاجة ويصير بالقصد عبادة . فمن أخذ من المال مايحتاج اليه في طريق الدين ،

(١) الفرقان ، الآية : ٦٧ .

وبذل مافضل منـــه على اخوانه المؤمنين ، فهو الذى أخذ من حية المال ترياقها ، واتقى سمها ، فلا تضره كثرة المال . إلا أنه لايتأتى ذلك إلا لمن كثر علمه واستحكم في الدين قدمه . والعامي إذ يشتبه به في الاستكثار من المال ، فشأنه شأن الصبي الذى يرى المعزم الحاذق يأخذ بالحية ويتصرف بها ليأخذ ترياقها ، فيقتدي به ويأخذها مستحسناً صورتها وشكلها ومستليناً جلدها فتقتله في الحال . إلا أن قتيل الحية يدري أنه قتيل ، وقتيل المال قد لايعرف ذلك . وكما يمتنع أن يتشبه الأعمى بالبصير في التخطي قلل الجبال واطراف البحار والطرق المشوكة ، فيمتنع أن يتشبه العامى الجاهل بالعالم الكامل في الاستكثار من المال .

وصل

(الزهد)

ضد حب الدنيا والرغبة اليها هو (الزهد) ، وهو ألا يريد الدنيا بقلبه ، ويتركها بجوارحه ، إلا بقدر ضرورة بدنه . وبعبارة اخرى : هو الإعراض من متاع الدنيا وطيباتها ، من الأموال والمناصب وسائر مايزول بالموت . وبتقرير آخر : هو الرغبة عن الدنيا عدولا الى الآخرة ، أوعن غير الله ، عدولا الى الله ، وهو الدرجة العليا . فمن رغب عن كل ماسوى الله حتى الفراديس ، ولم يحب إلا الله ، فهو الزاهد المطلق . ومن رغب عن حظوظ الدنيا خوفا من النار أوطمعاً في نعيم الجنة ، من الحور والقصور والفواكه والأنهار ، فهو أيضاً زاهـــد ، ولكنه دون الأول . ومن ترك بعض حظوظ الدنيا دون بعض ، كالذي يترك المال دون الجاه ، أو يترك التوسع في الأكل دون التجمل في الزينة ، لايستحق اسم الزاهد مطلقاً .

وبما ذكر يظهر : أن الزهد إنما يتحقق إذا تمكن من نيل الدنيا وتركها ، وكان باعث الترك هو حقارة المرغوب عنه وخساسته ، أعني الدنيا بالاضافة الى المرغوب اليه وهو الله والدار الآخرة . فلو كان الترك لعدم قدرته عليها ، أو لغرض غير الله تعالى وغير الدار الآخرة ، من حسن الذكر ، واستمالة القلوب ، أو الاشتهار بالفتوة والسخاء ، أو الاستثقال لما في حفظ الأموال من المشقة والعناء ، أو امثال ذلك ، لم يكن من الزهد أصلا .

فصل

(مدح الزهد)

الزهد أحد منازل الدين وأعلى مقامات السالكين . قال الله سبحانه :

« فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ ... وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا العِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللهِ خَيْرٌ » (١) .

فنسب الزهد الى العلماء ، ووصف أهله بالعلم ، وهو غاية المدح ؛ وقال :

« وَلاَ تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجاً مِنْهُمْ زَهْرَةَ الحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ » (٢) .

(١) القصص ، الآية : ٧٩ — ٨٠ .

(٢) طه ، الآية : ١٣ .

وقال: « وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَالَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ » (١) .

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله : « من اصبح وهمه الدنيا ، شتت الله عليه أمره ، وفرق عليه ضيعته ، وجعل فقره بين عينيه ، ولم يؤته من الدنيا إلا ماكتب له . ومن أصبح وهمه الآخرة ، جمع الله له همه ، وحفظ عليه ضيعته ، وجعل غناه في قلبه ، وأتته الدنيا وهي راغمة » وقال صلى الله عليه وآله : « إذا رأيتم العبد قد أعطى صمتاً وزهداً في الدنيا فاقتربوا منه ، فانه يلقى الحكمة » . وقال صلى الله عليه وآله : « من أراد أن يؤتيه الله علما بغير تعلم ، وهدى بغير هداية ، فليزهد في الدنيا » . وقال صلى الله عليه وآله : « ازهد في الدنيا يحبك الله . وازهد فيما في ايدي الناس يحبك الناس » وقال - صلى الله عليه وآله - لأمير المؤمنين عليه السلام : « يا علي ، من عرضت له دنياه وآخرته فاختار الآخرة وترك الدنيا فله الجنة ، ومن اختار الدنيا استخفافاً بآخرته فله النار » وقال - صلى الله عليه وآله - : « سيكون بعدي قوم لايستقيم لهم الملك إلا بالقتل والتجبر ، ولا الغنى إلا بالفخر والبخل ، ولا المحبة إلا باتباع الهوى . ألا فمن أدرك ذلك الزمان منكم ، فصبر على الفقر وهو يقدر على الغناء ، وصبر للبغضاء وهو يقدر على المحبة ، وصبر على الذل وهو يقدر على العز ، لايريد بذلك إلا وجه الله ، أعطاه الله ثواب خمسين صديقاً » . وقال - صلى الله عليه وآله - : بعد ماسئل عن معنى شرح الصدر للاسلام - : « إن النور اذا دخل القلب انشرح له وانفسح

(١) الشورى ، الآية : ٢٠.

قيل : يارسول الله ، وهل لذلك من علامة ؟ قال : « نعم ! التجافي عن دار الغرور ، والانابة الى دار الخلود ، والاستعداد للموت قبل نزوله » وقال - صلى الله عليه وآله - : « استحيوا من الله حق الحياء » ، قالوا إنا لنستحيي منه تعالى ، قال : « فليس كذلك ، تبنون مالا تسكنون ، وتجمعون مالا تأكلون » . وروى : « أنه قدم عليه بعض الوفود . وقالوا إنا مؤمنون . قال : وما علامة إيمانكم ؟ فذكروا الصبر عند البلاء ، والشكر عند الرخاء ، والرضى بمواقع القضاء ، وترك الشماتة بالمصيبة اذا نزلت بالاعداء . فقال - صلى الله عليه وآله - : إن كنتم كذلك ، فلا تجمعوا مالا تأكلون ، ولا تبنوا مالا تسكنون ، ولا تنافسوا فيما عنه ترحلون » ، فجعل الزهد من مكملات ايمانهم . وقال - صلى الله عليه وآله - : « من جاء بلا إله إلا الله ، لايخلط معها غيرها ، وجبت له الجنة » ، وفسر (غيرها) بحب الدنيا وطلبها . وقال صلى الله عليه وآله : « من زهد في الدنيا ، ادخل الله الحكمة قلبه ، فأنطق بها لسانه ، وعرفه داء الدنيا ودواءها ، وأخرجه منها سالماً الى دار السلام » . وروى : « أن بعض زوجاته بكت مما رأت به من الجوع ، وقالت له : يارسول الله ، ألا تستطعم الله فيطعمك ؟ فقال : والذى نفسى بيده ! لو سألت ربي أن يجرى معي جبال الدنيا ذهباً لأجراها حيث شئت من الأرض ، ولكني اخترت جوع الدنيا على شبعها ، وفقر الدنيا على غنائها ، وحزن الدنيا على فرحها . إن الدنيا لاتنبغي لمحمد ولا لآل محمد . إن الله لم يرض لأولى العزم من الرسل إلا الصبر على مكروه الدنيا والصبر عن محبوبها،ثم لم يرض لى إلا أن يكلفنى مثل ماكلفهم ، فقال :

« فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ» (١) .

(١) الاحقاف ، الآية : ٣٥ .

والله مالي بد من طاعته ! وإني والله لأصبرن كما صبروا بجهدي ولا قوة إلا بالله ! ». وقال ـ صلى الله عليه وآله ـ : « لايستكمل العبد الأيمان حتى يكون ألا يعرف أحب اليه من أن يعرف ، وحتى يكون قلة الشيء أحبُ اليه من كثرته » . وقال ـ صلى الله عليه وآله ـ « إذا أراد الله بعبد خيراً ، زهده في الدنيا ، ورغبه في الآخرة ، وبصره بعيوب نفسه » وقال ـ صلى الله عليه وآله ـ : « من اشتاق الى الجنة سارع الى الخيرات ومن خاف من النار لهى عن الشهوات ، ومن ترقب الموت ترك اللذات ، ومن زهد في الدنيا هانت عليه المصيبات » . وقال ـ صلى الله عليه وآله ـ : « إن ربي عز وجل عرض علي أن يجعل لي بطحاء مكة ذهباً ، فقلت : لايارب ، ولكن أجوع يوماً وأشبع يوماً ، فأما اليوم الذي أجوع فيه فاتضرع اليك وأدعوك ، وأما اليوم الذي أشبع فيه فأحمدك واثني عليك » وروى : « أنه ـ صلى الله عليه وآله ـ : خرج ذات يوم يمشي ومعه جبرئيل ، فصعد على الصفا ، فقال له رسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ : ياجبرئيل ، والذي بعثك بالحق ! ما أمسى لآل محمد كف سويق ولا سفة دقيق فلم يتم كلامه بأسرع من أن سمع هدة من السماء أفزعته ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : أمر الله القيامة أن تقوم ؟ قال : لا ! ولكن هذا اسرافيل عليه السلام قد نزل اليك حين سمع كلامك . فأتاه اسرافيل ، فقال : إن الله ـ عز وجل ـ سمع ماذكرت ، فبعثني بمفاتيح الأرض ، وأمرني أن اعرض عليك إن أحببت أن أسير معك جبال تهامة زمرداً وياقوتاً وذهباً وفضة فعلت ، وإن شئت نبياً ملكاً ، وإن شئت نبياً عبداً . فأومأ اليه جبرئيل أن تواضع لله : فقال : « نبياً عبداً ، ثلاثاً » وقال ـ صلى الله عليه وآله ـ : « قال الله تعالى : إن من اغبط أوليائي عندي رجلا خفيف الحال ذا حظ من صلاة ، أحسن عبادة ربه بالغيب

وكان غامضاً في الناس ، جعل رزقه كفافا فصبر عليه ، عجلت منيته فقل تراثه وقل بواكيه»(١) وعن علي بن الحسين - صلوات الله عليهما - قال : « مر رسول الله - صلى الله عليه وآله - : براعي ابل ، فبعث يستسقيه ، فقال : أما ما في ضروعها فصبوح الحي ، وأما في آنيتنا فغبوقهم فقال رسول الله - صلى الله عليه وآله - : اللهم كثر ماله وولده . ثم مر براعي غنم ، فبعث اليه يستسقيه ، فحلب له ما في ضروعها واكفأ ما في اناءه في اناء رسول الله - صلى الله عليه وآله - ، وبعث اليه بشاة ، وقال : هذا ما عندنا ، وإن أحببت أن نزيدك زدناك ، قال : رسول الله - صلى الله عليه وآله - : اللهم ارزقه الكفاف . فقال له بعض اصحابه : يارسول الله دعوت للذي ردك بدعاء عامتنا نحبه ، ودعوت للذي أسعفك بحاجتك بدعاء كلنا نكرهه . فقال رسول الله - صلى الله عليه وآله : إن ما قل وكفى خير مما كثر وألهى . اللهم ارزق محمداً وآل محمد الكفاف » (٢) وقال أمير المؤمنين عليه السلام : « الناس ثلاثة : زاهد ، وصابر ، وراغب . فاما الزاهد ، فقد خرجت الأحزان والأفراح من قلبه ، فلا يفرح بشيء من الدنيا ولا يأسى على شيء منها فاته ، فهو مستريح . وأما الصابر ، فانه يتمناها بقلبه ، فاذا نال منها ألجم نفسه عنها بسوء عاقبتها وشنائتها ولو اطلعت على قلبه لعجبت من عفته وتواضعه وحزمه . وأما الراغب ، فلا يبالي من أين جاءته ، من حلها او حرامها ، ولا يبالي ما دنس فيها عرضه وأهلك نفسه واذهب مروته ، فهم في غمرته يعمهون ويضطربون » : وقال عليه السلام : « إن من أعون الأخلاق على الدين الزهد في الدنيا »

(١) صححنا الحديث على (الكافي) : باب الكفاف . قال في (الوافي) : الحفيف - بالمهملة - : العيش السوء وقلة المال . والغامض : الخامل الذليل .

(٢) صححنا الحديث على ما في (اصول الكافي) : باب الكفاف .

وقال عليه السلام : « من جمع ست خصال لم يدع للجنة مطلباً ولا عن النار مهربا : عرف الله فاطاعه ، وعرف الشيطان فعصاه ، وعرف الدنيا فتركها ، وعرف الآخرة فطلبها ، وعرف الباطل فاتقاه ، وعرف الحق فاتبعه » . وقال - عليه السلام - : « من اشتاق الجنة سارع الى الخيرات ومن خاف النار لهى عن الشهوات ، ومن ترقب الموت ترك اللذات ، ومن زهد في الدنيا هانت عليه المصيبات » . وقال عليه السلام : « إن علامة الراغب فى ثواب الآخرة زهده في عاجل زهرة الدنيا ، أما إن زهد الزاهد في هذه الدنيا لاينقصه مما قسم الله عز وجل له فيها وإن زهد وان حرص الحريص على عاجل زهرة الدنيا لايزيده فيها وإن حرص . فالمغبون من حرم حظه من الآخرة (١) وقال علي بن الحسين - عليهما السلام -: « مامن عمل بعد معرفة الله عز وجل ومعرفة رسوله صلى الله عليه وآله أفضل من بغض الدنيا ... الحديث » (٢) وقال الباقر عليه السلام : « أكثر ذكر الموت ، فانه لم يكثر انسان ذكر الموت إلا زهد في الدنيا » . وقال عليه السلام : « قال الله تعالى : وعزتي وجلالي وعظمتي وبهائي وعلو ارتفاعي لايؤثر عبد مؤمن هواى على هواه فى شيء من أمر الدنيا ، إلا جعلت غناه في نفسه ، وهمته في آخرته ، وضمنت السماوات والأرض رزقه ، وكنت لـه من وراء تجارة كل تاجر » . وقال عليه السلام : « اعظم الناس قدراً من لايناول الدنيا في يد من كانت ، فمن كرمت عليه نفسه صغرت الدنيا في عينيه ، ومن هانت عليه نفسه كبرت الدنيا في عينيه ». وقال الصادق - عليه السلام - : « جعل الخير كلـه في بيت ، وجعل

(١) صححنا الحديث على (الكافي) : باب ذم الدنيا .

(٢) الحديث مروى في (اصول الكافى) : باب ذم الدنيا وقد مضى ذكره في صفحة ٣٢ .

مفتاحه الزهد في الدنيا » . وقال ـ عليه السلام ـ : « ما كان شيء أحب الى رسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ من ان يظل خائفاً جائعاً في الله تعالى » . وقال عليه السلام : « اذا أراد الله بعبد خيراً ، زهده في الدنيا وفقهه في الدين ، وبصره عيوبها . ومن أوتيهن فقد أوتي خير الدنيا والآخرة وقال عليه السلام : « لم يطلب أحد الحق بباب أفضل من الزهد في الدنيا» وهو ضد لما طلب اعداء الحق ، قلت : جعلت فداك ، مما ذا ؟ قال : « من الرغبة فيها » ، وقال : « ألا من صبار كريم ؟ فانما هي أيام قلائل ألا إنه حرام عليكم أن تجدوا طعم الايمان حتى تزهدوا في الدنيا (١) وقال عليه السلام : « الزهد مفتاح باب الآخرة والبراءة من النار ، وهو تركك كل شيء يشغلك عن الله من غير تأسف على فوتها ، ولا إعجاب في تركها ، ولا انتظار فرج منها ولا طلب محمدة عليها ، ولا عوض منها ، بل يرى فوتها راحة وكونها آفة ويكون أبداً هاربا من الآفة معتصما بالراحة والزاهد الذي يختار الآخرة على الدنيا والذل على العز والجهد على الراحة والجوع على الشبع وعافية الآجل على محبة العاجل والذكر على الغفلة ، وتكون نفسه في الدنيا وقلبه في الآخرة » ، وقال الرضا عليه السلام : « من أصبح وأمسى معافى في بدنه ، آمنا في سربه ، عنده قوت يومه فكأنما خيرت له الدنيا » .

وكفى للزهد فضيلة ومدحاً أنه اعرف صفات الانبياء والأولياء ، ولم يبعث نبي إلا به ، ولو لم يتوقف التقرب الى الله والنجاة في دار الآخرة عليه ، لما ضيق عظماء نوع الانسان واعرف الناس بحقيقة الحال على انفسهم في فطامها عن شهوات الدنيا ولذاتها .

فانظر الى كليم الله موسى ـ عليه السلام ـ كيف كان غالب قوته نبت

(١) صححنا الحديث على (الكافي) : باب ذم الدنيا .

الأرض واوراق الأشجار ، وكان ضعف بدنه من كثرة رياضته ، بحيث ترى الخضرة من صفاق بطنه ، كما أخبر به أمير المؤمنين - عليه السلام - في نهج البلاغة . ثم انظر الى روح الله عليـه السلام كيف يلبس الشعر ويأكل الشجر ، ولم يكن له ولد يموت ولا بيت يخرب ولا يدخر لغد ، اينما يدركه المساء نام ، وقال له الحواريون يوماً : يانبي الله لو أمرتنا أن نبني بيتاً تعبد الله فيه » ، قال « اذهبوا فابنوا بيتاً على الماء » فقالوا : كيف يستقيم بنيان على الماء ؟ قال : « فكيف تستقيم عبادة على حب الدنيا » وروى : « أنه اشتد به يوماً المطر والرعد والبرق ، فجعل يطلب بيتاً يلجأ اليه ، فرفعت اليه خيمة من بعيد فأتاها فاذا فيها امرأة فحاد عنها فاذا هو بكهف في جبل فاتاه فاذا فيه اسد ، فوضع يده عليه وقال : « إلهي جعلت لكل شيء مأوى ولم تجعل لي مأوى » فاوحى الله اليه « مأواك في مستقر من رحمتي ، لأزوجنك يوم القيامة الف حوراء خلقتها بيدى ، ولأطعمنك في عرسك أربعة آلاف عام ، يوم منها كعمر الدنيا ، ولآمرن مناديا ينادى أين الزهاد في الدنيا ، زوروا عرس الزاهد عيسى بن مريم » .

ثم انظر الى يحيي بن زكريا ، حيث يلبس المسوح حتى ثقب جلده تركا للتنعم بلين اللباس واستراحة حس اللمس فسألته امه أن يلبس مكانها جبة من صوف ففعل ، فأوحى الله اليه : « يايحيي آثرت علي الدنيا » ، فبكى ونزع الصوف وعاد الى ماكان عليه .

ثم افتح بصيرتك وتأمل في سيرة رسول الله - صلى الله عليه وآله - وزهده في الدنيا ، فانه لبث في النبوة مالبث ، ولم يشبع هو وأهل بيتـه غدوة إلا جاعوا عشية ، ولم يشبعوا عشية إلا جاعوا غدوة ، ولم يشبع من التمر هو وأهل بيتـه حتى فتح الله عليهم خيبر ، وقرب اليه يوما طعاما على مائدة فيها ارتفاع ، فشق ذلك عليـه حتى تغير لونه ، فأمر بالمائدة

فرفعت ووضع الطعام على الارض ، وكان ينام على عباءة مثنية فثنوها له ليلةأربع طاقات فنام عليها ، فلما استيقظ قال منعتموني قيام الليلة هذه بهذه العباءة اثنوها باثنتين كما كنتم تثنونها ، وكان يضع ثيابه لتغسل فيأتيه بلال فيؤذنه بالصلاة فما يجد ثوبا يخرج به الى الصلاة حتى تجف ثيابه فيخرج بها الى الصلاة . وروى : « أن امرأة من بني ظفر صنعت له صلى الله عليه وآله كساءين ازاراً ورداء وبعثت اليه باحدهما قبل أن يبلغ الآخر فخرج إلى الصلاة وهو مشتمل به ليس عليه غيره قد عقد طرفيه الى عنقه فصلى كذلك » .

وشدة زهد علي عليه السلام وتركه الدنيا أشهر من أن يحتاج الى بيان ، وكذا من بعده من الأئمة الراشدين والاصحاب والتابعين وغيرهم من أكابر الدين والسلف الصالحين ، حتى كان أحدهم يعيش خمسين سنة وستين لم يطو له ثوب ولم ينصب له قدر ولم يجعل بينه وبين الأرض شيئاً ولا أمر من في بيته بصنعة طعام ، فعلى اطرافهم يقومون ووجوهم على الأرض يفترشون تجرى دموعهم على خدودهم ويناجون ربهم في فكاك رقابهم من النار .

وقد حكي أن بعض الخلفاء أرسل الى بعضهم بعشرة آلاف درهم فلم يقبلها فشق ذلك على اهله ، فقال أتدرون ؟ مامثلي ومثلكم إلا كمثل قوم كانت لهم بقرة يحرثون عليها فلما هرمت ذبحوها لينتفعوا بجلدها ، فكذلك أنتم أردتم ذبحي على كبر سني فموتوا جوعا خير لكم من أن تذبحوني . وقد بلغ بعضهم من الزهد بحيث يطلب لقيام الليل موضعاً لايصيبه نسيم الاسحار خيفة من الاستراحة به . وكان لبعضهم حب مكسور ، فيه ماؤه ، لايرفعه من الشمس ويشرب الماء الحار ويقول من وجد لذة الماء البارد يشق عليه مفارقة الدنيا .

فياحبيبي أفق من سكر الهوى واعرف المضادة التي بين الآخرة والدنيا ، واقتد بالواقفين على جلية الحال والمطلعين على حقيقة المآل في المواظبة على الزهد والتقوى وفطام النفس عن لذائذ الدنيا ، فإن ذلك وإن كان شاقاً فمدته قريبة ، والاحتماء مدة يسيرة للتنعم على التأبيد لايثقل على أهل المعرفة القاهرين انفسهم بسياسة الشرع المبين المتعصمين بعروة اليقين بما وعد الله في الآخرة لعباده الزاهدين .

فصل

(اعتبارات الزهد ودرجاته)

إعلم ان للزهد اعتبارات تتحقق له بكل اعتبار درجات :

(الأول) اعتبار نفسه أي من حيث نفس الترك للدنيا وبهذا الاعتبار له درجات ثلاث : (الأولى) أن يزهد في الدنيا مع ميله اليها وحبه لها بأن يكف نفسه عنها بالمجاهدة والمشقة ، وهذا هو التزهد . (الثانية) أن يترك الدنيا طوعاً وسهولة من دون ميل اليها لاستحقاره إياها بالاضافة الى مايطمع فيه من لذات الآخرة ، وهذا كالذي يترك درهماً لأجل درهمين معاوضة فانه لايشق عليه ذلك وان كان يحتاج الى قليل انتظار ، ومثله ربما اعجب بنفسه وبزهده لاحتمال أن يظن بنفسه أنه ترك شيئاً له قدر لما هو أعظم قدراً منه . (الثالثة) وهي أعلى الدرجات أن يترك الدنيا طوعاً وشوقاً ولا يرى انه ترك شيئاً ، إذ عرف أن الدنيا لاشي فيكون كمن ترك خنفساء وأخذ ياقوتة صافية حمراء ، فلا يرى ذلك معاوضة ولا يرى نفسه تاركاً شيئاً وسبب هذا الترك كمال المعرفة ، فان العارف على يقين بأن الدنيا بالاضافة الى الله ونعيم الآخرة أخس من خنفساء بالنظر

الى ياقوتة ، هذا الزاهـد في أمن من خطر الالتفات الى الدنيا ، كما أن تارك الخنفساء بالياقوتة في أمن من طلب الاقالة في البيع .

وقد ذكر أرباب القلوب من أهل المعرفة أن مثل تارك الدنيا بالآخرة مثل من منعه عن باب الملك كلب يكون في بابه فالقى اليه لقمة خـبز نالها من موائد الملك فشغله بنفسه ودخل الباب ونال غاية القرب من الملك حتى نفذ أمره في جميع مملكتـه ، أفترى أنه يرى لنفسه عوضاً عند الملك بلقمة خـبز ألقاها الى كلب في مقابلة مايناله مع كون هذه اللقمة أيضاً من الملك . فالشيطان كلب على باب الله يمنع الناس من الـدخول ، مع أن الباب مفتوح والحجاب مرفوع والدنيا كلقمة خبز إن أكلها فلذتها في حال المضغ وتنقضي على القرب بالابتلاع ثم يبقى ثقله في المعدة ثم ينتهي الى النتن والقذر ويحتاج الى اخراجه ، فمن تركها لينال عز الملك كيف يلتفت اليها . ولا ريب في نسبة الدنيا لكل شخص اعني مايسلم له منها وإن عمر الف سنة بالاضافة الى نعيم الآخرة أقل من لقمة بالاضافة الى ملك الدنيا ، إذ لانسبة للمتناهي الى غير المتناهي ، والدنيا متناهية ، ولو كانت تمادى الف الف سنة صافية عن كل كدورة لكان لانسبة لها الى الأبد فكيف ومـدة العمر قصيرة والذاتها مكدرة غير صافية فأي نسبة لها الى نعيم الأبد .

* * *

(الثاني) اعتبار المرغوب عنه أعني مايترك وبهذا الاعتبار له خمس درجات :

(الأولى) أن يترك المحرمات وهو الزهد في الحرام ، ويسمى زهد فرض .

(الثانية) ان يترك المشتبهات أيضاً وهو الزهد في الشبهة ، ويسمى زهد سلامة .

(الثالثة) ان يزهد فى الزائد عن قدر الحاجة من الحلال أيضاً ولا يزهد في التمتع بالقدر الضروري من المطعم والملبس والمسكن واثاثه والمنكح وما هو وسيلة اليها من المال والجاه ، والى هذه الدرجات كلا أو بعضاً أشار مولانا أمير المومنين عليه السلام بقوله : « كونوا على قبول العمل أشد عناية منكم على العمل ، الزهد فى الدنيا قصر الأمل وشكر كل نعمة والورع عن كل ماحرم الله عز وجل » (١) ومولانا الصادق عليه بقوله : « الزهد في الدنيا ليس باضاعة المال ولا تحريم الحلال بل الزهد في الدنيا ألا تكون بما فى يدك أوثق بما في يد الله عز وجل » (٢) وهذا مع مايأتي بعده هو الزهد في الحلال ، ويسمى زهد ثقل .

(الرابعة) أن يترك جميع ماللنفس فيه تمتع ويزهد فيه ولو في قدر الضرورة ، لابمعنى ترك هذا القدر بالمرة ، إذ ذلك متعذر ، بل تركه من حيث التمتع به وان ارتكبه اضطراراً من قبيل أكل الميتة مع الاكراه له باطناً ، وهذا يتناول ترك جميع مقتضيات الطبع من الشهوة والغضب والكبر والرئاسة والمال والجاه وغيرها ، والى هذه الدرجة أشارة الصادق عليه السلام بقوله : (الزاهد في الدنيا الذي يترك حلالها مخافة حسابه ويترك حرامها مخافة عذابه) واليها يرجع قول أمير المؤمنين عليه السلام : (الزهد كله بين كلمتين من القرآن قال الله سبحانه :

---

(١) صححنا الحديث على مافي البحار الجزء الثاني من المجلد الخامس عشر في باب الزهد ص ١٠١ .

(٢) صححنا الحديث على مافي سفينة البحار ج ١ ص ٥٦٨ .

« لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ » (١) .

فمن لم يأس على الماضي ولم يفرح بالآتي فقد أخذ الزهد بطرفيه (٢) وقوله عليه السلام « الزهد في الدنيا ثلاثة أحرف : زاء وهاء ودال أما الزاء فترك الزينة وأما الهاء فترك الهوى وأما الدال فترك الدنيا » .

(الخامسة) أن يترك جميع ماسوى الله ويزهد فيه حتى في بدنه ونفسه أيضاً بحيث كان مايصحبه ويرتكبه في الدنيا إلجاء وإكراهاً من دون استلذاذ وتمتع به ، والى هذه الدرجة أشار مولانا الصادق ـ عليه السلام ـ في كلامه المنقول سابقاً (ص ٦٢) حيث قال : « الزهد مفتاح باب الآخرة والبراءة من النار وهو تركك كل شيء يشغلك عن الله من غير تأسف على فوتها ولا اعجاب في تركها ولا انتظار فرج منها ولا طلب محمدة عليها ولا عوض منها بل يرى فوتها راحة وكونها آفة » الى آخر الحديث (٣).

ثم الالتفات الى بعض ماسوى الله والاشتغال به ضروري كضرورة الأكل واللبس ومخالطة الناس ومكالمتهم وأمثال ذلك،لاينافي هذه المرتبة من الزهد، إذ معنى الانصراف من الدنيا الى الله تعالى إنما هو الاقبال بكل القلب اليه

(١) الحديد الآية ٢٣ .

(٢) هذا الحديث مروى في البحار الجزء الثاني من المجلد الخامس عشر في باب الزهد ص ١٠٣ .

(٣) صححنا الحديث هنا وهناك على مافي البحار الجزء الثاني من المجلد الخامس عشر في باب الزهد ص ١٠٠ والحديث منقول فيه عن مصباح الشريعة الذى تقدم ذكره في الجزء الأول ص ١٢١ ، ٢٥٤ .

تعالى ذكراً وفكراً ، وهذا لايتصور بدون البقاء ولا بقاء إلا بضرورات المعيشة ، فمتى اقتصر من الدنيا عليها قصداً لدفــع المهلكات عن البدن والاستعانة بالبدن على العبادة وسائر مايقربه الى الله لم يكن مشتغــلا بغير الله ، إذ مالا يتوصل الى الشيء إلا به فهو منه ، فالمشتغل بعلف دابته في طريق الحج ليس معرضاً عن الحج ، ولكن ينبغي أن يكون البدن في طريق الله مثل الدابة في طريق الحج ، فكما أن قصدك من تهيئة ماتحتاج اليه دابتك دفع المهلكات عنها حتى تسير بك إلى مقصدك دون تنعمها ، فكذلك ينبغي أن يكون قصدك من الأكل والشرب واللباس والسكنى صيانة بدنك عما يهلكك من الجوع والعطش والحر والبرد فتقتصر على قدر الضرورة وتقصد به التقوى على طاعة الله دون التلذذ والتنعم ، وذلك لاينافي الزهد بل هو شرطه ، ثم ترتب التلذذ على ذلك لايضرك إذا لم يكن مقصوداً بالذات لك فان الانسان قد يستريح في قيام الليل بنسيم الأسحار وصوت الطيور وهذا لايضر بعبادته إذا لم يقصد طلب موضع خاص لهذه الاستراحة على انه لا لذة حقيقة في الأكل والشرب واللباس وإنما تندفع بها آلام الجوع والعطش والحر والبرد .

ثم لايخفى أن الفضول من أمور الدنيا من المطعم والمشرب والملبس والمسكن واثاثه والمنكح والمال والجاه ينبغي تركها والزهد فيها إذ الأخذ عما لايحتاج اليه ينافي الزهد . (وأما) غير الفضول مما يحتاج اليه الانسان ويكون مهما له من الأمور الثمانية ، فينبغي ألا يترك الزهد فيها ، إذ ماهو المهم الضروري يتطرق اليه فضول في مقداره وجنسه وأوقاته فينبغي الا يترك الزهد فيه أيضاً .

ومقتضى غاية الزهد فيه أن يقتصر من القوت على قوت يومه وليلته فان كان عنده أزيد من ذلك فليبذله على بعض المستحقين ، فان اقتصر من

جنسه على خبز الشعير فهو نهاية الزهد في القوت ، إلا أن أكل خبز الحنطة في بعض الأحيان بل أكل أدام واحد في بعض الاوقات إذا لم يكن من اللذائذ الشديدة من أطعمة المتنعمين من أهل الدنيا لاينافي الزهد ، وربما لم يكن أكل اللحم في بعض الأحيان منافياً لــه . ويقتصر من (اللباس) بعد كونه من القطن أوالصوف على مايستر الأعضاء ويحفظها من الحر والبرد ولا بأس بكونه اثنين ليلبس الآخر عند غسل احدها . ومن (المسكن) على مايحفظ نفسه وأهــله من الحر والبرد . ومن (اثاثه) اعني الفرش والظرف والقدر والكوز وامثال ذلك ، مايدفــع حاجته من غير تعد الى مايمكن زوال ضرورته بدونه . ومن (المنكح) على مائنكسر به سورة شبقة ويحفظه عن النظر والوساوس الشهوية المانعة عن الحضور في العبادات

ومن (المال) على مايقضي به حاجة يومه بليلته فان كان كاسباً فاذا اكتسب حاجة يومه فليترك كسبه ويشتغل بأمر الدين ، وإن كانت له ضيعة ولم يكن له مدخل آخر يمكن ان يصل اليه كل يوم قدر حاجته فيه فالظاهر عدم خروجه عن الزهد بامساك قدر مايكفي لسد رمقه بسنة واحدة بشرط أن يتصدق بكل مايفضل من كفاية نفقته . وربما قيل إن مثله من ضعفاء الزهاد ، بمعنى أن ماوعد للزاهدين في الدار الآخرة من المقامات العالية والدرجات الرفيعة لاينالـه ، وإن صدق عليه كونه زاهداً ، إذ مثله ليس له قوة اليقين ، لأن صاحب اليقين الواقعي اذا كان له قوت يومه لايدخر شيئاً لغده ومن شرط التوكل في الزهد ، فلا يكون هذا من الزهاد عنده . وهذا غاية الزهد فى الأمور المذكورة ، وعليه جرت طوائف الانبياء وزمرة الأوصياء ومن بعدهم من السلف الأتقياء . والحق أن حكم الزهد فيها يختلف باختلاف الأشخاص والأوقات فان أمر المتفرد فى جميع ذلك أخف من أمر المعيل ، ومن قصر جميع همه على تحصيل العلم والعمل ولم

يقدر على كسب ، حاله يخالف حال أهل الكسب ، وكذا في بعض الأوقات وفي بعض الأماكن يمكن تحصيل قدر الحاجة في كل يوم وفي بعض آخر منها لايمكن ذلك ، فاللائق لكل أحد أن يلاحظ حاله ووقته ومكانه ويتأمل في أن الاصلح بأمر آخرته والأعون على تحصيل ما خلق لأجله إمساك أى قدر من المال وصرف أي قدر وجنس من القوت ، بحيث لو كان أقل منه لم يتمكن من تحصيل ما يقربه الى ربه فيأخذ به ويترك الزائد ، فان بعد صحة النية وخلوص القصد في ذلك لايخرج به عن الزهد الواقعي وان تصور الاكتفاء بأقل من ذلك مع ايجابه لفقد ماهو اهم في تكميل النفس .

وأما (الجاه) فقد تقدم أن القدر الضرورى منه في أمر المعيشة كتحصيل منزلة في قلب خادمه ليخدمه ، وفي قلب السلطان ليدفع الاشرار عنه ، لابأس به ، فالظاهر عدم منافاة هذا القدر للزهد ، وقال بعض العلماء : (هذا القدر وان لم يكن به بأس الا أنه يتادى إلى هاوية لاعمق لها ومن حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه) وانما يحتاج الى المحل في القلوب إما لجلب نفع او لدفع ضرر اوالخلاص من ظلم ، اما النفع فيغني عنه المال فان من يخدم باجرة يخدم وان لم يكن لمستأجره عنده قدر ، وانما يحتاج الى الجاه في قلب من يخدم بغير اجرة ، ومعلوم أن من أراد أن يخدم بغير اجرة فهو من الظالمين فكيف يكون من الزاهدين . وأما دفع الضرر فيحتاج لأجله الى الجاه فى بلد لايكمل العدل فيها وأن يكون بين جيران يظلمونه ولا يقدر على دفع شرهم الا بمحل له في القلوب أومحل له عند السلطان . وقدر الحاجة فيه لاينضبط لاسيما اذا انضم اليه الخوف وسوء الظن بالعواقب ، والخائض في طلب الجاه سالك طريق الهلاك ، بل حق الزاهد ألا يسعى لطلب المحل في القلوب أصلا ، فان اشتغاله بالدين

والعبادة يمهد له من المحل في القلوب مايدفع عنه الأذى ولو كان بين الكفار فكيف بين المسلمين . وأما التوهمات والتقديرات التي تخرج الى الزيادة في الجاه على الحاصل بغير كسب فهي أوهام كاذبة ، إذ من طلب الجاه أيضاً لم يخل عن أذى في بعض الاوقات فعلاج ذلك بالاحتمال والصبر أولى من علاجه بطلب الجاه ، فاذن طلب المحل في القلوب لارخصة فيه اصلا واليسير منه داع الى الكثير وضراوته اشد من ضراوة الخمر فليحترز من قليله وكثيره ، نعم ما اعطاه الله لبعض عبيده من دون سعيه في طلبه لنشر دينه اولاتصافه ببعض الكمالات المختصة لحصول منزلة له في القلوب فليس به بأس ولا ينافي الزهد ، فان جاه رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ كان أوسع الجاه مع كونه أزهد الناس .

والحق كما تقدم أن الجاه كالمال في نفي البأس من قدر يضطر اليه الانسان اذا وقع في زمان أوبلد توقف أمر معيشته عليه ، فالقدر الضروري منهما غير محذور وغير مناف للزهد ، والزائد على الحاجة سم قاتل ، فلا ينبغي أن ينسب المقتصر على الضرورة الى الدنيا ، بل ذلك القدر من الدين لأنه من شرطه والشرط من جملة المشروط . ويدل عليه ماروى أن ابراهيم عليه السلام اصابته حاجة فذهب الى صديق له يستقرض شيئاً فلم يقرضه فرجع مهموما ، فاوحى الله تعالى اليه : (لو سألت خليلك لأعطاك) ، فقال يارب : (عرفت مقتك للدنيا فخفت أن أسألك منها) ، فاوحى الله اليه : (ليس الحاجة من الدنيا) ويدل عليه أيضاً كلام الصادق ـ عليه السلام ـ مع سفيان الثوري كما أورده بطوله شيخنا الأقدم رحمه الله في جامعه الكافي :

فإذن قدر الحاجة من الدين وما وراءه وبال في الاخرة ، بل في الدنيا ايضاً ، ويعرف ذلك بالتأمل في احوال الأغنياء وما عليهم من المحنة

في كسب المال وجمعه وحفظه وتحمل الذل فيه ، وغاية سعادته أن يتركه لورثته ، فيأكلونه وهم أعداؤه ، أو يستعينون به على المعصية ، فيكون معيناً لهم عليها ، ولذلك شبه جامع الدنيا وتابع الشهوات بدود القز ، لايزال ينسج على نفسه حتى يقتلها ، ثم يروم الخروج فلا يجد مخلصاً فيموت ويهلك بسبب العمل الذى عمله بنفسه كما قيل في ذلك :

ألم تر أن المرء طول حياته معنى بأمر لايزال يعالجه
كدود كدود القز ينسج دائما ويهلك غماً وسط ماهو ناسجه

فكل مكب على الدنيا متبع للشهوات لايزال يقيد نفسه بسلاسل واغلال لايقدر على قطعها ، الى أن يفرق ملك الموت بينه وبين شهواته دفعة ، فتبقى السلاسل من قلبه معلقة بالدنيا التي فاتته وخلفها ، وهي تجاذبه إلى الدنيا ، ومخالب ملك الموت قد تعلقت بعروق قلبه تجذبه الى الاخرة فأهون أحواله عند الموت أن يكون مثل شخص ينشر بالمناشير ويفصل أحد جانبيه عن الاخر . فهذا أول عذاب يلقاه قبل مايراه من حسرات نزوله في اسفل السافلين ومنعه عن أعلى عليين وجوار رب العالمين . فبالنزوع الى الدنيا يحجب عن لقاء الله ، وعند الحجاب تتسلط عليه نار جهنم ، اذ النار لكل محجوب معدة ، كما قال الله تعالى :

«كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ . ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمَ» (١) .

ولما انكشف لأرباب القلوب أن العبد يهلك نفسه باتباع الهوى والخوض في الدنيا إهلاك دود القز نفسه ، رفضوا الدنيا بالكلية . فنسأل

(١) المطففين ، الآية : ١٥ — ١٦ .

الله تعالى أن يقرر في قلوبنا مانفث في روع حبيبه صلى الله عليه وآله ، حيث أوحى اليه : « أحبب ماأحببت ، فانك مفارقه » .

* * *

(الثالث) اعتبار المرغوب فيه : أعني ما يترك لأجله . وله بهذا الاعتبار ثلاث درجات . الأولى : أن يكون المرغوب فيه النجاة من النار وسائر عذاب الاخرة ، وهذا زهد الخائفين . الثانية : أن يكون ثواب الله ونعيم الجنة ، وهذا زهد الراجين : الثالثة : وهي الدرجة العليا : ألا تكون له رغبة إلا في الله وفي لقائه ، فلا يلتفت الى الآلام ليقصد منها الخلاص ولا إلى اللذات ليقصد نيلها ، بل كان مستغرق الهم بالله ، وهذا زهد العارفين ، لأنه لايحب الله خاصة إلا من عرفه بصفاته الكمالية . فكما أن من عرف الدينار والدرهم ، وعلم أنه لايقدر على الجمع بينهما ، لم يحب إلا الدينار . كذلك من عرف الله ، وعرف لذة النظر الى وجهه الكريم وعرف أن الجمع بين تلك اللذة ولذة التنعم بالحور العين والنظر الى القصور وخضرة الاشجار غير ممكن ، فلا يحب إلا لذة النظر ولا يؤثر غيره .

وقال بعض العرفاء : ولا تظنن أن أهل الجنة عند النظر الى وجه الله تعالى يبقى للذة الحور والقصور متسع في قلوبهم ، بل تلك اللذة بالاضافة الى لذة نعيم الجنة ، كلذة ملك الدنيا والاستيلاء على أطراف الأرض ورقاب الخلق ، بالاضافة الى لذة الاستيلاء على عصفور واللعب به والطالبون لنعيم الجنة ، عند أهل المعرفة وأرباب القلوب ، كالصبي الطالب للعب بالعصفور التارك للذة الملك ، وذلك لقصوره عن ادراك لذة الملك ، لا لأن اللعب بالعصفور في نفسه أعلى وألذ من الاستيلاء بطريق الملك على كافة الخلق .

تتميم

الزهد الحقيقي

لاتظنن أن كل من يترك مال الدنيا أنه زاهد ، فان ترك المال واظهار التضييق والخشونة في المأكل والملبس سهل على من أحب المدح بالزهد. فكم من الرهبان والمرائين تركوا مال الدنيا وروضوا (١) انفسهم كل يوم على قدر قليل من القوت ، واكتفوا من المسكن بأى موضع اتفق لهم ، وكان غرضهم من ذلك أن يعرفهم الناس بالزهد ويمدحهم عليه ، فهم تركوا المال لنيل الجاه . فالزهد الحقيقي ترك المال والجاه ، بل جميع حظوظ النفس من الدنيا . وعلامة ذلك استواء الغنى والفقر والذم والمدح والذل والعز لأجل غلبة الأنس بالله ، إذ مالم يغلب على القلب الأنس بالله والحب له لم يخرج عنه حب الدنيا بكليته . إذ محبة الله ومحبة الدنيا في القلب كالماء والهواء في القدح ، فاذا دخل احدهما خرج الآخر ، فكلاهما لايجتمعان ولا يرتفعان أيضا : فالقلب المملوء من حب الدنيا يكون خالياً عن حب الله ، كما أن القلب المشغول بحب الله وأنسه فارغ عن حب الدنيا وبقدر مايقدر مايخرج أحدهما يدخل الآخر وبالعكس .

ومنها :

(١) في بعض النسخ (ردوا) ، وفي بعض آخر (رودوا) . والظاهــر أن الصحيح ماأثبتناه .

الغنى

وهو وجود كل مايحتاج اليه من الأموال ، وهذا أقل مراتبه ، وفوق ذلك مراتب لا تحصى ، حتى ينتهي الى جمع اكثر أموال الدنيا ، كما اتفق لبعض الملوك .

ثم (الغنيُّ) إما أن يكون بحيث يسعى في طلب المال وجمعه ويتعب في تحصيله ويكره خروجه عن يده ويتأذى به ، وهذا غنى حريص . أويكون بحيث لايتعب ولا يسعى في تحصيله ، إلا أنه لما أتاه أخذه وفرح به ، مع تأذيه بفقده وكراهته له ، وهذا ايضا لايخلو عن الحرص لحزنه بفقده أو يكون بحيث لايتعب في طلبه ولا يرغب فيه رغبة يفرح بحصوله ويتأذى بفقده ، ولكن لما أتاه رضي به : إما مـع تساوى وجوده وعدمه أومع كون وجوده أحب اليه من عدمه ، ومثله الغنى الراضي والقانع .

وأيضاً الغنى إما أن يكون جميـع ماله حـلالا ، أو يكون بعضه او كله حراماً .

وأيضاً إما يمسكه غاية الامساك ، بحيث لايؤدى شيئاً من حقوقـه الواجبة والمستحبة ، أو ينفقه في مصارفه اللائقة . وللانفاق مراتب شتى : ادناها أن يؤدى الحقوق الواجبـة ، واعلاها أن يبذل كلما يزيد عن أقل مراتب الغنى ، بحيث لو تعدى عنه يسيراً صار فقيراً .

فصل

ذم الغنى

الغني الحاصل من الحلال ، مع بذل مايفضل عن أقل مرتبته في المصارف اللائقة ومساواة وجوده وعدمه عند صاحبه ، سالم من الآفات والأخطار . وغير ذلك من اقسامه لايخلو عن آفة او خطر ، وحبه بعض أفراد حب الدنيا ، بل هو راجع الى حب المال بعينه . فيدل على ذمه ماورد في ذمها . وقد ورد في ذمه بخصوصه بعض الآيات والأخبار ، قال الله سبحانه :

« إِنَّ الإِنْسَانَ لَيَطْغَىٰ أَنْ رَءَاهُ اسْتَغْنَىٰ » (١) .

وقيل لرسول الله ـ صلى عليه‌الله وآله ـ : أي امتك أشر ؟ قال : « الأغنياء » . وقال ـ صلى الله عليه وآله ـ لبلال : « ألق الله فقيراً ، ولا تلقه غنياً » . وقال ـ صلى الله عليه وآله ـ : « يدخل فقراء امتي الجنة قبل اغنيائهم بخمسمائة عام » . وقال صلى الله عليه وآله : « اطلعت على الجنة ، فرأيت اكثر أهلها الفقراء . واطلعت على النار ، فرأيت اكثر أهلها الأغنياء » . وفي طريق : « فقلت : أين الأغنياء ؟ فقال : حسبهم الجد » . وأوحى الله تعالى إلى موسى « ياموسى ، اذا رأيت الفقر مقبلا ، فقل: مرحباً بشعار الصالحين ، واذا رأيت الغني مقبلا ، فقل : ذنب عجلت عقوبته » . وروى : « أنه مامن يوم إلا وملك ينادي من تحت العرش : يا ابن آدم ، قليل يكفيك خير من كثير يطغيك » . وقال عيسى ـ عليه السلام ـ : « بشدة يدخل الغنى الجنة » .

(١) العلق ، الآية : ٦ ـ ٧ .

وصل

الفقر

ضد الغنى (الفقر) . وهو فقد مايحتاج اليه . ولا يسمى فقد ما لاحاجة اليه فقراً . فان عمم مايحتاج اليه ولم يخص بالمال ، لكان كل موجود ممكن محتاجاً ، لاحتياجه الى دوام الوجود وغيره من الحاجات المستفادة من الله سبحانه ، وانحصر الغنى بواحد واجب لذاته ومفيد لوجود غيره من الموجودات ، أعنى الله سبحانه . فهو الغنى المطلق ، وسائر الأشياء الموجودة فقراء محتاجون . وقد أشير الى هذا الحصر في الكتاب الآلهي بقوله تعالى :

« وَاللهُ الغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ » (١) .

وإن خص بالمال لم يكن كل الناس فقراء ، بل من فقد المال الذى هو محتاج اليه كان فقيراً بالاضافة اليه ، والفقر بهذا المعنى هو الذى نريد بيانه هنا .

فصل

اختلاف أحوال الفقراء

(الفقير) إما أن يكون راغباً في المال محباً له ، بحيث لو وجد اليه سبيلا لطلبه ، ولو بالتعب والمشقة ، وإنما ترك طلبه لعجزه منه ، ويسمى هذا فقيراً (حريصاً) .

(١) محمد ـ صلى الله عليه وآله ـ ، الآية : ٣٧ .

أو يكون وجود المال أحب اليه من عدمه ، ولكن لم يبلغ حبه له حداً يبعثه على طلبه ، بل إن أتاه بلا طلب أخذه وفرح به ، وان افتقر الى سعي في طلبه لم يشتغل به ، ويسمى هذا فقيراً (قانعاً) .

أو يكون بحيث لايحبه ولا يرغب فيه ، ويكره وجوده ويتأذى به ، ولو أتاه هرب منه ، مبغضاً له ومحترزاً عن شره ، ويسمى هذا فقيراً (زاهداً) . فاعراضه عنه وعدم سعيه في محافظته وضبطه لو وجده ، إن كان لخوف العقاب فهو (فقر الخائفين) . وإن كان لشوق الثواب فهو (فقر الراجين) . وإن كان لعدم التفاته اللازم لاقباله على الله تعالى بشراشره من دون غرض دنيوى أواخروى فهو (فقر العارفين) .

أو يكون بحيث لايحبه حباً يفرح بحصوله ولا يكرهه كراهة يتأذى بها ويزهد فيه ، بل يستوى عنده وجوده وعدمه ، فلا يفرح بحصوله ولا يتأذى بفقده ، بل كان راضياً بالحالتين على السواء ، وغنياً عن دخوله وبقائه وخروجه من يده ، من غير خوف من الاحتياج إذا فقد ، كالحريص والقانع ، ولا حذار من شره واضراره اذا وجد كالزاهد . فمثله لو كانت اموال الدنيا باسرها في يده لم تضره ، إذ هو يرى الأموال في خزانة الله لافي يد نفسه ، فلا تفريق بين أن تكون في يده أو في يد غيره ، فيكون بحيث يستوى عنده المال والهواء المخلوق في الجو ، فكما أن كثرة الهواء في جواره لايؤذيه ، ولا يكون قلبه مشغولا بالفرار عنه ولا يبغضه ، بل يستنشق منه بقدر الضرورة ، ولا يبخل به على احد ، فكذلك كثرة المال لايؤذيه ولا يشغل قلبه ، ويرى نفسه وغيره فيه على السواء في المالكية .

ومثله ينبغي أن يسمى (مستغنياً راضياً) ، لاستغنائه عنه وجوداً وعدماً ، ورضائه بالحالتين من دون تفاوت ، ومرتبته فوق الزاهد ، إذ غاية درجة الزهد كمال الأبرار ، وصاحب هذه المرتبة من المقربين ، فالزهد

في حقه نقصان ، إذ حسنات الأبرار سيئات المقربين . والسر فيه : أن الزاهد كاره للدنيا ، فهو مشغول بالدنيا ، كما أن الراغب فيها مشغول بها والشغل بما سوى الله حجاب عن الله ، سواء كان بالحب أو بالبغض . فكل ماسوى الله ، كالرقيب الحاضر في مجلس جمع العاشق والمعشوق . فكما أن التفات قلب العاشق الى الرقيب وبغضه وكراهته حضوره نقص في العشق ، فكذلك التفات قلب العبد الى غير الله تعالى وبغضه وكراهته نقصان في الحب والأنس ، كما أن التفاته بالحب نقص فيها . إذ كما لايجتمع في قلب واحد حبان في حالة واحدة ، فكذلك لايجتمع فيه حب وبغض في حالة واحدة . فالمشغول ببغض الدنيا غافل عن الله كالمشغول بحبها ، وإن كان الثاني اسوأ حالا من الآخر . إذ المشغول بحبها غافل في غفلته ، سالك في طريق البعد ، والمشغول ببغضها غافل ، وهو في غفلته سالك في طريق القرب ، فيحتمل زوال غفلته وتبدلها بالشهود ، فالكمال مرتقب له ، إذ بغض الدنيا مظنة توصل العبد إلى الله .

وهرب الانبياء والأولياء من المال ، وفرارهم عنه ، وترجيحهم فقده على وجوده - كما اشير اليه في بعض الأخبار والآثار - : إما نزول منهم الى درجة الضعفاء ليقتدوا بهم في الترك ، إذ الكمال في حقهم حب الترك وبغض الوجود ، لأن مع وجوده يتعذر في حقهم استواء وجوده وفقده وكونه عندهم كماء البحر ، فلو لم يظهر الأنبياء النفار والكراهة من المال ويقتدى الضعفاء بهم في الأخذ لهلكوا . فمثل النبي كمثل المعزم الحاذق ، يفر بين يدي أولاده من الحية ، لا لضعفه عن أخذها ، بل لعلمه بأنه لو اخذها لأخذها أولاده أيضاً إذا رأوها ، وهلكوا . فالسير بسيرة الضعفاء صفة الانبياء والاوصياء . أو غير الهرب والنفار اللازمين للبغض والكراهة وخوف الاشتغال به ، بل كان نفارهم منه كنفارهم من الماء ، على معنى

أنهم شربوا منـــه بقدر حاجتهم ، وتركوا الباقي في الشطوط والأنهـــار للمحتاجين ، من غير اشتغال قلوبهم بحبه وبغضه . ألا ترى أنه قد حملت خزائن الأرض الى رسول الله وخلفائه ، فأخذوها ووضعوها في مواضعها، من غير هرب منه وبغض له ، وذلك لاستواء المال والماء والحجر والذهب عندهم .

ثم تسمية صاحب هـذه المرتبة بالفقير والمستغني لايوجب التنافي ، إذ إطلاق الفقير عليه لمعرفته بكونه محتاجاً اليه تعالى في جميع أموره عامة وفي بقاء استغنائه عن المال خاصة ، فيكون اسم الفقير له كاسم العبد لمن عرف نفسه بالعبودية وأقر بها ، فانه أحق باسم العبد من الغافلين ، وإن كان عاماً للخلق . ثم كل مرتبة من المراتب المذكورة للفقر ، ماعـــدا الأخيرة ، أعم من أن يكون بالغاً حد الاضطرار ، بأن يكون مافقده من المال مضطراً اليه ، كالجائع الفاقد للخبز والعاري الفاقد للثوب ، أم لا .

وأنت ، بعد مافهمت اشتراك الفقر بين المعاني المذكورة ، لم يشكل عليك الجمع بين ماورد في مدح الفقر - كما يأتي - وبين ماورد في ذمه ، كقوله صلى الله عليه وآله : « كاد الفقر أن يكون كفراً » ، وقوله صلى الله عليه وآله : « الفقر الموت الأكبر » . وقول أمير المؤمنين عليه السلام : « من ابتلى بالفقر فقد ابتلى بأربع خصال : بالضعف في يقينه ، والنقصان في عقله ، والرقة في دينه ، وقلة الحياء في وجهه . فنعوذ بالله من الفقر ! » .

فصل

مراتب الفقر ومدحه

قـــد عرفت أن بعض مراتب الفقر راجع الى الزهد ، وبعضها الى

ماهو فوقه ، اعنى الرضى والاستغناء ، وبعضها الى القناعة . ففضيلة هذه المراتب ظاهرة ، والأخبار الواردة في فضيلة الزهد والرضى والقناعة تدل على فضيلة المراتب المذكورة من الفقر . وأما المرتبة الأولى المتضمنة للحرص ، فهو أيضاً لايخلو عن فضيلة بالنظر إلى الغنى المتضمن له والأخبار الواردة في مدح الفقر تتناول بعمومها جميع مراتبه ، قال الله سبحانه :

« لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ(١) ». وقال : « لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللهِ . . . » الآية (٢) .

ساق الله سبحانه الكلام في معرض المدح ، وقدم وصفهم بالفقر على وصفهم بالهجرة والإحصار ، وفيه دلالة جلية على مدح الفقر (٣) . وقال رسول الله صلى الله عليه وآله : « خير هذه الأمة فقراؤها ، وأسرعها تصعداً في الجنة ضعفاؤها » . وقال ـ صلى الله عليه وآله : « اللهم احيني مسكيناً وأمتني مسكيناً ، واحشرني في زمرة المساكين » . وقال صلى الله عليه وآله : « إن لي حرفتين اثنتين ، فمن أحبهما فقد أحبني ، ومن أبغضهما فقد أبغضني : الفقر والجهاد » . وقال ـ صلى الله عليه وآله ـ : « الفقر أزين للمؤمنين من العذار الحسن على خد الفرس » . وسئل عن الفقر ، فقال : « خزانة من خزائن الله » . وسئل عنه ثانياً ، فقال :

(١) الحشر ، الآية : ٨ .

(٢) البقرة ، الآية : ٢٧٣ .

(٣) قال المحقق (الفيض) في (احياء الاحياء) : « لادلالة في الآيتين على مدح الفقر ، وانما سيقتا لبيان ان مصرف المال انما هم الفقراء المتصفون بهذه الصفات » .

« كرامة من الله » . وسئل عنه ثالثاً ، فقال : « شيء لايعطيه إلا نبياً مرسلا أو مؤمناً كريماً على الله » . وقال صلى الله عليه وآله : « إن في الجنة غرفة من ياقوتة حمراء ، ينظر اليها أهل الجنة كما ينظر أهل الأرض الى نجوم السماء ، لايدخل فيها إلا نبي فقير أو مؤمن فقير » ، وقال : « يوم فقراء أمتي يوم القيامة وثيابهم خضر ، وشعورهم منسوجة بالدر والياقوت ، وبايديهم قضبان من نور يخطبون على المنابر ، فيمر عليهم الانبياء ، فيقولون : هؤلاء من الملائكة ، وتقول الملائكة : هؤلاء من الانبياء . فيقولون : نحن لا ملائكة ولا انبياء ! بل من فقراء أمة محمد - صلى الله عليه وآله - ، فيقولون : بم نلتم هذه الكرامة ؟ فيقولون : لم تكن أعمالنا شديدة ، ولم نصم الدهر ، ولم نقم الليل ، ولكن أقمنا على الصلوات الخمس ، وإذا سمعنا ذكر محمد فاضت دموعنا على خدودنا » وقال - صلى الله عليه وآله - : « كلمني ربي فقال : يامحمد ، اذا احببت عبداً ، اجعل له ثلاثة اشياء : قلبه حزيناً ، وبدنه سقيما ، ويده خالية من حطام الدنيا . وإذا أبغضت عبداً ، اجعل له ثلاثة اشياء : قلبه مسروراً وبدنه صحيحاً ، ويده مملوة من حطام الدنيا » . وقال - صلى الله عليه وآله - « الناس كلهم مشتاقون الى الجنة ، والجنة مشتاقة الى الفقراء » . وقال - صلى الله عليه وآله - : « الفقر فخرى » . وقال صلى الله عليه وآله : « تحفة المؤمن في الدنيا الفقر » وقال - صلى الله عليه وآله - : « يؤتى بالعبد يوم القيامة ، فيعتذر الله تعالى اليه كما يعتذر الأخ الى أخيه في الدنيا ، فيقول : وعزتي وجلالي ! مازويت الدنيا عنك لهوانك علي ، ولكن لما أعددت لك من الكرامة والفضيلة . اخرج ياعبدي الى هذه الصفوف ، فمن أطعمك في أوكساك في يريد بذلك وجهي ، فخذ بيده فهو لك والناس يومئذ قد ألجمهم العرق . فيتخلل الصفوف . وينظر من فعل ذلك

به ، ويدخله الجنة » . وقال ـ صلى الله عليه وآله ـ : « أكثروا معرفة الفقراء واتخذوا عندهم الأيادي ، فان لهم دولة » ، قالوا : يارسول الله، وما دولتهم ؟ قال : « إذا كان يوم القيامة ، قيل لهم : انظروا الى من اطعمكم كسرة اوسقاكم شربة او كساكم ثوباً ، فخذوا بيده ثم امضوا به الى الجنة » . وقال صلى الله عليه وآله : « ألا اخبركم بملوك أهل الجنة ؟ » قالوا : بلى يارسول الله ! قال : « كل ضعيف مستضعف أغبر أشعث ذى طمرين لايؤبه به لو أقسم على الله لأبره » . ودخل ـ صلى الله عليه وآله ـ على رجل فقير ، ولم ير له شيئاً ، فقال : « لو قسم نور هذا على أهل الأرض لوسعهم » . وقال ـ صلى الله عليه وآله ـ : « إذا أبغض الناس فقراءهم ، وأظهروا عمارة الدنيا ، وتكالبوا على جمع الدراهم والدنانير ، رماهم الله بأربع خصال : بالقحط من الزمان ، والجور من السلطان ، والجناية من ولاة الحكام ، والشوكة من الأعداء » (١).

وورد من طريق أهل البيت عليهم السلام : « إن الله تعالى إذا أحب عبداً ابتلاه ، فاذا أحبه الحب البالغ اقتناه . قيل : وما اقتناه ؟ قال : لم يترك له أهلا ولا مالا » . وقال أمير المؤمنين عليه السلام : « وكل الرزق بالحمق ، ووكل الحرمان بالعقل ، ووكل البلاء بالصبر » وقال الباقر عليه السلام : « إذا كان يوم القيامة ، أمر الله تعالى منادياً ينادي بين يديه : اين الفقراء ؟ فيقوم عنق من الناس كثير ، فيقول : عبادي ! فيقولون : لبيك ربنا ! فيقول : إني لم أفقركم لهون بكم علي ، ولكن إنما اخترتكم لمثل هذا اليوم . تصفحوا وجوه الناس ، فمن صنع اليكم معروفاً

(١) هذه الأخبار كلها عامية ، فصححناها على (احياء العلوم) ، و (احياء الاحياء) .

لم يصنعه إلا في فكافوه عني بالجنة ». وقال الصادق عليه السلام : « لولا إلحاح المؤمنين على الله في طلب الرزق ، لنقلهم من الحال التي هم فيها الى حال أضيق منها » . وقال عليه السلام : « ليس لمصاص (١) شيعتنا في دولة الباطل إلا القوت ، شرقوا إن شئتم أو غربوا ، لن ترزقوا إلا القوت » . وقال عليه السلام : « ما كان من ولد آدم مؤمن إلا فقيراً ولا كافر إلا غنياً ، حتى جاء ابراهيم عليه السلام ، فقال :

« رَبَّنَا لاَ تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِيْنَ كَفَرُوا » (٢).

فصير الله في هؤلاء أموالا وحاجة » . وقال ـ عليه السلام ـ : « إن فقراء المؤمنين يتقلبون في رياض الجنة قبل اغنيائهم بأربعين خريفاً » ، ثم قال : « سأضرب لك مثل ذلك : انما مثل ذلك مثل سفينتين مربها على عاشر ، فنظر في أحداهما فلم ير فيها شيئاً ، فقال : اسربوها . ونظر فى الاخرى ، فاذا هي موقرة ، فقال : احبسوها » . وفي بعض الأخبار فسر الخريف بألف عام ، والعام بألف سنة . وعلى هذا ، فيكون المراد من أربعين خريفاً أربعين الف الف عام . وقال الصادق عليه السلام : « المصائب منح من الله ، والفقر مخزون عند الله » : أى المصائب عطايا من الله يعطيها عباده ، والفقر من جملتها مخزون عنده عزيز لايعطيه إلا من خصه بمزيد العناية . وقال عليه السلام : « إن الله عز وجل يلتفت يوم القيامة الى فقراء المؤمنين شبيهاً بالمعتذر اليهم ، فيقول : وعزتي وجلالى ! ما أفقرتكم في الدنيا من هوان بكم علي ، ولترون ما أصنع بكم اليوم ، فمن زود منكم فى دار الدنيا معروفاً فخذوا بيده فأدخلوه الجنة » ، قال

(١) المصاص : خالص كل شيء . قاله الجوهري .

(٢) الممتحنة ، الآية : ٥ .

« فيقول رجل منهم : يارب ، إن أهل الدنيا تنافسوا في دنياهم ، فنكحوا النساء ، ولبسوا الثياب اللينة ، وأكلوا الطعام ، وسكنوا الدور ، وركبوا المشهور من الدواب . فأعطنى مثل ما أعطيتهم . فيقول تبارك وتعالى : لك ولكل عبد منكم مثل ما أعطيت أهل الدنيا منذ كانت الدنيا الى أن انقضت الدنيا سبعون ضعفاً » . وقال ـ عليه السلام ـ : « إن الله جل ثناؤه ليعتذر الى عبده المؤمن المحوج في الدنيا كما يعتذر الأخ الى أخيه ، فيقول : وعزتي وجلالي ! ما أحوجتك في الدنيا من هوان كان بك علي فارفع هـذا السجف ، فانظر الى ماعوضتك من الدنيا . قال : فيرفع ، فيقول : ماضرني مامنعتني ماعوضتني » . وقال عليه السلام : « إذا كان يوم القيامة قام عنق من الناس حتى يأتوا باب الجنة ، فيضربوا باب الجنة فيقال لهم : من أنتم ؟ فيقولون : نحن الفقراء ، فيقال لهم : اقبلوا الحساب فيقولون : ما اعطيتمونا شيئاً تحاسبونا عليـه ، فيقول الله عز وجل : صدقوا ، ادخلوا الجنة » . وقال ـ لبعض اصحابه : « أما تدخل للسوق ؟ أما ترى الفاكهة تباع والشيء مما تشتهيه ؟ فقلت : بلى ! فقال : أما إن لك بكل ماتراه فلا تقدر على شراه حسنة » . وقال الكاظم عليه السلام : « إن الله عز وجل يقول : إني لم اغن الغنى لكرامة به علي ، ولم أفقر الفقير لهوان به علي ، وهو مما ابتليت به الأغنياء بالفقراء ، ولولا الفقراء لم يستوجب الأغنياء الجنة » (١) . وقال ـ عليه السلام ـ : « إن الأنبياء وأولاد الأنبياء واتباع الأنبياء خصوا بثلاث خصال : السقم في الأبدان وخوف السلطان ، والفقر » . وقال الرضا ـ عليه السلام ـ : « من لقي

(١) صححنا اغلب الأحاديث المروية عن أهل البيت ـ عليهم السلام ـ في هذا الفصل على (الكافي) : باب الفقر . وعلى (سفينة البحار) ٢ / ٣٧٧ . وعلى (احياء الأحياء) : كتاب الفقر .

فقيراً مسلما وسلم عليه خلاف سلامه على الغني ، لقى الله يوم القيامة وهو عليه غضبان » . وقال عليه السلام : « الفقر شين عند الناس وزين عند الله يوم القيامة » وقال موسى ـ عليه السلام ـ في بعض مناجاته : « إلهي من أحباؤك من خلقك حتى أحبهم لأجلك ؟ فقال : كل فقير » وقال عيسى ـ عليه السلام ـ : « إن أحب الأسامي إلى أن يقال : يامسكين » وقال بعض الصحابة : « ملعون من أكرم الغني وأهان الفقير » . وقال لقمان لابنه : « لاتحقرن أحداً لخلقان ثيابه ، فان ربك وربه واحد » .

ومما يدل على فضيلة الفقر ، اذا كان مع الرضى أو القناعة أو الصبر أو الصدق أو الستر ، قوله صلى الله عليه وآله : « يامعشر الفقراء : اعطوا الله الرضى من قلوبكم تظفروا بثواب فقركم ، فان لم تفعلوا فلا ثواب لكم » . وقوله ـ صلى الله عليه وآله ـ : « إن احب العباد الى الله الفقير القانع برزقه الراضي عن الله تعالى » . وقوله ـ صلى الله عليه وآله ـ : « لا أحد أفضل من الفقير اذا كان راضياً » ؛ وقوله صلى الله عليه وآله : « يقول الله تعالى يوم القيامة : أين صفوتي من خلقي؟ فتقول الملائكة : من هم ياربنا ؟ فيقول : فقراء المسلمين القانعين بعطائي الراضين بقدري ، ادخلوهم الجنة . فيدخلونها ، ويأكلون ويشربون ، والناس في الحساب يترددون » . وقوله صلى الله عليه وآله : « مامن أحد ، غني ولا فقير ، إلا ود يوم القيامة انه كان أوتي قوتا في الدنيا » وقوله صلى الله عليه وآله : « طوبى للمساكين بالصبر ! وهم الذين يرون ملكوت السماوات والأرض » . وقوله ـ صلى الله عليه وآله ـ : « من جاع أو احتاج ، فكتمه عن الناس وافشاه الى الله تعالى ، كان حقاً على الله ان يرزقه رزق السنة من الحلال » . وقوله ـ صلى الله عليه وآله ـ : « إن لكل شيء مفتاحاً ، ومفتاح الجنة حب المساكين والفقراء الصابرين

وهم جلساء الله يوم القيامة » . وما روى : « ان الله أوحى الى اسماعيل - عليه السلام - : اطلبني عند المنكسرة قلوبهم من أجلي . قال : ومن هم ؟ قال : الفقراء الصادقون » . وقال رسول الله - صلى الله عليه وآله - لأمير المؤمنين عليه السلام : « ياعلي ، إن الله جعل الفقر أمانة عند خلقه ، فمن ستره أعطاه الله تعالى مثل أجر الصائم القائم ، ومن أفشاه الى من يقدر على قضاء حاجته فلم يفعل فقد قتله أما إنه ماقتله بسيف ولا رمح ولكنه قتله بما نكأ من قلبه » .

ثم لاريب في أن كل من لم يجد القوت من التعفف وستر احتياجه هذا وصبر ورضى يكون داخلا تحت هذه الأخبار وتثبت له الفضيلة التي وردت فيها ، ولا ريب في أن هذه صفة لاتوجد في الف الف واحد .

وأما الفقير الحريص الذي يظهر فقره ويجزع معه ، فظاهر بعض الأخبار وإن تناوله ، إلا أن الظاهر خروجه منها كما أومأت اليه بعض الأخبار المذكورة وإن كان أحسن حالا من الغني الذي مثله في الحرص ،

فصل

(الموازنة بين الفقر والغنى)

لاريب في أن الفقر مع الصبر والقناعة وقصد الفراغ أفضل من الغنى مع الحرص والامساك ، كما لاريب في أن الغنى مع الانفاق وقصد الاستعانة على العبادة أفضل من الفقر مع الحرص والجزع ، وإنما وقع الشك في الترجيح بين الفقر والغنى في مواضع :

(الأول) في الترجيح بين الفقر مع الصبر ، والقناعة والغنى مع الانفاق ، وقصد الاستعانة على العبادة ، فقال قوم إن الأول أفضل ، لما

روى : « أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال لاصحابه : أي الناس خير ؟ فقالوا : موسر من المال يعطى حق الله تعالى من نفسه وماله ، فقال نعم الرجل هذا وليس به المراد ، قالوا فمن خير الناس يارسول الله ؟ فقال : فقير يعطي جهده » ، وما روى : « أن الفقراء بعثوا رسولا الى رسول الله صلى الله عليه وآله فقال : إني رسول الفقراء اليك ، فقال : مرحباً بك وبمن جئت من عندهم ، جئت من عند قوم أحبهم ، فقال : قالوا إن الأغنياء ذهبوا بالجنة يحجون ولا نقدر عليه ، ويعتمرون ولا نقدر عليه ، وإذا مرضوا بعثوا بفضل أموالهم ذخيرة لهم ، فقال النبي صلى الله عليه وآله : بلغ عني الفقراء أن لمن صبر واحتسب منكم ثلاث خصال ليست للاغنياء : أما (الأولى) فان في الجنة غرفا ينظر اليها أهل الجنة كما ينظر أهل الأرض الى نجوم السماء ، لايدخلها الا نبي فقير ، أو شهيد فقير ، أو مؤمن فقير ، (والثانية) يدخل الفقراء الجنة قبل الاغنياء بنصف يوم وهو خمسمائة عام . (والثالثة) اذا قال الغني : سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله اكبر ، وقال الفقير مثل ذلك ، لم يلحق الغني بالفقير وإن انفق فيها عشرة آلاف درهم ، وكذلك اعمال البر كلها ، فرجع اليهم ، فقالوا رضينا » .

وقال آخرون : الثاني أفضل ، لأن الغنى من صفات الربوبية ، والفقر من لوازم العبودية ، ووصف الحق أفضل من وصف العبد .

(واجيب عنه) بأن غنى الواجب سبحانه ليس بالاسباب والأغراض وغنى العبد بها ، إذ هو غني بوجود المال ومفتقر الى بقائه ، فأنى يكون الغنى الذي يتصف العبد به من أوصاف الربوبيه ، نعم الغنى الاستغناء من وجود المال وعدمه جميعاً بأن يستوى كلاهما عنده يشبه أوصاف الحق ، إلا أنك قد عرفت أنه نوع من الفقر ، وبأن التكبر من أوصاف الربوبية ،

فينبغي أن يكون أفضل من التواضع ، مع أن الامر ليس كـذلك ، بل الحق أن الأفضل للعبـد إنما هو صفات العبودية كالخوف والرجاء ، إذ صفات الربوبية لاينبغي أن ينازع فيها ، ولذلك قال الله سبحانه : « والعظمة ازارى ، والكبرياء ردائي ، فمن نازعنى فيها قصمته » . وعلى هذا فالفقر أفضل من الغنى .

والحق أن ترجيح واحد من صفات الربوبيـة وصفات العبودية على الآخر للعبد على الاطلاق غير صحيح ، إذ كما ينتقض ترجيح الأولى على الثانية بالتكبر ينتقض العكس بالعلم والمعرفة والجهل والغفلة ، فان العلم من صفات الربوبية ، والجهل من صفات العبودية ، مع أن الأول أفضل من الثاني ضرورة .

والحق أن الأفضل من الفقر والغنى مالا يشغل العبد عن الله ، فإن كان الفقر يشغله فالغنى أولى به ، وإن كان الغنى يشغله عن الله فالفقر أولى به ، وذلك لأن الغنى ليس محذوراً بعينه ، بل لكونه عائقاً عن الوصول الى الله ، والفقر ليس مطلوبا لذاته ، بل لعدم كونه عائقاً عن الله ، وليس مانعية الأول وعدم مانعية الثاني كلياً ، إذرب فقير يشغله الفقر عن المقصد وكم من غني لايصرفه الغنى عنه ، اذ الشاغل ليس إلا حب الدنيا لمضادته حب الله تعالى ، والمحب للشيء مشغول به ، سواء كان في وصاله أو فى فراقه . فاذن فضل الفقير والغنى بحسب تعلق قلبهما بالمال وجوداً وعدماً ، فان تساويا فيه تساوت درجتهما . وإن تفاوتا فيه فأيهما أقل تعلقاً درجته أعلى وأفضل ، بل مع وجود تعلق لهما وتساويهما فيه يكون وجود قدر الحاجة من المال أفضل من فقده ، إذ الجائع يسلك سبل الموت لاسبيل المعرفة والطاعة . ومع عدم تعلق قلبهما أصلا بحيث يستوى عندهما وجود المال وعدمه كان المال عندهما كهواء الجو وماء البحر ـ وبالجملة حصلت

لها المرتبة الأخيرة من الفقر ، أعني الاستغناء والرضا - كان الواجد أفضل من الفاقد ، لاستوائها في عدم الالتفات اليه ، ومزية الواجد باستفادة ادعية الفقراء والمساكين .

ثم الحكم بانقطاع القلب رأساً عن المال وجوداً وعدماً إنما يتصور في الشاذ النادر الذي لايسمح الدهر بمثله إلا بعد ازمنة متطاولة ، وقلوب جل الناس غير خالية عن حب المال والتعلق به . فتفصيل القول بافضلية من هو أقل تعلقاً بالمال ، واستواء درجتها مع استوائها في التعلق ، ومزية الواجد على الفاقد مع انقطاع قلبها بالكلية عنه مزلة الأقدام وموضع الغرور ، إذ الغني ربما يظن أنه منقطع القلب عن المال ويكون حبه دفيناً في باطنه وهو لايشعر به ، وانما يشعر به اذا فقده ، فما عدا الأنبياء والأولياء وشرذمة قليلة من أكابر الأتقياء لو ظنوا انقطاعهم عن الدنيا اذا جربوا انفسهم باخراج المال من أيديهم يظهر لهم أنهم مغرورون وليس لهم تمام الانقطاع عن الدنيا ، واذا كان ذلك محالا أو بعيداً فليطلق القول بأن الفقر أصلح لكافة الناس وافضل ، لإنه عن الخطر أبعد ، إذ فتنة السراء من فتنة الضراء اشد ، وعلاقة الفقير وانسه بالدنيا غالباً اضعف ، وبقدر ضعف علاقته يتضاعف ثواب أذكاره وعبادته ، اذ حركات اللسان والجوارح ليست مرادة لاعيانها بل ليتأكد بها الأنس بالمذكور وتأثيرها في إثارة الأنس في قلب فارغ عن غير المذكور اشد من تأثيرها في قلب مشغول ، ولهذا وردت الأخبار مطلقة في فضل الفقر على الغنى ، وفي فضل الفقراء على الأغنياء .

(الثاني) في الترجيح بين الفقر مع الحرص والجزع ، والغنى مع الحرص والامساك . والتحقيق فيه أن مطلوب الفقير إن كان مالابد منه في المعيشة وكان حرصه في تحصيل هذا القدر دون الزائد منه وكان قصده

الاستعانة به على الدين ، وكذا كان حرص الغني وامساكه في هذا القدر بهذا القصد ، فحال الوجود افضل لأن الفقد يصده عن امور الدين لاضطراره في طلب القوت ، وهو اولى بالتفضيل اذا كان قصد الغنى ذلك وكان مطلوب الفقير فوق الحاجة ، أوقدر الحاجة ، أو قدر الحاجة بدون قصد الاستعانة به الى امر الدين . وان كان مطلوب كل منها فوق الحاجة أو لم يكن قصدهما الاستعانة به على امر الدين ، فالفقد اصلح وأفضل ، لانهما استويا في الحرص وحب المال ، وفي عدم قصد الاستعانة به على الدين ، لكنهما افترقا في ان الواجد يتأكد حب الدنيا في قلبه ، ويطمئن اليها لأنسه بها ، والفاقد يتجافى قلبه عنها اضطراراً ، أو تكون الدنيا عنده كالسجن الذي يطلب الخلاص منه . وهو أولى وأحرى بالتفضيل ، اذا كان قصد الفقير ذلك وكان قصد الغني فوق الحاجة ، أو قدر الحاجة بدون الاستعانة به على أمر الدين .

(الثالث) في الترجيح بين فقير حريص متكالب على الدنيا ليس له هم سواه ، وغني هو دونه في الحرص على حفظ المال ، وتفجعه بفقد المال لو فقده أقل من تفجع الفقير بفقده ، والظاهر حينئذ كون الفقير اسوأ حالا ، إذ البعد عن الله بقدر قوة التفجع بفقد المال ، والقرب بقدر ضعف التفجع به .

فصل

ماينبغي للفقير

ينبغي للفقير ألا يكون كارهاً للفقر من حيث إنه فعل الله ومن حيث انه فقر ، بل يكون راضياً به طالباً له فرحاناً به لعلمه بغوائل الغنى ، وأن

يكون متوكلا في باطنه على الله، واثقاً به في اتيان قدر ضرورته، ويكون قانعاً به، كارهاً للزيادة عليه، منقطع الطمع عن الخلق، غير ملتفت الى مافي أيديهم، وغير حريص على اكتساب المال كيف كان، وان يكون صابراً شاكراً على فقره، قال أمير المؤمنين عليه السلام: « إن لله عقوبات بالفقر، ومثوبات بالفقر، فمن علامات الفقر اذا كان مثوبة أن يحسن عليه خلقه، ويطيع به ربه، ولا يشكو حاله، ويشكر الله تعالى على فقره ومن علاماته اذا كان عقوبة أن يسوء عليه خلقه، ويعصي ربه بترك طاعته ويكثر الشكاية، ويتسخط بالقضاء »، وهذا يدل على أن كل فقير ليس مثابا على فقره، بل من يرضى بفقره، ويفرح به، ويقنع بالكفاف، ويقصر الأمل، وإن لم يرض به وتشوف الى الكثرة وطول الأمل، وفاته عز القناعة، وتدنس بذل الحرص والطمع، وجره الحرص والطمع الى مساوى الاخلاق، وارتكاب المنكرات الخارقة للمروات حبط أجره وكان آثماً قلبه:

وينبغي أن يظهر التعفف ويستر الفقر ويستر، أنه يستر وألا يخالط الأغنياء، ولا يرغب في مجالستهم، ولا يتواضع لهم لاجل غناهم بل يتكبر عليهم. قال أمير المؤمنين عليه السلام: « ما احسن تواضع الغني للفقير رغبة في ثواب الله، واحسن منه تيه الفقير على الغني ثقة بالله »، وألا يسكت عن ذكر الحق مداهنة للاغنياء، وطمعاً بما في ايديهم، ولا يفتر بسبب فقره عن عبادة الله، ويبذل قليل مايفضل عنه، فان ذلك جهد المقل، وفضله اكثر من أموال كثيرة يبذلها الغني، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: « درهم من الصدقة افضل عند الله من مائة الف دينار »، قيل وكيف ذلك يارسول الله ؟ قال: « اخرج رجل من عرض ماله مائة الف دينار يتصدق بها، وأخرج رجل درهما من درهمين لايملك غيرهما

طيبة به نفسه فصار صاحب الدرهم أفضل من صاحب مائة الف دينار » وينبغي ألا يدخر ازيد من قدر الحاجة ، فإن لم يدخر اكثر من قوت يومه وليلته فهو من الصديقين ، وإن لم يدخر اكثر من قوت اربعين يوماً كان من المتقين ، وإن لم يدخر اكثر من قوت سنة ـ وهو الفضل المشترك بين الفقر والغنى ـ كان من الصالحين ، واو زاد عليه خرج عن زمرة الفقراء .

فصل

وظيفة الفقراء

مايعطى الفقير بغير سؤاله : إن كان (حراماً أو شبهة) وجب عليه رده والاجتناب عنه ، وإن كان (حلالا) ، فان كان (هدية) استحب قبوله تأسياً برسول الله صلى الله عليه وآله إن لم تكن فيه منة ، واو كانت فيه منة فالأولى تركـه . وكان بعضهم إذا أعطاه صديقه شيئاً يقول له اتركه عندك ، وانظر إن كنت انا بعد قبوله في قلبك أفضل مني قبل القبول فاخبرني حتى آخذه وإلا فلا ، وعلامـة ذلك أن يشق على المعطى رده ، ويفرح بالقبول ، ويرى المنـة على نفسه في قبوله ، وإن كان (صدقة أوزكاة) أو غـير ذلك مما يكون للثواب المحض ، فينبغي أن ينظر في استحقاقه لذلك ، فان كان من أهله قبله وإلا رده ، وإن كان المعطى أعطاه لوصف يعلمه فيه كعلم أو ورع أو كونه علوياً ، ولو لم يكن له هذا الاختصاص لنفر طبعه ، ولمـا تقرب الى الله باعطائه ، ولم يكن هو باطناً كذلك فأخذه حرام ، وإن لم يكن هدية ولا صدقة بل اعطاه للشهرة والرياء والسمعة فينبغي أن يرد عليـه ولا يقبله ، والا كان معيناً له على غرضه الفاسد ، والاعانة على الإثم اثم .

فصل

موارد قبول العطاء وردها

مايعطى الفقير ان كان محتاجاً اليه ولم يكن أزيد من حاجته فالأفضل له الأخذ اذا سلم من الآفات المذكورة ، قال رسول الله صلى الله عليه وآله : « ما المعطى من سعة بأعظم أجراً من الآخذ اذا كان محتاجاً » ، وقال صلى الله عليه وآله : « من أتاه شيء من هذا المال من غير مسألة ولا استشراف فانما هو رزق ساقه الله اليه فلا يرده » ، وان كان زائداً على قدر حاجته فليرد الزائد إن كان طالباً طريق الآخرة ، إذ الزيادة على قدر الحاجة إنما يأتيك ابتلاء وفتنة لينظر الله اليك ماذا تعمل فيه ، وقدر الحاجة يأتيك رفقاً بك ، فأنت فى اخذ قدر الحاجة مثاب ، وفيما زاد عليه إما عاص أو متعرض للحساب ، قال رسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ : « لاحق لابن آدم إلا فى ثلاث : طعام يقيم صلبه ، وثوب يوارى عورته ، وبيت يسكنه ، فما زاد فهو حساب » ، فلا ينبغي لطالب السعادة أن يأخذ الأزيد من قدر الحاجة ، إذ النفس اذا رخصت في نقض العزم والعهد ألفت به ، وردها بعد الالف والعادة مشكل :

والحاصل أن أخذ قدر الحاجة راجح لكونه مما لابد منه ، وايجابه ثواب المعطى ، ولذلك لما أمر موسى بن عمران عليه السلام بأن يفطر عند بنى اسرائيل قال : إلهي مابالى فرقت رزقي على أيدي بني اسرائيل يغديني هذا يوماً ويعشيني هذا ليلة ، فأوحى الله اليه : « هكذا أصنع بأوليائى أجرى ارزاقهم على ايدى البطالين من عبادى ليؤجروا فيهم » . فلا ينبغي أن يرى المعطى إلا من حيث انه مسخر مأجور .

وأما أخذ الزيادة على قدر الحاجة فليس مما ينبغي ، من كان حاله التكفل بامور الفقراء والانفاق عليهم ، لما في طبعه من البذل والسخاء ، والرفق والعطاء ، فيجوز له اخذ الزيادة ليبذلها على المستحقين ، ولكن يلزم أن يبادر الى الصرف اليهم ولا ينبغي أن يدخر ، إذ في امساكه ولو في يوم واحد أو ليلة واحدة فتنة واختبار ، فربما مالت النفس الى الامساك ويصير وبالا عليها ، وقد نقل أن جماعة تصدوا لخدمه الفقراء والتكفل لأحوالهم فخدعتهم النفس الأمارة باعانة الشيطان فاتخذوها وسيلة الى التوسع في المال ، والتنعم في المطعم والمشرب ، وانجر أمرهم الى الهلاك .

فصل

لايجوز السؤال من غير حاجة

ينبغي للمؤمن ألا يسأل الناس من غير حاجة اضطر اليها ، بل يستعف عن السؤال ما استطاع ، لأنه فقر معجل ، وحساب طويل يوم القيامة والأصل فيه التحريم لتضمنه الشكوى من الله ، واذلال السائل نفسه عند غير الله ، وايذاء المسؤل غالباً ، إذ ربما لم تسمح نفسه بالبذل عن طيب القلب ، وبعد السؤال ألجأه الحياء او الرياء اليه ، ومعلوم أن الاعطاء استحياء أو رياء لئلا ينقص جاهه عند الناس بنسبتهم إياه الى البخل لايكون له حلية شرعاً .

ولتضمنه هذه المفاسد ورد في الشريعة المنع منه ، قال رسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ : « مسألة الناس من الفواحش » ، وقال صلى الله عليه وآله : « من سأل عن ظهر غنى فانما يستكثر من جمر جهنم ، ومن سأل وله مايغنيه جاء يوم القيامة ووجهه عظم يتقعقع ليس عليه لحم » .

وقال صلى الله عليه وآله : « من سأل الناس وعنده قوت ثلاثة أيام لقى الله يوم يلقاه وليس على وجهه لحم » (١) وقال ـ صلى الله عليه وآله ـ : « مامن عبد فتح على نفسه باباً من المسألة إلا فتح الله عليه سبعين باباً من الفقر » . وقال : « إن المسألة لاتحل إلا لفقر مدقع أو غرم مفظع » وقال : « السؤال عن ظهر غنى صداع في الرأس ، وداء في البطن » . وقال : « من سأل الناس أموالهم تكثراً فانما هي جمرة فليستقل منه أو ليستكثر » .

وروى : « أنه جاءت فخذ من الانصار الى رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فسلموا عليه فرد عليهم السلام ، فقالوا يارسول الله ان لنا اليك حاجة فقال : (هاتوا حاجتكم) فقالوا إنها حاجة عظيمة فقال: (هاتوها ماهي) قالوا : تضمن لنا على ربك الجنة ، فنكس رأسه ، ثم نكت (٢) في الأرض ، ثم رفع رأسه فقال : (أفعل ذلك بكم على ألا تسألوا احداً شيئاً) ، فكان الرجل منهم يكون في السفر فيسقط سوطه ، فيكره أن يقول لانسان ناولنيه فراراً من المسألة وينزل فيأخذه ، ويكون على المائدة ويكون بعض الجلساء أقرب الى الماء منه فلا يقول ناولني حتى يقوم فيشرب » (٣) وبايع صلى الله عليه وآله قوماً على الاسلام فاشترط عليهم السمع والطاعة ، ثم قال لهم خفية : « لاتسألوا الناس شيئاً » ، فكان بعد ذلك تقع المخفرة من يد احدهم فينزل لها ولا يقول لأحد ناولنيها : وكان

(١) روى هذا الحديث عينه عن الصادق ـ عليه السلام ـ (الوسائل كتاب الزكاة ابواب الصدقة الباب ٣٢ الحديث ٥) .

(٢) نكت الارض بقضيب اوباصبعه : ضربها به حال التفكر فاكثر فيها .

(٣) صححنا الحديث على الوسائل (كتاب الزكاة ابواب الصدقة الباب ٣٣ الحديث ٤) وهو يرويه عن الكافي .

صلى الله عليه وآله يأمر غالباً بالتعفف عن السؤال، ويقول: « من سألنا أعطيناه، ومن استغنى اغناه الله، ومن لم يسألنا فهو أحب الينا » وقال: « وما قل من السؤال فهو خير » قالوا: ومنك يارسول الله؟ قال: « ومني »: « لو أن أحدكم أخذ حبلا فيأتي بحزمة حطب على ظهره فيبيعها ويكف بها وجهه، خير من أن يسأل ».

وقال سيد الساجدين عليه السلام: « ضمنت على ربي أنه لايسأل أحد احداً من غير حاجة إلا اضطرته المسألة يوماً إلى أن يسأل من حاجة » ونظر عليه السلام يوم عرفة الى رجال ونساء يسألون، فقال « هؤلاء شرار خلق الله، الناس مقبلون على الله وهم مقبلون على الناس ». وقال الباقر عليه السلام: « أقسم بالله وهو حق مافتح رجل على نفسه باب مسألة إلا فتح الله عليه باب فقر »، وقال الصادق عليه السلام: « طلب الحوائج الى الناس استلاب (١) للعز ومذهبة للحياء، واليأس مما في أيدي الناس عز للمؤمن في دينه، والطمع هو الفقر الحاضر ». وقال الصادق عليه السلام: « لو يعلم السائل ما عليه من الوزر ماسأل أحد أحداً، ولو يعلم المسؤل ماعليه اذا منع مامنع أحد أحداً ». وقال: « من سأل من غير حاجة فكأنما يأكل الجمر ».

ثم المنع والتحريم إنما هو في السؤال بدون الاضطرار، وأما مع الحاجة والاضطرار فلا ريب في جوازه، وقد وردت به الرخصة، قال الله سبحانه:

« وَأَمَّا السَّائِلَ فَلاَ تَنْهَرْ » (٢).

(١) الاستلاب بمعنى السلب، وهو من باب الافتعال.

(٢) الضحى، الآية: ١٠.

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله : « لاتردوا السائل ولو بشق تمرة » وقال صلى الله عليه وآله: «لولا أن السائل يكذب ماقدس من رده » وقال صلى الله عليه وآله : « للسائل حق وإن جاء على الفرس » وقال صلى الله عليه وآله : « لاتردوا السائل ولو بظلف محترق » (١) . ولو كان السؤال مطلقاً حراماً لما أجاز الله ورسوله إعانة العاصي على معصيته .

ثم الحاجة المجوزة للسؤال : مابلغت حد الاضطرار ، كسؤال الجائع الخائف على نفسه بالموت أو المرض لو لم يصل اليه قوت ، وسؤال العاري الذي بدنه مكشوف ويخاف من الحر والبرد ـ أولم تبلغ اليه ، وهي إما حاجة (مهمة) كالاحتياج الى الجبة في الشتاء بحيث لولاها لتأذى بالبرد تأذياً لاينتهي الى حــد الضرورة ، والاحتياج الى الكرى مع القدرة على المشي مع المشقة ، أو حاجة (خفيفة) كالاحتياج الى الأدام مع وجود الخبز ـ فالظاهر جواز السؤال في جميــع ذلك (مع رجحانه في الأول ، وإباحته في الثاني ، ومرجوحيته في الثالث) ، بشرط إخلائه عن المحذورات المذكورة ، أعني الشكوى والذل والإيذاء ، وتندفع هذه المحذورات بأن يظهر حاجته تعريضاً بعد تقديم الشكر لله ، واظهار الاستغناء عن الخلق عند بعض الأصدقاء أوالأسخياء ، إذ السؤال من الصديق لايوجب الاذلال والسخي لايتأذى بالسؤال بل يفرح به .

ثم ماذكر إنما هو في السؤال للاحتياج اليه بعد النسبة لما يحتاج اليه في الحال ، وأما السؤال لما يحتاج اليه في الاستقبال ، فان كان يحتاج اليه بعد السنة فهو حرام قطعاً ، وإن كان يحتاج اليه قبلها ، سواء كان بعد

(١) صححنا اكثر الاحاديث هنا على مافي سفينة البحار الجزء الاول ص٥٨٥ وكتاب الزكاة من الوسائل ابواب الصدقة باب ٣٣ ـ ٣٧ واحياء الاحياء في كتاب الفقر .

اربعين يوماً من يومه أو خمسين أو أقل أو اكثر ، فان أمكنه السؤال عند بلوغ وقت الحاجة فلا يحل له السؤال ، وإن علم بأنه لايتمكن من السؤال عنده فهو جائز مع الكراهة والمرجوحية ، وكلما كان تراخي الحاجة عن يومه أكثر كانت الكراهة أشد . ثم معرفة درجات الحاجة وضعفها وشدتها والوقت الذي يحتاج فيه موكول الى العبد ومنوط باجتهاده ونظره لنفسه بينه وبين الله ، فليعمل به بعد استفتاء قلبه على مايقتضيه سلوك طريق الآخرة ، وكلما كان يقينه اقوى ، وثقته بمجيء الرزق أتم ، وقناعته بقوت الوقت اظهر ، فدرجته عند الله أعلى .

فياحبيبي ، لاتهبط نفسك من اوج التوكل والاعتماد على الله الى حضيض الخوف والاضطراب في مجيء رزقك ، ولا تصغ الى تخويف الشيطان ، فانه يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء ، وكن مطمئنا بوعد ربك إذ قال :

« وَاللهُ يَعِدُكُمْ مَغفِرَةً مِنْهُ وَفَضلاً » (١) .

واسمع قول نبيك ـ صلى الله عليه وآله ـ حيث قال : « لو توكلتم على الله حق توكله ، لرزقتم كما ترزق الطيور ، تغدوا خماصاً وتروح بطاناً ».

ومنها :

الحرص

وهو معنى راتب في النفس ، باعث على جميع مالا يحتاج اليه ولايفيده من الأموال ، من دون أن ينتهي الى حد يكتفى به ، وهو أقوى شعب

(١) البقرة ، الآية : ٢٦٨ .

حب الدنيا واشهر انواعه . ولا ريب في كونه ملكة مهلكة وصفة مضلة بل بادية مظلمة الأرجاء والأطراف، وهاوية غير متناهية الأعماق والاكناف من وقع فيها ضل وباد، ومن سقط فيها هلك وما عاد . والتجربة والاعتبار والأخبار والآثار متظاهرة على أن الحريص لاينتهى الى حد يقف دونه، بل لايزال يخوض في غمرات الدنيا الى أن يغرق، وتطرحه ارض الى أرض حتى يهلك . قال رسول الله صلى الله عليه وآله : « لوكان لابن آدم واديان من ذهب، لابتغى وراءهما ثالثاً، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب، ويتوب الله على من تاب » . وقال - صلى الله عليه وآله - : « منهومان لايشبعان : منهوم العلم، ومنهوم المال » . وقال صلى الله عليه وآله : « يشيب ابن آدم وتشب فيه خصلتان : الحرص، وطول الأمل» وقال ابو جعفر الباقر عليه السلام : « مثل الحريص على الدنيا كمثل دودة القز، كلما ازدادت على نفسها لفا كان أبعد لها من الخروج، حتى تموت غماً » . وقال الصادق عليه السلام : « إن فيما نزل به الوحي من السماء لو أن لابن آدم واديين يسيلان ذهباً وفضة لابتغى لهما ثالثاً . يا ابن آدم إنما بطنك بحر من البحور وواد من الأودية، لايملأه شيء إلا التراب » وقال بعض الأكابر : « من عجيب أمر الانسان، انه لو نودي بدوام البقاء في أيام الدنيا لم يكن في قوى خلقته من الحرص على الجمع اكثر مما قد استعمله مع قصر مدة التمتع وتوقع الزوال » . ثم ماورد من الأخبار في ذمه اكثر من أن تحصى، ولا حاجة الى ايرادها لاشتهارها . وقال الباقر - عليه السلام - : « رب حريص على أمر قد شقي به حين أتاه، ورب كاره لأمر قد سعد به حين أتاه » . وأي خسران أشد من أن يسعى الانسان في طلب به هلاكه ؟ وأي تأمل في أن كلما يحرص عليه الانسان من اموال الدنيا يكون مهلكاً له ؟ !

وصل

القناعة

ضد الحرص (القناعة) . وهي ملكة للنفس : توجب الاكتفاء بقدر الحاجة والضرورة من المال ، من دون سعي وتعب في طلب الزائد عنه ، وهي صفة فاضلة يتوقف عليها كسب سائر الفضائل ، وعدمها يؤدي بالعبد الى مساوئ الأخلاق والرذائل ، وهي المظنة للوصول الى المقصد واعظم الوسائل لتحصيل سعادة الأبد ، إذ من قنع بقدر الضرورة من المطعم والملبس ، ويقتصر على أقله قدراً أو أخسه نوعاً ، ويرد أمله الى يومه أو الى شهره ، ولا يشغل قلبه بالزائد عن ذلك ، كان فارغ البال مجتمع الهم ، فيتمكن من الاشتغال بأمر الدين وسلوك طريق الآخرة ، ومن فاتته القناعة ، وتدنس بالحرص والطمع وطول الأمل ، وخاض في غمرات الدنيا ، تفرق قلبه وتشتت أمره ، فكيف يمكنه التشمر لتحصيل أمر الدين والوصول الى درجات المتقين ؟ ولذلك ورد في مدح القناعة ماورد من الأخبار ، قال رسول الله صلى الله عليه وآله : « طوبى لمن هدى للاسلام ، وكان عيشه كفافاً به ! » . وقال : « مامن احد ، من غني ولا فقير ، إلا ود يوم القيامة أنه كان اوتى قوتاً في الدنيا » . وقال - صلى الله عليه وآله - : « أيها الناس ، اجملوا في الطلب ، فانه ليس للعبد إلا ماكتب له في الدنيا ، ولن يذهب عبد من الدنيا حتى يأتيه ماكتب له في الدنيا وهي راغمة » وقال صلى الله عليه وآله : « نفث روح القدس في روعي : أنه لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها . فاتقوا الله واجملوا في الطلب » . وقال صلى الله عليه وآله : « كن ورعاً تكن أعبد الناس

وكن قانعاً تكن أشكر الناس ، واحب للناس ماتحب لنفسك تكن مؤمناً » وفي الخبر القدسي : « يا ابن آدم ، لو كانت الدنيا كلها لك لم يكن لك منها إلا القوت ، فاذا أنا اعطيتك منها القوت وجعلت حسابها على غيرك فانا اليك محسن » . وروى : « ان موسى سأل ربه تعالى ، وقال : أي عبادك أغنى ؟ قال : اقنعهم لما اعطيته » . وقال أمير المؤمنين عليه السلام « ابن آدم ، إن كنت تريد من الدنيا مايكفيك ، فان ايسر مافيها يكفيك وإن كنت إنما تريد مالا يكفيك ، فان كل مافيها لايكفيك » . وقال أبو جعفر الباقر عليه السلام : « إياك أن تطمح بصرك الى من هو فوقك فكفى بما قال الله عز وجل لنبيه ـ صلى الله عليه وآله ـ :

« فَلاَ تُعْجِبكَ أَمْوَالُهُمْ وَلاَ أَوْلاَدُهُمْ » (١) . وقال :

« وَلاَ تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجاً مِنْهُمْ زَهْرَةَ الحَيَاةِ الدُّنْيَا » (٢) .

فان دخلك من ذلك شيء ، فاذكر عيش رسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ فانما كان قوته الشعير ـ وحلواه التمر ، ووقوده السعف اذا وجده » (٣) وقال : « من قنع بما رزقه الله فهو من اغنى الناس . وقال

(١) التوبة ، الآية . ٥٦ .

(٢) طه ، الآية : ١٣١ .

(٣) صححنا الحديث وما قبله على مافي (الكافي) : باب القناعة ، وكذا الحديثين المذكورين بعده . إلا أن هذا الحديث مروي في (الكافي) عن أبي جعفر ـ عليه السلام ـ . وروى في (الوسائل) عن كتاب الزهد ، في أبواب جهاد النفس =

الصادق عليه السلام : « من رضى من الله باليسير من المعاش رضى الله عنه باليسير من العمل » . وقال : « مكتوب في التوراة : ابن آدم ، كن كيف شئت كما تدين تدان ، من رضى من الله بالقليل من الرزق قبل الله منه اليسير من العمل ، ومن رضى باليسير من الحلال خفت مؤنته وزكت مكسبته وخرج من حد الفجور » . وقال : « إن الله عز وجل يقول : يحزن عبدى المؤمن ان قترت عليه ، وذلك أقرب له مني ، ويفرح عبدى المؤمن إن وسعت عليه ، وذلك أبعد له مني » . وقال : « كلما ازداد العبد ايماناً ازداد ضيقاً في معيشته » . والأخبار الواردة في فضيلة القناعة اكثر من أن تحصى ، وما أوردناه كاف لأهل البصيرة .

فصل

علاج الحرص

طريق المعالجـة في إزالة الحرص وتحصيل القناعة : أن يتذكر أولا مافي القناعة من المدح والشرافـة ، وعز النفس وفضيـلة الحرية ، وما في الحرص من الذم والمهانة ، وتحمل الذلة ومتابعة الشهوة . ويعرف أن من لايؤثر عز النفس على شهوة البطن ، فهو قليل العقل ناقص الايمان . ثم يتذكر مافي جمع المال من الآفات الدنيوية والعقوبات الأخروية ، ويكثر التأمل فيما مضى عليه عظماء الخلق وأعز اصنافهم ، أعنى الانبياء والأوصياء ومن سار بسيرتهم من السلف الأتقياء ، من صبرهم على القليل ، وقناعتهم باليسير ، وفيـما يجرى عليه الكفار من الهندو واليهود والنصارى وأراذل

= من كتاب الجهاد : الباب ٦١ الحديث ١١ ، مايقرب من عبارة هذا الحـديث عن أبي عبد الله ـ عليه السلام ـ .

الناس واغنيائهم وامثالهم ، من التنعم وجمع المال الكثير . وبعد هذا التأمل لا أظنه يشك في أن الاقتداء بأعز الخلائق أحسن من الاقتداء بأراذلهم ، بل المتأمل يعرف أن الحريص المتكالب على لذات الدنيا خارج عن افق الانسانيـة ، وداخل في جريدة البهائم ، إذ الحرص على شهوات البطن والفرج من لوازم البهيمية ، واحرص الناس على الشهوات لايبلغ رتبـة البهائم في ذلك . فما من حريص على التنعم في البطن إلا والحمار اكـثر أكلا منه ، وما من حريص على الجماع إلا والخنزير أشد نزواً منه : فظهر ان الحريص في مرتبة الخنزير والحمير واليهود والهندو ، والقانع لا يساهمه في الرتبة إلا الأنبياء والأولياء . وبعد التأمل في جميع ماذكر ، يتم العلاج العلمي ، وبه تسهل ازالة الحرص واكتساب القناعة . فليبادر الى العلاج العملي ، وهو العمل بالاقتصاد في أمر المعيشة ، ليسد أبواب الخرج ماأمكن ورد النفس الى مالابد منه . فان من كثر خرجه واتسع انفاقه ، لم تمكنه القناعة ، فان كان وحده ، اكتفى بثوب خشن ، ويقنع بأي طعام كان ويقلل من الأدام ما أمكنه ، وهكذا الحال في سائر مايضطر اليه ويوطن نفسه عليه . وان كان له عيال رد كل واحد منهم الى هذا القدر . واذا بنى أمره على الاقتصاد ، لم يحتج الى كثير جهـد وإن كان معيلا . قال رسول الله صلى الله عليه وآله : « ماعال من اقتصد » (١) . وقال - صلى الله عليه وآله - : « ثلاث منجيات : خشية الله في السر والعلانية ، والقصد في الغناء والفقر ، والعدل في الرضا والغضب » . وقال : « التدبير نصف المعيشة » . وقال : « من اقتصد أغناه الله ، ومن بذر أفقره الله » . وقال

(١) روى في (سفينة البحار) : ٢ : ٤٣١ ، عن امير المؤمنين - عليه السلام - مثل هذا الحـديث هكذا : « ماعال امرؤ اقتصد » . وكـذا في (بحار الانوار) : ٢ مج ١٥ / ١٩٩ .

« الاقتصاد ، وحسن الصمت ، والهدى الصالح ، جزء من بضع وعشرين جزءاً من النبوة » . وقال أمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ : « القصد مثراة والسرف متواة » (١) . وقال السجاد ـ عليه السلام ـ : « لينفق الرجل بالقصد وبلغة الكفاف ، ويقدم منه الفضل لآخرته ، فان ذلك أبقى للنعمة وأقرب الى المزيد من الله تعالى ، وانفع في العافيـة » . وقال الصادق ـ عليه السلام ـ : « إن القصد أمر يحبه الله ، وأن السرف أمر يبغضه الله ، حتى طرحك النواة ، فانها تصلح لشيء ، وحتى صبك فضل شرابك (٢) وقال ـ عليه السلام ـ : « ضمنت لمن اقتصد ألا يفتقر » وقال ـ عليه السلام ـ : « إن السرف يورث الفقر ، وان القصـد يورث الغناء » : والأخبار في مدح الاقتصاد أكثر من أن تحصى .

ثم اذا تيسرت له المعيشة في الحال ، فلا ينبغي أن يكون مضطربا لاجل الاستقبال ، ويعتمد على فضل الله ووعده بأن الرزق الذي قدر له يأتيه وإن لم يكن حريصاً ولا مضطربا لأجله ولا يعلم لنفسه مدخلا ياتي رزقه منه . وقال الله تعالى :

« وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاّ عَلى اللهِ رِزْقُهَا » (٣) . وقال : « وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً . وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَحْتَسِبُ » (٤) .

---

(١) صححنا الحديث على ما في (الوافي) : ٥ / ٢٩٥ ، قال فيه : « كلاهما بكسر الميم : اسم آلة من الثروة . والتوى ـ بالمثناة ـ بمعنى الهلاك والتلف »

(٢) صححنا الحديث على ما في (الوافي) : ٥ / ٢٤٥ .

(٣) هود ، الآية : ٦ .　　(٤) الطلاق ، الآية : ٢ ـ ٣ .

وقال رسول الله - صلى الله عليه وآله -: « أبى الله أن يرزق عبده المؤمن إلا من حيث لايحتسب » .

ثم ينبغي ألا ينظر الى من هو فوقه ، بل ينظر الى من هو دونه في التنعم وفي مال الدنيا ، فإن الشيطان يصرف نظره في أمر الدنيا الى من هو فوقه ، ويقول : لم تفتر عن طلب الدنيا وأرباب الأموال يتنعمون في المطاعم والملابس؟ ويصرف نظره في امر الدين الى من هو دونه ، ويقول: لم تضيق على نفسك وتخاف الله وفلان أعلم منك ولا يخاف الله؟ قال أبو ذر (ره) : « أوصاني خليلي رسول الله أن انظر الى من هو دوني ، لا الى من هو فوقي في الدنيا » . وقال صلى الله عليه وآله : « اذا نظر احدكم الى من فضله الله عليه في المال والخلق ، فلينظر الى من هو أسفل منه » .

ومنها :



الطمع

وهو التوقع من الناس في أموالهم ، وهو أيضاً من شعب حب الدنيا ومن انواعه ، ومن الرذائل المهلكة . قال رسول الله صلى الله عليه وآله « اياك والطمع ، فانه الفقر الحاضر » . وقال أمير المؤمنين عليه السلام: « استغن عمن شئت تكن نظيره ، وارغب الى من شئت تكن اسيره ، واحسن الى من شئت تكن اميره » . وقال الباقر عليه السلام : « بئس العبد عبد له طمع يقوده ، وبئس العبد عبد له رغبة تذله » وقيل للصادق عليه السلام : ما الذي يثبت الايمان في العبد ؟ قال : « الورع

والذي يخرجه منه الطمع » (١) والاخبار في ذم الطمع كثيرة ، وكفى به ذماً أن كل طامع يكون ذليلا مهيناً عند الناس ، وأن وثوقه بالناس واعتماده عليهم أكثر من وثوقه بالله ، إذ لو كان اعتماده على الله أكثر من اعتماده على الناس لم يكن نظره اليهم ، بل لم يطمع من أحد شيئاً إلا من الله سبحانه .

وصل

الاستغناء عن الناس

ضد الطمع هو (الاستغناء عن الناس) وهو من الفضائل الموجبة لتقرب العبد الى الله سبحانه ، إذ من استغنى بالله عن غير الله أحبه الله. والأخبار الآمرة بالاتصاف به والمادحة له كثيرة . قال رسول الله صلى الله عليه وآله : « ليس الغنى عن كثرة العروض ، إنما الغنى غنى النفس » وقال لأعرابي طلب منه موعظة : « اذا صليت فصل صلاة مودع ، ولا تحدثن بحديث تعتذر منه غداً ، واجمع اليأس عما في أيدى الناس » . وقال صلى الله عليه وآله : « عليك باليأس عما في أيدي الناس ، فإنه الغنى الحاضر » . وقال أمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ : « ليجتمع في قلبك الافتقار الى الناس والاستغناء عنهم ، فيكون افتقارك اليهم في لين كلامك وحسن بشرك ، ويكون استغناؤك عنهم في نزاهة عرضك وبقاء عزك »

(١) صححنا الحديث على (الكافي) في باب الطمع كما اثبتناه ، لكن في (سفينة البحار) : ٢ / ٩٣ ، رواه عن الصادق ـ عليه السلام ـ هكذا : « قال : قلت : ما الذي يثبت الايمان في قلب العبد ؟ قال : الذي يثبته فيه الورع ، والذى يخرجه منه الطمع » .

وقال سيد الساجدين - عليه السلام - : « رأيت الخير كله قد اجتمع في قطع الطمع عما في ايدى الناس ، ومن لم يرج الناس في شيء ، ورد أمره الى الله تعالى في جميع أموره ، استجاب الله تعالى له في كل شيء » . وقال الباقر - عليه السلام - : « سخاء المرء عما في ايدى الناس اكثر من سخاء النفس والبـذل ، ومروة الصبر في حال الفاقة والحاجة والتعفف والغنى اكثر من مروة الاعطاء ، وخير المال الثقة بالله واليأس مما في ايدى الناس » وقال - عليه السلام - : « اليأس مما في ايدى الناس عز المؤمن في دينه » وقال الصادق عليه السلام : « شرف المؤمن قيام الليل ، وعزه استغناؤه عن الناس » . وقال - عليه السلام - : « شيعتنا من لايسأل الناس ، ولو مات جوعا » . وقال - عليه السلام - : « ثلاث هنّ فخر المؤمن وزينته في الدنيا والآخرة : الصلاة في آخر الليل ، ويأسه مما في أيدي الناس ، وولايته للامام من آل محمد - عليهم السلام - » . وقال عليه السلام : « إذا أراد أحدكم ألا يسأل ربه شيئاً إلا اعطاه ، فلييأس من الناس كلهم ولا يكون له رجاء الا عند الله ، فاذا علم الله ذلك من قلبه ، لم يسأل الله شيئاً إلا أعطاه (١) ثم طريق العلاج في قطع الطمع وكسب الاستغناء قريب مما ذكر في علاج إزالة الحرص وتحصيل القناعة ، فتذكر .

(١) صححنا الاحاديث هنا - ابتداء من الحديث المروي عن علي - عليه السلام - على (الكافي) : باب الاستغناء عن الناس . و (الوسائل) : كتاب الزكاة ، ابواب الصدقة ، الباب ٣٧ .

ومنها :

البخل

وهو الامساك حيث ينبغي البذل ، كما أن الاسراف هو البذل حيث ينبغي الامساك ، وكلاهما مذمومان ، والمحمود هو الوسط ، وهو الجود والسخاء . إذ لم يؤمر رسول الله صلى الله عليه وآله إلا بالسخاء ، وقيل له :

« وَلاَ تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلاَ تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ » (١) . وقال تعالى : « وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَاماً (٢) .

فالجود وسط بين الاقتار والاسراف ، وبين البسط والقبض ، وهو تقدير البذل والامساك بقدر الواجب اللائق . ولا يكفي في تحقق الجود والسخاء أن يفعل ذلك بالجوارح مالم يكن قلبه طيبا غير منازع له فيه . فان بذل في محل وجوب البذل ونفسه تنازعه وهو يضابرها فهو متسخ وليس بسخي ، بل ينبغي ألا يكون لقلبه علاقة مع المال إلا من حيث يراد المال له ، وهو صرفه الى مايجب أو ينبغي صرفه اليه .

(١) الاسراء ، الآية : ٢٩ .

(٢) الفرقان ، الآية : ٦٧ .

فصل

ذم البخل

البخل من ثمرات حب الدنيا ونتائجه ، وهو من خبائث الصفات ورذائل الأخلاق . ولذا ورد في ذمه ماورد من الآيات والأخبار . قال الله سبحانه :

« الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ . . . » (١) . وقال تعالى: « وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْراً لَهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » (٢) .

وقال رسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ : « إياكم والشح ، فانه أهلك من كان قبلكم ، حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم » وقال صلى الله عليه وآله : « لايدخل الجنة بخيل ولا خب ولا خائن ولا سيء الملكة » . وقال ـ صلى الله عليه وآله ـ : « البخيل بعيد من الله ، بعيد من الناس ، بعيد من الجنة ، قريب من النار . وجاهل سخي أحب الى الله من عابد بخيل ، وأدوى الداء البخل » (٣) وقال ـ صلى الله عليه وآله ـ : « الموبقات ثلاث : شح مطاع ، وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه » . وقال ـ صلى الله عليه وآله ـ : « إن الله يبغض

(١) النساء ، الآية : ٣٦ .

(٢) آل عمران ، الآية : ١٨٠ .

(٣) الاحاديث كلها عامية ، صححناها على (احياء العلوم) و (احياء الاحياء)

الشيخ الزانى ، والبخيل المنان ، والمعيل المختال » : وقال - صلى الله عليه وآله - « إياكم والشح ، فانما هلك من كان قبلكم بالشح ، امرهم بالكذب فكذبوا ، وأمرهم بالظلم فظلموا ، وأمرهم بالقطعية فقطعوا » (١) وقال - صلى الله عليه وآله - : « البخل شجرة تنبت في النار ، فلا يلج النار إلا بخيل » . وقال : « خلق البخل من مقته ، وجعل رأسه راسخاً فى أصل شجرة الزقوم ، ودلى بعض أغصانها الى الدنيا ، فمن تعلق بغصن منها أدخله النار . ألا إن البخل من الكفر ، والكفر فى النار » . وقتل في الجهاد رجل من أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وآله - فبكته باكية وقالت : واشهيداه ! فقال النبي - صلى الله عليه وآله - : « ما يدريك إنه شهيد ؟ فلعله كان يتكلم بما لا يعنيه ، أو يبخل بما لا ينقصه » . وقال - صلى الله عليه وآله - : « إن الله يبغض البخيل في حياته ، والسخى عند موته » . وقال - صلى الله عليه وآله - : « السخي المجهول احب الى الله عز وجل من العابد البخيل » . وقال : « الشح والايمان لايجتمعان في قلب واحد » . وقال أيضاً : « خصلتان لاتجتمعان في مؤمن : البخل وسوء الخلق » . وقال صلى الله عليه وآله : « لا ينبغي للمؤمن أن يكون بخيلا ولا جبانا » وقال - صلى الله عليه وآله - : « يقول قائلكم : الشحيح أعذر من الظالم . وأي ظلم أظلم عند الله من الشح ؟ حلف الله بعزته وعظمته وجلاله لايدخل الجنة شحيح ولا بخيل » . وقال : « اللهم إني أعوذ بك من البخل ! » . وروى : « أنه - صلى الله عليه وآله - كان يطوف بالبيت ، فاذا رجل متعلق باستار الكعبة وهو يقول : بحرمة هذا البيت إلا غفرت لي ذنبي ! قال رسول الله - صلى الله عليه وآله - :

(١) صححنا الحديث (على البحار) : ج٣ من المجلد الخامس عشر ص ١٤٣ وكذا الحديث المتقدم .

وما ذنبك ؟ صفه لي . قال : هو أعظم من أن أصفه لك . قال ويحك ! ذنبك أعظم أم الأرضون ؟ قال : بل ذنبي يارسول الله . قال صلى الله عليه وآله ويحك ! ذنبك أعظم أم الجبال ؟ قال : بل ذنبي يارسول الله . قال - صلى الله عليه وآله - : فذنبك أعظم أم البحار ؟ قال : بل ذنبي يارسول الله قال - صلى الله عليه وآله - : فذنبك أعظم أم السماوات ؟ قال : بل ذنبي يارسول الله . قال : ذنبك أعظم أم العرش ؟ قال : بل ذنبي يارسول الله . قال : ذنبك أعظم أم الله ؟ قال : بل الله اعظم وأعلى وأجل . قال : ويحك اتصف لي ذنبك . قال : يارسول الله ، إني رجل ذو ثروة من المال ، وأن السائل ليأتيني ليسألني فكأنما يستقبلني بشعلة من النار . فقال رسول الله - صلى الله عليه وآله - : اليك عني ! لا تحرقني بنارك ! فو الذى بعثني بالهداية والكرامة ، لو قمت بين الركن والمقام ، ثم صليت الفى الف عام ، وبكيت حتى تجرى من دموعك الانهار وتسقى بها الاشجار ، ثم مت وأنت لئيم ، لأكبك الله في النار ! ويحك ! أما علمت أن الله يقول :

« وَمَنْ يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَنْ نَفْسِهِ » (١) .

« وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ » ؟! (٢) .

وقال أمير المؤمنين - عليه السلام - : « سيأتي على الناس زمان عضوض ، يعض المؤمن على مافي يديه ، ولم يؤمر بذلك . قال الله تعالى :

---

(١) محمد ، الآية : ٣٨ .

(٢) الحشر ، الآية : ٩ . التغابن ، الآية : ١٦ .

« وَلاَ تَنْسَوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ » (١) .

وروى : « أنه مامن صباح إلا وقد وكل الله تعالى ملكين يناديان : اللهم اجعل لكل ممسك تلفاً ، ولكل منفق خلفاً ! » . والأخبار في ذم البخل اكثر من أن تحصى ، مع أن تضمنه للمفاسد الدنيوية والأخروية مما يحكم به الوجدان ولا يحتاج الى دليل وبرهان ، حتى أن النظر الى البخيل يقسى القلب ، ومن كان له صفاء سريرة ، يكرب قلبه ويظلم من ملاقاته وقد قيل : (أبخل الناس بماله أجودهم بعرضه) .

وصل

السخاء

ضد البخل (السخاء) . وقد عرفت معناه ، وهو من ثمرة الزهد كما أن البخل من ثمرة حب الدنيا . فينبغي لكل سالك لطريق الآخرة أن يكون حاله القناعة إن لم يكن له مال ، والسخاء واصطناع المعروف إن كان له مال . ولا ريب في كون الجود والسخاء من شرائف الصفات ومعالي الأخلاق ، وهو أصل من أصول النجاة ، وأشهر اوصاف النبيين واعرف اخلاق المرسلين . وما ورد في مدحه خارج عن حد الاحصاء ، قال رسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ : « السخاء شجرة من شجر الجنة أغصانها متدلية الى الأرض ، فمن أخذ منها غصناً قاده ذلك الغصن الى الجنة » . وقال ـ صلى الله عليه وآله ـ : « إن السخاء من الايمان في الجنة » وقال صلى الله عليه وآله : « السخاء شجرة تنبت في الجنة ، فلا

(١) البقرة ، الآية : ٢٣٧ .

يلج الجنة إلا سخي ». وقال صلى الله عليه وآله : « قال الله سبحانه إن هـذا دين ارتضيته لنفسي ، ولن يصلحه إلا السخاء وحسن الخلق ، فاكرموه بهما ما استطعتم » .. وقال ـ صلى الله عليه وآله ـ : « ما جعل الله أولياءه إلا على السخاء وحسن الخلق ». وقال ـ صلى الله عليه وآله ـ: « إن من موجبات المغفرة : بذل الطعام . وافشاء السلام ، وحسن الكلام ». وقال ـ صلى الله عليه وآله ـ . « إن السخي قريب من الله ، قريب من الناس ، قريب من الجنة ، بعيد من النار ». وقال ـ صلى الله عليه وآله ـ : « تجافوا عن ذنب السخي ، فان الله آخذ بيده كلما عثر » وقال صلى الله عليه وآله : « طعام الجواد دواء ، وطعام البخيل داء » (١) وقال ـ صلى الله عليه وآله ـ : « أفضل الأعمال : الصبر والسماحة ». وقال ـ صلى الله عليه وآله ـ : « خلقان يحبهما الله ، وهما : حسن الخلق ، والسخاء » وقال ـ صلى الله عليه وآله ـ : « إن الله جواد يحب الجود ، ويحب معالي الأخلاق ، ويكره سفاسفها » : وقال ـ صلى الله عليه وآله ـ : « الرزق الى مطعم الطعام اسرع من السكين الى ذروة البعير ، وان الله تعالى ليباهي بمطعم الطعام الملائكة ـ عليهم السلام ـ : ». وقال ـ صلى الله عليه وآله ـ « إن لله عباداً يخصهم بالنعم لمنافع العباد ، فمن بخل بتلك المنافع عن العباد ، نقلها الله عنه وحولها الى غيره ». وقال ـ صلى الله عليه وآله ـ : « الجنة دار الاسخياء ». وقال ـ صلى الله عليه وآله ـ : « لشاب سخي مرهق في الذنوب ، أحب الى الله من شيخ عابد بخيل (٢) وقال صلى الله عليه وآله : « اصنع المعروف الى من هو أهله والى من ليس بأهله ، فان

(١) (البحار) : ٢ مج ١٥ / ٢٢١ ، باب السخاء والسماحة .

(١) صححنا الحديث على (البحار) في الموضع المتقدم : (الشحيح) بدل (البخيل) .

أصبت أهله فقد أصبت أهله ، وإن لم تصب أهله فأنت من أهله » : وقال - صلى الله عليه وآله - : « إن بدلاء أمتي لم يدخلوا الجنة بصلاة ولا صيام ، ولكن دخلوها بسخاء الأنفس ، وسلامة الصدور ، والنصح للمسلمين » . وقال صلى الله عليه وآله : « إن الله عزوجل جعل للمعروف وجوهاً من خلقه ، حبب اليهم المعروف وحبب اليهم فعاله ، ووجه طلاب المعروف اليهم ويسر عليهم إعطاءه ، كما ييسر الغيث الى البلدة الجدبة فيحييها ويحيي بها أهلها » . وقال - صلى الله عليه وآله - : « السخي محبب في السماوات ومحبب في الأرضين ، خلق من طينة عذبة ، وخلق ماء عينيه من ماء الكوثر ، والبخيل مبغض في السماوات مبغض في الأرضين ، خلق من طينة سبخة ، وخلق ماء عينيه من ماء العوسج » : - وقال - صلى الله عليه وآله - : « إن أفضل الناس إيماناً أبسطهم كفاً » : وقال - صلى الله عليه وآله - : « يؤتى يوم القيامة برجل ، فيقال : احتج فيقول : يارب ، خلقتني وهديتني ، وأوسعت علي فلم أزل اوسع على خلقك ، وأنشر عليهم لكي تنشر علي هذا اليوم رحمتك وتيسره : فيقول الرب - تعالى ذكره - : صدق عبدي ، أدخلوه الجنة » : وروى : « أنه أتى النبي - صلى الله عليه وآله - وفد من اليمن ، وفيهم رجل كان أعظمهم كلاماً وأشدهم استقصاء في محاجة النبي صلى الله عليه وآله فغضب النبي حتى التوى عرق الغضب بين عينيه ، وتربد وجهه وأطرق الى الأرض فأتاه جبرئيل عليه السلام فقال : ربك يقول لك : هذا رجل سخي يطعم الطعام . فسكن عن النبي - صلى الله عليه وآله - الغضب ، ورفع رأسه وقال : لولا أن جبرئيل أخبرني عن الله عز وجل أنك سخي تطعم الطعام لشردت بك ، وجعلتك حديثاً لمن خلفك ! فقال له الرجل : إن ربك يحب السخاء ؟ فقال : نعم ! فقال : إني أشهد ألا إله إلا الله ، وأنك

رسول الله ، والذي بعثك بالحق ، لارددت عن مالي أحدا ! » (١) ، وقال صلى الله عليه وآله : « كل معروف صدقة ، وكل ما أنفق الرجل على نفسه وأهله كتب له صدقة ، وما وقى المرء به عرضه فهو له صدقة وما وقى المرء به عرضه فهو اه صدقة ، وما أنفق الرجل من نفقة فعلى الله خلفها » . وقال - صلى الله عليه وآله - : « كل معروف صدقة ، والدال على الخير كفاعله ، والله تعالى يحب اغاثة اللهفان » . وروى : « أنه أوحى الله الى موسى - عليه السلام - : لاتقتل السامرى ، فإنه سخى » (٢) وقال عيسى عليه السلام : « استكثروا من شيء لاتأكله النار » قيل : وما هو ؟ قال : « المعروف » . وقال أمير المؤمنين عليه السلام « ومن يبسط يده بالمعروف إذا وجده ، يخلف الله له ما أنفق في دنياه ، ويضاعف له في آخرته » (٣) . وقال الباقر - عليه السلام - : « إن الشمس لتطلع ومعها اربعة أملاك:ملك ينادى : ياصاحب الخير أتم وابشر وملك ينادى ياصاحب الشر انزع واقصر ، وملك ينادى : اعط منفقاً خلفاً وآت ممسكا تلفاً،وملك ينضح الأرض بالماء ، ولولا ذلك اشتعلت الأرض » .وقال الصادق عليه السلام لبعض جلسائه : « ألا اخبرك بشيء تقرب به من الله وتقرب من الجنة وتباعد من النار ؟ » ، فقال : بلى . فقال : « عليك بالسخاء » . وقال : « خياركم سمحاؤكم ، وشراركم بخلاؤكم . ومن خالص الايمان : البر بالاخوان والسعي في حوائجهم ، وأن البار بالاخوان

---

(١) صححنا الحديث على (سفينة البحار) : ١ / ٦٠٧ ، وعلى (الوافي) : ٥ / ٢٩٣ ، في باب الجود والبخل . لكن بينهما اختلاف يسير ، فرجحنا تصحيح الحديث على مافي (السفينة) .

(٢) الروايات كلها عامية ، صححناها على احياء العلوم : ٣ / ٢١٠ .

(٣) صححنا الحديث على (الوافي) : ٥ / ٢٩٤ ، باب الجود والبخل .

ليحبه الرحمن ، وفي ذلك مرغمة للشيطان ، وتزحزح عن النيران ودخول الجنان » . وقال الكاظم عليه السلام : « السخي الحسن الخلق في كنف الله ، لايستخلي الله منه حتى يدخله الجنة . وما بعث الله نبياً ولا وصياً إلا سخياً ، ولا كان أحد من الصالحين إلا سخياً ، وما زال أبي يوصيني بالسخاء حتى مضى » .

فصل

معرفة مايجب أن يبذل

لعلك تقول : إنك قلت : السخاء هو الوسط بين الاقتار والاسراف وهو صرف المال الى مايجب أو ينبغي صرفه اليه ، وهذا غير كاف لمعرفة حد السخاء ، لتوقفه على معرفة مايجب أو ينبغي ، وهو عندنا مبهم .

قلنا : مايجب أوينبغي يتناول الواجب واللائق بحسب الشرع والمروة والعادة . فالسخي هو الذي يؤدي واجب الشرع وواجب المروة والعادة جميعاً ، فان منع واحداً منها فهو بخيل ، وإن كان الذي يمنع واجب الشرع أبخل . ثم مايجب بذله شرعاً مضبوط معين ، من الزكاة والخمس وغيرهما من أطيب ماله أو وسطه دون الخبيث منه ، والانفاق على أهله وعياله على قدر احتياجهم . فمن أدى جميع ذلك فقد أدى الواجب الشرعي ويستحق اسم السخي شرعاً ، إذا كان الأداء بطيبة من قلبه ، من دون أن يشق عليه ، إذ لو شق عليه ذلك كان بخيلا بالطبع ومتسخياً بالتكلف وأما مايجب مروة وعادة ، فهو ترك المضايقة في بذل مايستقبح المضايقة فيه عرفاً وعادة ، وهو يختلف في الأحوال والاشخاص ، فتستقبح من الغني المضايقة مالا يستقبح من الفقير ، ومع الأهل والأقارب مالا يستقبح

مع الأجانب، ومع الجار مالا يستقبح من البعيد، وفي الضيافة مالا يستقبح أقل منه في المبايعة والمعاملة، ويستقبح من المضايقة في الأطعمة مالا يستقبح في غيرها . وبالجملة : يختلف ذلك بما فيه المضايقة من ضيافة أو معاملة وبما فيه المضايقة من طعام أو ثوب أو فرش أو غير ذلك . وبمن معه المضايقة من صديق أو قريب أو جار أو أجنبي أو بعيد، وبمن منه المضايقة من غني أو فقير أو أمير أو رعية أو عالم أو جاهل أو صبي أو كامل . فالسخي هو الذي لايمنع حيث ينبغي ألا يمنع شرعاً أو مروة أو عادة، والبخيل من يمنع شيئاً مما ينبغي ألا يمنع شرعاً أومروة أوعادة . ولايمكن التنصيص على مقدار ذلك، فلعل حد البخل هو امساك المال لغرض وذلك الغرض أهم من حفظ المال، وفي مقابله الجود والسخاء .

ثم من يؤدى الواجب ويحفظ العادة والمروة، ولكن له مال كثير قد جمعه، لايصرفه الى المحتاجين ولا ينفقه في الصدقات المستحبة ليكون له عدة على نوائب الزمان، وإن لم يكن بخيلا عند عوام الخلق، ولكنه بخيل عند أهل الفطانة والكياسة . إذ التبرى عن البخل والاتصاف بصفة الجود والسخاء لايتحقق عندهم مالم يبذل زيادة على قدر واجب الشرع وواجب المروة والعادة اللائقة به، لطلب الفضيلة والثواب، ونيل الدرجات في الآخرة . وتختلف هذه الزيادة باختلاف مقدار ماله، وباختلاف حاجة المحتاجين وصلاحهم وورعهم . فاتصافه بالجود، بقدر ماتتسع اه نفسه من قليل أو كثير، وتختلف درجات ذلك . فاصطناع المعروف أمر وراء ماتوجبه العادة والمروة، وهو الجود بشرط أن يكون عن طيبة من النفس ولا يكون لأجل غرض، من خدمة أو مدح وثناء . إذ من يبذل المال بعوض المدح والثناء أو غيره فليس بجواد، بل هو بياع يشترى المدح بماله، لكون المدح ألذ عنده من المال .

فالجود هو بذل الشيء عن طيبة من القلب من غير غرض ، وهذا وإن كان حقيقته ، إلا انه لايتصور في غير حق الله ، إذ ما من انسان يبذل الشيء إلا لغرض ، لكن إذا لم يكن غرضه إلا الثواب في الآخرة ورفع الدرجات ، واكتساب فضيلة الجود ، وتطهير النفس عن رذيلة البخل ، سمى جواداً ، وإن كان غرضه شيئاً من الأمور الدنيوية لم يسم جواداً .

تنبيه

الإيثار

أرفع درجات الجود والسخاء (الايثار) ، وهو أن يجود بالمال مع الحاجة اليه . قال الله سبحانه في معرض الثناء على أهل الايثار :

« وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ » (١) .

وقال رسول الله - صلى الله عليه وآله - : أيما امرؤ اشتهى شهوة، فرد شهوته وآثر على نفسه ، غفر له » .

وكان الايثار من شعار رسول الله - صلى الله عليه وآله - ، ولقد قالت بعض زوجاته : « إنه - صلى الله عليه وآله - ماشبع ثلاثة أيام متوالية حتى فارق الدنيا ، ولو شئنا لشبعنا ، ولكنا كنا نؤثر على أنفسنا » وروى : « أن موسى بن عمران قال : يارب ، أرني بعض درجات محمد وامته . قال : ياموسى ، إنك لن تطيق ذلك ، لكني اريك منزلة من منازله ، جليلة عظيمة ، فضلته بها عليك وعلى جميع خلقي . قال (٢) :

(١) الحشر ، الآية : ٩.

(٢) أي الراوي .

فكشف له عن ملكوت السماوات ، فنظر الى منزلة كادت أن تتلف نفسه من أنوارهـا وقربها من الله ، فقال : يارب ، بماذا بلـغ الى هـذه الكرامة ؟ قال تعالى : بخلق اختصصته به من بينهم ، وهو الايثار ياموسى لايأتيني أحد منهم قد عمل به وقتاً من عمره إلا استحييت من محاسبته ، وبوأته من جنتي حيث يشاء » وسئل الصادق - عليه السلام - : « أي الصدقة أفضل ؟ قال عليه السلام : جهـد المقل . أما سمعت قول الله عز وجل : ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ؟ » وإيثار علي - عليه السلام - غيره في جميع أوقات عمره مشهور ، وفي الكتب مسطور ولقد آثر حياة رسول الله - صلى الله عليه وآله - على حياته ليلة المبيت فباهى الله به الملائكة ، وأنزل فيه :

« وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللهِ » (١) .

ولقـد كان الخواص من شيعته والمقتدون به في سنتـه وسيرته ، يجتهدون في المحافظة على هذه الفضيلة مهما أمكن .

فصل

علاج مرض البخل

علاج مرض البخل يتم بعلم وعمل . والعلم يرجع الى معرفة آفة البخل وفائدة الجود ، والعمل يرجع الى البذل على سبيل التكلف الى أن يصير طبعاً له . فكل طالب لازالة البخل وكسب الجود ينبغي أن يكثر التأمل في اخبار ذم البخل ومدح السخاء ، وما توعد الله به على البخل من العذاب

(١) البقرة ، الآية : ٢٠٧ .

العظيم ، ويكثر التأمل في أحوال البخلاء وفي نفرة الطبع عنهم ، حتى يعرف بنور المعرفة أن البذل خير له من الامساك في الدنيا والآخرة . ثم يكلف نفسه على البذل ومفارقة المال ، ولا يزال يفعل ذلك الى أن يهيج رغبته في البذل ، وكلما تحركت الرغبة ينبغي ان يجتنب الخاطر الأول ولايتوقف لأن الشيطان يعده الفقر ويخوفه ويوسوسه بانواع الوساوس الصادة عن البـــذل .

ولو كان مرض البخل مزمناً غير مندفع بما مر ، فمن معالجاته أن يخدع نفسه بحسن الاسم والاشتهار بالجود ، فيبذل على قصد الرياء ، حتى تسمح نفسه بالبذل طمعاً في الاشتهار بصفة الجود ، فيكون قد زال عن نفسه رذيلة البخل واكتسب خبث الرياء ، ولكن يتعطف بعد ذلك على الرياء ويزيله بعلاجه ، ويكون طلب الشهرة والاسم كالتسلية للنفس عند فطامها عن المال ، كما يسلى الصبي عند فطامه عن الثدى باللعب بالعصافير وغيرها لا لكون اللعب مطلوبا بذاته ، بل لينتقل من الثدى اليه ثم ينتقل عنه الى غيره . فكذلك هذه الصفات الخبيثة ينبغي أن يسلط بعضها على بعض حتى يندفع الجميع ، فتسلط الشهوة على الغضب حتى تكسر سورته بها ، ويسلط الغضب على الشهوة حتى تكسر رعونتها به . وقـــد جرت سنة الله بدفع المؤذيات والمهلكات بعضها ببعض ، الى أن يندفع الجميع ، سواء كانت من الصفات المؤذية أو من الاشخاص المؤذية من الظلمة والأشرار ، ألا ترى انه يسلط الظالمين والأشرار بعضهم على بعض الى أن يهلك الجميع؟

ومثال ذلك - كما قيل - : ان الميت تستحيل جميع اجزائه دوداً ، ثم يأكل بعض الديدان بعضاً ، الى ان يرجع الى اثنين قويين ، ثم لايزالان يتقابلان ويتعارضان ، الى أن يغلب احدهما الآخر فيأكله ويسمن به ، ثم لايزال يبقى وحـــده جائعاً الى أن يموت . فكذلك هذه الصفات الخبيثة

يمكن أن يسلط بعض على بعضها حتى يقمعها ، فيجعل الأضعف قوتا للاقوى ، الى أن لاتبقى إلا واحدة . ثم تقع العناية بمحوها واذابتها بالمجاهدة ، وهو منع القوت منها ، أى عدم العمل بمقتضاها ، فانها تقتضي لامحالة آثاراً ، فاذا خوالفت خمدت وماتت . مثلا البخل يقتضى إمساك المال ، فاذا منع مقتضاه وبذل المال مع الجهد والمشقة مرة بعد أخرى ، ماتت صفة البخل وصارت صفة البذل طبعاً ، وسقط التعب والمشقة فيه .

ثم العمدة في علاجه أن يقطع سببه ، وسببه حب المال ، وسبب حب المال إما حب الشهوات التي يتوقف الوصول اليها على المال مع طول الأمل ، إذ لو لم يكن له طول أمل وعلم أنه يموت بعد أيام قلائل ربما لم يبخل بماله ، أو ادخاره وإبقاؤه لأولاده ، فانه يقدر بقاءهم كبقاء نفسه ، فيمسك المال لاجلهم ، أوحبه عين المال من حيث إنه مال فيحب فان بعض الناس من المشايخ والمعمرين يكون له من المال مايكفيه لغاية مايتصور من بقية عمره ، وتزيد معه اموال كثيرة ، ولا ولد له ليحتاط لأجله ، مع ذلك لاتسمح نفسه باخراج مثل الزكاة ومداواة نفسه عند المرض ، بل هو محب للدنانير ، عاشق لها ، يتلذذ بوجودها في يده ، مع علمه بأنه عن قريب يموت ، فتضيع أو تأخذها اعداؤه ، ومع ذلك لاتسمح نفسه بأن يأكل منها أو يتصدق ببعضها . وهذا مرض عسر العلاج ، لاسيما في كبر السن ، إذ حينئذ يكون المرض مزمناً والطبيعة المدافعة له قاصرة والبدن ضعيفاً . ومثله مثل من عشق شخصاً فاحب رسوله ، ثم نسى محبوبه واشتغل برسوله . فان الدنانير رسول مبلغ الى الحاجات ، وهي محبوبة من هذه الحيثية ، لامن حيث أنها دنانير ، فمن نسى الحاجات وصارت الدنانير محبوبة عنده في نفسها ، فهو في غاية الضلالة والخسران بل من رأى بين الفاضل منها عن قدر الحاجة وبين الحجر فرقا ، فهو

في غاية الجهل .

ثم لما كان الطريق في قطع سبب كل علة أن يواظب على ضد هذا السبب ، فيعالج حب الشهوات بالقناعة باليسير وبالصبر ، ويعالج طول الأمل بكثرة ذكر الموت والنظر في موت الاقران وطول تعبهم في جمع المال وضياعه بعدهم ، ويعالج التفات القلب الى الأولاد بأن الذى خلقهم خلق ارزاقهم ، وكم من ولد لم يرث مالا من أبيه وحاله أحسن ممن ورث ، وبأن يعلم أن ولده إن كان تقياً صالحاً فيكفيه الله ، وإن كان فاسقاً فيستعين بماله على المعصية وترجع مظلمته عليه ، ويعالج حب المال من حيث أنه مال ، بأن يتفكر في مقاصد المال وانه لماذا خلق ، فلا يحفظ منه إلا بقدر حاجته ، ويبذل الباقي على المستحقين ليبقى له ثوابه في الآخرة .

تذنيب

اعلم أن بذل الأموال وانفاقها المترتب على صفة الجود والسخاء يتناول اموراً : بعضها واجب ، وبعضها مندوب . وقد ورد في فضيلة كل منها بخصوصه أخبار ، فلا بد لنا أن نشير الى ذلك تأكيداً لبيان فضل السخاء ، والى بعض مالها من الآداب والدقائق الباطنة ، ونحيل مالها من الأحكام والشروط الظاهرة الى كتب الفقه ، فنقول :

اما الأمور الواجبة ، فأولها:

الزكاة

والآيات والأخبار الواردة في ذم تاركها ومـدح فاعلها كثيرة . قال الله سبحانه :

« فَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ » (١) . وقال تعـالى : « وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلاَ يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ » (٢) .

ومعنى الانفاق في سبيل الله اخراج الزكاة ، كما ورد عن أهل البيت ـ عليهم السلام ـ ، وأجمع عليه المفسرون . وقال رسول الله صلى الله عليه وآله : « اذا منعت الزكاة منعت الأرض بركاتها » . وقال الباقر ـ عليه السلام ـ : « إن الله عز وجل قرن الزكاة بالصلاة ، قال :

« فَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ » (٣) .

فمن أقام الصلاة ولم يؤت الزكاة ، فلم يقم الصلاة » . وقال الصادق ـ عليه السلام ـ : « مامن ذى مال ذهب أو فضة يمنع زكاة ماله ، إلا حبسه الله يوم القيامة بقاع قرقر ، وسلط عليه شجاعاً اقرع يريده وهو يحيد عنه ، فاذا رأى أنه لايتخلص منه ، أمكنه من يده ، فقضمها كما يقضم الفحل ، ثم يصير طوقا في عنقه ، وذلك قول الله تعالى :

(١) و (٣) الحج ، الاية : ٧٨ ـ المجادلة ، الاية : ١٣ :

(٢) التوبة ، الاية : ٣٥ .

« سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » (١) .

وما من ذى مال إبل أو غنم أو بقر يمنع زكاة ماله ، إلا حبسه الله يوم القيامة بقاع قرقر ، تطأه كل ذات ظلف بظلفها ، وتنهشه كل ذات ناب بنابها ، وما من ذى مال نخل أو كرم أوزرع يمنع زكاتها ، إلا طوقه الله تعالى ربعة ارضه الى سبع أرضين الى يوم القيامة » (٢) .
وقال عليه السلام : « مافرض الله على هذه الأمة شيئاً أشد عليهم من الزكاة ، وفيها تهلك عامتهم » . وقال : « من منع قيراطاً من الزكاة ، فليس بمؤمن ولا مسلم ، وهو قوله تعالى :

« قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ، لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحاً فِيمَا تَرَكْتُ » (٣)

وقال عليه السلام : « إنما وضعت الزكاة اختباراً للاغنياء ، ومعونة للفقراء . ولو أن الناس ادوا زكاة اموالهم ، مابقى مسلم فقيراً محتاجا ، ولاستغنى بما فرض الله له . وان الناس مافتقروا ولا احتاجوا ولا جاعوا ولا عروا إلا بذنوب الأغنياء ، وحقيق على الله أن يمنع رحمته ممن منع حق الله في ماله . واقسم بالذي خلق الخلق وبسط الرزق : أنه ماضاع

(١) آل عمران ، الآية: ١٨٠ .

(٢) قال في (الوافي) : ٦ / ٢٤١،باب الزكاة : « بيان (القاع) : الأرض السهلة المطمئنة . و (القرقر) : الأرض المستوية اللينة . و (الشجاع) - بالضم والكسر - : الحية ، أو الذكر منها ، أو ضرب منها . و (الفحل) - بالمهملة - : الذكر من كل حيوان ، ومن الابل خاصة ، وهو المراد هنا . (الربع) - بكسر الراء وفتحها - المرتفع من الأرض » .

(٣) المؤمنون ، الآية : ٩٩ — ١٠٠ .

مال في بر ولا بحر إلا بترك الزكاة ، وما صيد صيد في بر ولا بحر إلا بتركه التسبيح في ذلك اليوم ، وإن أحب الناس الى الله تعالى أسخاهم كفاً وأسخى الناس من أدى زكاة ماله ، ولم يبخل على المؤمنين بما افترض الله لهم في ماله » . وقال عليه السلام « إن الزكاة ليس يحمد بها صاحبها وإنما هو شيء ظاهر حقن بها دمه وسمي بها مسلما ، ولو لم يؤدها لم تقبل له صلاة » (١) . والأخبار في فضل الزكاة وذم تاركها اكثر من أن تحصى ، وما ذكرناه كاف لايقاظ الطالبين .

فصل

سر وجوب الزكاة ، وفضيلة سائر الانفاقات

السر في ايجاب الزكاة ، بل فضيلة مطلق انفاق المال ، ثلاثة أمور:

الأول - أن التوحيد التام ألا يبقى للموحد محبوب سوى الواحد الفرد ، إذ المحبة لاتقبل الشركة ، والتوحيد باللسان قليل الجدوى ، وانما تمتحن درجة الحب بمفارقة سائر المحاب ، والأموال محبوبة عند الناس ، لأنها آلة تمتعهم بالدنيا ، ولاجلها يأنسون بهذا العالم ، ويخافون من الموت ويتوحشون منه ، مع أن فيه لقاء المحبوب ، فامتحنوا في صدق دعواهم الحب التام لله تعالى بمفارقتهم عن بعض محابهم ، اعني المال ، ولذلك قال الله سبحانه :

« إِنَّ اللهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ

(١) صححنا الاحاديث كلها على (الوافي) : ٦/٢٤١ - ٢٤٢ ، باب الزكاة

لَهُمُ الْجَنَّـــةَ » (١) .

ولفهم هذا السر في بذل الأموال ، انقسم الناس بحسب درجاتهم في التوحيد والمحبة ثلاثة أقسام : (قسم) صدقوا التوحيد ووفوا بعهده ، ولم يجعلوا قلوبهم إلا محلا لحب واحد . فنزلوا عن جميع أموالهم ، ولم يدخروا شيئاً من الدرهم والدينار وغيرهما من انواع المال ، ولم يتعرضوا لوجوب الزكاة عليهم ، حتى قيل لبعضهم : كم يجب من الزكاة فيمائتي درهم ؟ فقال : أما على العوام - بحكم الشرع - فخمسة دراهم ، وأما نحن ، فيجب علينا بذل الجميع . وسئل الصادق - عليه السلام - « في كم تجب الزكاة من المال ؟ فقال : أما الزكاة الظاهرة ، ففي كل الف خمسة وعشرون ، وأما الباطنة ، فلا تستأثر على أخيك بما هو أحوج اليه منك » . و (قسم) درجتهم دون هذا ، وهم الذين أمسكوا اموالهم ، ولكنهم راقبوا مواقيت الحاجات ومراسم الخيرات ، ويكون قصدهم من الامساك الانفاق على قدر الحاجة ، دون التنعم ، وصرف الفاضل عن قدر الحاجة الى وجوه البر . وهؤلاء لايقتصرون على اعطاء مجرد مايجب عليهم من الزكاة والخمس ، بل يؤدون جميع انواع البر والمعروف أو اكثرها و (قسم) اقتصروا على اداء الواجب ، فلا يزيدون عليه ولا ينقصون منه . وهو أدون الدرجات وأقل المراتب ، وهو درجة العوام الراغبين الى المال ، لجهلهم بحقيقته وفائدته ، وضعف حبهم للآخرة .

الثاني — تطهير النفس عن رذيلة البخل ، فانه من المهلكات — كما تقدم — ، وإنما تزول هذه الرذيلة ببذل المال مرة بعد أخرى حتى يتعود إذ حب الشيء لاينقطع إلا بقهر النفس على مفارقته ، حتى يصير ذلك

(١) التوبة . الآية : ١١١ .

اعتياداً . وعلى هذا ، فالانفاق يطهر صاحبه من خبث البخل المهلك ، وإنما طهارته بقدر بذله ، وبقدر فرحه باخراجه واستبشاره بصرفه الى الله تعالى

الثالث — شكر النعمة ، فان لله سبحانه على عبده نعمة في نفسه ونعمة في ماله . فالعبادات البدنية شكر لنعمة البدن ، والمالية شكر لنعمة المال . وما أقبح بالغني المسلم أن ينظر الى فقير مسلم ، وقد ضيق الرزق عليه واحوج اليه ، ثم لاتسمح نفسه بأن يؤدي شكر الله تعالى على اغنائه عن السؤال ، واحواج غيره اليه ، باعطاء عشر أو ربع عشر من ماله .

فصل

الحث على التعجيل في الاعطاء

ينبغي للمعطى المنفق ، عند ظهور داعية الخير من باطنه ، أن يغتنم الفرصة ، ويسارع الى الامتثال ، تعجيلاً لادخال السرور في قلوب الفقراء وحذراً عن عوائق الزمان المانعة عن الخيرات ، وعلماً بأن في التأخير آفات وتنبها بأن انبعاث داعية الخير لمة الملك ، وقلب المؤمن بين اصبعين من أصابع الرحمن ، فما اسرع تقلبه ، والشيطان يعد الفقر ويأمر بالفحشاء والمنكر ، وله لمة عقيب لمة الملك ، وصوناً للفقراء عن الاضطرار الى السؤال ، إذ ورد : ان الاعطاء معه مكافاة لوجهه المبذول وثمن لما أخذ منه ، وليس بمعروف . وروى : « أن أمير المؤمنين عليه السلام بعث الى رجل بخمسة أوساق من تمر البغيبغة ، وكان الرجل ممن ترجى نوافله ، ويؤمل نائله ورفده ، وكان لايسأل علياً ولا غيره شيئاً . فقال رجل لأمير المؤمنين عليه السلام والله ماسألك فلان شيئاً ! ولقد كان يجزيه من الخمسة أو ساق وسق واحد . فقال له أمير المؤمنين عليه السلام : لاكثر

الله في المؤمنين ضربك ! أعطى أنا ، وتبخل أنت ! لله أنت ! إذا أنا لم أعط الذي يرجوني إلا من بعد المسألة ، ثم أعطيه بعد المسألة ، فلم اعطه إلا ثمن ما أخذت منه ، وذلك لأنى عرضته أن يبذل لي وجهه الذى يعفره في التراب لربى وربه عز وجل عند تعبده له وطلب حوائجه اليه . فمن فعل هذا بأخيه المسلم، وقد عرف أنه موضع لصلته ومعروفه ، فلم يصدق الله في دعائه ، حيث يتمنى له الجنة بلسانه ، ويبخل عليه بالحطام من ماله » (١) . ثم ينبغي أن يعين لأداء صدقته وقتاً فاضلا ، كيوم الغدير وشهر ذى الحجة ، (لا) سيما العشرة الأولى ، أو شهر رمضان ، (لا) سيما العشرة الأخيرة . وقد ورد أن رسول الله - صلى الله عليه وآله - كان أجود الخلق ، وكان في رمضان كالريح المرسلة ، لايمسك فيه شيئاً .

فصل

فضيلة اعلان الصدقة الواجبة

الصدقة الواجبة ، أعني الزكاة ، اعلانها أفضل من اسرارها - إن كان في اظهارها ترغيب للناس في الاقتداء ، وأمن من تطرق الرياء ، ولم يكن الفقير بحيث يستحي من أخذها علانية . قال الصادق عليه السلام : « كلما فرض الله عليك فاعلانه افضل من إسراره ، وكلما كان تطوعا فإسراره أفضل من إعلانه ، ولو أن رجلا حمل زكاة ماله على عاتقه علانية كان ذلك حسناً جميلا » . وقال في قوله تعالى :

« وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ » (٢) :

---

(١) صححنا الحديث على (الوافي) : ٦/٢٨٦ ، باب آداب الاعطاء . قال (البغيبغة) ضيعة بالمدينة ، و (النوافل) : العطايا ، و (لله انت !) : أى كن لله وانصفني في القول .

(٢) البقرة ، الآية : ٢٧١ .

« هي ما سوى الزكاة علانية غير سّر » . فلو دخل في نفسه الرياء مع الاظهار ، أو كان الفقير يستحيي من أخذها علانية ، كان الأسرار بها أفضل : أما الأول : فظاهر ، وأما الثاني : فلمـــا روى : « انه قيل لأبي جعفر الباقر عليه السلام : الرجل من أصحابنا يستحيي من أن يأخذ من الزكاة ، فاعطيه من الزكاة ولا أسمى له انها من الزكاة . فقال : اعطه ولا تسم له ، ولا تذل المؤمن » .

وبالجملة : الاعلان كما يتصور فيه فائدة الترغيب ، يتطرق اليه محذور الرياء والمن والأذى ، وذلك يختلف بالأحوال والاشخاص . فبالنظر إلى بعض الأحوال والاشخاص ، يكون الاعلان أفضل ، وبالنظر إلى بعض آخر ، يكون الأسرار أفضل . فلابد لكل منفق أن يلاحظ حاله ووقته ويقابل الفائدة بالمحذور ، ويختار ما هو الأفضل . ومن عرف الفوائد والغوائل ولم ينظر بعين الشهوة ، اتضح له ما هو الأولى والأليق .

فصل

(ذم المن والأذى فى الصدقة)

ينبغي المتصدق أن يجتنب عن المن والأذى . قال الله سبحانه :

« لاَ تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالأَذىٰ » (١) . وقال : « قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذىً » (٢) .

وقال رسول الله — صلى الله عليه وآله — : « إن الله تبارك وتعالى كره لي ست خصال ، وكرهتهن للاوصياء من ولدى وأتباعهم من بعدى :

(١) البقرة ، الآية : ٢٦٤ (٢) البقرة ، الآية : ٢٦٣

العبث في الصلاة ، والرفث في الصوم ، والمن بعد الصدقة ، وإتيان المساجد جنباً ، والتطلع في الوفد ، والضحك بين القبور » .

و (المن) : أن يرى نفسه محسناً . ومن ثمراتها الظاهرة : الاظهار بالانفاق ، والتحدث به ، وطلب المكافاة منه ، بالشكر والخدمة والتعظيم والمتابعة في الأمور . و (الأذى) : التعيير ، والتوبيخ ، والاستخفاف والاستخدام ، والقول السيء ، وتقطيب الوجه ، وهتك الستر . ثم معرفة الأذى ظاهرة ، وكذا معرفة الثمرات الظاهرة للمن . واما المن الباطني ، أى رؤية نفسه محسناً ، فيعرف بأن يكون استبعاده من خيانة القابض بعد العطاء اكثر من استبعاده منه قبله .

وعلاج المن : أن يعرف ان المحسن هو الفقير القابض لايصاله الثواب والانجاء من العذاب ، وكونه نائباً عن الله تعالى ، وكون ما يعطيه حقاً من الله سبحانه ، أحال عليه الفقير انجازاً لما وعده من الرزق . وعلاج الأذى : أن يعرف أن سببه استكثار العطاء وكراهية إنفاق المال والتكبر على الفقير القابض برؤية نفسه خيراً منه ، لغنائه واحتياجه ، وجميع ذلك جهل وحماقة . اما استكثاره العطاء ، فلأن ما أعطاه بالنظر إلى ما يطلبه لأجله من رضا الله وثواب الآخرة في غاية القلة والخسة ، وكيف يستعظم العاقل بذل خسيس فان إذا أخذ في مقابله خطيراً باقياً . واما استحقاره الفقير ، فلما تقدم من فضل الفقير على الغنى ، فكيف يرى نفسه خيراً منه ؟ وكفى للفقير فضلا : ان الله سبحانه جعل الغنى مسخراً له ، بأن يكتسب المال بالجهد والتعب ، ويسعى في حفظه ، ويسلمه إلى الفقير بقدر حاجته ، ويكف عنه الفاضل الذي يضره لو سلمه اليه . فالغني يخدم الفقير في طلب المال ، مع كون ما يحمد منه للفقير ، وكون ما يذم منه من تحمل المشاق وتقلد المظالم وحراسة الفضلات إلى أن يموت فتأكله

الأعداء ، على الغني .

وبالجملة : العاقل ، بعد التأمل ، يعلم أن ما يعطيه قليل في مقابلة ما يأخذه ، وأن الفقير محسن اليه . قال أمير المؤمنين (ع) : « ومن علم أن ما صنع إنما صنع إلى نفسه ، لم يستبطيء الناس في شكرهم ، ولم يستزدهم في مودتهم ، فلا تلتمس من غيرك شكر ما أتيت إلى نفسك ووقيت به عرضك ، واعلم أن الطالب اليك لحاجة لم يكرم وجهه عن وجهك ، فاكرم وجهك عن رده » (١) . وينبغي للمحترز عن المن والأذى أن يتواضع ويتخضع للفقير عند اعطائه ، بأن يضع الصدقة لديه ويمثل قائماً بين يديه ، أو يبسط كفه ليأخذ الفقير ، وتكون يد الفقير هي العليا .

فصل

(ما ينبغي للمعطى)

ومما ينبغي للمعطى أن يستصغر العطية ليعظم عند الله ، وإن استعظمها صغرت عند الله ، قال الصادق — عليه السلام — : « رأيت المعروف لا يصلح إلا بثلاث خصال : تصغيره ، وتستيره ، وتعجيله . فأنت إذا صغرته عظمته عند من تصنعه اليه ، وإذا سترته تممته ، واذا عجلته هنأته وإن كان غير ذلك محقته ونكدته » (١) . واستعظام العطـــاء غير المن والأذى ، إذ الصرف إلى عمارة المسجد ومثله يتأتى فيه الاستعظام ، ولا يتأتى فيه المن والأذى ، وأن يعطى الأجود والأحب والأبعد عن الشبهة

(١) و (٢) صححنا الحديث على (الوافي) : ٦ / ٢٩٠ ، كتاب الزكاة باب ٥٧ المعروف وفضله .

لأن الله طيب لا يقبل إلا طيباً ، وإخراج غير الجيد سوء أدب بالنسبة الى الله ، إذ إمساك الجيد لنفسه وأهله ، وانفاق الرديء في سبيل الله يوجب ايثار غير الله وترجيحه عليه ، ولو فعل هذا لضيف وقدم اليه أردأ طعام في البيت لانكسر قلبه ووغر به صدره .

هذا إذا كان نظره الى الله بأن يتصدق لوجه الله ، من غير ملاحظة عوض لنفسه في دار الآخرة ، ولن كان نظره الى نفسه وثوابه في الآخرة فلا ريب في أن العاقل لا يؤثر غيره على نفسه ، وليس له من ماله إلا ما تصدق فأبقى ، وأكل فأفنى . ولعظم فائدة انفاق الأجود الأحب ، وقبح انفاق الرديء الأخس ، قال الله تعالى :

« أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الأَرْضِ وَلاَ تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلاَّ أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ » (١) :

أي لا تأخذونه إلا مع كراهية وحياء ، وهو معنى الاغماض ، وما هذا شأنه عندكم فلا تؤثروا به ربكم . وقال سبحانه :

« لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ ! » (٢) . وقال :

« وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ » (٣) .

---

(١) البقرة ، الآية : ٢٦٧

(٢) آل عمران ، الآية : ٩٢　　(٣) النحل ، الآيه : ٦٢

وفي الخبر : « سبق درهم مائة الف درهم » . وذلك بأن يخرجه الانسان وهو من أحل ماله وأجوده ، فيصدر ذلك عن الرضا والفرح بالبذل ، وقد يخرج مائة الف درهم مما يكره من ماله ، فيدل على أنه ليس يؤثر الله بشيء مما يحبه .

ومما ينبغي له أن يغني الفقير إذا قدر ، ففي الخبر إذا أعطيته فأغنه وأن يقبل يده بعد الاعطاء ، لأنه يقع في يد الله تعالى أولا . قال أمير المؤمنين — عليه السلام — : « إذا ناولتم السائل فليرد الذي ناوله يده الى فيه فيقبلها ، فان الله عز وجل يأخذ الصدقات » . وقال النبي (ص) « ما تقع صدقة المؤمن في يد السائل حتى تقع في يد الله » ، ثم تلا هذه الآية .

« أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ ؟ » (١)

وقال الصادق — عليه السلام — : « إن الله تعالى يقول : ما من شيء إلا وقد وكلت به من يقبضه غيري ، إلا الصدقة ، فاني أتلقفها بيدي تلقفاً ، حتى أن الرجل ليتصدق بالتمر أو بشق تمرة ، فاربيها له كما يربي الرجل فلوه وفصيله ، فتأتي يوم القيامة وهي مثل أحد وأعظم من أحد » (٢) . وأن يلتمس الدعاء من الفقير ، لأن دعاءه يستجاب فيه كما روى : « أن علي بن الحسين - عليه السلام — كان يقول للخادم : امسك قليلا حتى يدعو ، فان دعوة السائل الفقير لا ترد » . وأنه (ع)

(١) التوبة ، الآية : ١٠٥

(٢) صححنا الحديث على (الوافي) : ٦ / ٢٦٢ ، باب فضل الصدقة .

كان يأمر الخادم اذا أعطى السائل ، أن يأمره أن يدعو بالخير . وعن أحدهما – عليهما السلام – : « إذا أعطيتموهم فلقنوهم الدعاء ، فانه يستجاب لهم فيكم ، ولا يستجاب لهم في أنفسهم » . وما قيل من أن أرباب القلوب لا يتوقعون الدعاء من القابض ، لانه شبيه المكافاة ، وكانوا يقابلون الدعاء بمثله ، ولو أرسلوا معروفاً إلى فقير ، قالوا للرسول أحفظ ما يدعو به ليردوا عليه مثل قوله ، خلاف طريقة أئمتنا الراشدين عليهم السلام فلا اعتبار به عندنا .

ومما ينبغي له أيضاً أن يصرف الصدقات الى من يكثر باعطائه الأجر كأهل الورع والعلم ، وأرباب التقوى والصدق ، والكاملين في الايمان والتشيع . قال رسول الله – صلى الله عليه وآله – : لا يأكل طعامك إلا تقي » ، وقال – صلى الله عليه وآله : « اطعموا طعامكم الأتقياء » وقال صلى الله عليه وآله : « أضف بطعامك من تحبه في الله » . ولكن يرفعهم من الزكاة الواجبة والصدقات ، لأنها أوساخ الأموال ، ويوسع عليهم بالهدايا والصلاة ، ففي الخبر : « مستحقوا الزكاة المستضعفون من شيعة محمد وآله : الذين لم تقو بصائرهم ، وأما من قويت بصيرته وحسنت بالولاية لأوليائهم والبراءة من أعدائهم معرفته ، فذاك أخوكم في الدين ، أمس بكم رحماً من الآباء والامهات المخالفين ، فلا تعطوه زكاة ولا صدقة فان موالينا وشيعتنا منا كالجسد الواحد ، تحرم على جماعتنا الزكاة والصدقة وليكن ما تعطونه اخوانكم المستبصرين البر ، وارفعوهم عن الزكاة والصدقات ونزهوهم عن أن تصبوا عليهم أوساخكم . أيحب أحدكم أن يغسل وسخ بدنه ثم يصبه على أخيه المؤمن ؟ إن وسخ الذنوب أعظم من وسخ البدن فلا توسخوا إخوانكم . . . » الحديث .

ولا ينبغي أن يصرف الى من نظره الى الوسائط ، بل ينبغي الصرف

الى من بلغ مقام التوحيد ، ويرى النعمة من الله ، ولا ينظر الى الوسائط إذ من لم يصف باطنه عن رؤية الوسائط إلا من حيث أنهم وسائط ، فغير خال من نوع من الشرك الخفي . قال الصادق — عليه السلام — في قول الله تعالى :

« وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللهِ إِلاَّ وَهُمْ مُشْرِكُونَ » (١) .

« هو قول الرجل : لولا فلان لهلكت او لولا فلان لما أصبت كذا ولولا فلان لضاع عيالي ! ألا ترى أنه قد جعل الله شريكاً في ملكه ، يرزقه أو يدفع عنه ؟ » . فقال الراوي يجوز أن يقال : لولا أن الله من علي بفلان لهلكت ؟ قال « نعم ! لا بأس بهذا » . ومن أهـل المزية والاختصاص بالبذل اليه ، من كان مستتراً ساتراً للحاجة ، كائناً من أهل المروة ، متغشياً في جلباب التجمل ، محصوراً في سبيل الله ، محبوساً في طريق الآخرة بعيلة أو مرض أو ضيق معيشة أو إصلاح قلب أو سبب آخر من الأسباب ، والأولى من الكل الأقارب وأولو الأرحام من أهل الاحتياج ، فان الانفاق عليهم صدقة وصلة . وفي صلة الرحم من الثواب مالا يخفى ، قال أمير المؤمنين — عليه السلام — : « لان أصل أخاً من اخواني بدرهم ، أحب إلي من أتصدق بعشرين درهماً ، ولان أصله بعشرين درهماً أحب إلي من أن أتصدق بمائة درهم ، ولان أصله بمائة درهم أحب إلي من أعتق رقبـة » . وفي خبر آخر : « لا صدقة وذو رحم محتاج ، الصدقة بعشرة والقرض بثمانية عشر ، وصلة الاخوان بعشرين ، وصلة الرحم بأربعة وعشرين » . وفي الخبر : « إن أفضـل الصدقات والصلاة الانفاق على ذى الرحم الكاشح » : يعني المبغض ،

(١) يوسف ، الآية : ١٠٦

وكأنه لمخالفة الهوى وصدوره عن الخلوص والتقوى .

فصل

ماينبغي للفقراء في أخذ الصدقة

ينبغي للفقير الآخذ أن يعلم أن الله تعالى أوجب صرف المال اليه ليكفي مهمته ، فيتجرد للعبادة والاستعداد للموت ، فينبغي أن يتأهب لذلك ولا يصرفه عنه فضول الدنيا ، ويشكر الله على ذلك ، ويشكر المعطى ، فيدعو له ويثنى عليه مع رؤية النعمة من الله سبحانه ، قال رسول الله صلى الله عليه وآله : « من لم يشكر الناس لم يشكر الله » . وقال الصادق ـ عليه السلام ـ : « لعن الله قاطعي سبيل المعروف قيل : وما قاطعوا سبيل المعروف ؟ قال : الرجل يصنع اليه المعروف فيكفره فيمنع صاحبه من أن يصنع ذلك الى غيره » (١) وقال أمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ : « من صنع بمثل ماصنع اليه فانما كافاه ، ومن ضعفه كان شكوراً ، ومن شكر كان كريما » :

وينبغي له أيضاً أن يستر عيوب صاحب العطاء ، ولا يذمه ولا يحقره ولا يعيره بالمنع اذا منع ، ويفخم عند نفسه وعند الناس اعطاءه ، بحيث لايخرجه عن كونه واسطة ، لئلا يكون مشركا ، وأن يتوقى مواقع الحرمة والريبة والشبهة في أصله ومقداره ، فلا يأخذ ممن لايحل ماله أو يشتبه ، كعمال السلاطين والجنود ومن أكثر كسبه من الحرام ، ولا الزيادة على قدر الحاجة ، ولا يسأل على رؤس الملأ ممن يستحي الرد ، وأن يتورع العالم

---

(١) صححنا الحديث على (الكافي) : ٣٣/٤ ، كتاب الزكاة ، باب من كفر المعروف . ط طهران ١٣٧٧ هـ .

والمتقي من أخـذ الزكاة والصدقات مالم يضطر اليها ، تنزيهاً لنفسه عن الأوساخ ، وأن يستر الأخذ بنية أنه ابقى لستر المروة والتعفف ، واصون لنفسه عن الاهانة والاذلال ، واعون للمعطي على الاخفاء والاسرار ، واسلم لقلوب الناس من الحسد وسوء الظن ، أو يظهره بنية الاخلاص والصدق واظهار المسكنة والعبودية ، والتبري عن الكبر ، وتلبيس الحال وإقامـة سيئـة الشكر أو غير ذلك . فانه يختلف باختـلاف النيات والأشخاص والأحوال ، ولكل امرىء مانوى ، وكل مراقب للاحوال عارف بالفوائد والمفاسد ، يمكنه الأخذ بالانفع الارجح .



تتميم
زكاة الأبدان

اعلم أنه كما في المال زكاة فكذلك للبدن زكاة ، وهو نقصه ليزيد الخير والبركة لصاحبه . وهذا النقص إما أن يكون اختياراً ، بأن يصرف في الطاعة ويمنع عن المعصية ، أو اضطراراً ، بأن يصاب بمرض وآفة . قال رسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ يوماً لأصحابه : « ملعون كل مال لايزكى ، ملعون كل جسد لايزكى ، ولو في كل اربعين يوماً مرة . قيل له : يارسول الله ، أما زكاة المال فقد عرفناها ، فما زكاة الأجساد ؟ قال ـ صلى الله عليه وآله ـ : أن يصاب بآفة » . فتغيرت وجوه الذين سمعوا منه ذلك ، فلما رآهم قـد تغيرت الوانهم ، قال : « هل تدرون ماعنيت بقولي ؟ فقالوا : لايارسول الله ! قال : إن الرجل يخـدش الخدشة ، وينكب النكبة ، ويعثر العثرة ، ويمرض المرضة ، ويشاك الشوكة ، وما اشبه هذا ... » ، حتى ذكر في حديثه اختلاج العين . وقال ـ صلى الله عليه

وآلـه ـ « لكل شيء زكاة ، وزكاة الأبدان الصيام » . وقال الصادق ـ عليه السلام ـ : « على كل جزء من اجزائك زكاة واجبة لله عز وجل بل على كل منبت شعر من شعرك ، بل على كل لحظة من لحاظك زكاة. فزكاة العين : النظرة بالعبرة (١) والغض عن الشهوات وما يضاهيها . وزكاة الاذن : استماع العلم والحكمة والقرآن ، وفوائد الدين من الموعظة والنصيحة ، وما فيه نجاتك ، وبالاعراض عما هو ضده من الكذب والغيبة واشباهها . وزكاة اللسان : النصح للمسلمين، والتيقظ للغافلين،وكثرة التسبيح والذكر وغيرها . وزكاة اليد : البذل والعطاء والسخاء بما أنعم الله عليك به ، وتحريكها بكتابة العلم ومنافع ينتفع بها المسلمون في طاعة الله تعالى ، والقبض عن الشر . وزكاة الرجـل : السعي في حقوق الله ، من زيارة الصالحين ، ومجالس الذكر ، واصلاح الناس ، وصلة الارحام ، والجهاد وما فيه صلاح قلبك وسلامة دينك » (٢) .

وثانيها :

الخمس

وقد فرضه الله تعالى على عباده صوناً لذرية نبيه ـ صلى الله عليه وآله ـ عن الافتقار ، وتنزيهاً لهم عن الصدقات التي هي أوساخ الناس ، فقال سبحانه :

« وَاعْلَمُوا إِنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ

(١) في نسخ (جامع السعادات) : « النظر بالعبر » ، ولعله الأولى .

(٢) صححنا الحديث على (مصباح الشريعة) : الباب ٢٢ ، وفيه اختلاف كثير عن نسخ (جامع السعادات) بما لم يخرج عن المعنى .

وَلِذِي الْقُرْبىٰ وَالْيَتامىٰ وَالْمَساكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ ، إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللهِ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ ، وَاللهُ عَلىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ » (١) .

والمستفاد من الآية : أن مانع الخمس لا ايمان له . وقال أمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ : « هلك الناس في بطونهم وفروجهم ، لأنهم لايؤدون الينا حقنا » . ولا ريب في عظم الثواب والأجر في أدائه وإيصاله الى أهله ، وكيف لا وهو إعانة ذرية الرسول ـ صلى الله عليه وآله ـ وقضاء حوائجهم ، وقد قال رسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ : « حقت شفاعتي لمن أعان ذريتي بيده ولسانه وماله » (٢) . وقال ـ صلى الله عليه وآله ـ « أربعة أنالهم شفيع يوم القيامة : المكرم لذريتي ، والقاضي لهم حوائجهم والساعي لهم في امورهم عند ما اضطروا اليه ، والمحب لهم بقلبه ولسانه » وقال صلى الله عليه وآله : « من اصطنع الى احد من أهل بيتي يداً ، كافيته يوم القيامة » . وعن الصادق ـ عليه السلام ـ قال : « إذا كان يوم القيامة ، نادى مناد : ايها الخلائق ، انصتوا ، فان محمداً يكلمكم . فتنصت الخلائق ، فيقوم النبي صلى الله عليه وآله فيقول : يامعشر الخلائق من كانت له عندي يد أو منة أو معروف فليقم حتى أكافيه . فيقولون : بآبائنا وامهاتنا ! وأي منة وأي معروف لنا ؟ ! بل اليد والمنة والمعروف لله ولرسوله على جميع الخلائق . فيقول لهم : بلى ! من آوى احداً من أهل بيتي ، أوبرهم ، أو كساهم من عرى ، او اشبع جائعهم ، فليقم حتى اكافيه . فيقوم اناس قد فعلوا ذلك ، فيأتي النداء من عند الله :

(١) الانفال ، الآية : ٤١ .

(٢) صححنا هذا الحديث على (جامع الاخبار) : الباب ٢ ، الفصل ٦ .

يامحمد ، ياحبيبي ، قد جعلت مكافاتهم اليك ، فأسكنهم من الجنة حيث شئت . قال : فيسكنهم في الوسيلة حيث لايحجبون عن محمد وأهل بيته - صلوات الله عليهم » (١) . وقد ظهر مما تقدم بعض ما تعلق به من الأسرار والآداب والشرائط الباطنة .

وينبغي أن يكون معطيه فى غاية الحذر عن استعظامه وعن المن والأذى وأن يكون في غاية التخضع والتواضع للذريه العلوية عند اعطائه إياهم ، ويعلم أنه عبد من عباد الله ، اعطاه مولاه ابدأ من اموالـه ، ثم امره بأن يوصل قليلا منها الى ذرية نبيه - صلى الله عليه وآله - ، وجعل له ايضاً في مقابلة هذا الايصال زيادة المال في الدنيا وعظيم الأجر والثواب في العقبى فما أقبح بالعاقل - مع ذلك - أن يستعظم مايعطيه ، ويمن على أولاد نبيه - صلى الله عليه وآله - .

وثالثها :

الانفاق على الاهل والعيال

والتوسع عليهم . وهو أيضاً من الواجبات ، على النحو المقرر في كتب الفقه . وما ورد في مدحه وعظم أجره أكثر من أن يحصى ، قال رسول الله - صلى الله عليه وآله - : « الكاد على عياله كالمجاهد في سبيل الله » (٢) وقال - صلى الله عليه وآله - : « خيركم خيركم لأهله » .

(١) صححنا الاحاديث الثلاثة الاخيرة على (الوسائل) : كتاب الامر بالمعروف ابواب الأمر بالمعروف ، الباب ١٧ .

(٢) صححنا الحديث على (الوسائل) : كتاب التجارة ، ابواب مقدماتها ، الباب ٢٢ . وروى الحديث في (المستدرك) من (غوالى اللئالى) .

وقال صلى الله عليه وآله : « المؤمن يأكل بشهوة أهله ، والمنافق يأكل أهله بشهوته » (١) وقال : « أفضل الصدقة صدقة عن ظهر غنى ، وأبدأ بمن تعول ، واليد العليا خير من اليد السفلى ، ولا يلوم الله على الكفاف » (٢) وقال صلى الله عليه وآله : « دينار أنفقته على أهلك ، ودينار أنفقته في سبيل الله ، ودينار أنفقته في رقبة ، ودينار تصدقت به على مسكين ، واعظمها أجراً الدينار الذي انفقته على أهلك » . وقال - صلى الله عليه وآله - : « ما أنفق الرجل على أهله فهو صدقة ، وأن الرجل ليؤجر في رفع اللقمة الى فم امرأته » . وقال صلى الله عليه وآله : « من الذنوب ذنوب لايكفرها إلا الهم بطلب المعيشة » . وقال صلى الله عليه وآله : « من كانت له ثلاث بنات ، فانفق عليهن وأحسن اليهن حتى يغنيهن الله عنه أوجب الله تعالى له الجنة ، إلا أن يعمل عملا لايغفر الله له » : وقال - صلى الله عليه وآله - يوما لاصحابه : « تصدقوا . فقال رجل : إن عندى ديناراً . قال : انفقه على نفسك . فقال : إن عندى آخر قال : انفقه على زوجتك . قال : إن عندي آخر . قال : انفقه على ولدك . قال : إن عندى آخر . قال : انفقه على خادمك . قال : إن عندى آخر . قال - صلى الله عليه وآله - : أنت أبصر به » (٣) وقال صلى الله عليه وآله : « ملعون ملعون من القى كله على الناس ! ملعون ملعون من ضيع من يعوله ! » ، وقال - صلى الله عليه وآله - لأمير المؤمنين

---

(١) صححنا الحديث على (الوسائل) : كتاب النكاح ، ابواب النفقات ، الباب ٢١ . وكذا الحديث الآتي : « ملعون ملعون . . . » .

(٢) صححنا الحديث على (الوافي) :٦/ ٢٨٩ ، وهو بمضمونه من المشهورات التي يرويها العامة والخاصة .

(٣) صححنا الحديث على (احياء العلوم) : ١ / ٢٠٣ .

عليه السلام - بعد مارآه في البيت ينقي العدس ، وفاطمة عليها السلام جالسة عند القدر : « اسمع مني يا أبا الحسن ، وما أقول إلا من أمر ربي : مامن رجل يعين امرأته في بيتها ، إلا كان له بكل شعرة على بدنه عبادة سنة صيام نهارها وقيام ليلها ، وأعطاه الله من الثواب مثل ماأعطاه الصابرين وداود النبي ويعقوب وعيسى - عليهم السلام - . ياعلي ، من كان في خدمة العيال في البيت ولم يأنف ، كتب الله اسمه في ديوان الشهداء ، وكتب له بكل يوم وليلة ثواب الف شهيد ، وكتب له بكل قدم ثواب حجة وعمرة وأعطاه الله بكل عرق في جسده مدينة في الجنة . ياعلي ، ساعة في خدمة البيت خير من عبادة الف سنة ، والف حجة ، والف عمرة ، وخير من عتق الف رقبة ، والف غزوة ، والف مريض عاده ، والف جمعة ، والف جنازة ، والف جائع يشبعهم ، والف عار يكسوهم ، والف فرس يوجهه في سبيل الله ، وخير له من الف دينار يتصدق على المساكين ، وخير له من أن يقرأ التوراة والانجيل والزبور والفرقان ، ومن الف أسيرة اشتراها فأعتقها ، وخير له من الف بدنة يعطى للمساكين ، ولا يخرج من الدنيا حتى يرى مكانه في الجنه . ياعلي ، من لم يأنف من خدمة العيال دخل الجنه بغير حساب . ياعلي ، خدمة العيال كفارة للكبائر ، وتطفىء غضب الرب ، ومهور حور العين ، وتزيد في الحسنات والدرجات . ياعلي ، لايخدم العيال إلا صديق أو شهيد ، أو رجل يريد الله به خير الدنيا والآخرة » (١).

وقال السجاد عليه السلام : « أرضاكم عند الله أسبغكم على عياله »

(١) صححنا الحديث على (جامع الاخبار) : الباب ٨ ، الفصل ٣ ، طبع بمبي سنة ١٣٣٨ ، ولم نعثر على الحديث في الكتب المعتبرة . إلا انه في (مستدرك الوسائل) نقله عن (جامع الأخبار) نفسه في ابواب مقدمات التجارة : الباب ١٧

وقال ـ عليه السلام ـ : « لئن ادخل السوق ، ومعي دراهم ابتاع لعيالي لحما ، وقد قرموا (١) اليه ، أحب إلي من أن أعتق نسمة » . وقال الصادق عليه السلام : « كفى بالمرء إثماً أن يضيع من يعوله » . وقال عليه السلام : « من سعادة الرجل أن يكون القيم على عياله » . وقال الكاظم عليه السلام : « إن عيال الرجل اسراؤه ، فمن انعم الله عليه نعمة فليوسع على اسرائه ، فان لم يفعل أوشك أن تزول النعمة » . وقال ابو الحسن الرضا عليه السلام : « ينبغي للرجل أن يوسع على عياله لئلا يتمنوا موته » . وقال عليه السلام : « صاحب النعمة يجب عليه التوسعة على عياله » (٢) . والاخبار الواردة في ثواب الانفاق على العيال وخدمتهم والتوسع عليهم مما لاتعد كثرة . وما ذكرناه كاف لايقاظ أهل الاستبصار

فصل

ماينبغي في الانفاق على العيال

ينبغي لطالب الأجر والثواب في إنفاق العيال : أن يقصد في كده وسعيه في تحصيل النفقة وفي انفاقه وجه الله وثواب الآخرة ، إذ لاثواب بدون القربة ، وأن يجتنب عن تحصيل الحرام والشبهة ، ولا يدخل على عياله إلا الحلال ، إذ أخذ الحرام وانفاقه أعظم الذنوب وأشد المعاصي ، وان يقصد في التحصيل والانفاق ، فليحترز عن الاقتار لئلا يضيع عياله

(١) قال في (الوافي) : ٦ / ٢٨٨ ، باب التوسع على العيال ، في شرح هذا الحديث : « القرم : شدة شهوة اللحم » .

(٢) صححنا الأحاديث ، ابتداء من الرواية عن السجاد ، على (الوسائل) : كتاب النكاح ، أبواب النفقات ، الباب ٢٠ و ٢١ .

وعن الاسراف لئلا يضيع عمره في طلب المال ، فيكون من الخاسرين الهالكين . قال الله سبحانه :

« وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلاَ تُسْرِفُوا » (١) . وقال : « وَلاَ تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلاَ تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ » (٢) . وقال : « وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذٰلِكَ قَواماً » (٣) .

وعن الصادق ـ عليه السلام ـ : « أنه تلا هذه الآية : (والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً) ، فأخذ قبضة من حصى وقبضها بيده ، فقال : هذا الاقتار الذي ذكره الله في كتابه . ثم أخذ قبضة اخرى ، فأرخى كفه كلها ، ثم قال : هذا الاسراف . ثم اخذ قبضة اخرى ، فأرخى بعضها وامسك بعضها ، وقال : هذا القوام » (٤) وينبغي ألا يستأثر نفسه أو بعض عياله بمأكول طيب ، ولا يطعم سائرهم منه ، فان ذلك يوغر الصدر ويبعد عن المعاشرة بالمعروف ، إلا أن يضطر اليه : لمرض أو ضعف أو غير ذلك . وينبغي ألا يصف عندهم طعاماً ليس يريد إطعامهم إياه ، وأن يقعد عياله كلهم على مائدة عند الأكل

(١) الأعراف ، الآية : ٣٠ .

(٢) الاسراء ، الآية : ٢٩ .

(٣) الفرقان ، الآية : ٦٧ .

(٤) صححنا الحديث على (الوافي) : ٦ / ٢٩٦ . باب فضل القصد بين الاسراف والتقتير .

فقد روى : « ان الله وملائكته يصلون على أهل بيت يأكلون في جماعة ».

* * *

وأما الامور المستحبة من الانفاق ، الداخلة تحت السخاء ، فأولها :

صدقة التطوع

وفضلها عظيم ، وفوائدها الدنيوية والاخروية كثيرة . قال رسول الله - صلى الله عليه وآله - : « تصدقوا ولو بتمرة ، فانها تسد من الجائع وتطفيء الخطيئة ، كما يطفيء الماء النار » . وقال - صلى الله عليه وآله - : « اتقوا النار ولو بشق تمرة ، فان لم تجدوا فبكلمة طيبة » وقال صلى الله عليه وآله : « مامن عبد مسلم يتصدق بصدقة من كسب طيب ، ولا يقبل الله إلا طيبا ، إلا كان الله آخذها بيمينه ، فيربيها له كما يربي أحدكم فصيله ، حتى تبلغ التمرة مثل أحد » . وقال - صلى الله عليه وآله - : « ما احسن عبد الصدقة إلا أحسن الله عز وجل الخلافة على تركته » ، وقال - صلى الله عليه وآله - : « كل امرىء في ظل صدقته ، حتى يقضي بين الناس » وقال صلى الله عليه وآله : « أرض القيامة نار ، ماخلا ظل المؤمن ، فان صدقته تظله » . وقال صلى الله عليه وآله : « إن الله لا إله إلا هو ، ليدفع بالصدقة الداء والدبيلة ، والحرق والغرق ، والهدم والجنون ... » وعد سبعين باباً من الشر . وقال - صلى الله عليه وآله - : « صدقة السر تطفيء غضب الرب عز وجل » (١). وقال - صلى الله عليه وآله - : « إذا أطرقكم سائل ذكر بالليل فلا تردوه » .

وفائدة التخصيص بالذكر والليل : أن من يسألك ليلا في صورة

(١) الأخبار النبوية المذكورة في هذا الفصل اغلبها عامية صححناها على (احياء العلوم) : ج ١ بيان فضيلة الصدقة .

الانسان ، يحتمل أن يكون ملكاً أتاك للامتحان ، كما روى : « أنه سبحانه أوحى الى موسى بن عمران عليه السلام ، وقال : ياموسى ، أكرم السائل ببذل يسير أو برد جميل ، إنه يأتيك من ليس بانس ولا جان ، بل ملائكة من ملائكة الرحمن ، يبلونك فيما خولتك ، ويسألونك فيما نولتك ، فانظر كيف أنت صانع يا ابن عمران » . ولذلك حث رسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ على عدم رد السائل ، وقال : « اعط السائل ولو على ظهر فرس » . وقال ـ صلى الله عليه وآله ـ : « لاتقطعوا على السائل مسألته فلولا أن المساكين يكذبون ماافلح من ردهم » وقال الباقر ـ عليه السلام ـ « البر والصدقة ينفيان الفقر ، ويزيدان فى العمر ، ويدفعان عن صاحبهما سبعين ميتة سوء » وقال الصادق ـ عليه السلام ـ : « داووا مرضاكم بالصدقة وادفعوا البلاء بالدعاء ، واستنزلوا الرزق بالصدقة ، فانها تفك من بين لحى سبعمائة شيطان ، وليس شيء أثقل على الشيطان من الصدقة على المؤمن وهي تقع في يد الرب تعالى قبل أن تقع في يد العبد » وقال ـ عليه السلام ـ « الصدقة باليد تقي ميتة السوء ، وتدفع سبعين نوعاً من البلاء ، وتفك عن لحى سبعين شيطاناً كلهم يأمره ألا يفعل » . وقال ـ عليه السلام ـ « يستحب للمريض أن يعطى السائل بيده ، ويأمره أن يدعو له » . وقال عليه السلام : « باكروا بالصدقة ، فان البلاء لايتخطاها ، ومن تصدق بصدقة أول النهار دفع الله عنه شر ماينزل من السماء في ذلك اليوم ، فان تصدق اول الليل دفع الله شر ماينزل من السماء في تلك الليلة » . وكان ـ عليه السلام ـ إذا أعتم ـ أى صلى العتمة ـ وذهب من الليل شطره ، أخذ جراباً فيه خبز ولحم ودراهم ، فحمله على عنقه ، ثم ذهب به الى أهل الحاجة من أهل المدينة ، فقسمه فيهم ولا يعرفونه ، فلما مضى أبو عبد الله عليه السلام ، فقدوا ذلك ، فعلموا أنه كان أبا عبد الله ـ عليه

وسئل عليه السلام عن السائل يسأل ولا يدرى ماهو ، فقال : « اعط من اوقع في قلبك الرحمة » . وقال - عليه السلام - في السؤال : « اطعموا ثلاثة، وان شئتم أن تزدادوا فازدادوا ، وإلا فقد أديتم حق يومكم » وقال - عليه السلام - في الرجل يعطى غيره الدراهم يقسمها ، قال : « يجرى له من الأجر مثل مايجرى للمعطى ، ولا ينقص من أجره شيئاً . ولو أن المعروف جرى على سبعين يد ، لأوجروا كلهم من غير أن ينقص من أجر صاحبه شيء » . وقد وردت اخبار كثيرة في فضل تصدق الماء وثوابه ، قال أمير المؤمنين - عليه السلام - : « أول مايبدأ به في الآخرة صدقة الماء يعني في الأجر » . وقال أبو جعفر - عليه السلام - : « إن الله تعالى يحب إبراد الكبد الحراء ، ومن سقى الماء كبداً حراء ، من بهيمة وغيرها أظله الله في ظل عرشه يوم لاظل إلا ظله » . وقال الصادق - عليه السلام - « من سقى الماء في موضع يوجد فيه الماء ، كان كمن أعتق رقبة ، ومن سقى الماء في موضع لايوجد فيه الماء ، كان كمن احيى نفساً ، ومن أحيى نفساً فكأنما احيى الناس جميعاً » .

(تنبيه) : سئل رسول الله - صلى الله عليه وآله - : « أي الصدقة أفضل ؟ قال : أن تتصدق وانت صحيح ، تأمل البقاء وتخشى الفاقة ، ولا تمهل حتى اذا بلغت الحلقوم قلت : لفلان كذا ولفلان كذا » .

فصل

فضيلة الاسرار في الصدقة المندوبة

لاكلام في أن الإسرار في الصدقة المندوبة افضل من اظهارها للمعطى في اعطائها ، ويدل عليه قول الصادق عليه السلام : « الصدقة في السر

والله افضل من الصدقة في العلانية » (١) . وقوله ـ عليه السلام ـ : كلما فرض الله عليك فإعلانه افضل من اسراره ، وكلما كان تطوعاً ، فاسراره افضل من اعلانه » .

وانما الكلام في أن الأفضل للآخذ في أخذها أن يأخذها سراً أو علانية . فقيل الأفضل له اخذها سراً ، لانه ابقى للتعفف وستر المروة ، واسلم لقلوب الناس والسنتهم من الحسد وسوء الظن والغيبة . وعون للمعطي على العمل ، وقد علمت افضلية السر على الجهر في الاعطاء ، وأصون لنفسه عن الاذلال والاهانة ، واخلص من شوب شركة الحضار ، فان المستفاد من الاخبار : أن الحضار شركاء من اهدى له في الهدية . والظاهر ان الصدقة مثلها اذا كان الحضار من أهلها . قال رسول الله صلى الله عليه وآله : « من أهدى له هدية وعنده قوم ، فهم شركاؤه فيها » . وقال الباقر عليه السلام « جلساء الرجل شركاؤه في الهدية » . وقال ـ عليه السلام ـ : « اذا اهدى للرجل هدية من طعام ، وعنده قوم ، فهم شركاؤه في الهدية : الفاكهة أو غيرها » . وقيل : الأفضل اخذها علانية ، والتحدث بها ، لتنقية الكبر والرياء ، وتلبيس الحال ، وايجابه الاخلاص والصدق ، وإقامة منة الشكر ، وإسقاط الجاه والمنزلة ، وإظهار العبودية والمسكنة ، مع أن العارف ينبغي ألا ينظر إلا الى الله ، والسر والعلانية في حقه واحد ، فاختلاف الحال شرك في التوحيد .

والحق أن الحكم بأفضلية أحدهما على الاطلاق غير صحيح ، إذ تختلف فضلية كل منها باختلاف النيات ، وتختلف النيات باختلاف الأحوال والأشخاص

(١) صححنا أغلب هذه الاخبار المروية عن أهل البيت ـ عليهم السلام ـ في هذا المقام على (الوافي) : ٦ / ٢٨٢ ، ٢٨٤ باب فضل الصدقة وباب فضل صدقة السر .

فينبغي لطالب السعادة أن يراقب نفسه ، ويلاحظ حاله ووقته ، ويرى أن أى الحالتين من السر والجهر بالنظر اليه أقرب الى الخلوص والقربة ، وأبعد من الرياء والتلبيس وسائر الآفات ، فيختار ذلك ، ولا يتدلى بحبل الغرور ، ولا ينخدع بتلبيس الطبع ومكر الشيطان . مثلا إذا كان طبعه مائلا الى الاسرار ورأى أن باعث هذا الميل حفظ الجاه والمنزلة وخوف سقوط القدر من اعين الناس ، ونظر الخلق اليه بعين الازدراء ، والى المعطى كونه منعما محسناً اليه ، أو خوف ألا يعطيه الناس بعد ذلك لعلمهم بما أخذه ، فلينتقل عن الاسرار ويأخذها علانية ، إذ لو ابقى نفسه على ما استكن فيها من الداء الدفين ، وعمل بمقتضاها ، صار هالكاً وإن كان طبعه مائلا الى الاسرار ، وأيقن بأن باعث الميل اليه : إبقاء التعفف ، وستر المروة ، وصيانة الناس عن الحسد ، وسوء الظن والغيبة ، ولم يكن باعثه شيء من المفاسد المذكورة ، فالأولى أن يأخذها سراً . ويعرف ذلك بأن يكون تألمه بانكشاف أخذه للصدقة كتألمه بانكشاف صدقة أخذها بعض اقرانه واخواله المؤمنين ، فانه إن كان طالباً لبقاء السر واعانة المعطى على الاسرار ، وصيانة العلم عن الابتذال ، وحفظ الناس عن الحسد والغيبة وسوء الظن ، فينبغي أن يكون طالباً لها في صدقة أخيه أيضاً ، إذ يحصل مايحذر منه : من هتك الستر ، وابتذال العلم ، ووقوع الناس في الغيبة والحسد بانكشاف صدقة أخيه أيضا . فان كان انكشاف صدقته اثقل عليه من انكشاف صدقة غيره ، فتقديره الحذر من هذه المعاني تلبيس من النفس ومكر من الشيطان . واذا كان طبعه مائلا الى الاظهار ، ووجد منه أن باعث هذا الميل هو التطيب لقلب المعطى ، والاستحثاث له على مثله ، والاظهار للغير بأنه من المبالغين في الشكر ، حتى يرغبوا في الاحسان اليه ، فليتنبه أن هذا الداء من الداء الدفين الذي يهلكه لولم يعالجه ، فليترك

اخذها جهراً والتحدث بها ، وينتقل الى الأخذ خفية . وإن تيقن من نفسه بأن الباعث هو إقامة السنة في الشكر ، والتحدث بالنعمة ، واسقاط الجاه والمنزلة ، واظهار العبودية والمسكنة ، او غير ذلك من المقاصد الصحيحة من دون تطرق شيء من المفاسد المذكورة ، فالاظهار افضل ، ويعرف ذلك بأن تميل نفسه الى الشكر ، حيث لاينتهى الخبر الى المعطى ولا الى من يرغب فى عطائه ، وبين يدى جماعة يعلم أنهم يكرهون إظهار العطية ويرغبون في اخفائها ، وعادتهم ألا يعطوها إلا من يخفيها ولا يتحدث بها ولا يشكر عليها . ثم اذا جزم بكون الباعث إقامة السنة في الشكر ، فينبغي أن يغفــل عن قضاء حق المعطى ، فينظر أنه إن كان ممن يحب الشكر والنشر فيخفى الأخذ ولا يشكر ، لأن قضاء حقه ألا ينصره على الاثم ، وإن كان ممن لايحب الشكر ولا يطلب النشر ، فالأولى ان يشكره ويظهر صدقته .

وينبغي لكل من يراعي قلبه أن يلاحظ هذه الدقائق ولا يهملها ، إذ إعمال الجوارح مع اهمالها ضحكة للشيطان وشماتة له ، لكثرة التعب فيها مع عدم تصور نفع لها ، والعلم بهذه الدقائق وملاحظتها هو العلم الذي ورد فيه أن تعلم مسألة واحدة منه أفضل من عبادة سنة ، إذ بهذا العلم تحي عبادة العمر ، وبالجهل به تموت عبادة العمر .

وثانيها :

الهــدية

وهى مايعطى ويرسل الى أخيه المسلم ، فقيراً كان أم غنياً ، طلباً للاستيناس ، وتأكيداً للصحبة والتودد . وهو مندوب اليه من الشرع ، ومع سلامة القصد والنية يكون عبادة . قال رسول الله ـ صلى الله عليه

وآله ـ : « تحابوا تهادوا ، فانها تذهب بالضغائن . وقال صلى الله عليه وآله ـ : « لو أهدى الي ذراع لقبلت » . وقال أمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ : « لان اهدى لأخي المسلم هدية أحب إلي من أن أتصدق بمثلها » وقال ـ عليه السلام ـ : « من تكرمة الرجل لأخيه المسلم ، أن يقبل تحفته وأن يتحفه بما عنده ، ولا يتكلف له شيئاً » .

وثالثها :

الضيافة

وثوابها جزيل ، وأجرها جميل ، وفضلها عظيم ، وثمرها جسيم . قال رسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ : « لاخير فيمن لايضيف » : ومر ـ صلى الله عليه وآله ـ برجل له إبل وبقر كثير ، فلم يضفه ، ومر بأمرأة لها شويهات ، فذبحت له ، فقال ـ صلى الله عليه وآله ـ « انظروا اليها ، فانما هذه الأخلاق بيد الله عز وجل ، فمن شاء أن يمنحه خلقاً حسناً فعل » : وقال ـ صلى الله عليه وآله ـ : « الضيف اذا جاء فنزل بالقوم ، جاء برزقه معه من السماء ، فاذا أكل غفر الله لهم بنزوله » : وقال : « مامن ضيف حل بقوم إلا ورزقه في حجره » . وقال : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه » . وقال ـ صلى الله عليه وآله ـ: « لاتزال امتي بخير : ماتحابوا ، وأدوا ، الأمانة ، واجتنبوا الحرام ، وأقرأوا الضيف ، وأقاموا الصلاة ، وآتوا الزكاة ، فاذا لم يفعلوا ذلك ابتلوا بالقحط والسنين » . وقال ـ صلى الله عليه وآله ـ : « اذا أراد الله بقوم خيراً أهدى لهم هدية . قالوا : وما تلك الهدية ؟ قال : الضيف ينزل برزقه ، ويرتحل بذنوب أهل البيت » . وقال ـ صلى الله عليه وآله ـ: « كل بيت لايدخل فيه الضيف لا تدخله الملائكة » . وقال ـ صلى الله

عليه وآله - : « الضيف دليل الجنة » . وقال أمير المؤمنين عليه السلام : « مامن مؤمن يحب الضيف إلا ويقوم من قبره ووجهه كالقمر ليلة البدر فينظر أهل الجمع ، فيقولون : ماهذا إلا نبي مرسل ! فيقول ملك : هذا مؤمن يحب الضيف ويكرم الضيف ، ولا سبيل له إلا أن يدخل الجنة » وقال - عليه السلام - : « مامن مؤمن يسمع بهمس الضيف وفرح بذلك إلا غفرت له خطاياه ، وان كانت مطبقة بين السماء والأرض » . وبكى - عليه السلام - يوماً ، فقيل له : ما يبكيك ؟ قال : « لم يأتني ضيف منذ سبعة أيام ، أخاف أن يكون الله قد أهانني » . وعن محمد بن قيس عن أبي عبد الله - عليه السلام - ، قال : « ذكر أصحابنا قوماً ، فقلت: والله ما اتغدى ولا اتعشى إلا ومعي منهم اثنان أو ثلاثة أو أقل أو أكثر فقال - عليه السلام - : فضلهم عليك اكثر من فضلك عليهم . قلت : جعلت فداك ! كيف ذا وأنا أطعمهم طعامي ، وانفق عليهم من مالي ، ويخدمهم خادمي ؟ فقال : اذا دخلوا عليك دخلوا من الله بالرزق الكثير ، واذا خرجوا خرجوا بالمغفرة لك » . وكان ابراهيم الخليل - عليه السلام - اذا أراد أن يأكل ، خرج ميلا أو ميلين يلتمس من يتغدى معه ، وكان يكنى (أبا الضيفان) .

وجميع الأخبار الواردة في فضيلة إطعام المؤمن وسعيه تدل على فضيلة الضيافة ، كقوله - صلى الله عليه وآله - بعد سؤاله عن الحج المبرور : « هو إطعام الطعام وطيب الكلام » . وقال - صلى الله عليه وآله - : « من أطعم ثلاثة نفر من المسلمين أطعمه الله من ثلاث جنان في ملكوت السماوات : الفردوس ، وجنة عدن ، وطوبى شجرة تخرج في جنة عدن غرسها ربنا بيده » . وقول الصادق - عليه السلام - : « من أشبع مؤمناً وجبت له الجنة » . وقوله - عليه السلام - : « من أطعم مؤمنا حتى يشبعه

لم يدر أحد من خلق الله ماله من الأجر في الآخرة ، لاملك مقرب ولا نبي مرسل ، إلا الله رب العالمين » . وسئل ـ صلى الله عليه وآله ـ : « ما الايمان ؟ فقال : إطعام الطعام » . وقال : « إن في الجنة غرفاً يرى ظاهرها من باطنها ، وباطنها من ظاهرها ، يسكنها من أمتي من أطاب الكلام ، وأطعم الطعام ، وأفشى السلام ، وصلى بالليل والناس نيام » : وقال ـ صلى الله عليه وآله : « من أحب الأعمال الى الله تعالى : إشباع جوعة المؤمن ، وتنفيس كربته ، وقضاء دينه » . وقال ـ صلى الله عليه وآله ـ : « إن الله يحب الاطعام في الله ، ويحب الذي يطعم الطعام في الله ، والبركة في بيتــه أسرع من الشفرة في سنام البعير » . وقال ـ صلى الله عليه وآله ـ : « خيركم من أطعم الطعام » . وقال (ص) : « من أطعم الطعام أخاه المؤمن حتى يشبعه ، وسقاه حتى يرويه ، بعده الله من النار سبع خنادق ، ما بين كل خندقين مسيرة خمسمائة عام » . وفي الخبر : « ان الله تعالى يقول للعبد في القيامة : يا ابن آدم ، خفت فلم تطعمني . فيقول : كيف أطعمك وأنت رب العالمين ؟ فيقول : جاع أخوك فلم تطعمه ، ولو أطعمته كنت أطعمتني » . وقال ـ صلى الله عليه وآله ـ : « من سقى مؤمناً من ظمأ ، سقاه الله من الرحيق المختوم » وقال ـ صلى الله عليه وآله ـ : « من سقى مؤمناً شربة من ماء من حيث يقدر على الماء ، أعطاه الله بكل شربة سبعين الف حسنة ، وإن سقاه من حيث لا يقدر على الماء ، فكأنما اعتق عشر رقاب من ولد اسماعيل » (١) .

---

(١) صححنا احاديث هذا الفصل على (البحار) : ٤ مج ١٥ / ١١٠ ، باب اطعام المؤمن و ٢٤٢ ، ٢٤٤ . باب آداب الضيف . وعلى (الكافي) : باب اطعام المؤمن . وعلى (الوسائل) : في آداب المائدة من كتاب الأطعمة والأشربة .

فصل

(ما ينبغي أن يقصد بالضيافة)

ينبغي أن يقصد في ضيافته التقرب إلى الله ، والتسنن بسنة رسول الله واستمالة قلوب الاخوان ، وادخال السرور على قلوب المؤمنين ، ولا يقصد به الرياء والمفاخرة والمباهاة ، وإلا ضاع عمله ، وأن يدعو الفقراء والأتقياء وإن كان في ضيافة الأغنياء ومطلق الناس فضيلة أيضاً . وينبغي ألا يهمل في ضيافة الأقارب والجيران ، إذ اهمالهم قطع رحم وايحاش ، وألا يدعو من يعلم أنه تشق عليه الاجابة . وينبغي أن يعجل في إحضار الطعام لأنه من إكرام الضيف ، وقد ورد : « أن العجلة من الشيطان ، إلا في خمسة أشياء ، فانها من سنة رسول الله - صلى الله عليه وآله - : اطعام الضيف ، وتجهيز البيت ، وتزويج البكر ، وقضاء الدين ، والتوبة من الذنوب » . وأن يحضر من الطعام قدر الكفاية ، إذ التقليل عنه نقص في المروة ، والزيادة عليه تضييع ، وأن يسعى في اكرام الضيف : من طلاقة الوجه ، وطيب الكلام معه عند دخوله وخروجه وعلى المائدة ، والخروج معه الى باب الدار اذا خرج ، قال رسول الله صلى الله عليه وآله : « إن من سنة الضيف أن يشيعه الى باب الدار » . ومما ينبغي له ألا يستخدم الضيف ، قال الباقر - عليه السلام - : « من الجفاء استخدام الضيف » . وكان عند الرضا - عليه السلام - ضيف ، فكان يوماً في بعض الحوائج ، فنهاه عن ذلك ، وقام بنفسه الى تلك الحاجة ، وقال : « نهى رسول الله صلى الله عليه وآله عن أن يستخدم الضيف » .

فصل

(آداب الضيافة)

ينبغي لكل مؤمن أن يجيب دعوة أخيه الى الضيافة ، من غير أن يفرق بين الغني والفقير ، بل يكون أسرع إجابة الى دعوة الفقير ، وألا يمنعه بعد المسافة عن الاجابة اذا أمكن احتمالها عادة . قال رسول صلى الله عليه واله « أوصى الشاهد من أمتي والغائب ، أن يجيب دعوة المسلم ولو على خمسة أميال ، ولا يمنعه صوم التطوع عن الاجابة ، بل يحضر ، فان علم سرور أخيه بالافطار فليفطر ، ويحتسب في إفطاره أفضل ما يحتسب في صومه » وقال الصادق - عليه السلام - : « من دخل على أخيه وهو صائم ، فافطر عنده ولم يعلمه بصومه فيمن عليه ، كتب الله له صوم سنة ، وان علم أنه متكلف ولا يسر بافطاره فليتعلل » .

وينبغي ألا يقصد بالاجابة قضاء شهوة البطن ، ليدخل عمله في أمور الدنيا ، بل ينوى الاقتداء بسنة رسول الله - صلى الله عليه وآله - وإكرام أخيه المؤمن ، ليكون في عمله مطيعاً لله مثاباً في الآخرة ، وأن يحترز عن الاجابة اذا كان الداعي من الظلمة أو الفساق ، أو كانت ضيافته للفخر والمباهاة ، ومن كان طعامه حراماً أو شبهة ، أو لم يكن موضعه او بساطه المفروش حلالا ، أو كان في الموضع شيء من المنكرات كاناء فضة ، أو تصوير حيوان على سقف أو حائط ، أو أحد آلات اللهو من المزامير وأمثالها ، أو التشاغل بشيء من اللهو واللعب والهزل ، فكل ذلك مما يمنع الاجابة ، ويوجب تحريمها أو كراهيتها . قال الصادق - عليه السلام - : « لا ينبغي للمؤمن أن يجلس مجلساً يعصى الله تعالى

فيه ولا يقدر على تغييره . ومن ابتلى بحضور طعام ظالم إكراهاً وتقية ، فليقلل الأكل ، ولا يأكل أطايب الأطعمة .

وينبغي للضيف — أيضاً — اذا دخل الدار ألا يصدر ، ولا يقصد أحسن الأماكن ، بل يتواضع ويرضى بالدون من المجلس ، وإن أشار اليه صاحب الدار بموضع فلا يخالفه ويجلس فيه ، وان أشار اليه بعض الضيفان بالارتفاع او الانحطاط ، وألا يجلس في مقابلة باب حجرة النسوان ، ولا يكثر النظر الى الموضع الذي يخرج منه الطعام ، فانه دليل الشره وخسة النفس ، وأن يخص بالتحية والسلام أولا من يقرب منه .

وينبغي لمن دعى الى الضيافة ألا يطول الانتظار عليهم ، ولا يعجل بحيث يفاجئهم قبل تمام الاستعداد .

ورابعها :

الحق المعلوم وحق الحصاد والجذاذ

والمراد من الأول : ما يعرضه الرجل ويقدره في ماله ، من قليل أو كثير ، غير الصدقات الواجبة ، يعطيه محتاجاً أو يصل به رحمه . والمراد بالثاني : ما يعطى به إلى الفقراء من الضغث بعد الضغث : أي القبضة بعد القبضة من الزرع يوم حصاده ، ومن الحفنة بعد الحفنة : أى ملء الكف من التمر أو الحنطة أو غيرهما من الثمار والفواكه والحبوبات عند قطعها وتصفيتها . وهذان النوعان من الانفاق معدودان في صدقة التطوع ، وقد وردت بخصوصهما اخبار كثيرة لشدة استحبابهما . قال الصادق عليه السلام : « إن الله فرض للفقراء في أموال الأغنياء فريضة لا يحمدون إلا بأدائها وهي الزكاة ، بها حقنوا دماءهم ، وبها سموا مسلمين ، ولكن الله تعالى فرض في أموال الأغنياء حقوقاً غير الزكاة ، فقال الله تعالى :

« وَالَّذِينَ فِي أَمْوالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ » (١) .

والحق المعلوم غير الزكاة ، وهو شيء يفرضه الرجل على نفسه في ماله ، يجب عليه أن يفرضه على قدر طاقته وسعة ماله ، فيؤدى الذى فرض على نفسه إن شاء كل يوم جمعة ، وان شاء في كل شهر » (٢) .

وقال - عليه السلام - : « الحق المعلوم ليس من الزكاة ، هو الشيء تخرجه من مالك ، ان شئت كل جمعة ، وان شئت كل شهر ، ولكل ذى فضل فضله ، وقول الله تعالى : (وان تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم) ، فليس من الزكاة ، والماعون ليس من الزكاة ، وهو المعروف تصنعه والقرض تقرضه ومتاع البيت تعيره ، وصلة قرابتك ليس من الزكاة وقال الله تعالى : (والذين في أموالهم حق معلوم) ، فالحق المعلوم غير الزكاة ، وهو شيء يفرضه الرجل على نفسه انه في ماله ونفسه ، ويجب له أن يفرضه على قدر طاقته ووسعه » (٣) . وقال - عليه السلام - : « وإن عليكم في أموالكم غير الزكاة . فقلت : أصلحك الله ، وما علينا في أموالنا غير الزكاة ؟ فقال : سبحان الله ! أما تسمع قول الله تعالى ؟ يقول في كتابه :

« وَالَّذِينَ فِي أَمْوالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ » (٤)

(١) المعارج ، الآية : ٢٤

(٢) صححنا الحديث على (الوافي) : ٦ / ٢٨١ ، باب جملة ما يجب في المال من الحقوق .

(٣) نفس المصدر : باب جملة ما يجب فيه الزكاة (الوسائل) : ٢ / ٧ ، باب الحقوق في المال سوى الزكاة .

(٤) المعارج ، الآية : ٢٤ ، ٢٥

قال : قلت : فاذا الحق المعلوم الذى علينا ؟ قال : هو والله الشيء يعلمه الرجل في ماله ، يعطيه في اليوم أو في الجمعة أوالشهر ، قل أو كثر غير أنه يدوم عليه » (١) : وقال ـ عليه السلام ـ في قول الله تعالى : (في أموالهم حق معلوم ، للسائل والمحروم) : « هو الرجل يؤتيه الله الثروة من المـــال ، فيخرج منه الألف والألفين والثلاثة آلاف والأقل والأكثر ، فيصل به رحمه ، ويحمل به الكـل عن قومه » . وقال (ع) « في الزرع حقان : حق تؤخذ به ، وحق تعطيه . قلت : وما الذي أؤخذ به وما الذى أعطيه ؟ قال : أما الذى تؤخذ به ، فالعشر ونصف العشر ، وأما الذى تعطيه ، فقول الله :

« وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ » (٢) .

يعني من حصدك الشيء ثم الشيء — ولا اعلمه إلا قال الضغث ثم الضغث — حتى تفرغ » (٣) . وقال ـ عليه السلام ـ : « لا تصرم بالليل ولا تحصد بالليل ، ولا تضح بالليل ، ولا تبذر بالليل . فانك إن فعلت ذلك لم يأتك القانع والمعتر . فقلت : وما القانع والمعتر ؟ فقال : القانع الذي يقنع بما أعطيته ، والمعتر : الذي يمـر بك فيسألك . وإن حصدت بالليل لم يأتك السؤال ، وهو قول الله تعالى : (وآتوا حقه يوم حصاده) عند الحصاد ، يعني القبضة بعد القبضة إذا حصدته ، فاذا خرج فالحفنة

(١) صححنا الحديث على (الوافي) : ٦ / ٢٨١ ، باب جملة مايجب في المال من الحقوق وعلى (الوسائل) : ٢ / ٧ ، باب جملة مايجب فيه الزكاة .

(٢) الانعام ، الآية : ١٤١ .

(٣) صححنا الحديث على (الوافي) : ٦ / ٢٨٢ . وعلى (فروع الكافي): كتاب الزكاة ، باب الحصاد والجذاذ . وكذا مابعده .

بعد الحفنة ، وكذلك عند الصرام ، وكذلك عند البذر . ولا تبذر بالليل لأنك تعطى من البذر كما تعطى من الحصاد » . وقال الباقر - عليه السلام - في قول الله تعالى (وآتوا حقه يوم حصاده) : « هذا من الصدقة ، يعطي المسكين القبضة بعد القبضة ، ومن الجذاذ الحفنة بعد الحفنة ، حتى يفرغ » وفي مضمون هذه الأخبار اخبار كثيرة أخر .

وخامسها :

القرض

وهو أيضاً من ثمرات السخاء ، لأن السخي تسمح نفسه بأن يقرض أخاه المحتاج بعض أمواله الى حين استطاعته ، كما تسمح نفسه بأن يبذل عليه أصل ماله ، والبخيل يشق عليه ذلك . وثواب القرض عظيم ، وفضله جسيم . قال الباقر - عليه السلام - : « من أقرض رجلا قرضاً الى ميسرة كان ماله في زكاة ، وكان هو في الصلاة مع الملائكة حتى يقبضه » . وقال الصادق - عليه السلام - : « مكتوب على باب الجنة : الصدقة بعشرة ، والقرض بثمانية عشر » . وقال عليه السلام : « مامن مؤمن أقرض مؤمناً يلتمس به وجه الله ، إلا حسب الله له أجره بحساب الصدقة ، حتى يرجع ماله اليه ، يعني اعطاه الله في كل آن اجر صدقة ، ذلك لأن له قضاءه في كل آن ، فلما لم يفعل فكأنما اعطاه ثانياً وثالثاً وهلم جرا ، الى أن يقبضه » وقال عليه السلام : « لاتمانعوا قرض الخمير والخبز واقتباس النار ، فانه يجلب الرزق على أهل البيت مع مافيه من مكارم الأخلاق » . وقال : « لاتمانعوا قرض الخمير والخبز ، فان منعها يورث الفقر » (١)

(١) صححنا الاحاديث الواردة في هذا المقام على (الوافي) : ٦ / ٢٩٢ ، باب القرض .

وسادسها :

انظار المعسر والتحليل

وهو أيضاً من أفراد البذل المترتب على السخاء، وقد ورد في فضله اخبار كثيرة، قال الصادق ـ عليه السلام ـ : « من أراد أن يظله الله يوم لاظل إلا ظله، فلينظر معسراً، أو يدع له من حقه ». وقال عليه السلام : « إن رسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ قال في يوم حار ـ وحنا كفه ـ : من أحب أن يستظل من فور جهنم ؟ ـ قالها ثلاث مرات ـ فقال الناس في كل مرة : نحن يارسول الله . فقال : من أنظر غريما أو ترك المعسر ». وقال عليه السلام : « صعد رسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ المنبر ذات يوم، فحمد الله واثنى عليه، وصلى على انبيائه ثم قال : أيها الناس، ليبلغ الشاهد الغائب منكم، ألا ومن انظر معسراً كان له على الله في كل يوم ثواب صدقة بمثل ماله، حتى يستوفيه ». وقيل له ـ عليه السلام ـ : « إن لعبد الرحمن بن سبابة ديناً على رجل قد مات، وقد كلمناه ان يحلله فأبى، فقال : ويحه ! أما يعلم ان له بكل درهم عشرة اذا حلله، وإن لم يحلله فانما هو درهم بدرهم ؟ »(١) وفي معناها اخبار كثيرة آخر.

---

(١) صححنا جميع الاحاديث الواردة في هذا المقام على (الوافي) : ٦/ ٢٩٢ باب انظار المعسر والتحليل، وعلى (فروع الكافي) : باب انظار المعسر، كتاب الزكاة .

وسابعها :

بذل الكسوة والسكني ونحوهما

غير ماذكر من وجوه الاعانة بالمسلم ، كبذل الكسوة والسكنى ، وحمله على الدابة ، واعطائه الماعون ، واعارته المتاع وسائر مايحتاج اليه ، وأطراق الفحل وغير ذلك ، فان جميع ذلك من ثمرات السخاء ، ومنعها من نتائج البخل . وفي كل واحد منها فضيلة وثواب ، وورد في فضيلة كل منها اخبار .

ومما يدل على مدح كسوة المؤمن ، قول الباقر ـ عليه السلام ـ : « لإن أحج حجة أحب إلي من أعتق رقبة ورقبة (حتى انتهى الى عشرة) ، ومثلها ومثلها (حتى انتهى الى سبعين) . ولإن اعول أهل بيت من المسلمين ، اشبع جوعتهم ، واكسو عورتهم ، واكف وجوههم عن الناس ، أحب إلي من ان احج حجة وحجة (حتى انتهى الى عشر) وعشر مثلها ومثلها (حتى انتهى الى سبعين) » (١) . وقال الصادق عليه السلام : « من كسا أخاه كسوة شتاء أو صيف ، كان حقاً على الله أن يكسوه من ثياب الجنة ، وأن يهون عليه من سكرات الموت ، وأن يوسع عليه في قبره ، وأن يلقى الملائكة اذا خرج من قبره بالبشرى . وهو قول الله عز وجل في كتابه :

« وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ » (٢)

وقال : « من كسا أحداً من فقراء المسلمين ثوبا من عرى ، أو اعانه

(١) صححنا الحديث على (الوافي) : ٦ / ٢٨٢ ، باب فضل الصدقة .

(٢) الأنبياء ، الآية : ١٠٣ .

بشيء مما يقويه على معيشته ، وكل الله عز وجل به سبعة آلاف ملك من الملائكة ، يستغفرون لكل ذنب عمله ، الى أن ينفخ في الصور » (١).

وثامنها :

مايبذل لوقاية العرض والنفس

مايبذل لوقاية العرض ، وحفظ الحرمة ، ورفع شر الاشرار وظلم الظلمة . فان السخي لايقصر في شيء من ذلك ، والبخيل ربما منع بخله عن ذلك ، فيهتك عرضه ويذهب حرمته . وفي بعض الأخبار دلالة على أن البذل لذلك صدقة . وتقدم أن ماوقى المرء به عرضه فهو له صدقة وكذا بذل ماتقتضيه المروة والعادة من ثمرات الجود والسخاء ، ومن منعه كان بخيلا .

وتاسعها :

ماينفق في المنافع العامة

والخيرات الجارية ، من بناء المساجد والمدارس والربط والقناطير ، واجراء القنوات ، وأمثال ذلك مما يبقى أثره على مر الدهور ، ويصل نفعه وثوابه الى صاحبه في كل وقت الى يوم النشور . ولا يخفى ثواب ذلك . والأخبار الواردة فى مدحه وفضيلته أكثر من أن تحصى ، ولاحاجة الى ذكرها لاشتهارها بين الناس .

---

(١) صححنا الأحاديث الواردة في هذا المقام على (الكافي) : باب من كسا مؤمناً .

تنبيـــه

الفرق بين الانفاق والبر والمعروف

اعلم أن لفظ الانفاق والمعروف والبر يتناول جميع ماتقدم من الانفاقات الواجبة والمستحبة . والفرق بينها : أن الانفاق خاص بالمال ، والمعروف اسم جامع لكل ماعرف من طاعة الله والتقرب اليه والاحسان الى الناس ، وكل ماندب اليه الشرع من فعل وترك ، وهو من الصفات الغالبة ، أي أمر معروف بين الناس إذا رأوه لاينكرونه ، والغالب في الأخبار ارادة مايتعلق بالمال من معانيه . والبر كالمعروف في شموله لجميع أعمال الخير في الأصل ، وانصراف اطلاقه غالباً في الأخبار الى مايتعلق بالمال من وجوه الانفاقات المتقدمة بأسرها ، وربما خص بما سوى الصدقة منها ، لما ورد أن البر والصدقة ينفيان الفقر ويزيدان في العمر . والظاهر أن مبنى الخبر على ذكر الخاص بعـــد العام ، فلا وجه للتخصيص . ثم الصدقة تتناول جميع ماتقدم من وجوه الانفاق ، سوى المروة . وعلى أي تقدير ، لاريب في أن ماورد من الآيات والأخبار في فضيلة مطلق الانفاق والمعروف والبر يدل على فضيلة كل واحد مما تقدم من وجوه الانفاق ، كقوله سبحانه :

« أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ » (١).
وقوله : « وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنْفُسِكُمْ وَمَا تُنْفِقُونَ إِلاَّ ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللهِ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ

---

(١) البقرة ، الآية : ٢٦٧ .

لاَ تُظْلَمُونَ » (١) . وقوله : « وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى . . . » الآية (٢) . وقوله : « قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ . . . » (٣) . وقوله : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لاَ بَيْعٌ فِيهِ وَلاَ خُلَّةٌ وَلاَ شَفَاعَةٌ » (٤) . وقوله : « مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ . . . » الآية (٥) . وقوله : « الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ ثُمَّ لاَ يُتْبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنّاً وَلاَ أَذىً لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ » (٦) .

وقول رسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ : « أول من يدخل الجنة المعروف وأهله ، وأول من يرد علي الحوض » . وقوله ـ صلى الله عليه وآله ـ : « إن البركة أسرع الى البيت الذي يمتار فيه المعروف من الشفرة في سنام الجزور ، أو من السيل الى منتهاه » . وقول الباقر ـ عليه السلام ـ :

---

(١) البقرة ، الآية : ٢٧٢ .
(٢) البقرة ، الآية : ١٧٦ .
(٣) البقرة ، الآية : ٢١٥ .
(٤) البقرة ، الآية : ٢٥٤ .
(٥) البقرة ، الآية : ٢٦١ .
(٦) البقرة ، الآية : ٢٦٢

« إن من أحب عباد الله الى الله ، لمن حبب اليه المعروف وحبب اليه فعاله » وقول الصادق عليه السلام: « إن من بقاء المسلمين وبقاء الإسلام أن تصير الأموال عند من يعرف فيها الحق ويصنع المعروف ، وإن من فناء الاسلام وفناء المسلمين أن تصير الاموال في ايدي من لايعرف فيها الحق ولايصنع فيها المعروف » وقوله - عليه السلام - : « رأيت المعروف كاسمه ، وليس شيء أفضل من المعروف إلا ثوابه » . وقوله عليه السلام مخاطباً لزرارة « ثلاثة إن تعلمهن المؤمن كانت زيادة في عمره وبقاء لنعمه عليه . فقلت وماهن ؟ فقال : تطويله في ركوعه وسجوده في صلاته ، وتطويله لجلوسه على طعامه إذا اطعم على مائدته ، واصطناعه المعروف الى أهله » . وقوله عليه السلام : « أقيلوا لأهل المعروف عثراتهم ، واغفروا لهم ، فان كف الله عليهم هكذا - وأومأ بيده كأنه يظلل بها شيئاً » . وقوله - عليه السلام - : « صنائع المعروف تقي مصارع السوء » . وقال عليه السلام : « إن للجنة باباً يقال له المعروف ، لايدخله إلا أهل المعروف . وأهـل المعروف في الدنياهم أهـل المعروف في الآخرة » : يعني كما أنهم يصنعون المعروف في الدنيا كذلك يصنعونه في الآخرة ، يهبون حسناتكم لمن شاؤا ، كما قال الصادق عليه السلام في خبر آخر : « يقال لهم في الآخرة : إن ذنوبكم قد غفرت لكم ، فهبوا حسناتكم لمن شئتم وادخلوا الجنة » . وقال عليه السلام : « قال اصحاب رسول الله - صلى الله عليه وآله - : يارسول الله فداك آباؤنا وامهاتنا ! إن اصحاب المعروف في الدنيا عرفوا بمعروفهم ، فبم يعرفون في الآخرة ؟ فقال - صلى الله عليه وآله - : إن الله اذا أدخل أهل الجنة الجنة ، أمر ريحاً عبقة طيبة فلصقت بأهل المعروف ، فلا يمر أحد منهم بملأ من أهل الجنة إلا وجدوا ريحه ، فقالوا : هذا من أهل

المعروف » (١).

ومنها – أي من رذائل القوة الشهوية – :

طلب الحرام

وعدم الاجتناب عنه . ولا ريب في كونه مترتباً على حب الدنيا والحرص عليها ، وهو أعظم المهلكات ، به هلك اكثر من هلك ، وجل الناس حرموا عن السعادة لأجله ، ومنعوا عن توفيق الوصول الى الله بسببه . ومن تأمل يعلم أن اكل الحرام أعظم الحجب للعبد من نيل درجة الأبرار ، وأقوى الموانع له عن الوصول الى عالم الأنوار ، وهو موجب لظلمة القلب وكدرته ، وهو الباعث لخبثه وغفلته ، هو العلة العظمى لخسران النفس وهلاكها ، وهو السبب الأقوى لضلالتها وخباثتها ، هو الذى أنساها عهود الحمى ، وهو الذى أهواها في مهاوى الضلالة والردى وما للقلب المتكون من الحرام والاستعداد لفيوضات عالم القدس ! وأنى للنطفة الحاصلة منه والوصول إلى مراتب الأنس ! وكيف يدخل النور والضياء في قلب أظلمته أدخنة المحرمات ؟ ! وكيف تحصل الطهارة والصفاء لنفس اخبثتها قذرات المشتبهات ؟ !

ولأمر ما حذر عنه أصحاب الشرع وأمناء الوحي غاية التحذير ، وزجروا منه أشد الزجر . قال رسول الله – صلى الله عليه وآله – : « إن لله ملكا على بيت المقدس ، ينادى كل ليلة : من أكل حراماً لم يقبل منه صرف ولا عدل » : أي لا نافلة ولا فريضة . وقال – صلى الله

(١) صححنا الاحاديث الواردة هنا على (الوافي) : ٦ / ٢٨٩ – ٢٩٠ . وعلى (الوسائل) : كتاب الامر بالمعروف ، ابواب فعل المعروف ، الباب ١ – ٦ ؛

عليه وآله ـ : « من لم يبال من أين اكتسب المال ، لم يبال الله من أين أدخله النار » . وقال ـ صلى الله عليه وآله ـ : « كل لحم نبت من حرام فالنار أولى به » . وقال ـ صلى الله عليه وآله ـ « من أصاب مالا من مأثم ، فوصل به رحماً أو تصدق به أو أنفقه في سبيل الله ، جمع الله ذلك جمعاً ، ثم أدخله في النار » . وقال ـ صلى الله عليه وآله : « إن أخوف ما أخاف على أمتي من بعدي هـذه المكاسب الحرام ، والشهوة الخفية ، والربا » . وقال ـ صلى الله عليه وآله ـ : « من اكتسب مالا من الحرام فان تصدق به لم يقبل منه ، وإن تركه وراءه كان زاده الى النار » (١) . وقال الصادق ـ عليه السلام ـ : « إذا اكتسب الرجل مالا من غير حله ثم حج فلبى ، نودي : لا لبيك ولا سعديك ! وان كان من حله ، نودي لبيك وسعديك! » (٢) . وقال ـ عليه السلام ـ: « كسب الحرام يبين في الذرية » . وقال ـ عليه السلام ـ في قوله تعالى :

« وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُوراً » (٣)

« ان كانت اعمالهم أشد بياضاً من القباطي ، فيقول الله عز وجل

---

(١) هذه النبويات ـ عدا الخامس ـ مذكورة في (احياء العلوم) : ٢ / ٨١ ، وصححناها عليه . اما الخامس ، فقد رواه في (الوسائل) عن (الكافي) : كتاب التجارة ، ابواب مايكتسب منه ، الباب ١ ، الحديث ١ .

(٢) صححنا الحديث على (الوسائل) : كتاب التجارة ، ابواب ما يكتسب به ، باب عدم جواز الانفاق من الكسب الحرام ، الحديث ٣ . وفي نسخ (جامع السعادات) : « اذا كسب » .

(٣) الفرقان ، الآية : ٢٣ .

لها : كوني هباء . وذلك أنهم كانوا اذا شرع لهم الحرام أخذوه »(١) وقال الكاظم ـ عليه السلام ـ : « إن الحرام لاينمي ، وان نمى لم يبارك فيه ، وإن انفقه لم يؤجر عليه ، وما خلفه كان زاده الى النار » : وفي بعض الاخبار : « أن العبد ليوقف عند الميزان ، وله من الحسنات أمثال الجبال ، فيسأل عن رعاية عياله والقيام بهم ، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم انفقه ، حتى تفنى تلك المطالبات كل أعماله ، فلا تبقى له حسنة . فتنادى الملائكة : هذا الذي أكل عياله حسناته في الدنيا ، وارتهن اليوم باعماله » وورد : « أن أهل الرجل وأولاده يتعلقون به يوم القيامة ، فيوقفونه بين يدى الله تعالى ، ويقولون : ياربنا ، خذ لنا بحقنا منه ، فانه ماعلمنا مانجهل ، وكان يطعمنا من الحرام ونحن لانعلم . فيقتص لهم منه » (٢).

فصل

عزة تحصيل الحلال

ينبغي لطالب النجاة أن يفر من الحرام فراره من الأسد ، ويحترز منه احترازه من الحية السوداء ، بل أشد . وأنى يمكنه ذلك في أمثال زماننا الذي لم يبق فيه من الحلال إلا الماء الفرات والحشيش النابت في ارض الموات ، وما عداه قد أخبثته الأيدى العادية ، وأفسدته المعاملات الفاسدة

(١) صححنا الحديث على (الوسائل) : كتاب التجارة ، ابواب ما يكتسب به الباب ١ ، الحديث ٦ . وكذا ماقبله في هذا الباب ، الحديث ٣ .

(٢) هذان الخبران الاخيران لم نعثر لها على مستند . وقد ذكرهما في (احياء العلوم) : ٣/٣٠ ، فقال عن الأول : « وفي الخبر » ، وعن الثاني : « ويقال » .

مامن درهم إلا وقد غصب من أهله مرة بعد أولى ، وما من دينار إلا وقد خرج من ايدى من أخذه قهراً كرة غب أولى ، جل المياه والأراضي من أهلها مغصوبة ، وأنى يمكن القطع بحلية الأقوات واكثر المواشي والحيوانات من أهلها منهوبة ، فأنى يتأتى الجزم بحليـة اللحوم والألبان والدسوم . فهيهات ذلك هيهات ! مامن تاجر إلا ومعاملته مع الظالمين ، وما من ذى عمل إلا وهو مخالط للجائرين من عمال السلاطين .

وبالجملة : الحلال في امثال زماننا مفقود ، والسبيل دون الوصول اليه مسدود . ولعمرى ! أن فقده آفة عم في الدين ضررها ، وثار استطار في الخلق شررها . والظاهر أن اكثر الأعصار كان حالها كذلك . ولذلك قال الامام جعفر بن محمد الصادق - عليهما السلام - : « المؤمن يأكل في الدنيا بمنزلة المضطر » . وقال رجل للكاظم - عليه السلام - : « ادع الله جل وعز أن يرزقني الحلال ، فقال : أتدرى ما الحلال ؟ قال : الكسب الطيب . فقال : كان علي بن الحسين - عليهما السلام - يقول : الحلال قوت المصطفين . ولكن قل : أسألك من رزقك الواسع » . ومع ذلك كله ، لاينبغي للمؤمن أن ييأس من تحصيل الحلال ، ويترك الفرق والفصل بين الأموال ، فان الله سبحانه أجل واعظم من أن يكلف عباده بأكل الحلال ويسد عنهم طريق تحصيله .

فصل

انواع الاموال

اعلم أن الاموال على أقسام ثلاثة : حلال بين ، وحرام بين ، وشبهات بينهما . ولكل منها درجات ، فان الحرام وإن كان كله خبيثاً ،

إلا أن بعضه أخبث من بعض ، فان مايؤخذ بالمعاملة الفاسدة مع التراضي ليس في الحرمة كمال اليتيم الذي يؤخذ قهراً . وكذا الحلال وإن كان كله طيباً ، إلا أن بعضه أطيب من بعض . والشبهة كلها مكروهة ، ولكن بعضها أشد كراهة من بعض . وكما أن الطبيب يحكم على كل حاو بالحرارة ولكن يقول بعضه حار فى الدرجة الأولى ، وبعضه في الثانيه ، وبعضه في الثالثة ، وبعضه في الرابعة ، فكذلك الحرام بعضه خبيث في الدرجة الأولى وبعضه في الثانية ، وبعضه في الثالثة ، وبعضه في الرابعة . وكذلك درجات الحلال فى الصفاء والطيبة ، ودرجات الشبهة في الكراهة .

ثم الحرام إما يحرم لعينه ، كالكلب والخنزير والتراب وغيرها من المحرمات العينية ، أولصفة حادثة فيه ، كالخمر لاسكاره ، والطعام المسموم لسميته ، أو لخلل في جهة اثبات اليد عليه . وله أقسام غير محصورة ، كالمأخوذ بالظلم والقهر والغصب والسرقة والخيانة في الأمانة وغيرها ، والغش والتابيس والرشوة ، وبالبخس في الوزن والكيل ، وباحدى المعاملات الفاسدة من الربا والصرف والاحتكار ، وغير ذلك مما هو مذكور في كتب الفقه وقد نهى الله سبحانه عن جميع ذلك في آيات كثيرة ، كقوله تعالى :

« وَلاَ تَأْكُلُوا أَمْوالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالبَاطِلِ » (١) . وقوله : « إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوالَ الْيَتَامىٰ ظُلْماً . . . » (٢) . وعن خصوص الربا بقوله : « يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَذَرُوا

(١) البقرة ، الآية : ١٨٨ .

(٢) النساء ، الآية : ٩ .

مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ » ، ثم قال : « فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ » ، ثم قال « وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُؤُسُ أَمْوَالِكُمْ » (١) ، ثم قال : « وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ » (٢) .

جعل أكل الربا في أول الأمر مؤدياً الى محاربة الله ، وفي آخره متعرضاً للنار . وقد ورد الذم الشديد على كل واحد منها بخصوصه في أخبار كثيرة ، وهي في كتب الأخبار والفقه مذكورة ، وتفصيل جميع المحرمات موكول الى كتب الفقه ، وليس هنا موضع بيانه ، فليرجع فيه الى كتب الفقهاء .

الفرق بين الرشوة والهدية

وربما يتوهم الاشتباه في بعض الموارد بين الرشوة والهدية ، فلنشر الى جلية الحال فيهما ، فنقول : ههنا صور :

الأولى ـ أن يسلم أو يرسل مالا الى بعض الاخوان طلباً للاستئناس وتأكيداً للصحبة والتودد . وقد عرفت كونه هدية وحلالا ، سواء قصد به الثواب في الآخرة والتقرب الى الله تعالى أيضا ، أولم يقصد به الثواب بل قصد مجرد الاستئناس والتودد .

الثانية ـ أن يقصد بالبذل عوض مالي معين في العاجل ، كأن يهدى

(١) البقرة ، الآية : ٢٧٨ — ٢٧٩ .

(٢) البقرة ، الآية : ٢٧٥ .

الفقير الى الغنى أو الغنى الى الغني شيئاً طمعاً في عوض أكثر أومساو من ماله. وهذا أيضاً نوع هدية ، وحقيقته ترجع الى هبة بشرط العوض ، واذا وفى بما (يطمع فيه) (١) من العوض فلا ريب في حليته . قال الصادق عليه السلام : « الربا رباءان : ربا يؤكل ، وربا لايؤكل فاما الذي يؤكل فهديتك الى الرجل تطلب منه الثواب أفضل منها ، فذلك الربا الذي يؤكل وهو قول الله تعالى :

« وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رِباً لِيَرْبُو فِي أَمْوالِ النَّاسِ فَلاَ يَرْبُوا عِنْدَ اللهِ » (٢) .

وأما الذي لايؤكل ، فهو الذي نهى الله عز وجل عنه ، وأوعد عليه النار » (٣) وعنه - عليه السلام - : « قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وآله - الهدية على ثلاثة وجوه : هدية مكافأة ، وهدية مصانعة ، وهدية لله عز وجل » (٤) . وفي بعض الأخبار نوع إشعار بالحل ، وإن لم يتحقق الوفاء بما (يطمع فيه) (٥) من العوض ، كخبر اسحاق بن عمار عن الصادق - عليه السلام - : « قال : قلت له عليه السلام : الرجل

(١) في النسخ : « يطعمه » ، فرجحنا ماأثبتناه .

(٢) الروم ، الآية : ٣٩ .

(٣) صححناه على (الوسائل) : كتاب التجارة ، أبواب الربا ، الباب ٣ ، الحديث ١ .

(٤) صححناه على (الوسائل) : كتاب التجارة ، أبواب مايكتسب به ، الباب ١١٩ ، الحديث ٢ .

(٥) في النسخ : (يطمعه) .

الفقير يهدى الي الهدية، يتعرض لما عندي، فآخذها ولا أعطيه شيئاً أيحل لي؟ قال نعم! هي لك حلال، ولكن لاتدع أن تعطيه» (١) وهل يحل مع إعطائه العوض المطموع فيه اذا لم يكن من ماله، بل كان من الأموال التي أعطته الناس ليصرف الى الفقراء من الزكوات والاخماس وسائر وجوه البر، والظاهر الحل اذا كان المهدي من أهل الاستحقاق والمهدى له معطياً إياه، وإن لم يكن ليهدى له شيئاً. وفيه تأمل، كما يظهر بعد ذلك.

الثالثة — أن يقصد به الاعانة بعمل معين، كالمحتاج الى السلطان او ذي شوكة يهدي الى وكيلها، أو من له مكانة عندها، فينظر الى ذلك العمل، فان كان حراماً، كالسعي في تنجز إدرار حرام أو ظلم انسان أو غير ذلك، أو واجباً، كدفع ظلم أو استخلاص حق ينحصر الدفع والاستخلاص به، أو شهادة معينة، أو حكم شرعي يجب عليه، اوامثال ذلك، فهو رشوة محرمة يحرم أخذها، وإن كان العمل مباحاً لا حراماً ولا واجباً. فان كان فيه تعب، بحيث جاز الاستئجار عليه، فما يأخذه حلال وجار مجرى الجعالة، كأن يقول: أوصل هذه الفضة الى السلطان ولك دينار. أواقترح على فلان أن يعينني على كذا اويعطيني كذا، وتوقف تنجز غرضه على تعب أو كلام طويل، فما يأخذه في جميع ذلك مباح، اذا كان الغرض مشروعاً مباحاً، وهو مثل ما يأخذه وكيل القاضي للخصومة بين يديه، بشرط ألا يتعدى من الحق. وإن لم يكن العمل مما فيه تعب بل كان مثل كلمة أو فعلة لاتعب فيها أصلا، ولكن كانت تلك الكلمة أو تلك الفعلة من مثله مفيدة، لكونه ذا منزلة، كقوله للبواب لاتغلق دونه باب السلطان، فقال بعض العلماء: الآخذ على هذا حرام، إذ لم

(١) صححناه على (الوسائل): كتاب التجارة، أبواب مايكتسب به، الباب ١١٩، الحديث ٢.

يثبت في الشرع جواز ذلك . ويقرب من هذا أخذ الطبيب العوض على كلمة واحدة ينبه بها على دواء يتفرد بمعرفته . وفيه نظر ، إذ الظاهر جواز هذا الأخذ مع مشروعية الغرض وعدم كونه واجباً عليه :

الرابعة — أن يطلب به حصول التودد والمحبة ، ولكن لامن حيث إنه تودد فقط ، بل ليتوصل بجاهه الى اغـراض ينحصر جنسها وإن لم ينحصر عينها ، وكان بحيث لولا جاهه لكان لايهدى اليه ، فان كان جاهه لأجل علم أورع أو نسب فالأمر فيه أخف ، والظاهر كون الأخذ حينئذ مكروهاً ، لأنه هدية في الظاهر مع كونه مشابهاً للرشوة . وإن كان لأجل ولاية تولاها ، من قضاء أو حكومة أو ولاية صدقة أو وقف أو جباية مال أو غير ذلك من الاعمال السلطانية ، فالظاهر كون مايأخذه حراماً لو كان بحيث لايهدى اليه لولا تلك الولاية ، لأنه رشوة عرضت في معرض الهدية ، اذ القصد بها في الحال طلب التقرب والمحبة ، ولكن لأمر ينحصر في جنسه ، لظهور أن مايمكن التوصل اليه بالولايات ماذا ، قال رسول الله - صلى الله عليه وآله - : « يأتي على الناس زمان يستحل فيه السحت بالهدية ، والقتل بالموعظة ، يقتـل البريء لتوعظ به العامة » . وروى : « أنه صلى الله عليه وآله بعث والياً على صدقات الأزد ، فلما جاء أمسك بعض مامعه ، وقال : هذا لكم وهذا لي هدية . فقال - صلى الله عليه وآله - : ألا جلست في بيت أبيك وبيت امك حتى تأتيك هـدية إن كنت صادقاً ! ثم قال : مالي استعمل الرجل منكم ، فيقول : هذه لكم وهذه هدية لي ، ألا جلس في بيت أمه ليهدى له ! والذي نفسي بيده ! لايأخذ منكم أحد شيئاً بغير حقه إلا أتى الله بحمله ، ولا يأتين احدكم يوم القيامة ببعير له رغاء ، أو بقرة لها خوار أو شاة تيعر :.. ثم رفع يديه

حتى رأوا بياض ابطيه ، وقال : اللهم هل بلغت ؟ » (١) .

وعلى هـذا ، فينبغي لكل وال أوحاكم وقاض وغيرهم من عمال السلاطين ، أن يقدر نفسه في بيت أبيه وامه معزولا بلا شغل ، فما كان يعطى حينئذ يجوز له أن يأخذه في ولايته أيضا ، وما لايعطى مع عزله ويعطى لولايته يحرم أخذه ، وما أشكل عليه من عطايا اصدقائه فهو شبهة وطريق الاحتياط فيها واضح .

وصل

الورع عن الحرام

ضد عدم الاجتناب عن الحرام التنزه والاحتياط عنه ، وهو الورع بأحد اطلاقيه . فان الورع قد يفسر بملكة التنزه والاجتناب عن مال الحرام اكلا وطلباً واخذاً واستعمالا ، وقد يفسر بكف النفس عن مطلق المعاصي ومنعها عما لاينبغي . فعلى الأول يكون ضداً لعـدم الاجتناب عن المال الحرام ، ويكون من رذائل قوة الشهوة ، وعلى الثاني يكون ضداً لملكة الولوع على مطلق المعصية ، ويكون من رذائل القوة الغضبيـة والشهوية جميعاً .

ثم الظاهر ان التقوى مرادفة للورع ، فان لها ايضاً تفسيرين : احدهما الاتقاء عن الأموال المحرمة ، وقد اطلقت التقوى في بعض الأخبار على هذا المعنى . وثانيهما : ملكة الاتقاء عن مطلق المعاصي ، خوفاً من سخط الله وطلباً لرضاه . فعلى الأول يكون ضداً لعدم التنزه عن المال الحرام ورذيلة

(١) صححنا هذين النبويين على مافي (احياء العلوم) : ٢ / ١٣٧ .

لقوة الشهوة ، وعلى الثاني يكون ضداً لملكة ارتكاب المعاصي ورذيلة للقوتين معاً .

ثم اللازم على طريقتنا ان يذكر الورع والتقوى بالتفسير الأول هنا وبالتفسير الثاني في المقام الرابع الذي نذكر فيه مايتعلق بالقوتين أو بالثلاث من الرذائل والفضائل : إلا انا نذكر ماورد في فضيلتها هنا ، لدلالة ما ورد في فضيلتها بالتفسير الثاني على فضيلتها بالتفسير الاول أيضاً ، ولعدم فائدة في استئناف عنوان على حدة لمطلق المعصية وذكر ماورد في ذمها ، ثم تذييلها بضدها الذي هو الورع والتقوى بتفسيريها العام . إذ بعد ذكر جميع الأجناس والانواع والاصناف من المعاصي والطاعات ، بأحكامها ولوازمها وذمها ومدحها ، لافائدة لاستئناف ذكر مطلق المعصية او الطاعة إذ لايتعلق بهما غرض سوى ذكر ماورد في ذم مطلق المعصية ، وماورد في مدح مطلق الطاعة ، وهذا امر ظاهر لاحاجة اليه في كتب الاخلاق . نعم ، نشير الى مطلق العصيان وضده ، اعني الورع والتقوى بالمعنى الأعم إجمالا ، ضبطاً للانواع والأقسام .

فصل

مدح الورع

الورع والتقوى عن الحرام أعظم المنجيات ، وعمدةماينال به الى السعادات ورفع الدرجات . قال رسول الله - صلى الله عليه وآله - : « خير دينكم الورع » . وقال - صلى الله عليه وآله - : « من لقى الله سبحانه ورعاً ، أعطاه الله ثواب الاسلام كله » . وفي بعض الكتب السماوية « وأما الورعون ، فاني استحيي أن أحاسبهم » . وقال الباقر - عليه السلام -:

« إن أشد العبادة الورع » . وقال - عليه السلام - : « ماشيعتنا إلا من أتقى الله واطاعه ، فاتقوا الله واعملوا لما عند الله ، ليس بين الله وبين أحد قرابة . أحب العباد الى الله تعالى واكرمهم عليه أبقاهم واعملهم بطاعته» وقال الصادق - عليه السلام - : « أوصيك بتقوى الله والورع والاجتهاد واعلم أنه لاينفع اجتهاد لاورع فيه » . وقال : « اتقوا الله وصونوا دينكم بالورع » . وقال عليه السلام : « عليكم بالورع ، فانه لاينال ماعند الله إلا بالورع » . وقال - عليه السلام - : « إن الله ضمن لمن اتقاه ، أن يحوله عما يكره الى مايحب ، ويرزقه من حيث لايحتسب » . وقال - عليه السلام - : « إن قليل العمل مع التقوى خير من كثير بلا تقوى » . وقال عليه السلام : « مانقل الله عبداً من ذل المعاصي الى عز التقوى ، إلا أغناه من غير مال ، واعزه من غير عشيرة ، وآنسه من غير بشر » . وقال - عليه السلام - : « إنما اصحابي من اشتد ورعه ، وعمل لخالقه ، ورجا ثوابه ، هؤلاء أصحابي » . وقال عليه السلام : « ألا وإن من اتباع امرنا وارادته الورع ، فتزينوا به يرحمكم الله ، وكيدوا أعداءنا ينعشكم الله » . وقال - عليه السلام - : « اعينونا بالورع ، فان من لقى الله تعالى منكم بالورع ، كان له عند الله فرجاً . إن الله عز وجل يقول :

« وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَـئِكَ مَعَ الَّذِيْنَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّيْنَ وَالصِّدِّيْقِيْنَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِيْنَ وَحَسُنَ أُولَـئِكَ رَفِيْقاً (١) .

---

(١) النساء ، الآية : ٦٨ .

فمنا النبي ، ومنا الصديق والشهداء والصالحون » وقال أبو جعفر - عليه السلام - : « قال الله عز وجل . يابن آدم ، اجتنب ماحرم عليك تكن من أورع الناس » . وسئل الصادق - السلام السلام - عن الورع من الناس ، فقال : « الذي يتورع عن محارم الله عز وجل » (١).

ولكون طلب الحرام وعدم الاجتناب عنه باعثاً للهلاك ، وتوقف النجاة والسعادة في الآخرة على الورع عن المحرمات ، مع افتقار الناس في الدنيا الى المطاعم والملابس ، ورد في فضيلة كسب الحلال ومدحه ماورد

قال رسول الله - صلى الله عليه وآله - : « طلب الحلال فريضة على كل مسلم ومسلمة » . وقال - صلى الله عليه وآله - : « من بات كالا من طلب الحلال ، بات مغفوراً له » . وقال - صلى الله عليه وآله - : « العبادة سبعون جزأ ، أفضلها طلب الحلال » . وقال - صلى الله عليه وآله - : العبادة عشرة أجزائه في طلب الحلال » . وقال - صلى الله عليه وآله - : « من أكل من كد يده ، مر على الصراط كالبرق الخاطف » ، وقال - صلى الله عليه وآله - : « من أكل من كد يده ، نظر الله اليه بالرحمة ، ثم لا يعذبه أبداً » . وقال - صلى الله عليه وآله - : « من أكل من كد يده حلالا ، فتح الله له أبواب الجنة ، يدخل من أيها شاء » وقال صلى الله عليه وآله : « من أكل من كد يده ، كان يوم القيامة في عداد الأنبياء ، ويأخذ ثواب الأنبياء » . وقال - صلى الله عليه وآله - : « من طلب الدنيا استعفافا عن الناس وسعياً على أهله وتعطفاً على جاره

---

(١) صححنا الاحاديث الواردة في هذا الفصل على الكافي باب الطاعة والتقوى وباب الورع . وعلى (البحار) : ٢ مج ١٥ / ٩٦ - ٨٩ باب الطاعة والتقوى ، وباب الورع واجتناب الشبهات .

لقي الله عز وجل يوم القيامـــه ووجهه كالقمر ليلة البدر » (١) وكان ـ صلى الله عليه وآله ـ اذا نظر الى الرجل واعجبه ، قال : « هـــل له حرفة ؟ فان قال : لا ، قال : سقط من عيني : قيـــل : وكيف ذاك يارسول الله ؟ قال : لأن المؤمن اذا لم تكن له حرفة يعيش بدينه » . وقال ـ صلى الله عليه وآله ـ : « من سعى على عياله من حلـــه ، فهو كالمجاهد في سبيل الله » . وقال ـ صلى الله عليه وآله ـ : « من طلب الدنيا حلالا في عفاف ، كان في درجة الشهداء » وقال ـ صلى الله عليه وآله ـ : « من أكل الحلال أربعين يوماً ، نور الله قلبه ، وأجرى ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه » . وطلب منه ـ صلى الله عليه وآله ـ بعض الصحابة أن يجعله الله تعالى مستجاب الدعوة ، فقال له : « أطب طعمتك تستجب دعوتك » . وقال الصادق عليه السلام : « اقرؤا من لقيتم من اصحابكم السلام ، وقولوا لهم : إن فـــلان بن فـــلان يقرؤكم السلام ، وقولوا لهم : عليكم بتقوى الله عز وجل ، وما ينال به ما عند الله ، إني والله ما آمركم إلا بما نأمر به أنفسنا ، فعليكم بالجد والاجتهاد ، وإذا صليتم الصبح وانصرفتم ، فبكروا في طلب الرزق ، واطلبوا الحلال ، فان الله عز وجل سيرزقكم ويعينكم عليه » (٢)

(١) صححنا اكثر الأحاديث المذكورة هنا على الوسائل : كتاب التجارة ، ابواب مقدماتها ، الباب ٤ . وعلى فروع الكافي : كتاب المعيشة ، باب الحث على الطلب والتعرض للرزق .

(٢) صححنا الحديث على الوسائل : كتاب التجارة ، في الباب المتقدم ،

فصل

مداخل الحلال

اعلم أن مداخل الحلال خمسة :

الأول — مالا يؤخذ من مالك ، كنيل المعادن ، وإحياء الموات ، والاصطياد ، والاحتطاب ، والاحتشاش ، والاستقاء من الشطوط والأنهار وهذا حلال بشرط عدم صيرورته مختصاً بذي حرمة من الناس ، وتفصيل ذلك موكول الى كتاب احياء الموات .

الثاني — مايؤخذ قهراً ممن لاحرمة له ، وهو الفيء ، والغنيمة ، وسائر أموال الكفار المحاربين . وذلك حلال للمسلمين بالشروط المقررة في كتاب الغنائم والجزية .

الثالث — ماينتقل اليه بالرضى من غير عوض ، من حي أو ميت ، كالهبة ، والميراث ، والوصية ، والصدقات . وهذا حلال بشرط أن يكون المنقول منه اكتسبه من مداخل الحلال ، وبضمن سائر الشروط المقررة في كتاب الهبات والفرايض والوصايا والصدقات .

الرابع — مايؤخذ تراضياً بمعاوضة ، وذلك حلال بالشرائط والآداب المقررة في فن المعاملات من الفقه ، من البيع ، والسلم ، والاجارة ، والصلح والشركة ، والمضاربة ، والمزارعة ، والمساقاة ، والحوالة ، والضمان ، والكتابة ، والخلع ، والصداق ، وغير ذلك من المعاوضات :

الخامس — مايحصل من الزراعة ومنافع الحيوانات . وهو حلال اذا كان الأرض والبذر والماء والحيوانات حلالا بأحد الوجوه المتقدمة .

فهذه مداخل الحلال ، فينبغي لطالب النجاة أن يكون ما يكتسبه

من المال من أحد هذه المداخل ، بعد فتوى الفقيه العدل بحصول شرائط الحليـة .

فصل

درجات الورع

قسم بعض العلماء الورع والتقوى عن الحرام على اربع درجات :

الأولى — ورع العدول : وهو الاجتناب عن كل ما يـلزم الفسق باقتحامه ، وتسقط به العدالة ، ويثبت به العصيان والتعرض للنار ، وهو الورع عن كل مايحرمه فتوى المجتهدين .

الثانية — ورع الصالحين : وهو الاجتناب من الشبهات أيضاً .

الثالثة — الورع عما يخاف اداؤه الى محرم أو شبهة أيضا ، وإن لم يكن في نفسه حراماً ولا شبهة ، فهو ترك مالا بأس به مخافة مابه بأس .

الرابعة — ورع الصديقين : وهو الاجتناب عن كل ماليس لله ، ويتناول لغير الله ، وغير نيته التقوى على عبادته وإن كان حلالا صرفاً لايخاف اداؤه الى حرام أو شبهة . والصديقون الذين هذه درجتهم هم الموحدون المتجردون عن حظوظ انفسهم ، المتفردون لله تعالى بالقصد ، الراؤن كل ماليس لله تعالى حراماً ، العاملون بقوله سبحانه :

« قلِ اللهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ » (١) .

(١) الانعام ، الآية : ٩١ .

تتميم

قال الصادق ـ عليه السلام ـ : « التقوى على ثلاثة أوجه : تقوى من خوف النار والعقاب ، وهو ترك الحرام ، وهو تقوى العام . وتقوى من الله ، وهو ترك الشبهات فضلا عن الحرام ، وهو تقوى الخاص . وتقوى في الله ، وهو ترك الحلال فضلا عن الشبهة » (١) والى هذه المراتب الثلاث أشير في الكتاب الإلهي بقوله :

« لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوا وَآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوا وَأَحْسَنُوا وَاللهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ » (٢) .

الغدر والخيانة

في المال أو العرض أو الجاه . ويدخل تحته الذهاب بحقوق الناس خفية ، وحبسها من غير عسر ، وبالبخس في الوزن والكيل ، وبالغش بما يخفى ، وغير ذلك من التدليسات المموهة والتلبيسات المحرمة . وجميع

(١) هذا مقتبس من (مصباح الشريعة) : الباب ٨٣ وفيه تقديم وتأخير في مراتب التقوى عما هنا ولم يتبين لنا وجه صحة التعبير : تقوى العام وتقوى الخاص فاثبتناه كما وجدناه .

(٢) المائدة ، الآية : ٩٦ .

ذلك من خيانة القوة الشهوية ورذائلها ، ومن الرذائل المهلكة وخبائثها .
وقد وردت في ذم الخيانة وبأقسامها أخبار كثيرة ، وجميع مايدل على ذم الذهاب بحقوق الناس وأخذ أموالهم بدون رضاهم يدل على ذمها .

وضد الخيانة (الأمانة) ، وقد وردت في مدحها وعظم فوائدها اخبار كثيرة ، كقول الصادق ـ عليه السلام ـ : « إن الله عز وجل لم يبعث نبياً إلا بصدق الحديث وأداء الأمانة الى البر والفاجر » وقوله ـ عليه السلام ـ : « لاتغتروا بصلاتهم ولا بصيامهم ، فان الرجل ربما لهج بالصلاة والصوم حتى لو تركه استوحش ، ولكن اختبروهم بصدق الحديث وأداء الأمانة » (١) وقوله ـ عليه السلام ـ : « انظر مابلغ به علي عليه السلام عند رسول الله صلى الله عليه وآله فالزمه ، فان علياً ـ عليه السلام ـ إنما بلغ مابلغ به عنـــد رسول الله صلى الله عليه وآله بصدق الحديث وأداء الامانة » (٢) وقوله ـ عليه السلام ـ : « ثلاث لاعذر فيها لأحد : أداء الامانة الى البر والفاجر ، والوفاء بالعهد الى البر والفاجر ، وبر الوالدين برين كانا أو فاجرين » (٣) وقوله ـ عليه السلام ـ : « كان أبي يقول

(١) في نسخ جامع السعادات والبحار والوسائل : « عند صدق الحديث... » ورجحنا نسخة الكافي .

(٢) صححنا هذه الاحاديث الثلاثة على البحار : ٢ مج ١٥ / ١٢٣ - ١٢٤ باب الصدق ولزوم أداء الأمانة ، وعلى الكافي : باب الصدق واداء الأمانة . وعلى الوسائل : كتاب الوديعة الباب ١ .

(٣) روى في الكافي باب بر الوالدين ـ : هـذا الحـــديث عن أبي جعفر ـ عليه السلام ـ وجاء فيه : « ثلاث لم يجعل الله عز وجل لأحد فيهن رخصة ... » ولكن في الوسائل ـ كتاب الوديعـــة الباب ٢ الطبعة الحجرية ـ رواه عن الكافي كما في المتن .

اربع من كن فيه كمل ايمانه، وإن كان من قرنه الى قدمه ذنوباً لم ينقصه ذلك، وهي : الصدق، وأداء الامانة، والحياء، وحسن الخلق » (١).
وقوله ـ عليه السلام ـ : « أهل الأرض مرحومون مايخافون وأدوا الأمانة وعملوا بالحق ». وقيل له عليه السلام : « إن امرأة بالمدينة كان الناس يضعون عندها الجواري فيصلحن، ومع ذلك مارأينا مثل ماصب عليها من الرزق. فقال : إنها صدقت الحديث وأدت الأمانة، وذلك يجلب الرزق » (٢) والأخبار في فضيلة الامانة كثيرة. ولقد قال لقمان : «مابلغت الى مابلغت اليه من الحكمة، إلا بصدق الحديث وأداء الامانة ». فمن تأمل في ذم الخيانة وايجابها الفضيحة والعار في الدنيا والعذاب والنار في الآخرة، وفي فضيلة الأمانة وأدائها الى خير الدنيا وسعادة الاخرة، سهل عليه ترك الخيانة والاتصاف بالأمانة.

انواع الفجور

من الزنا، واللواط، وشرب الخمر، والاشتغال بالملاهي، واستعمال آلاتها، من العود، والمزمار، والرباب، والدف، وامثالها. فان كل ذلك من رذائل القوة الشهوية. وكذا لبس الذهب والحرير للرجال. وقد وردت في ذم كل واحد منهما بخصوصه اخبار كثيرة، ولا حاجة الى ذكرها، لشيوعها واشتهارها.

(١) روى في الكافي باب حسن الخلق ـ هذا الحديث عن الصادق ـ عليه السلام ـ، وليس فيه : « كان أبي يقول ».

(٢) صححنا الحديث على الوسائل : كتاب الوديعة، الباب ١ وهو يرويه عن الكافي.

ومنها :

الخوض في الباطل

وهو التكلم في المعاصي والفجور وحكايتها ، كحكايات أحوال النساء ومجالس الخمر ، ومقامات الفساق ، وتنعم الأغنياء ، وتجبر الملوك ومراسمهم المذمومة واحوالهم المكروهة ، وأمثال ذلك . فكل ذلك من رداءة القوة الشهوية وخباثتها .

ثم لما كانت أنواع الباطل غير محصورة لكثرتها ، فالخوض فيه أيضاً كذلك ، وتكون له انواع غير متناهية ، ولا يفتح باب كلام إلا وينتهي الى واحد منها ، فلا خلاص منه إلا باقتصار الكلام على قدر الحاجة من مهمات الدين والدنيا . وربما وقعت من الرجل من انواع الخوض في الباطل كلمة تهلكه وهو مستحقر لها ، فان أكثر الخوض في الباطل حرام ، ولذا قال رسول الله - صلى الله عليه وآله - : « أعظم الناس خطايا يوم القيامة اكثرهم خوضاً في الباطل » . واليه الاشارة بقوله تعالى .

« وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ » (١) . وقوله تعالى : « فَلاَ تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ » (٢) .

وقال - صلى الله عليه وآله - : « إن الرجل ليتكلم بالكلمة من

(١) المدثر ، الآية : ٤٥ .

(٢) النساء ، الآية : ١٣٩ .

رضوان الله ، مايظن أن تبلغ مابلغت ، فيكتب الله له بها رضوانه الى يوم القيامة . وان الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله ، مايظن أن تبلغ مابلغت ، فيكتب الله عليه بها سخطه الى يوم القيامة » (١) وقال سلمان الفارسي - رضي الله عنه - : « اكثر الناس ذنوباً يوم القيامة ، اكثرهم كلاماً في معصية الله » . وكان رجل من الأنصار يمر على مجالس الخائضين في الباطل ، فيقول لهم : « توضؤا ، فان بعض ماتقولون شر من الحدث »

ثم الخوض في الباطل هو ذكر محظورات سبق وجودها بمجرد شهوة النفس ، من دون حاجة داعية اليه ، فلا مدخلية له بمثل الغيبة والنميمة والفحش والمراء والجدال وامثالها ، ويدخل فيه الخوض في حكايات البدع والمذاهب الفاسدة ، فان الحديث عنها خوض في الباطل ، وورد النهي عنه

ومنها :

التكلم بما لايعني أو بالفضول

والمراد بالأول : التكلم بما لافائدة فيه أصلا ، لافي الدين ولا في الدنيا ، والثاني - أعني فضول الكلام - : أعم منه ، إذ يتناول الخوض في مالا يعني والزيادة في مايعني على قدر الحاجة . فان من يعنيه أمر ويتمكن من تقريره وتأديته وتأدية مقصوده بكلمة واحدة ، ومع ذلك ذكر كلمتين فالثانية فضول ، أي فضل على الحاجة . ولا ريب في أن التكلم بمالايعني وبالفضول مذموم ، وإن لم يكن فيه إثم ، وهو ناش عن رداءة القوة الشهوية ، إذ الباعث عليه ليس إلا مجرد تشهي النفس وهواها .

(١) صححناه على كنز العمال : ٢ / ١١٢ .

والسر في ذمه : أنه يوجب تضييع الوقت ، والمنع من الذكر والفكر وربما يبني لأجل تهليله أو تسبيحه قصر في الجنة ، وربما ينفح من نفحات رحمة الله عند الفكرة مايعظم جدواه ، فمن قدر على أن يأخذ كنزاً من الكنوز ، فأخذ بدله مدرة لاينتفع بها ، كان خاسراً . فمن ترك ذكر الله والفكر في عجائب قدرته ، واشتغل بمباح لايعنيه ، وان لم يأثم ، إلا أنه قد خسر ، حيث فاته الربح العظيم بذكر الله وفكره . فان رأس مال العبد أوقاته ، ومهما صرفها الى مالا يعنيه ، ولم يدخر بها ثواباً في الآخرة ، فقد ضيع رأس ماله . على أن الغالب تأدية الخوض في مالا يعني وفي الفضول الى الخوض في الباطل ، وربما أدى الى الكذب بالزيادة والنقصان . ولذا ورد في ذمه ماورد ، وقد روى : « أنه استشهد يوم احد غلام من اصحاب النبي - صلى الله عليه وآله - ، ووجد على بطنه حجر مربوط من الجوع فمسحت امه التراب عن وجهه ، وقالت : هنيئاً لك الجنة يابني ! فقال النبي - صلى الله عليه وآله - : وما يدريك ؟ لعله كان يتكلم فيما لايعنيه ويمنع مالا يضره ؟ » . وورد أيضاً : « أن رسول الله - صلى الله عليه وآله - قال لبعض اصحابه - وهو مريض - : ابشر . فقالت امه : هنيئاً لك الجنة ! فقال رسول الله - صلى الله عليه وآله - : وما يدريك ؟ لعله قال مالا يعنيه أو منع ما يعنيه ؟ » : يعني إنما تتهنأ الجنة لمن لا يحاسب ومن يتكلم فيما لايعنيه حوسب عليه ، وإن كان كلامه مباحاً ، فلا تتهنأ له الجنة مع المناقشة في الحساب ، فانه نوع من العذاب . وروى : « أنه تكلم رجل عند النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - فاكثر ، فقال له النبي كم دون لسانك من حجاب ؟ فقال : شفتاى واسنانى . فقال : أفما كان فى ذلك مايرد كلامك ؟ » . وفى رواية أخرى : « أنه قال ذلك في رجل اثنى عليه ، فاستهتر في الكلام ، ثم قال : ما أوتي رجل شراً من

فضل في لسانه » . وروى : « أنه قدم رهط من بني عامر على رسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ ، فشرعوا بالمدح والثناء عليه . فقال ـ صلى الله عليه وآله ـ : قولوا قولكم ، ولا يستهوينكم الشيطان ! (١). ومراده ـ صلى الله عليه وآله ـ : أن اللسان إذا اطلق الثناء ، ولو بالصدق ، فيخشى أن يستهويه الشيطان الى الزيادة المستغنى عنها . وقال بعض الصحابة « إن الرجل ليكلمني بالكلام وجوابه أشهى الي من الماء البارد على الظمآن فاتركه خيفة أن يكون فضولا » . وقال بعض الأكابر : « من كثر كلامه كثر كذبه » . وقال بعضهم : « يهلك الناس في خصلتين : فضول المال وفضول الكلام » .

فصل

حد التكلم بما لا يعني

التكلم بما لا يعني وبالفضول لا تنحصر انواعه وأقسامه ، لعدم تناهيها، وإنما حده أن تتكلم بما لو سكتّ عنه لم تأثم ، ولم تتضرر في شيء مما يتعلق بك ، ولم يعطل شيء من أمورك . مثاله : أن تحكي مع قوم اسفارك وما رأيت فيها من جبال وأنهار ، وما وقع لك من الوقايع ، وما استحسنته من الأطعمة والثياب ، وما تعجبت منه من مشايخ البلاد ووقائعهم . فهذه أمور لو سكت عنها لم تأثم ولم تتضرر ، ولا يتصور فيها فائدة دينية ولا دنيوية لأحد ، فاذا بالغت في الاجتهاد حتى لا تمتزج بحكايتك زيادة ونقصان ولا تزكية نفس من حيث التفاخر بمشاهدة الأحوال العظيمة ، ولا اغتياب

(١) صححنا احاديث الباب كلها على (احياء العلوم) : ٣ / ٩٣ — ٩٩ ، وعلى (كنز العمال) : ٢ / ١٣٠ ، ١٨٤ .

شخص ولا مذمة شيء مما خلقه الله ، فانك مع ذلك كله مضيع وقتك .
ثم كما أن التكلم بما لايعنيك مذموم ، كذلك سؤالك غيرك عما لايعنيك مذموم ، بل هو أشد ذماً ، لأنك بالسؤال مضيع وقتك ، وقد ألجأت أيضاً صاحبك بالجواب الى تضييع وقته . وهذا إذا كان الشيء مما لايتطرق الى السؤال عنه آفة ، ولو كان في جوابه آفة — كما هو الشأن في اكثر الأسئلة عما لايعنيك - كنت آثماً عاصياً . مثلا : لو سألت غيرك عن عبادته ؛ فتقول : هل أنت صائم ؟ فان قال : نعم ، كان مظهراً عبادته فيدخل عليه الرياء ، وان لم يدخل الرياء سقطت عبادته - على الأقل - من دون عبادة السر ، وعبادة السر تفضل عبادة الجهر بدرجات ، وإن قال : لا ، كان كاذباً ، وإن سكت ، كان مستحقراً إياك وتأذيت به ، وان احتال لمدافعة الجواب افتقر الى تعب وجهد فيه . فقد عرضته بالسؤال إما للرياء والكذب ، أو للاستحقار ، أو التعب في حيلة الدفع .
وكذلك سؤالك عن كل مايخفى ويستحيي من اظهاره ، أو عما يحتمل أن يكون في إظهاره مانع ، كان يحدث به أحد غيرك ، فتسأله وتقول: ماذا تقول ؟ وفيم أنتم ؟ وكأن ترى انساناً في الطريق فتقول : من أين إذ ربما يمنع مانع من اظهار مقصوده . ومن هذا القبيل سؤالك غيرك : لم أنت ضعيف ؟ أوما هذا الضعف أو الهزال الذي حدث بك ؟ أوأي مرض فيك ؟ وامثال ذلك . وأشد من ذلك ان تخوف مريضاً بشدة مرضه وتقول : ما اشد مرضك وما اسوأ حالك ! فان جميع ذلك وامثالها ، مع كونها من فضول الكلام والخوض في مالا يعني ، يتضمن إثماً وايذاء . وليس من مجرد التكلم بما لايعني والفضول ، وانما مجرد مالا يعني مالا يتصور فيه ايذاء وكسر خاطر واستحياء من الجواب ، كما روى : « أن لقمان دخل على داود عليه السلام وهو يسرد الدرع ، ولم يكن يراها قبل ذلك

فجعل يتعجب مما يرى . فأراد أن يسأله عن ذلك فمنعته الحكمة ، فأمسك نفسه ولم يسأله . فلما فرغ داود ، قام ولبسها ، وقال : نعم الدرع للحرب فقال لقمان : الصمت حكم وقليل فاعله » . وهذا وامثاله من الأسئلة اذا لم يكن فيه ضرر وهتك ستر وإيقاع في رياء أوكذب ، فهو مما لايعني ، وتركه من حسن الاسلام .

فصل

علاج الخوض فيما لايعني

سبب الخوض في مالا يعني وفي فضول الكلام : إما الحرص على معرفة مالا حاجة اليه ، أو المباسطة بالكلام على سبيل التودد ، أو ترجية الوقت بحكايات احوال لافائدة فيها ، وكل ذلك من رداءة قوة الشهوة. وعلاج ذلك من حيث العلم : أن يتذكر ذمه كما مر ، ومدح ضده ، أعني الصمت ، وتركه - كما يأتي - ويعلم أن الموت بين يديه ، وانه مسؤل عن كل كلمة ، وأن انفاسه رأس ماله ، وأن لسانه شبكة يقدر على أن يقتنص بها الحور العين ، فاهماله وتضييعه خسران ، ومن حيث العمل أن يعتزل عن الناس مهما امكن ، ويلزم نفسه السكوت عن بعض مايعنيه ليتعود لسانه ترك مالا يعنيه ، وأن يقدم التأمل والتروى على كل كلام يريد أن يتكلم به فان كان فيه فائدة دينية أو دنيوية تكلم به وإلا تركه . وكان بعضهم يضع في فمه حجراً ، خوفاً من التكلم بالفضول وما لايعنيه .

وصل

الصمت

ضد التكلم بما لايعنيه وبالفضول تركها ، إما بالصمت أو بالتكلم فيما يعنيه مما يتعلق بدينه أو دنياه . وفوائد الصمت ومدحه يأتي في موضعه .
وقد وردت أخبار في المدح على خصوص ترك مالا يعني وفضول الكلام كقول النبي صلى الله عليه وآله : « من حسن اسلام المرء تركه مالا يعنيه » وقوله - صلى الله عليه وآله - : « طوبى لمن أمسك الفضل من لسانه ، وانفق الفضل من ماله ! » . وانظر كيف قلب الناس الأمر في ذلك ، فامسكوا فضل المال واطلقوا فضل اللسان . وروى : « أنه - صلى الله عليه وآله - قال ذات يوم : إن أول من يدخل من هذا الباب رجل من أهل الجنة . فلما دخل هذا الرجل ، قالوا له : اخبرنا بأوثق عملك في نفسك ترجو به . فقال : اني رجل ضعيف العمل ، وأوثق ما ارجو الله به سلامة الصدر وترك مالا يعنيني » وقال - صلى الله عليه وآله - لأبي ذر « ألا أعلمك بعمل خفيف على البدن ثقيل في الميزان . قال : بلى يارسول الله قال : هو الصمت ، وحسن الخلق ، وترك مالا يعنيك » . قال ابن عباس : « خمس هن أحسن من الدارهم الموتقة : لاتتكلم فيما لايعنيك ، فانه فضل ولا آمن عليك الوزر . ولا تتكلم فيما يعنيك حتى تجد له موضعاً ، فانه رب متكلم في أمر يعنيه قد وضعه في غير موضعه فعنت . ولا تمار حليما ولا سفيهاً ، فان الحليم يغلبك بصمته ، وإن السفيه يؤذيك بمنطقه . واذكر أخاك إذا تغيب عنك بما تحب أن يذكرك به ، واعفه مما تحب أن يعفيك

منه . واعمل عمل رجل يرى أنه مجازى بالاحسان مأخوذ بالاجرام » (١)
وقيل للقمان: ماحكمتك ؟ قال : « لا أسأل عما كفيت،ولا أتكلف مالايعنيني »
وما ورد في فضيلة ترك الفضول وما لايعني في اخبار الحجج - عليهم السلام - وكلمات الأكابر من الحكماء والعرفاء اكثر من ان تحصى ، وما ذكرناه كاف لأهل الاستبصار .



(١) ذكر هذه الرواية عن ابن عباس في (احياء العلماء) : ٣ / ٩٧ . وفيه اختلاف كثير عما هنا ، ولم يحصل لنا تحققها على مصدر آخر . والأحاديث النبوية هنا رواها في (احياء العلوم) ايضاً في الموقع المذكور .

المقام الرابع

(فيما يتعلق بالقوى الثلاث من العاقلة وقوتى الغضب والشهوة ، أو باثنتين منها من الرذائل والفضائل) .

الحسد وذمه ـ الغبطة ـ بواعث الحسد ـ لاتحاسد بين علماء الآخرة والعارفين ـ علاج الحسد ـ القدر الواجب في نفى الحسد ـ النصيحة ـ الايذاء والاهانة ـ كف الأذى ـ ذم الظلم ـ العدل ـ اخافة المؤمن ـ ادخال السرور على المؤمن ـ ترك اعانة المسلمين ـ قضاء حوائج المسلمين ـ المداهنة في الأمر بالمعروف ـ السعى فيه ـ وجوبه وشروطه ـ لاتشترط العدالة فيه ـ مراتبه ـ ماينبغي في الآمر والناهي ـ انواع المنكرات ـ الهجران ـ التآلف ـ قطع الرحم ـ صلة الرحم ـ المراد منه ـ عقوق الوالدين ـ برهما ـ حق الجوار ـ حدود الجوار وحقه ـ طلب العثرات ـ ستر العيوب ـ افشاء السر ـ كتمان السر ـ النميمة ـ السعاية ـ الافساد بين الناس ـ الاصلاح ـ الشماتة ـ المراء علاجه ـ طيب الكلام ـ السخرية ـ المزاح ـ المذموم منه ـ الغيبة ـ لاتنحصر الغيبة باللسان ـ بواعثها ـ ذمها ـ مسوغاتها ـ كفارتها ـ البهتان ـ المدح الكذب ـ ذمه ـ مسوغاته ـ التورية ـ المبالغة ـ شهادة الزور ـ علاج الكذب ـ الصدق ومدحه ـ انواعه ـ اللسان اضر الجوارح ـ الصمت ـ حب الجاه ـ ذمه ـ الجاه أحب من المال ـ لابد للانسان من جاه ـ دفع اشكال ـ الكمال الحقيقي فى العلم والقدرة والجاه والمال ـ علاج حب الجاه ـ الخمول ـ مراتب حب المدح ـ اسبابه ـ علاجه ـ ضد حب المدح ـ الرياء ـ ذمه ـ اقسامه ـ تأثير الرياء على العبادة السرور بالاطلاع على العبادة ـ متعلقات الرياء ـ بواعثه ـ الرياء الجلى والخفي ـ كيف يفسد الرياء العمل ـ شوائب الرياء المبطلة للعمل ـ علاجه ـ الوسوسة بالرياء ـ الاخلاص ـ مدحه ـ آفاته ـ النفاق :

فمنها :

الحسد

وهو تمني زوال نعم الله تعالى عن أخيك المسلم مما له فيه صلاح ، فان لم ترد زوالها عنه ولكن تريد لنفسك مثلها فهو (غبطة) ومنافسة ، فان لم يكن له فيها صلاح وأردت زوالها عنه فهو (غيرة) . ثم إن كان باعث حسدك مجرد الحرص على وصول النعمة الى نفسك ، فهو من رداءة القوة الشهوية ، وإن كان باعثه محض وصول المكروه الى المحسود فهو من رذائل القوة الغضبية ، ويكون من نتائج الحقد الذى هو من نتائج الغضب ، وإن كان باعثه مركبا منهما ، فهو من رداءة القوتين . وضده (النصيحة) ، وهي ارادة بقاء نعمة الله على أخيك المسلم مما له فيه صلاح .

ولا ريب في أنه لايمكن الحكم على القطع بكون هذه النعمة صلاحا أو فساداً . فربما كانت وبالا على صاحبه وفساداً له ، مع كونها نعمة وصلاحاً في بادى النظر . فالمناط في ذلك غلبة الظن ، فما ظن كونه صلاحاً فارادة زواله حسد وارادة بقائه نصيحة ، وما ظن كونه فاسداً فارادة زواله غيرة . ثم إن اشتبه عليك الصلاح والفساد ، فلا ترد زال نعمة أخيك ولا بقاءها إلا مقيداً بالتفويض وشرط الصلاح ، لتخلص من حكم الحسد ويحصل لك حكم النصيحة . والمعيار في كونك ناصحاً : أن تريد لأخيك ماتريد لنفسك ، وتكره له ماتكره لنفسك : وفي كونك حاسداً: أن تريد له ماتكره لنفسك ، وتكره له ماتريد لنفسك .

فصل

ذم الحسد

الحسد أشد الأمراض وأصعبها ، وأسوأ الرذائل وأخبثها ، ويؤدى بصاحبه الى عقوبة الدنيا وعذاب الآخرة ، لأنه في الدنيا لايخلو لحظة عن الحزن والألم ، إذ هو يتألم بكل نعمة يرى لغيره ، ونعم الله تعالى غير متناهية لاتنقطع عن عباده ، فيدوم حزنه وتألمه . فوبال حسده يرجع الى نفسه ، ولا يضر المحسود اصلا ، بل يوجب ازدياد حسناته ورفع درجاته من حيث إنه يعيبه ،ويقول فيه مالا يجوز في الشريعة ، فيكون ظالماً عليه ، فيحمل بعضاً من أوزاره وعصيانه ، وتنقل صالحات أعماله الى ديوانه ، فحسده لايؤثر فيه إلا خيراً ونفعاً ، ومع ذلك يكون في مقام التعاند والتضاد مع رب الأرباب وخالق العباد ، إذ هو الذى أفاض النعم والخيرات على البرايا كما شاء وأراد بمقتضى حكمته ومصلحته ، فحكمته الحقة الكاملة أوجبت بقاء هذه النعمة على هذا العبد ، والحاسد المسكين يريد زوالها ، وهل هو إلا سخط قضاء الله في تفضيل بعض عباده على بعض وتمنى انقطاع فيوضات الله التي صدرت عنه بحسب حكمته وارادة خلاف ماأراد الله على مقتضى مصلحته ؟! بل هو يريد نقصه سبحانه ، وعدم اتصافه بصفاته الكمالية . إذ إفاضة النعم منه سبحانه في أوقاتها اللائقة على محالها المستعدة من صفاته الكمالية التي عدمها نقص عليه تعالى ، وإلا لم يصدر عنه ، وهو يريد ثبوت هذا النقص ، ثم لتمنيه زوال النعم الإلهية التي هي الوجودات ورجوع الشرور الى الاعدام يكون طالباً للشر ومحباً له ، وقد صرح الحكماء بأن من رضي بالشر ، ولو بوصوله الى العدو ،

فهو شرير فالحسد أشد الرذائل ، والحاسد شر الناس . وأي معصية أشد من كراهة راحة مسلم من غير أن يكون له فيها مضرة ؟ ولذا ورد بـه الذم الشديد في الآيات والأخبار ، قال الله سبحانه في معرض الانكار :

« أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ » (١) . وقال : « وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أَنْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّاراً حَسَداً مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ » (٢) . وقال : « إِنْ تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا » (٣).

وقال رسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ : « الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب » . وقال ـ صلى الله عليه وآله ـ : « قال الله عز وجل لموسى بن عمران : يابن عمران ، لاتحسدن الناس على ما آتيتهم من فضلي ، ولا تمدن عينيك الى ذلك ، ولا تتبعه نفسك ، فان الحاسد ساخط لنعمي ، صاد لقسمي الذى قسمت بين عبادى . ومن يك كذلك فلست منه وليس مني » . وقال ـ صلى الله عليه وآله ـ « لاتحاسدوا ولا تقاطعوا ولا تدابروا ولا تباغضوا ، وكونوا عباد الله اخوانا » . وقال ـ صلى الله عليه وآله ـ : « دب اليكم داء الامم من قبلكم : الحسد والبغضاء ، والبغضة هي الحالقة ، لا أقول حالقة الشعر ، ولكن حالقة الدين . والذى نفس محمد بيده ! لاتدخلون الجنة حتى تؤمنوا ، ولن

(١) النساء ، الاية : ٥٣ .

(٢) البقرة ، الاية : ١٠٩ .

(٣) آل عمران ، الاية : ١٣٠

ومنوا حتى تحابوا . ألا انبئكم بما يثبت ذلك لكم ؟ افشوا السلام بينكم ! » وقال - صلى الله عليه وآله - : « كاد الفقر أن يكون كفراً ، وكاد الحسد أن يغلب القدر » . وقال - صلى الله عليه وآله - : « سيصيب أمتي داء الأمم . قالوا : وما داء الأمم ؟ قال : الأشر ، والبطر ، والتكاثر ، والتنافس في الدنيا ، والتباعد والتحاسد ، حتى يكون البغي ثم الهرج » . وقال - صلى الله عليه وآله - : « أخوف ما أخاف على أمتي أن يكثر فيهم المال فيتحاسدون ويقتتلون » . وقال صلى الله عليه وآله « إن لنعم الله أعداء . فقيل : ومن هم ؟ قال : الذين يحسدون الناس على ماآتاهم الله من فضله » . وورد في بعض الأحاديث القدسية : « أن الحاسد عدو لنعمتي ، متسخط لقضائي ، غير راض بقسمتي التي قسمت بين عبادي » . وقال الإمام أبو جعفر الباقر - عليهما السلام - : « إن الرجل ليأتي بأدنى بادرة فيكفر (١) ، وان الحسد ليأكل الايمان كما تأكل النار الحطب » . وقال أبو عبد الله عليه السلام : « آفة الدين : الحسد والعجب والفخر » . وقال عليه السلام : « إن المؤمن يغبط ولا يحسد ، والمنافق يحسد ولا يغبط » (٢) . وقال : « الحاسد مضر بنفسه قبل أن يضر بالمحسود ، كابليس أورث بحسده لنفسه اللعنة ، ولآدم الاجتباء والهدى والرفع الى محل حقائق العهد والاصطفاء . فكن محسوداً ولا تكن حاسداً

---

(١) في بعض نسخ (الكافي) : « ليتأذى » وفي نسخ (جامع السعادات) : « ليأتي بأي » ورجحنا نسخة (الوسائل) و (البحار) كما في المتن .

(٢) صححنا احاديث هذا الفصل على (البحار) : ٣ مج ١٥ / ١٣١-١٣٢ باب الحسد . وعلى (الكافي) : باب الحسد . وعلى (سفينة البحار) : ١/٢٥٠-٢٥١ وعلى (احياء العلوم) : ٣ / ١٦٢ - ١٦٤ وعلى (الوسائل) : أبواب جهاد النفس الباب ٥٤ .

فان ميزان الحاسد أبداً خفيف بثقل ميزان المحسود ، والرزق مقسوم ، فماذا ينفع الحسد الحاسد ، وماذا يضر المحسود الحسد . والحسد أصله من عمى القلب والجحود بفضل الله تعالى ، وهما جناحان للكفر ، وبالحسد وقع ابن آدم في حسرة الأبد ، وهلك مهلكا لاينجو منه أبداً ، ولا توبة للحاسد لأنه مصر عليه معتقد به مطبوع فيه ، يبدو بلا معارض به ولا سبب ، والطبع لايتغير عن الأصل ، وان عولج » (١) . وقال بعض الحكماء : « الحسد جرح لايبرأ » . وقال بعض العقـــلاء : « مارأيت ظالماً أشبه بمظلوم من حاسد،إنه يرى النعمة عليك نقمة عليه » .وقال بعض الأكابر : « الحاسد لاينال من المجالس إلا مذمة وذلا ، ولا من الملائكة إلا لعنـــة وبغضاً ، ولا ينال من الخلق إلا جزعاً وغماً ، ولا ينال عنـد النزع إلا شدة وهولا ، ولا ينال عنـــد الموقف إلا فضيحة ونكالا » . والأخبار والآثار في ذم الحسد أكثر من أن تحصى ، وما ذكرناه يكفي لطالب الحق ثم ينبغي أن يعلم أنه اذا أصاب النعمة كافر أو فاجر وهو يستعين بها على تهيج الفتنة وايذاء الخلق وافساد ذات البين ، فلا مانع من كراهتها عليه وحب زوالها منه ، من حيث أنها آلة للفساد ، لامن حيث أنها نعمة .

فصل

المنافسة والغبطة

قد علمت أن المنافسة هي تمنى مثل ماللمغبوط ، من غير أن يريد زواله عنه ، وليست مذمومة ، بل هي في الواجب واجبة ، وفي المندوب

(١) هذا الخبر في (مصباح الشريعة) : الباب ٥١ ، وصححناه عليه .

مندوبة وفي المباح مباحة . قال الله سبحانه :

« وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ » (١) .

وعليها يحمل قول النبي - صلى الله عليه وآله - : « لاحسد إلا في اثنين : رجل آتاه الله مالا ، فسلطه على ملكه في الحق . ورجل آتاه الله علما ، فهو يعمل به ويعلمه الناس » : أي لاغبطة إلا في ذلك ، سميت الغبطة حسداً كما يسمى الحسد منافسة ، اتساعاً لمقارنتهما . وسبب الغبطة حب النعمة التي للمغبوط ، فان كانت أمراً دينياً فسببها حب الله وحب طاعته ، وإن كانت دنيوية فسببها حب مباحات الدنيا والتنعم فيها . والأول لاكراهة فيه بوجه ، بل هو مندوب اليه . والثاني وان لم يكن حراماً ، إلا أنه ينقص درجته في الدين ، ويحجب عن المقامات الرفيعة ، لمنافاته الزهد والتوكل والرضا .

ثم الغبطة لو كانت مقصورة على مجرد حب الوصول الى مالالمغبوط لكونه من مقاصد الدين والدنيا ، من دون حب مساواته له وكراهة نقصانه عنه ، فلا حرج فيه بوجه ، وان كان معه حب المساواة وكراهة التخلف والنقصان ، فهنا موضع خطر . اذ زوال النقصان اما بوصوله الى نعمة المغبوط أو بزوالها عنه ، فاذا انسدت احدى الطريقتين تكاد النفس لاتنفك عن شهوة الطريقة الأخرى . إذ يبعد أن يكون انسان مريداً لمساواة غيره في النعمة فيعجز عنها ، ثم لاينفك عن ميل الى زوالها ، بل الأغلب ميله اليه ، حتى اذا زالت النعمة عنه كان ذلك عنده اشهى من بقائها عليه ، إذ بزوالها يزول نقصانه وتخلفه عنه . فان كان بحيث لو ألقي الأمر اليه ورد الى اختياره لسعى في ازالة النعمة عنه ، كان حاسداً حسداً مذموماً

(١) المطففين ، الآية : ٢٦ .

وإن منعه مانع العقل من ذلك السعي ، ولكنه وجد من طبعه الفرح والارتياح بزوال النعمة عن المغبوط ، من غير كراهة لذلك ومجاهدة لدفعه فهو أيضاً من مذموم الحسد ، وإن لم يكن في المرتبة الأولى . وإن كره مايجد في طبعه من السرور والانبساط بزوال النعمة بقوة عقله ودينه ، وكان في مقام المجاهدة لدفع ذلك عن نفسه ، فمقتضى الرحمة الواسعة أن يعفى عنه ، لأن دفع ذلك ليس في وسعه وقدرته إلا بعشاق الرياضيات . إذ مامن انسان إلا ويرى من هو فوقه من معارفه واقاربه في بعض النعم الإلهية ، فاذا لم يصل الى مقام التسليم والرضا ، كان طالباً لمساواته له فيه وكارهاً عن ظهور نقصانه عنه . فاذا لم يقدر أن يصل اليه ، مال طبعه بلا اختيار الى زوال النعمة عنه ، واهتز وارتاح به حتى ينزل هو الى مساواته . وهذا وإن كان نقصاً تنحط به النفس عن درجات المقربين ، سواء كان من مقاصد الدنيا أو الدين ، إلا أنه لكراهته له بقوة عقله وتقواه ، وعدم العمل بمقتضاه ، يعفى عنه إن شاء الله ، وتكون كراهته لذلك من نفسه كفارة له .

وقد ظهر من تضاعيف ماذكر : أن الحسد المذموم له مراتب اربع:

الأولى — أن يحب زوال النعمة عن المحسود وإن لم تنتقل اليه ، وهذا اخبث المراتب وأشدها ذماً .

الثانية — أن يحب زوالها لرغبته في عينها ، كرغبته في دار حسنة معينة ، أو امرأة جميلة بعينها ، ويحب زوالها من حيث توقف وصوله اليها عليه ، لامن حيث تنعم غيره بها . ويدل على تحريم هذه المرتبة وذمها قوله تعالى:

« وَلاَ تَتَمَنَّوا مَا فَضَّلَ اللهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ » (١) .

الثالثة — ألا يشتهي عينها ، بل يشتهي لنفسه مثلها ، إلا أنه إن

---

(١) النساء ، الآية : ٣١ .

عجز عن مثلها احب زوالها عنه ، كيلا يظهر التفاوت بينهما ، ومع ذلك لو خلي وطبعه ، اجتهد وسعى في زوالها .

الرابعة — كالثالثة ، إلا أنه إن اقتدر على ازالتها منعه قاهر العقل أو غيره من السعى فيه ، ولكنه يهتز ويرتاح به من غير كراهة من نفسه لذلك الارتياح .

والغبطة لها مرتبتان :

الأولى — أن يشتهى الوصول الى مثل ماللمغبوط ، من غير ميل الى المساواة وكراهة للنقصان ، فلا يحب زوالها عنه .

الثانية — أن يشتهى الوصول اليه مع ميله الى المساواة وكراهته للنقصان ، بحيث لو عجز عن نيله ، وجد من طبعه حباً خفياً لزوالها عنه وارتاح من ذلك ادراكاً للمساواة ودفعاً للنقصان ، إلا أنه كان كارهاً من هذا الحب ، ومغضباً على نفسه لذلك الارتياح ، وربما سميت هذه المرتبة بـ (الحسد المعفو عنه) وكأنه المقصود من قوله ـ صلى الله عليه وآله ـ : « ثلاث لاينفك المؤمن عنهن : الحسد، والظن ، والطيرة . . . ثم قال : وله منهن مخرج ، إذا حسدت فلا تبغ — أى إن وجدت في قلبك شيئاً فلا تعمل به ، وكن كارهاً له — وإذا ظننت فلا تحقق ، واذا تطيرت فامض » .

فصل

بواعث الحسد

بواعث الحسد سبعة :

الأول — خبث النفس وشحها بالخير لعباد الله . فانك تجد فى زوايا العالم من يسر ويرتاح بابتلاء العباد بالبلايا والمحن ، ويحزن من حسن حالهم

وسعة عيشهم . فمثله اذا وصف له اضطراب امور الناس وادبارهم ، وفوات مقاصدهم وتنغص عيشهم ، يجد من طبعه الخبيث فرحاً وانبساطاً وإن لم يكن بينه وبينهم عداوة ولا رابطة ، ولم يوجب ذلك تفاوتاً في حاله من وصوله الى جاه أو مال أو غير ذلك . واذا وصف عنده حسن حال عبد من عباد الله وانتظام اموره ، شق ذلك عليه ، وإن لم يوجب ذلك نقصاً في شيء مما له . فهو يبخل بنعمة الله على عباده من دون قصد وغرض ، ولا تصور انتقال النعمة اليه ، فيكون ناشئاً عن خبث نفسه ورذالة طبعه . ولذا يعسر علاجه ، لكونه مقتضى خباثة الجبلة ، وما يقتضيه الطبع والجبلة تعسر ازالته ، بخلاف مايحدث من الاسباب العارضة .

الثاني — العداوة والبغضاء . وهي أشد أسبابه ، إذ كل احد — إلا أوحدي من المجاهدين — إذا أصابت عدوه بلية فرح بذلك ، إما لظنها مكافأة من الله لأجله ، أو لحبه طبعاً ضعفه وهلاكه . ومهما أصابته نعمة ساءه ذلك ، لأنه ضد مراده ، وربما تصور لأجله أنه لامنزلة له عند الله حيث لم ينتقم من عدوه وأنعم عليه ، فيحزن لذلك .

الثالث — حب الرئاسة وطلب المال والجاه . فان من غلب عليه حب التفرد والثناء ، واستفزه الفرح بما يمدح به من أنه وحيد الدهر وفريد العصر في فنه ، من شجاعة أو علم أو عبادة أو صناعة أو جمال أو غير ذلك ، لو سمع بنظير له في اقصى العالم ساءه ذلك ، وارتاح بموته أوزوال النعمة التي يشاركه فيها ، ليكون فائقاً على الكل في فنه ، ومتفرداً بالمدح والثناء في صفته .

الرابع — الخوف من فوت المقاصد . وذلك يختص بمتزاحمين على مقصود واحد ، فان كل واحد ، منهما يحسد صاحبه في وصوله هذا المقصود طلباً للتفرد به ، كتحاسد الضرات في مقاصد الزوجية . والأخوة في نيل

المنزلة في قلب الأبوين توصلا الى مالهما ، والتلامذة لأستاذ واحد في نيل المنزلة في قلبه ، وندماء الملك وخواصه في نيل المنزلة والكرامة عنده ، والوعاظ والفقهاء المتزاحمين على أهل بلدة واحدة في نيل القبول والمال عندهم ، اذا كان غرضهم ذلك .

الخامس - التعزز : وهو أن يثقل عليه أن يترفع عليه بعض اقرانه ويعلم أنه لو أصاب بعض النعم يستكبر عليه ويستصغره ، وهو لايطيق ذلك لعزة نفسه ، فيحسده لو أصاب تلك النعمة تعززاً لنفسه . فليس غرضه أن يتكبر ، لأنه قد رضي بمساواته ، بل غرضه أن يدفع كبره :

السادس - التكبر : وهو أن يكون في طبعه الترفع على بعض الناس ويتوقع منه الانقياد والمتابعة في مقاصده ، فاذا نال بعض النعم خاف الا يحتمل تكبره ويترفع عن خدمته ، وربما أراد مساواته أو التفوق عليه ، فيعود مخدوماً بعد ان كان خادماً ، فيحسده في وصول النعمة لأجل ذلك وقد كان حسد اكثر الكفار لرسول الله - صلى الله عليه وآله - من هذا القبيل ، حيث قالوا : كيف يتقدم علينا غلام فقير يتيم ؟

« لَوْ لاَ نُزِّلَ هَـٰذا الْقُرْءانُ عَلىٰ رَجُلٍ مِنَ القَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ »(١) .

السابع - التعجب : وهو أن يكون المحسود فى نظر الحاسد حقيراً والنعمة عظيمة ، فيعجب من فوز مثله بمثلها ، فيحسده ويحب زوالها عنه ومن هذا القبيل حسد الأمم لأنبيائهم ، حيث قالوا :

---

(١) الزخرف ، الآية : ٣١ .

« مَا أَنْتُمْ إِلاَّ بَشَرٌ مِثْلُنَا » (١) . « فَقَالُوا : أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا ؟ » (٢) . « وَلَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشَراً مِثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذاً لَخَاسِرُونَ » (٣) .

فتعجبوا من فوز من هو مثلهم برتبة الوحي والرسالة ، وحسدوه بمجرد ذلك ، من دون قصد تكبر أو رئاسة أو عداوة أو غيرها من أسباب الحسد .

وقد تجتمع هذه الأسباب أو أكثرها في شخص واحد ، فيعظم لذلك حسده ، وتقوى قوة لايقدر معها على المجاملة ، فتظهر العداوة بالمكاشفة . وربما قوى الحسد بحيث يتمنى صاحبه أن يزول عن كل احد مايراه له من النعمة ، وينتقل اليه . ومثله لاينفك عن الجهل والحرص ، إذ هو يتمنى استجماع جميع النعم والخيرات الحاصلة لجميع الناس له ، ولا ريب في استحالة ذلك ، ولو قدر امكانه لايمكنه الاستمتاع بها ، فلو لم يكن حريصاً لم يتمن ذلك أصلا ، ولو كان عالماً لدفع هذا التمني بقوته العاقلة .

(تنبيه) بعض الأسباب المذكورة ، كما يقتضي أن يتمنى زوال النعمة والسرور به كذلك يقتضي تمنى حدوث البلية والارتياح منه : إلا أن المعدود من الحسد هو الأول ، والثاني معدود من العداوة . فالعداوة اعم منه ، إذ هي تمني وقوع مطلق الضرر بالعدو ، سواء كان زوال نعمة أو حدوث بلية . والحسد تمني زوال مجرد النعمة .

(١) يس ، الآية : ١٥ .
(٢) المؤمنون ، الآية : ٤٨ .
(٣) المؤمنون ، الآية : ٣٤ .

فصل

لاتحاسد بين علماء الآخرة والعارفين

الأسباب المذكورة إنما تكثر بين أقوام تجمعهم روابط يجتمعون لأجلها في مجالس المخاطبات ويتواردون على الأغراض ، فاذا خالف بعضهم بعضاً في غرض من اغراضه ، أبغضه وثبت فيه الحقد ، فعند ذلك يريد استحقاره والتكبر عليه ، ويكون في صدد مكافاته على المخالفة لغرضه ، ويكره تمكنه من النعمة التي توصله الى اغراضه ، فيتحقق الحسد . ولذا ترى أنه لاتحاسد بين شخصين في بلدتين متباعدتين ، لعدم رابطة بينهما ، إلا اذا تجاورا في محل واحد ، وتواردا على مقاصد تظهر فيها مخالفة بينهما فيحدث منها التباغض ، وتثور منه بقية أسباب الحسد . وترى كل صنف يحسد مثله دون غيره ، لتواردهما على المقاصد ، وتزاحمهما على صنعة واحدة فالعالم يحسد العالم دون العابد ، والتاجر يحسد التاجر دون غيره ، إلا بسبب آخر سوى الاجتماع على الحرفة ، وهكذا يعم من اشتد حرصه على حب الجاه وأحب الصيت والاشتهار في جميع اطراف العالم وشاق التفرد بما هو فيه ، فانه يحسد كل من في العالم ممن يشاركه في الفن الذي يتفاخر به .

ثم منشأ جميع ذلك حب الدنيا ، إذ منافعها لضيقها وانحصارها تصير محل التزاحم والتعارك ، بحيث لايمكن وصول منفعة منها ، كمنصب أو مال الى أحد إلا بزوالها عن الآخر . وأما الآخرة ، فلا ضيق فيها ، فلا تنازع بين أهلها . ومثالها في الدنيا العلم ، فانه منزه عن المزاحمة ، فمن يحب العلم بالله وصفاته وافعاله ومعرفة النظام الجملي من البدو الى النهاية لم يحسد غيره اذا عرف ذلك أيضا . إذ العلم لايضيق عن كثرة العالمين ،

والمعلوم الواحد يعرفه الف الف عالم ، ويفرح كل واحد منهم بمعرفته ويلتذ به ، ولا ينقص مالديه بمعرفة غيره ، بل يحصل بكثرة العارفين زيادة الانس وثمرة الافادة والاستفادة . إذ معرفة الله بحر واسع لاضيق فيه ، وكل علم يزيد بالانفاق وتشريك غيره من ابناء النوع ، يصير منشأ لزيادة اللذة والبهجة ، وقس على العلم التقرب والمنزلة عند الله وغيرهما من النعم الأخروية . فان أجل ماعند الله من النعم وأعلى مراقب المنزلة والقرب عنده تعالى لذة لقائه ، وليس فيها ممانعة ومزاحمة ، ولا يضيق بعض أهل اللقاء على بعض ، بل يزيد الأنس بكثرتهم .

وقد ظهر مما ذكر : انه لاتحاسد بين علماء الآخرة ، لأنهم يلتذون ويبتهجون بكثرة المشاركين في معرفة الله وحبه وأنسه ، وإنما يقع التحاسد بين علماء الدنيا ، وهم الذين يقصدون بعلمهم طلب المال والجاه . إذ المال أعيان وأجسام ، اذا وقعت في يد واحد خلت عنها أيدي الآخرين . والجاه ملك القلوب ، واذا امتلأ قلب شخص بتعظيم عالم ، انصرف عن تعظيم الآخر ، أو نقص عنه لامحالة ، فيكون ذلك سبباً للتحاسد . وأما اذا امتلأ قلبه من الابتهاج بمعرفة الله ، لم يمنع ذلك من أن يمتلىء غيره به . فلو ملك انسان جميع مافي الأرض ، لم يبق بعده مال يملكه غيره لضيقه وانحصاره . وأما العلم فلا نهاية له ، ومع ذلك لو ملك انسان بعض العلوم لم يمنع ذلك من تملك غيره له .

فظهر أن الحسد انما هو في التوارد على مقصود مضيق عن الوفاء بالكل ، فلا حسد بين العارفين ولا بين أهل العليين ، لعدم ضيق ومزاحمة في المعرفة ونعيم الجنة ، ولذا قال الله سبحانه فيهم :

« وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَاناً عَلَى سُرُرٍ

مُتَقَابِلِينَ » (١) .

بل الحسد من صفات المسجونين في سجن السجين .

فياحبيبي ، إن كنت مشفقاً على نفسك ، طالباً لعمارة رمسك ، فاطلب نعمة لامزاحمة فيها ، ولذة لامكدر لها . وما هي إلا لذة معرفة الله وحبه وانسه ، والانقطاع الى جناب قدسه ، وإن كنت لاتلتذ بذلك ، ولاتشتاق اليه ، وتنحصر لذاتك بالأمور الحسية والوهمية ، فاعلم أن جوهر ذاتك معيوب ، وعن عالم الأنوار محجوب ، وعن قريب تحشر مع البهائم والشياطين ، وتكون مغلولا معهم في أسفل السافلين . ومثلك في عدم درك هذه اللذة ، مثل الصبي والعنين في عدم درك لذة الوقاع . فكما أن هذه اللذة يختص بادراكها رجال اصحاء ، فكذلك لذة المعرفة يختص بادراكها :

« رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللهِ » (٢) .

ولا يشتاق غيرهم اليها ، إذ الشوق بعد الذوق ، فمن لم يذق لم يعرف ، ومن لم يعرف لم يشتق ، ومن لم يشتق لم يطلب ، ومن لم يطلب لم يدرك ، ومن لم يدرك كان مطروداً عن العليين ، ممنوعاً عن مجاورة المقربين ، محبوساً مع المحرومين في أضيق دركات السجين .

« وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمٰنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ » (٣) .

---

(١) الحجر ، الآية : ٤٧ .

(٢) النور ، الآية : ٣٧ .

(٣) الزخرف ، الآية : ٣٦ .

فصل

علاج الحسد

لما علم أن الحسد من الامراض المهلكة للنفوس ، فاعلم أن أمراض النفوس لاتداوى إلا بالعلم والعمل . والعلم النافع لمرض الحسد أن تعرف أنه يضرك في الدين والدنيا ، ولا يضر محسودك فيهما ، بل ينتفع به فيهما . ومهما عرفت ذلك عن بصيرة وتحقيق ، ولم تكن عـدو نفسك لاصديق عدوك ، فارقت الحسد :

وأما أنه يضر بدينك ويؤدي بك الى عذاب الأبد وعقاب السرمد فلما علمت من الآيات والأخبار الواردة في ذمه وعقوبة صاحبه ، ولما عرفت من كون الحاسد ساخطاً لقضاء الله تعالى ، وكارهاً لنعمه التي قسمها لعباده ، ومنكراً لعدله الذي أجراه في ملكه . ومثل هذا السخط والانكار لايجابه الضدية والعناد لخالق العباد ، كاد أن يزيل اصل التوحيد والايمان فضلا عن الاضرار بهما . على أن الحسد يوجب الغش والعداوة بالمؤمن ، وترك نصيحته وموالاته وتعظيمه ومراعاته ومفارقة أنبياء الله واوليائه في حبهم الخـير والنعمة له ، ومشاركة الشيطان واحزابه في فرحهم بوقوع المصائب والبلايا عليـه ، وزوال النعم عنه . وهذه خبائث في النفس ، تأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب .

وأما أنه يضرك في الدنيا ، لأنك تتألم وتتعذب به ، ولا تزال في تعب وغم وكد وهم ، إذ نعم الله لاتنقطع عن عباده ولا عن أعدائك ، فانت تتعذب بكل نعمة تراها لهم ، وتتألم بكل بلية تنصرف عنهم ، فتبقى دائماً مغموماً محزوناً ، ضيق النفس منشعب القلب ، فانت باختيارك

تجر الى نفسك ماتريد لأعدائك ويريد أعداؤك لك . وما اعجب من العاقل أن يتعرض لسخط الله ومقته في الآجل ، ودوام الضرر والالم فى العاجل فيهلك دينه ودنياه من غير جدوى وفائدة .

وأما أنه لايضر المحسود في دينه ودنياه فظاهر ، لان النعمة لاتزول عنه بحسدك . إذماقدره الله من النعم على عباده لابد أن يستمر الى وقته ولا ينفع التدبير والحيلة في دفعه ، لامانع لما اعطاه ولا راد لما قضاه :

« لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ » .. « وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ »(١) .

ولو كانت النعم تزول بالحسد ، لم تبق عليك وعلى كافة الخلق نعمة ، لعدم خلوك وخلوهم عن الحسد ، بل لم تبق نعمة الايمان على المؤمنين ، إذ الكفار يحسدونهم ، كما قال الله سبحانه :

« وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ »(٢) .

ولو تصورت زوال النعمة عن محسودك بحسدك ، وعدم زوالها عنك بحسد حاسدك ، لكنت اجهل الناس وأشدهم غباوة . نعم ، ربما صار حسدك منشأ لانتشار فضل المحسود ، كما قيل :

وإذا أراد الله نشر فضيلة طويت ، أتاح لها لسان حسود

فاذا لم تزل نعمته بحسدك ، لم يضره في الدنيا ، ولا يكون عليه إثم في الاخرة .

وأما أنه ينفعه في الدين ، فذلك ظاهر من حيث كونه مظلوما من

---

(١) الرعد ، الاية : ٤٠ ، ٩ .

(٢) آل عمران ، الاية : ٦٩ .

جهتك ، (لا) سيما اذا اخرجك الحسد الى مالا ينبغي من القول والفعل كالغيبة ، والبهتان ، وهتك ستره ، وإفشاء سره ، والقدح فيه ، وذكر مساويه . فتحتمل بهذه الهدايا التي تهديها اليه بعضاً من أوزاره وعصيانه وتنقل شطراً من حسناتك الى ديوانه ، فيلقاك يوم القيامة مفلساً محروماً عن الرحمة ، كما كنت تلقاه في الدنيا محروماً عن النعمة . فاضفت له نعمة الى نعمة ، ولنفسك نقمة الى نقمة .

وأما أنه ينفعه في الدنيا ، فهو أن أهم أغراض الناس مساءة الاعداء وسوء حالهم ، وكونهم متألمين معذبين . ولا عذاب أشد مما أنت فيه من ألم الحسد . فقد فعلت بنفسك ماهو غاية مراد حسادك في الدنيا . واذا تأملت هذا ، عرفت أن كل حاسد عدو نفسه ، وصديق عدوه . فمن تأمل في ذلك ، وتذكر مايأتي من فوائد النصيحة وحب الخير والنعمة للمسلمين ، ولم يكن عدو نفسه ، فارق الحسد ألبتة .

وأما العمل النافع فيه ، فهو أن يواظب على آثار النصيحة التي هي ضده ، بأن يصمم على أن يكلف نفسه بنقيض مايقتضيه الحسد من قول وفعل ، فان بعثه الحسد على التكبر عليه ، ألزم نفسه التواضع له ، وان بعثه على غيبته والقدح فيه ، كلف لسانه المدح والثناء عليه ، وإن بعثه على الغش والخرق بالنسبة اليه ، كلف نفسه بحسن البشر واللين معه ، وإن بعثه على كف الانعام عنه ، ألزم نفسه زيادته . ومهما فعل ذلك عن تكلف وكرره وداوم عليه ، انقطعت عنه مادة الحسد على التدريج . على أن المحسود اذا عرف منه ذلك طاب قلبه وأحبه ، واذا ظهر حبه للحاسد زال حسده وأحبه أيضاً ، فتتولد بينهما الموافقة ، وترتفع عنهما مادة المحاسدة وهذا هو المعالجة الكلية لمطلق مرض الحسد . والعلاج النافع لكل نوع منه ، أن يقمع سببه ، من خبث النفس وحب الرئاسة والكبر وعزة النفس

وشدة الحرص وغير ذلك مما ذكر ، وعلاج كل واحد من هذه الأسباب يأتي في محله .

تنبيه
القدر الواجب في نفي الحسد

اعلم أن مساواة حسن حال العدو وسوء حاله ، وعدم وجدان التفرقة بينهما في النفس ، ليست مما تدخل تحت الاختيار . فالتكليف به تكليف بالمحال . فالواجب في نفي الحسد وإزالته هو القدر الذي يمكن دفعه ، وبيان ذلك — كما اشير اليه — أن الحسد :

(اولا) إما يبعث صاحبه على إظهاره بقول أو فعل ، بحيث يعرف حسده من آثاره الاختيارية . ولا ريب في كونه مذموماً محرماً ، وكون صاحبه عاصياً آثماً ، لا لمجرد آثاره الظاهرة التي هي الغيبة والبهتان مثلا، إذ هي أفعال صادرة عن الحسد ، محلها الجوارح ، وليست عين الحسد ، إذ هو صفة للقلب لاصفة للفعل ، ومحله القلب دون الجوارح ، قال الله سبحانه :

« وَلاَ يَجِدُونَ فِيْ صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا » (١) . وقال : « وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُوْنَ سَوَاءً » (٢) . وقال : « إِنْ تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ » (٣) .

---

(١) الحشر ، الآية : ٩ .

(٢) النساء ، الاية : ٨٨ .

(٣) آل عمران ، الآية : ١٢٠ .

فلو كان الإثم على مجرد أفعال الجوارح ، لم يكن أصل الحسد الذي هو صفة القلب معصية ، والأمر ليس كذلك ، فيكون عاصياً لنفس الحسد الذي في قلبه أيضا ، أعني ارتياحه بزوال النعمة مع عدم كراهة ذلك من نفسه . والاثم حقيقة على عدم كراهته وعدم مقته وقهره على نفسه لهذا الارتياح الذي يجسده منها ، لكونه اختيارياً ممكن الزوال ، لا على نفس الارتياح والاهتزاز ، لما اشير اليه من أنه طبيعي غير ممكن الدفع لكل أحد فهذا القسم من الحسد أشد انواعه ، لترتب معصيته على أصله ، وأخرى على مايصدر عنه من آثاره المذمومة .

(ثانياً) أولا يبعثه على اظهاره بالآثار القولية والفعلية ، بل يكف ظاهره عنها ، إلا أنه بباطنه يحب زوال النعمة من دون كراهة في نفسه لهذه الحالة . ولا ريب في كونه مذموماً مجرماً أيضاً ، لأنه كسابقه بعينه ولا فرق إلا في أنه لاتصدر منه الاثار الفعلية والقولية الظاهرة ، فهو ليس بمظلمة بحسب الاستحلال منها ، بل معصية بينه وبين الله ، لأن الاستحلال إنما هو من الأفعال الظاهرة الصادرة من الجوارح .

(ثالثاً) أولا يبعثه على الاثار الذميمة الظاهرة ، ومع ذلك يلزم قلبه كراهة مايترشح منه طبعاً من حب زوال النعمة ، حتى أنه يمقت نفسه ويقهرها على هذه الحالة التي رسخت فيها . والظاهر عدم ترتب الاثم عليه إذ تكون كراهته التي من جهة العقل في مقابلة الميل من جهة الطبع ، فقد أدى الواجب عليه . وأصل الميل الطبيعي لايدخل تحت الاختيار غالبا ، إذ تغير الطبع بحيث يستوى عنده المحسن والمسيء ، وعدم التفرقة بين ما يصل منهما اليه من النعمة والبلية ، ليس شريعة لكل وارد . نعم من تنور قلبه بمعرفة ربه ، واشرقت نفسه باضواء حبه وانسه ، وصار مستغرقا بحب الله تعالى مثل الشكران الواله ، واستشعر بالارتباط الخاص الذي

بين العلة والمعلول ، والاتحاد الذي بين الخالق والمخلوق ، وعلم أنه أقوى النسب والروابط ، ثم تيقن بأن الموجودات بأسرها من رشحات وجوده ، والكائنات برمتها صادرة عن فيضه وجوده ، وأن الأعيان الممكنة متساوية في ارتضاع لبان الوجود من ثدى واحدة ، والحقائق الكونية غير متفاوتة في شرب ماء الرحمة والجود من مشرع الوحدة الحقيقية — فقد ينتهى امره الى ألا تلتفت نفسه الى تفاصيل أحوال العباد ، بل ينظر الى الكل بعين واحدة ، وهي عين الرحمة ، ويرى الكل عباداً لله وأفعاله ، ويراهم مسخرين له ، فلا ينظر الى شيء بعين السخط والمساءة ، وإن ورد منه ماورد من السوء والبلية ، لأنه ينظر اليه من حيث هو حق يظهر التفاوت بل من حيث انتسابه اليه سبحانه ، والكل في الانتساب اليه سواء :

ثم من الناس من ذهب الى أنه لا إثم على الحسد مالم تظهر آثاره على الجوارح ، وعلى هذا ينحصر الحسد المحرم في القسم الأول . واحتج على ماذهب اليه بما ذكرناه من قوله — صلى الله عليه وآله — : « ثلاث لاينفك المؤمن عنهن : الحسد ... » ، وبقوله — صلى الله عليه وآله — : ثلاث في المؤمن له منهن مخرج ، ومخرجه من الحسد ألا يبغى » والصحيح أن تحمل أمثال هذه الأخبار على القسم الثالث ، وهو مايكون فيه ارتياح النفس بزوال النعمة طبعاً مع كراهة له من جهة العقل والدين ، حتى تكون هذه الكراهة في مقابلة حب الطبع . إذ اخبار ذم الحسد تدل بظاهرها على أن كل حاسد آثم ، والحسد عبارة عن صفة القلب لاعن الأفعال الظاهرة . وعلى هذا المذهب ، لايكون اثم على صفة القلب ، بل إنما يكون على مجرد الأفعال الظاهرة على الجوارح .

فقد اتضح بما ذكر ، أن الأحوال المتصورة لكل أحد بالنسبة الى اعدائه ثلاثة : الأولى : أن يحب مساءتهم ، ويظهر الفرح بمساءتهم بلسانه

وجوارحه ، أو يظهر مايؤذيهم قولا أو فعلا ، وهذا محظور محرم قطعاً ، وصاحبه عاص آثم جزماً . الثانية : أن يحب مساءتهم طبعاً ، ولكن يكره حبه لذلك بعقله ، ويمقت نفسه عليه ، ولو كانت له حيلة في ازالة ذلك الميل لأزاله . وهذا معفو عنه وفاقا ، وفاعله غير آثم إجماعاً . الثالثة : وهي مابين الأولين : أن يحسد بالقلب من غير مقته لنفسه على حسده ، ومن غير الكار منه على قلبه ، ولكن يحفظ جوارحه عن صدور آثار الحسد عنها ، وهذا محل الخلاف . وقد عرفت ماهو الحق فيه .

وصل

النصيحة

قد عرفت أن ضد الحقد والحسد (النصيحة) ، وهي ارادة بقاء نعمة الله للمسلمين ، وكراهة وصول الشر اليهم . وقد تطلق في الأخبار على ارشادهم الى ما فيه مصلحتهم وغبطتهم ، وهو لازم للمعنى الأول . فينبغي أن نشير الى فوائدها وما ورد في مدحها ، تحريكاً للطالبين على المواظبة عليها ليرتفع بها ضدها .

اعلم أن من أحب الخير والنعمة للمسلمين كان شريكاً في الخير ، بمعنى أنه في الثواب كالمنعم وفاعل الخير . وقد ثبت من الأخبار ، أن من لم يدرك درجة الأخيار بصالحات الأعمال ، ولكنه أحبهم ، يكون يوم القيامة محشوراً معهم ، كما ورد : « إن المرء يحشر مع من أحب » . وقال اعرابي لرسول الله : « الرجل يحب القوم ولما يلحق بهم . فقال صلى الله عليه وآله : المرء مع من أحب » وقال رجل بحضرة النبي – بعد ماذكرت الساعة – : « ما أعددت لها من كثير صلاة ولا صيام ، إلا أني احب الله

ورسوله . فقال - صلى الله عليه وآله - أنت مع من أحببت » ، قال الراوي : فما فرح المسلمون بعد اسلامهم كفرحهم يومئذ ، إذ أكثر ثقتهم كانت بحب الله وبحب رسوله . وروى : « أنه قيل له صلى الله عليه وآله : الرجل يحب المصلين ولا يصلي ، ويحب الصوام ولا يصوم - حتى عد أشياء - فقال : هو مع من أحب » . وبهذا المضمون وردت أخبار كثيرة .

والأخبار الواردة في مدح خصوص النصيحة وذم تركها ، وفي ثواب ترك الحسد وعظم فوائده ، أكثر من أن تحصى . عن أبي عبد الله عليه السلام قال : « قال رسول الله - صلى الله عليه وآله - : إن أعظم الناس منزلة عند الله يوم القيامة أمشاهم في أرضه بالنصيحة لخلقه » . وعن أبي جعفر عليه السلام قال : « قال رسول الله صلى الله عليه وآله : لينصح الرجل منكم أخاه كنصيحته لنفسه » . وقال الباقر - عليه السلام - : « يجب للمؤمن على المؤمن النصيحة » . وقال الصادق عليه السلام : « يجب للمؤمن على المؤمن النصيحة له في المشهد والمغيب » . وقال عليه السلام : « عليك بالنصح لله في خلقه ، فلن تلقاه بعمل افضل منه » . وبمضمونها أخبار. وعن أبي عبد الله عليه السلام قال : « قال رسول الله - صلى الله عليه وآله - : من سعى في حاجة لأخيه فلم ينصحه ، فقد خان الله ورسوله » وقال الصادق - عليه السلام - : « من مشى في حاجة أخيه ، ثم لم يناصحه فيها ، كان كمن خان الله ورسوله ، وكان الله خصمه » (١) . والأخبار الأخر بهذا المضمون أيضاً كثيرة .

وروى : « أن رسول الله - صلى الله عليه وآله - شهد لرجل من

(١) صححنا الأحاديث في النصيحة كلها على (الكافي) : باب نصيحة المؤمن وباب من لم يناصح أخاه المؤمن .

من الأنصار بأنه من أهل الجنة » ، وكان باعثه ــ بعد التفتيش ــ خلوه عن الغش والحسد على خير أعطى أحداً من المسلمين . وروى : « أن موسى ـ عليه السلام ـ لما تعجل الى ربه ، رأى في ظل العرش رجلا ، فغبطه بمكانه ، وقال : إن هذا لكريم على ربه . فسأل ربه أن يخبر باسمه فلم يخبره باسمه ، وقال : احدثك عن عمله : كان لايحسد الناس على ما آتاهم الله من فضله ، وكان لايعق والديه ، ولا يمشي بالنميمة » .

وغاية النصيحة ، أن يحب لأخيه مايحب لنفسه ، قال رسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ : « المؤمن يحب للمؤمن مايحب لنفسه » : وقال صلى الله عليه وآله : « لايؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه مايحب لنفسه » . وقال صلى الله عليه وآله : « إن أحدكم مرآة أخيه ، فاذا رأى به شيئاً فليمط عنه هذا » .

ومنها :

الايذاء والاهانة والاحتقار

ولا ريب في كون ذلك في الغالب مترتباً على العداوة والحسد ، وإن ترتب بعض أفرادها في بعض الأحيان على مجرد الطمع أو الحرص ليكون من رداءة القوة الشهوية ، أو على مجرد الغضب وسوء الخلق والكبر ، وإن لم يكن حقد وحسد : وعلى أي تقدير ، لاشبهة في أن الايذاء للمؤمن واحتقاره محرم في الشريعة ، موجب للهلاك الأبدي

قال الله سبحانه :

« وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدْ احْتَمَلُوا بُهْتَاناً وَإِثْماً مُبِيناً » (١) .

وقال رسول الله - صلى الله عليه وآله - : « من آذى مؤمناً فقد آذاني ، ومن آذاني فقد آذى الله ، ومن آذى الله فهو ملعون في التوراة والانجيل والزبور والفرقان » . وفي خبر آخر : « فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين » (٢) . وقال صلى الله عليه وآله : « المسلم من سلم المسلمون من يده ولسانه » . وقال صلى الله عليه وآله : « لايحل للمسلم أن يشير الى أخيه بنظرة تؤذيه » . وقال - صلى الله عليه وآله - « ألا انبئكم بالمؤمن ! من ائتمنه المؤمنون على أنفسهم وأموالهم . ألا انبئكم بالمسلم ! من سلم المسلمون من لسانه ويده . والمؤمن حرام على المؤمن أن يظلمه أو يخذله أو يغتابه أو يدفعه دفعة » . وقال الصادق عليه السلام : « قال الله عز وجل : ليأذن بحرب مني من آذى عبدي المؤمن » . وقال عليه السلام : « إذا كان يوم القيامة ، نادى مناد : أين المؤذون لأوليائي ؟ فيقوم قوم ليس على وجوههم لحم ، فيقال : هؤلاء الذين آذوا المؤمنين ونصبوا لهم وعاندوهم وعنفوهم في دينهم . ثم يؤمر بهم الى جهنم » . وقال - عليه السلام - : « قال رسول الله صلى الله عليه وآله : قال الله تبارك وتعالى . من أهان لي ولياً فقد ارصد لمحاربتي » وقال - عليه السلام - : « إن الله تبارك وتعالى يقول : من أهان لي ولياً فقد أرصد

(١) الأحزاب ، الآية : ٥٨ .

(٢) صححنا الحديثين على (جامع الأخبار) : الباب ٧ ، الفصل ٤ .

لمحاربتي ، وأنا اسرع شيء الى نصرة أوليائي » . وقال عليه السلام : « قال رسول الله - صلى الله عليه وآله - : قال الله عز وجل : قد نابذني من أذل عبدي المؤمن » . وقال عليه السلام : « من حقر مؤمناً مسكيناً أو غير مسكين ، لم يزل الله عز وجل حاقراً له ماقتاً ، حتى يرجع عن محقرته إياه » (١) . وفي معناها أخبار كثيرة آخر .

ومن عرف النسبة التي بين العلة والمعلول ، والربط الخاص الذي بين الخالق والمخلوق ، يعلم أن إيذاء العباد واهانتهم يرجع في الحقيقة الى ايذاء الله واهانته ، وكفاه بذلك ذماً . فيجب على كل عاقل أن يكون دائماً متذكراً لذم ايذاء المسلمين واحتقارهم ، ولمدح ضدهما ، من رفع الأذية عنهم واكرامهم - كما يأتي - ، ويحافظ نفسه عن ارتكابهما ، لئلا يفتضح في الدنيا ويعذب في الآخرة .

وصل
كف الأذى عن المسلمين

لاريب في فضيلة أضداد ماذكر وفوائدها ، من كف الأذى عن المؤمنين والمسلمين واكرامهم وتعظيمهم . والظواهر الواردة في مدح دفع الضرر وكف الأذى عن الناس كثيرة ، كقول النبي - صلى الله عليه وآله - : « من رد عن قوم من المسلمين عادية ماء أو نار وجبت له الجنة » (٢)

---

(١) صححنا الاحاديث هنا على (اصول الكافي) : باب من آذى المسلمين واحتقرهم وعلى . (احياء العلوم) : ٢ / ١٧١ ، ١٧٢ .

(٢) صححناه على (فروع الكافي) : كتاب الجهاد ، في ملحق باب فضل الشهادة . وعلى (اصوله) : في باب الاهتمام بامور المسلمين .

وقوله - صلى الله عليه وآله - : « أفضل المسلمين من سلم المسلمون من لسانه ويده » . وقوله - صلى الله عليه وآله - في حديث طويل أمر فيه بالفضائل : « ... فان لم تقدر فدع الناس من الشر ، فانها صدقة تصدقت بها على نفسك » . وقوله - صلى الله عليه وآله - « رأيت رجلا يتقلب في الجنة في شجرة قطعها عن ظهر الطريق كانت تؤذى المسلمين » . وقال صلى الله عليه وآله : « من زحزح من طريق المسلمين شيئاً يؤذيهم ، كتب الله له به حسنة اوجب له بها الجنة » (١) .

وكذا الأخبار التي وردت في مدح إكرام المؤمن وتعظيمه كثيرة . قال الصادق - عليه السلام - : « قال الله سبحانه : ليأمن غضبي من اكرم عبدي المؤمن » . وقال رسول الله - صلى الله عليه وآله - : « من اكرم اخاه المسلم بكلمة يلطفه بها ، وفرج عنه كربته ، لم يزل في ظل الله الممدود ، وعليه الرحمة ما كان في ذلك » . وقال صلى الله عليه وآله « مافي امتي عبد الطف أخاه في الله بشيء من لطف ، إلا أخدمه الله من خدم الجنة » . وقال صلى الله عليه وآله : « أيما مسلم خدم قوماً من المسلمين إلا أعطاه الله مثل عددهم خداماً في الجنة » . وقال الصادق - عليه السلام - : « من أخذ من وجه أخيه المؤمن قذاة ، كتب الله عز وجل له عشرة حسنات ، ومن تبسم في وجه أخيه كانت له حسنة » وقال - عليه السلام - : « من قال لأخيه : مرحباً ، كتب الله له مرحباً الى يوم القيامة » . وقال عليه السلام : « من أتاه أخوه المؤمن فأكرمه ، فانما أكرم الله عز وجل » . وقال عليه السلام لإسحاق بن عمار : « أحسن يا اسحاق الى أوليائي ما استطعت ، فما احسن مؤمن الى مؤمن ولا اعانه

---

(١) صححنا هذه الأحاديث الأربعة الأخيرة على (احياء العلوم) : ٢ / ١٧١ - ١٧٢ .

إلا خمش وجه ابليس وقرح قلبه » (١).

ثم ينبغي تخصيص بعض طبقات الناس بزيادة التعظيم والاكرام ، كأهل العلم والورع ، لما ورد من الحث الأكيد في الأخبار على اكرامهم والاحسان اليهم ، وكذا ينبغي تخصيص ذى الشيبة المسلم بزيادة التوقير والتكريم ، وقد ورد ذلك في الأخبار الكثيرة ، قال رسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ : « من عرف فضل كبير لسنه فوقره ، آمنه الله من فزع يوم القيامة » . وقال الصادق ـ عليه السلام ـ : « إن من إجلال الله عز وجل اجلال الشيخ الكبير » . وقال عليه السلام : « ليس منا من لم يوقر كبيرنا ويرحم صغيرنا » . والأخبار في هذا المضمون كثيرة .

وكذا ينبغي تخصيص كريم القوم بزيادة الاكرام ، لقول النبي ـ صلى الله عليه وآله ـ « إذا اتاكم كريم قوم فأكرموه » (٢).

وكذا تخصيص الذرية العلوية بزيادة الاكرام والتعظيم . قال رسول الله صلى الله عليه وآله : « حقت شفاعتي لمن أعان ذريتي بيده ولسانه وماله » . وقال ـ صلى الله عليه وآله ـ : « أربعة أنالهم شفيع يوم القيامة : المكرم لذريتي ، والقاضي لهم حوائجهم ، والساعي لهم في امورهم عندما اضطروا اليه ، والمحب لهم بقلبه ولسانه » (٣) . وقال صلى الله عليه وآله « اكرموا اولادى ، وحسنوا آدابي » . وقال صلى الله عليه وآله « اكرموا

---

(١) صححنا الأحاديث هنا على (اصول الكافي) : باب إلطاف المؤمن وإكرامه ، وباب من آذى المسلمين واحتقرهم .

(٢) صححنا هذه الأحاديث على (أصول الكافي) : باب اجلال الكبير ، وباب وجوب اجلال ذى الشيبة ، وباب اكرام الكريم وعلى (الوسائل) : كتاب الحج ، أبواب احكام العشرة ، الباب ٦٧ .

(٣) تقدم هذان الحديثان في ص ١٣٩ من هذا الجزء .

أولادى ، الصالحون لله والصالحون لي ». والأخبار في فضل السادات وثواب من يكرمهم ويحبهم اكثر من أن تحصى .

وإضرار المسلم قريب من معنى إيذائه ، وربما كان الاضرار أخص منه، فما يدل على ذمه يدل على ذمه ، كقول النبي - صلى الله عليه وآله - « خصلتان ليس فوقهما شيء من الشر : الشرك بالله تعالى ، والضر بعباد الله ». وكذا ضده ، أعني ايصال النفع اليه ، قريب من معنى ضده وأخص منه . فما يدل على مدحه يدل على مدحه . ولا ريب في أن ايصال النفع الى المؤمنين من شرائف الصفات والأفعال . والأخبار الواردة في فضيلته كثيرة ، قال رسول الله صلى الله عليه وآله : « الخلق عيال الله ، فاحب الخلق الى الله من نفع عيال الله وادخل على أهل بيته سروراً » . وسئل صلى الله عليه وآله : « من أحب الناس الى الله ؟ قال: انفع الناس للناس » (١) وقال رسول الله صلى الله عليه وآله : « خصلتان من الخير ليس فوقهما شيء من البر : الأيمان بالله ، والنفع لعباد الله » .

تنبيــه

ذم الظلم بالمعنى الاخص

اعلم أن الظلم قد يراد به ماهو ضد العدالة ، وهو التعدى عن الوسط في أى شيء كان ، وهو جامع للرذائل باسرها — كما أشير اليه — وهذا هو الظلم بالمعنى الأعم ، وقد يطلق عليه الجور أيضاً ، وقد يراد به مايرادف الاضرار والايذاء بالغير ، وهو يتناول قتله وضربه وشتمه وقذفه وغيبته

(١) هذان الحديثان صححناهما على (اصول الكافي) : باب الاهتمام بامور المسلمين .

وأخـذ ماله قهراً ونهباً وغصباً وسرقة وغير ذلك من الأقوال والأفعال المؤذية . وهذا هو الظلم بالمعنى الأخص ، وهو المراد اذا اطلق في الآيات والأخبار وفي عرف الناس . وباعثه إن كانت العداوة والحسد ، يكون من رذائل قوة الغضب ، وإن كان الحرص والطمع في المـال ، يكون من رذائل قوة الشهوة . وهو أعظم المعاصي وأشدها عذابا باتفاق جميع الطوائف ويدل على ذمه — بعد ماورد في ذم كل واحد من الأمور المندرجة تحته كما يأتي بعضها — ماتكرر في القرآن من اللعن على الظالمين ، وكفاه ذماً أنه تعالى قال في مقام ذم الشرك :

« إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ » (١) . وقال : « إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَـئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ » (٢) . وقال : « وَلاَ تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ » (٣) . وقال : « وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ » (٤) .

وقال رسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ : « إن أهون الخلق على الله ، من ولي أمر المسلمين فلم يعدل لهم » . وقال ـ صلى الله عليه وآله ـ

(١) لقمان ، الآية : ١٣ .

(٢) الشورى ، الآية : ٤٢ .

(٣) ابراهيم ، الآية : ٤٢ .

(٤) الشعراء ، الآية : ٢٢٧ .

« جور ساعة في حكم ، أشد واعظم عند الله من معاصي تسعين سنة » .
وقال - صلى الله عليه وآله - : « اتقوا الظلم ، فانه ظلمات يوم القيامة »
وقال صلى الله عليه وآله : « من خاف القصاص ، كف عن ظلم الناس »
وروى : « أنه تعالى أوحى الى داود : قل للظالمين لاتذكروني ، فان حقاً علي أن اذكر من ذكرني ، وإن ذكرى إياهم أن العنهم » . وقال علي ابن الحسين - عليهما السلام - لابنه أبي جعفر - عليه السلام - حين حضرته الوفاة : « يابني ، إياك وظلم من لايجد عليك ناصراً إلا الله » . وقال أبو جعفر - عليه السلام - : « مامن أحد يظلم بمظلمة إلا أخذه الله تعالى بها في نفسه أو ماله » . وقال رجل له - عليه السلام - : « إني كنت من الولاة ، فهل لي من توبة ؟ فقال : لا ! حتى تؤدي الى كل ذي حق حقه » : وقال - عليه السلام - : « الظلم ثلاثة : ظلم يغفره الله تعالى ، وظلم لايغفره الله تعالى ، وظلم لا يدعه الله . فاما الظلم الذي لا يغفره الله عز وجل فالشرك ، وأما الظلم الذي يغفره الله عز وجل فظلم الرجل نفسه فيما بينه وبين الله عز وجل ، وأما الظلم الذي لايدعه فالمداينة بين العباد »
وقال الصادق - عليه السلام - في قوله تعالى :

« إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ » (١) .

« قنطرة على الصراط ، لايجوزها عبد بمظلمة » . وقال عليه السلام « مامن مظلمة أشد من مظلمة لايجد صاحبها عليها عوناً إلا الله تعالى »
وقال : « من أكل مال أخيه ظلماً ، ولم يرده اليه ، أكل جذوة من النار يوم القيامة » . وقال - عليه السلام - : « إن الله عز وجل أوحى الى نبي من أنبيائه في مملكة جبار من الجبارين : أن ائت هذا الجبار ، فقل

(١) الفجر ، الآية ١٤ .

له : إني لم استعملك على سفك الدماء واتخاذ الأموال ، وإنما استعملتك لتكف عني أصوات المظلومين ، فاني لن أدع ظلامتهم وإن كانوا كفاراً» وقال عليه السلام : « أما إن المظلوم يأخذ من دين الظالم اكثر مما يأخذ الظالم من مال المظلوم ... ثم قال : من يفعل الشر بالناس فلا ينكر الشر اذا فعل به . أما إنه يحصد ابن آدم مايزرع . وليس يحصد أحد من المر حلواً ، ولا من الحلو مراً » . وقال عليه السلام : « من ظلم ، سلط الله عليه من يظلمه ، أو على عقبه أوعلى عقب عقبه » قال الراوى : « قلت هو يظلم ، فيسلط الله على عقبه او على عقب عقبه ؟! قال : فان الله تعالى يقول :

« وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافاً خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً » (١) .

والظاهر أن مؤاخذة الأولاد بظلم آبائهم انما هو في الأولاد الذين كانوا راضين بفعل آبائهم ، أو وصل اليهم اثر ظلمهم ، أي انتقل اليهم منهم بعض أموال المظلومين . وقال بعض العلماء : الوجه في ذلك : أن الدنيا دار مكافاة وانتقام ، وان كان بعض ذلك مما يؤخر الى الآخرة ، وفائدة ذلك اما بالنسبة الى الظالم فانه يردعه عن الظلم اذا سمع ، وأما بالنسبة الى المظلوم فانه يستبشر بنيل الانتقام في الدنيا مع نيله ثواب الظلم الواقع عليه في الآخرة ، فانه ماظفر أحد بخير مما ظفر به المظلوم ، لأنه يأخذ من دين الظالم أكثر مما أخذ الظالم من ماله ، كما تقدم . وهذا مما

---

(١) صححنا أحاديث الباب على (أصول الكافي) : باب الظلم . والآية من الحديث الأخير : سورة النساء ، الآية : ٨ .

يصحح الانتقام من عقب الظالم أو عقب عقبه ، فانه وإن كان في صورة الظلم ، لأنه انتقام من غير أهله ، مع أنه لاتزر وازرة وزر اخرى ، إلا أنه نعمة من الله عليه في المعنى من جهة ثوابه في الدارين ، فان ثواب المظلوم في الآخرة اكثر مما جرى عليه من الظلم في الدنيا .

ثم إن معين الظالم ، والراضي بفعله ، والساعي له في قضاء حوائجه وحصول مقاصده ، كالظالم بعينه في الاثم والعقوبة . قال الصادق عليه السلام : « العامل بالظلم ، والمعين له ، والراضي به ، شركاء ثلاثتهم ». وقال عليه السلام : « من عذر ظالماً بظلمه ، سلط الله عليه من يظلمه ، فان دعا لم يستجب له ، ولم يأجره الله على ظلامته » . وقال رسول الله - صلى الله عليه وآله - : « شر الناس المثلث ؟ » ، قيل : وما المثلث قال : « الذي يسعى باخيه الى السلطان ، فيهلك نفسه ، ويهلك أخاه ، ويهلك السلطان » . وقال صلى الله عليه وآله : « من مشى مع ظالم فقد أجرم » . وقال - صلى الله عليه وآله - : « اذا كان يوم القيامة ، نادى مناد : أين الظلمة وأعوان الظلمة ومن لاق لهم دواة أو ربط لهم كيسا أو مدهم بمدة قلم ؟ فاحشروهم معهم » .

وصل

العدل بالمعنى الاخص

ضد الظلم بالمعنى الأخص هو العدل بالمعنى الأخص ، وهو الكف عنه ، ورفعه ، والاستقامة ، وإقامة كل أحد على حقه . والعدل بهذا المعنى هو المراد عند اطلاقه في الآيات والأخبار ، وفضيلته اكثر من أن

تحصى . قال الله سبحانه :

« إنَّ اللهَ يَأمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإحْسَانِ ... » (١) . وقال :

« إنَّ اللهَ يَأمُرُكُمْ أنْ تُؤدُّوا الأمَانَاتِ إلىٰ أهْلِهَا وَإذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ » (٢) .

وقال رسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ : « عدل ساعة خير من عبادة سبعين سنة قيام ليلها وصيام نهارها » وقال الصادق عليه السلام : « من أصبح ولا يهم بظلم أحد ، غفر له ما اجترم » . وقال عليه السلام « من أصبح لاينوى ظلم أحد ، غفر الله تعالى له ذنب ذلك اليوم ، مالم يسفك دماً أو يأكل مال يتيم حراماً » وقال ـ عليه السلام ـ : « العدل احلى من الماء يصيبه الظمآن . ما أوسع العدل اذا عدل فيه ، وإن قل ». وقال عليه السلام : « العدل أحلى من الشهد ، وألين من الزبد ، وأطيب ريحاً من المسك » . وقال ـ عليه السلام ـ : « اتقوا الله واعدلوا ، فانكم تعيبون على قوم لايعدلون » (٣) .

ومما يدل على فضيلة العدل بهذا المعنى ماورد فى ثواب رد المظالم : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ : « درهم يرده العبد الى الخصماء خير له من عبادة الف سنة ، وخير له من عتق الف رقبة ، وخير له من

---

(١) النحل ، الآية : ٩٠ .

(٢) النساء ، الآية : ٥٧ .

(٣) صححنا الأحاديث هنا على (أصول الكافي) : باب الظلم وباب الانصاف والعـدل .

الف حجة وعمرة » . وقال - صلى الله عليه وآله - : « من رد درهماً الى الخصماء ، اعتق الله رقبته من النار ، واعطاه بكل دانق ثواب نبي ، وبكل درهم ثواب مدينة في الجنة من درة حمراء » . وقال صلى الله عليه وآله « من رد ادنى شيء الى الخصماء ، جعل الله بينه وبين النار ستراً كما بين السماء والأرض ، ويكون في عداد الشهداء » . وقال صلى الله عليه وآله : « من أرضى الخصماء من نفسه ، وجبت له الجنة بغير حساب ، ويكون في الجنة رفيق اسماعيل بن ابراهيم » . وقال - صلى الله عليه وآله - : « إن في الجنة مدائن من نور ، وعلى المدائن ابواب من ذهب مكللة بالدر والياقوت ، وفي جوف المدائن قباب من مسك وزعفران ، من نظر الى تلك المدائن يتمنى أن تكون له مدينة منها » . قالوا : يانبي الله ، لمن هذه المدائن ؟ قال : « للتائبين النادمين ، المرضين الخصماء من أنفسهم . فان العبد اذا رد درهما الى الخصماء ، أكرمه الله كرامة سبعين شهيداً . فان درهماً يرده العبد الى الخصماء خير له من صيام النهار وقيام الليل . ومن رد درهماً ناداه ملك من تحت العرش : استأنف العمل ، فقد غفر لك ماتقدم من ذنبك » . وقال - صلى الله عليه وآله - : « من مات غير تائب ، زفرت جهنم في وجهه ثلاث زفرات ، فاولاها لاتبقى دمعة إلا جرت من عينيه ، والزفرة الثانية لايبقى دم إلا خرج من منخريه ، والزفرة الثالثة لايبقى قيح إلا خرج من فمه . فرحم الله من تاب ، ثم أرضى الخصماء ، فمن فعل فأنا كفيله بالجنة » . وقال - صلى الله عليه وآله - « لرد دانق من حرام يعدل عند الله سبعين الف حجة مبرورة » (١)

---

(١) صححنا الأحاديث النبوية هذه كلها على (جامع الاخبار) : الباب ٧ الفصل ٧ ولم نعثر لها على أثر في الكتب المعتبرة .

ومنها :

اخافة المؤمن

وإدخال الكــرب في قلبه . وهما شعبتـان من الايذاء والإضرار ، فيترتبان غالباً على العداوة والحسد ، وقد يترتبان على مجرد الغضب أوسوء الخلق أو الطمع ، وهما من رذائل الأفعال ، والأخبار الواردة في ذمهما كثيرة ، كقول النبي ـ صلى الله عليــه وآله ـ : « من نظر الى مؤمن نظرة ليخيفه بها ، أخافه الله تعالى يوم لاظل إلا ظله » . وقول الصادق عليه السلام : « من روع مؤمناً بسلطان ليصيبه منه مكروه فلم يصبه فهو في النار ، ومن روع مؤمناً بسلطان ليصيبه منه مكروه فاصابه فهو مــع فرعون وآل فرعون في النار » . وقوله ـ عليه السلام ـ : « من ادخل السرور على مؤمن فقد أدخله على رسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ ومن أدخله على رسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ فقد وصل ذلك الى الله ، وكذلك من أدخل عليه كربا » (١) . والأخبار الواردة في هذا المعنى كثيرة

وصل

إدخال السرور في قلب المؤمن

وضد ذلك إزالة الخوف عنه ، وتفريج كربه . وادخال السرور في

(١) صححنا الاحاديث هنا على (اصول الكافي) باب ادخال السرور على المؤمن ، وباب من أخاف مؤمناً .

قلبه . وهي من أعظم شعب النصيحة ، ولا حد للثواب المترتب عليها ، كما نطقت به الأخبار . قال رسول الله صلى الله عليه وآله : « من حمى مؤمناً من ظالم ، بعث الله له ملكا يوم القيامة يحمى لحمه من نار جهنم » . وقال صلى الله عليه وآله : « من فرج عن مغموم أو أعان مظلوماً ، غفر الله له ثلاثاً وسبعين مغفرة » . وقال - صلى الله عليه وآله - : « انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً » ، فقيل : كيف ينصره ظالماً ؟ قال : « تمنعه من الظلم » : وقال الامام أبو عبد الله الصادق - عليه السلام - : « من أغاث أخاه المؤمن اللهفان اللهثان عند جهده ، فنفس كربته واعانه على نجاح حاجته ، كتب الله تعالى له بذلك اثنين وسبعين رحمة من الله ، يعجل له منها واحدة يصلح بها أمر معيشته ، ويدخر له احدى وسبعين رحمة لافزاع يوم القيامة وأهواله » . وقال - عليه السلام - : « من نفس عن مؤمن كربة ، نفس الله عنه كرب الآخرة ، وخرج من قبره وهو ثلج الفؤاد » . وقال الرضا عليه السلام : « من فرج عن مؤمن ، فرج الله قلبه يوم القيامة » . وقال رسول الله صلى الله عليه وآله : « من سر مؤمناً فقد سرني ، ومن سرني فقد سر الله » . وعن أبي عبد الله عليه السلام قال : « قال رسول الله - صلى الله عليه وآله - : إن أحب الاعمال الى الله عز وجل ادخال السرور على المؤمنين » . وقال الباقر - عليه السلام - : « تبسم الرجل في وجه أخيه حسنة ، وصرفه القذى عنه حسنة ، وما عبدالله بشيء أحب الى الله من ادخال السرور على المؤمن » . وقال - عليه السلام - « إن فيما ناجى الله عز وجل به عبده موسى عليه السلام : قال : إن لي عباداً أبيحهم جنتي واحكمهم فيها ، قال : يارب ، ومن هؤلاء الذين تبيحهم جنتك وتحكمهم فيها ؟ قال : من ادخل على مؤمن سروراً ... ثم قال : إن مؤمناً كان في مملكة جبار ، فولع به ، فهرب منه الى دار

الشرك ، فنزل برجل من أهل الشرك فاظله وارفقه وأضافه ، فلما حضره الموت ، اوحى الله اليه : وعزتي وجلالي ! لو كان لك في جنتي مسكن لأسكنتك فيها ، ولكنها محرمة على من مات مشركا بي ، ولكن يانار هيديه ولا تؤذيه ، ويؤتى برزقه طرفي النهار » ، قلت (١) : من الجنة؟ قال : « من حيثما شاء الله » . وقال عليه : « لايرى أحدكم اذا أدخل على مؤمن سروراً أنه عليه أدخله فقط ، بل والله علينا ، بل والله على رسول الله - صلى الله عليه وآله ! - . عن أبان بن تغلب ، قال : « سألت أبا عبد الله عليه السلام عن حق المؤمن على المؤمن . فقال : حق المؤمن على المؤمن أعظم من ذلك ، لو حدثتكم لكفرتم . إن المؤمن اذا خرج من قبره خرج معه مثال من قبره يقول له : ابشر بالكرامة من الله والسرور فيقول له : بشرك الله بخير . قال : ثم يمضي معه يبشره بمثل ماقال ، وإذا مر بهول قال : ليس هذا لك ، واذا مر بخير قال : هذا لك . فلايزال معه ، يؤمنه مما يخاف ويبشره بما يحب ، حتى يقف معه بين يدى الله عز وجل . فاذا أمر به الى الجنة ، قال له المثال : ابشر فان الله عز وجل قد أمر بك الى الجنة . قال : فيقول : من أنت رحمك الله ؟ تبشرني من حين خرجت من قبرى ، وآنستنى في طريقى ، وخبرتني عن ربي ! قال فيقول : انا السرور الذي كنت تدخله على اخوانك في الدنيا ، خلقت منه لابشرك واونس وحشتك » . وروى ابن سنان ، قال : « كان رجل عند أبي عبد الله عليه السلام ، فقرأ هذه الآية :

« وَالَّذِيْنَ يُؤْذُوْنَ الْمُؤْمِنِيْنَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا

---

(١) القائل الراوى ، والمجيب أبو جعفر - عليه السلام - .

فَقَدْ احْتَمَلُوا بُهْتَاناً وَإِثْماً مُبِيناً » (١) .

فقال أبو عبد الله ـ عليه السلام ـ : فما ثواب من أدخل عليه السرور فقلت : جعلت فداك ! عشر حسنات . قال : أي والله وألف ألف حسنة ! » (٢).

ومنها :

ترك اعانة المسلمين

وعدم الاهتمام بامورهم . فان من يعادي غيره أو يحاسده يترك إعانته ولا يهتم بأموره ، وربما كان ذلك من نتائج الكسالة بها ، أو ضعف النفس أو البخل . وبالجملة : لاريب في كونه من رذائل الصفات ، ودليلا على ضعف الايمان . وما ورد في ذمه من الأخبار كثير ، قال الباقر عليه السلام : « من بخل بمعونة أخيه المسلم والقيام له في حاجة ، إلا ابتلى بالقيام بمعونة من يأثم عليه ولا يؤجر » . وقال الصادق ـ عليه السلام ـ : « أيما رجل من شيعتنا أتاه رجل من اخوانه ، فاستعان به في حاجة فلم يعنه ، وهو يقدر ، إلا ابتلاه الله تعالى بأن يقضي حوائج عدة من أعدائنا ، يعذبه الله عليها يوم القيامة » . وقال ـ عليه السلام ـ : « أيما مؤمن منع مؤمنا شيئاً مما يحتاج اليه وهو يقدر عليه من عنده أو من عند غيره ، أقامه الله عز وجل يوم القيامة مسوداً وجهه ، مزرقة عيناه ، مغلولة يداه الى عنقه فيقال : هذا الخائن الذي خان الله ورسوله ، ثم يؤمر به الى النار » وقال

(١) الأحزاب ، الآية : ٥٨ .

(٢) صححنا الأحاديث كلها هنا على (أصول الكافي): باب ادخال السرور على المؤمن ، باب تفريج كرب المؤمن .

- عليه السلام - : « من كانت له دار ، فاحتاج مؤمن الى سكناها ، فمنعه إياها ، قال الله تعالى : ياملائكتي ، أبخل عبدى على عبدى بسكنى الدنيا ؟ وعزتى وجلالي!لايسكن جناتى أبداً » . وقال - عليه السلام - لنفر عنده : « مالكم تستخفون بنا ؟ » ، فقام اليه رجل من أهل خراسان ، فقال : معاذ لوجه الله أن نستخف بك أو بشيء من أمرك ! فقال : « إنك أحد من استخف بي » ، فقال : معاذ لوجه الله أن استخف بك فقال له : « ويحك ! ألم تسمع فلاناً ، ونحن بقرب الجحفة ، وهو يقول لك : إحملني قدر ميل ، فقد والله أعييت . والله مارفعت به رأساً ، لقد استخففت به . ومن استخف بمؤمن فبنا استخف ، وضيع حرمة الله عز وجل (١) . وقال عليه السلام : « من أتاه أخوه في حاجة يقدر على قضائها فلم يقضها له ، سلط الله عليه شجاعاً ينهش ابهامه فى قبره الى يوم القيامة مغفوراً له أو معذبا » . وقال أبو الحسن عليه السلام : « من قصد اليه رجل من اخوانه مستجيراً به في بعض احواله ، فلم يجره بعد أن يقدر عليه ، فقد قطع ولاية الله عز وجل » . وقال رسول الله صلى الله عليه وآله : « من أصبح لايهتم بامور المسلمين فليس بمسلم » . وقال صلى الله عليه وآله : « من اصبح لايهتم بامور المسلمين فليس منهم ومن سمع رجلا ينادي ياللمسلمين فلم يجبه فليس بمسلم » (٢) .

---

(١) صححنا هذا الحديث بالخصوص على (الوسائل) : كتاب الحج ، باب تحريم الاستخفاف وهو يرويه عن (الكافي) .

(٢) صححنا الأحاديث هنا على (أصول الكافي) : باب من استعان اخوه به فلم يعنه ، وباب قضاء حاجة المؤمن ، وباب من منع مؤمناً شيئاً من عنده ، وباب الاهتمام بامور المسلمين .

وصل

قضاء حوائج المسلمين

ضد هذه الرذيلة : قضاء حوائج المسلمين والسعي في انجاح مقاصدهم وهو من أعظم أفراد النصيحة ، ولا حد لمثوبته عند الله قال رسول الله - صلى الله عليه وآله - : « من قضى لأخيه المؤمن حاجة ، فكأنما عبدالله دهره » (١) وقال - صلى الله عليه وآله - : « من مشى في حاجة أخيه ساعة من ليل أو نهار ، قضاها أولم يقضها ، كان خيراً له من اعتكاف شهرين » . وقال ابو جعفر - عليه السلام - : « أوحى الله عز وجل الى موسى عليه السلام : إن من عبادى من يتقرب الي بالحسنة فاحكمه فى الجنة فقال موسى : يارب ، وما تلك الحسنة ؟ قال يمشي مع أخيه المؤمن في قضاء حاجته ، قضيت أم لم تقض » . وقال - عليه السلام - : « من مشى في حاجة أخيه المسلم ، أظله الله بخمسة وسبعين الف ملك ، ولم يرفع قدماً إلا كتب الله له حسنة ، وحط عنه بها سيئة ، ويرفع له بها درجة ، فاذا فرغ من حاجته كتب الله عز وجل له بها أجر حاج ومعتمر » وقال - عليه السلام - : « إن المؤمن لترد عليه الحاجة لأخيه فلا تكون عنده فيهتم بها قلبه ، فيدخله الله تبارك وتعالى بهمه الجنة » . وقال الصادق - عليه السلام - : « من قضى لأخيه المؤمن حاجة ، قضى الله تعالى له يوم القيامة مائة الف حاجة ، من ذلك أولها الجنة ، ومن ذلك أن يدخل قرابته ومعارفه واخوانه الجنة ، بعد ان لايكونوا نصاباً » . وقال - عليه السلام - : « إن الله تعالى خلق خلقاً من خلقه ، انتجبهم لقضاء حوائج

(١) صححناه على (الوسائل) . كتــاب الأمر بالمعروف ، باب استحباب قضاء حاجة المؤمن،رواه عن (مجالس الطوسي) . ولم نعثر على مصدر للنبوى الثاني

فقراء شيعتنا ، ليثيبهم على ذلك الجنة . فان استطعت أن تكون منهم فكن »
وقال - عليه السلام - : « قضاء حاجة المؤمن خير من عتق الف رقبة ،
وخير من حملان الف فرس في سبيل الله » . وقال - عليه السلام - :
« لقضاء حاجة امرىء مؤمن احب الى الله تعالى من عشرين حجة ، كل
حجة ينفق فيها صاحبها مائة الف » . وقال - عليه السلام - : « من طاف
بالبيت طوافاً واحداً كتب الله له ستة آلاف حسنة ، ومحى عنه ستة آلاف سيئة ،
ورفع له ستة آلاف درجة - وفي رواية: وقضى له ستة آلاف حاجة - حتى
اذا كان عند الملتزم، فتح له سبعة أبواب من الجنة » ، قلت له: جعلت فداك ! هذا
الفضل كله في الطواف ؟ قال : « نعم ! واخبرك بأفضل من ذلك :
قضاء حاجة المؤمن المسلم أفضل من طواف وطواف . . . حتى
بلغ عشراً » . وقال - عليه السلام - : « تنافسوا في المعروف لاخوانكم
وكونوا من أهله ، فان للجنة باباً يقال له المعروف ، لايدخله إلا من
اصطنع المعروف في الحياة الدنيا ، فان العبد ليمشي في حاجة أخيه المؤمن
فيوكل الله عز وجل به ملكين ، واحداً عن يمينه وآخر عن شماله ،
يستغفران له ربه ، ويدعوان بقضاء حاجته » ... ثم قال : « والله لرسول
الله - صلى الله عليه وآله - اسر بقضاء حاجة المؤمن إذا وصلت اليه من
صاحب الحاجة » . وقال - عليه السلام - : « ماقضى مسلم لمسلم حاجة
إلا ناداه الله تعالى : علي ثوابك ، ولا ارضى لك بدون الجنة » .
وقال - عليه السلام - : « أيما مؤمن أتى أخاه في حاجة فانما ذلك رحمة
من الله ساقها اليه وسببها له ، فان قضى حاجته كان قد قبل الرحمة بقبولها
وإن رده عن حاجته وهو يقدر على قضائها فانما رد عن نفسه رحمة من
الله عز وجل ، ساقها اليه وسببها له ، وذخر الله تلك الرحمة الى يوم
القيامة ، حتى يكون المردود عن حاجته هو الحاكم فيها ، إن شاء صرفها

الى نفسه ، وإن شاء صرفها الى غيره » ... ثم قال عليه السلام للراوي: « فاذا كان يوم القيامة ، وهو الحاكم في رحمة من الله تعالى قد شرعت له ، فالى من ترى يصرفها ؟ » ، لا أظن يصرفهـا عن نفسه ، قال : لاتظن ! ولكن استيقن ، فانه لن يردها عن نفسه » وقال ـ عليه السلام ـ: « من مشى في حاجة أخيه المؤمن يطلب بذلك ماعند الله حتى تقضى له ، كتب الله عز وجل له بذلك مثل أجر حجة وعمرة مبرورتين ، وصوم شهرين من أشهر الحرم واعتكافهما في المسجد الحرام ، ومن مشى فيها بنية ولم تقض ، كتب الله له بذلك مثل حجة مبرورة . فارغبوا في الخير » . وقال عليه السلام : لئن أمشي في حاجة أخ لي مسلم ، أحب إلي من أن أعتق الف نسمة ، وأحمل في سبيل الله على الف فرس مسرجة ملجمة » وقال ـ عليه السلام ـ : « من سعى في حاجة أخيه المسلم ، وطلب وجه الله ، كتب الله عز وجل له الف الف حسنة ، يغفر فيها لأقاربه وجيرانه واخوانه ومعارفه ، ومن صنع اليه معروفاً في الدنيا ، فاذا كان يوم القيامة قيل له : ادخل النار ، فمن وجدته فيها صنـع اليك معروفاً في الدنيا فأخرجه باذن الله عز وجل ، إلا أن يكون ناصبياً » . وقال أبو الحسن ـ عليه السلام ـ : « إن لله عباداً في الأرض يسعون في حوائج الناس ، هم الآمنون يوم القيامة . ومن أدخل على مؤمن سروراً ، فرح الله قلبه يوم القيامة » (١) . والأخبار الواردة بهذه المضامين كثيرة ، وما ذكرناه كاف لتحريك الطالبين على قضاء حوائج المؤمنين . ومما يدل على مدحه وشرافته ، ماورد في ثواب اطعام المؤمن وسقيه وكسوته ، كما يأتي .

---

(١) صححنا الاحاديث ـ ابتداء من الحديث عن أبي جعفر عليه السلام ـ على (اصول الكافي) : باب قضاء حاجة المؤمن ، وباب السعي في حاجة المؤمن :

ومنها :

التهاون والمداهنة

في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . وهو ناش إما من ضعف النفس وصغرها ، أومن الطمع المالي ممن يساهمه ، فيكون من رذائل القوة الغضبية من جانب التفريط ، أومن رذائل القوة الشهوية من جانب الافراط وهو من المهلكات التي يعم فسادها وضررهــا ، ويسرى الى معظم الناس اثرها وشرها . كيف ولو طوى بساط الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر اضمحلت الديانة ، وتعطلت النبوة ، وعمت الفـترة ، وفشت الضلالة ، وشاعت الجهالــة ، وضاعت أحكام الدين ، واندرست آثار شريعة رب العالمين ، وهلك العباد ، وخرجت البلاد . ولذا ترى وتسمع أن في كل عصر نهض باقامة هذه السنة بعض المؤيدين ، من غير أن تأخذهم في الله لومة لائمين ، من أقوياء العلماء المتكفلــين لعلمها وإتقانها ، ومن سعداء الأمراء الساعين في اجرائها وإمضائها ، رغب الناس الى ضروب الطاعات والخيرات ، وفتحت عليهم بركات الأرض والسماوات ، وفي كل قرن لم يقم باحيائها عالم عامل ولا سلطان عادل ، استشرى الفساد ، واتسع الخرق وخرجت البلاد ، واسترسل الناس فى اتباع الشهوات والهوى ، وانمحت أعلام الهداية والتقوى .

ولذا ترى في عصرنا ـ لما اندرس من هذا القطب الأعظم عمله وعلمه وانمحت بالكلية حقيقته واسمه ، وعز على بسيط الارض دين يحرس الشريعة واستولت على القلوب مداهنة الخليقة ـ أن الناس في بيداء الضلالة حيارى

وفي أيدي جنود الأبالسة اسارى ، ولم يبق من الاسلام إلا اسمه ومن الشرع إلا رسمه .

ولأجل ذلك ورد الذم الشديد في الآيات والأخبار على ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والمداهنة فيها ، قال الله سبحانه :

« لَوْلاَ يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ » (١) .

وقال رسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ : « مامن قوم عملوا بالمعاصي ، وفيهم من يقدر أن ينكر عليهم فلم يفعل ، إلا يوشك أن يعمهم الله بعذاب من عنده » . وقال ـ صلى الله عليه وآله ـ : « إن الله تعالى ليبغض المؤمن الضعيف الذى لادين له » ، فقيل له : وما المؤمن الذي لادين له ؟ قال : « الذى لاينهى عن المنكر » . وقيل له ـ صلى الله عليه وآله ـ : « أنهلك القرية وفيها الصالحون ؟ قال : نعم ! قيل : بم يارسول الله ؟ قال : بتهاونهم وسكوتهم عن معاصى الله » . وقال ـ صلى الله عليه وآله ـ : « لتأمرن بالمعروف ولتنهن عن المنكر ، أو ليستعملن عليكم شراركم ، فيدعو خياركم فلا يستجاب لهم » (٢) . وقال ـ صلى الله عليه وآله ـ : « إن الله تعالى ليسأل العبد : مامنعك إذ رأيت المنكر أن تنكر ؟ » . وقال ـ صلى الله عليه وآله ـ : « ان الله لايعذب الخاصة

---

(١) المائدة ، الآية : ٦٦ .

(٢) روى في (فروع الكافي) ـ باب الأمر بالمعروف ـ هذا الحديث عن أبي الحسن الرضا ـ عليه السلام ـ . وصححنا الحديث الذي قبل الأخير على (فروع الكافى) في الموضع المذكور أيضاً .

بذنوب العامـــة ، حتى يظهر المنكر بين اظهرهم ، وهم قادرون على أن ينكروه فلا ينكرونه » .

وقال أمير المؤمنين - عليه السلام - في بعض خطبه : « انما هلك من كان قبلكم ، حيث عملوا بالمعاصي ولم ينههم الربانيون والأحبار عن ذلك ، وانهم لما تمادوا في المعاصي ولم ينههم الربانيون والأحبار عن ذلك نزلت بهم العقوبات ، فأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ... » . وقال عليه السلام : « من ترك إنكار المنكر بقلبه ويده ولسانه ، فهو ميت بين الأحياء » . وقال - عليه السلام - « أمرنا رسول الله - صلى الله عليـه وآله - أن نلقى أهل المعاصي بوجوه مكفهرة » . وقال - عليه السلام - « إن أول ماتغلبون عليه من الجهاد الجهاد بأيديكم ثم بالسنتكم ، ثم بقلوبكم فمن لم يعرف بقلبه معروفاً ولم ينكر منكراً قلب فجعل أعلاه أسفله » وقال الباقر - عليـه السلام - : « أوحى الله عز وجل الى شعيب النبي - عليه السلام - : إني معذب من قومـك مائة الف : أربعين الفاً من شرارهم ، وستين الفاً من خيارهم . فقال - عليـه السلام - : يارب ، هؤلاء الأشرار فما بال الأخيار ؟ فأوحى الله عزّ وجل اليه : داهنوا أهل المعاصي ، ولم يغضبوا لغضبي » . وقال الصادق - عليه السلام - : « ما قدست أمة لم يؤخذ لضعيفها من قويها بحقه غير متعتع » . وقال - عليه السلام - : « ويل لقوم لايدينون الله بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر » وقال - عليه السلام - : « إن الله تعالى بعث ملكين الى أهل مدينة ليقلبها على أهلها ، فلما انتهيا الى المدينة وجدا رجلا يدعو الله ويتضرع اليه ، فقال أحد الملكين لصاحبه : أما ترى هذا الداعي ؟ فقال : قد رأيته ، ولكن أمضي ما أمر به ربي . فقال : لا ، ولكن لا احدث شيئاً حتى أراجع ربي . فعاد الى الله تبارك وتعالى ، فقال : يارب إني انتهيت الى

المدينة ، فوجدت عبدك فلاناً يدعوك ويتضرع اليك . فقال : امض ما امرتك به ، فان ذا رجل لم يتمعر وجهه غيظاً لي قط » . وقال — عليه السلام — لقوم من اصحابه : حق لي أن آخذ البريء منكم بالسقيم وكيف لايحق لي ذلك وانتم يبلغكم عن الرجل منكم القبيح فلا تنكرون عليه ولا تهجرونه ولا تؤذونه حتى يتركه » . وقال — عليه السلام — : « لاحملن ذنوب سفهائكم على علمائكم ... الى أن قال : مايمنعكم إذا بلغكم عن الرجل منكم ماتكرهون وما يدخل علينا به الأذى ، أن تأتوه فتؤنبوه وتعذلوه ، وتقولوا له قولا بليغاً ! » ، قيل له : اذن لايقبلون منا ، قال : « اهجروهم واجتنبوا مجالستهم » .

وفي بعض الأخبار النبوية : « إن أمتي اذا تهاونوا في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فليأذنوا بحرب من الله » . وقد وردت اخبار بالمنع عن حضور مجالس المنكر اذا لم يمكنه دفعه والنهي عنه ، ولو حضر نزلت عليه اللعنة . وعلى هذا لايجوز دخول بيت الظلمة والفسقة ، ولا حضور المشاهد التي يشاهد فيها المنكر ولا يقدر على تغييره ، إذ لايجوز مشاهدة المنكر من غير حاجة ، اعتذاراً بأنه عاجز . ولهذا اختار جماعة من السلف العزلة ، حذراً من مشاهدة المنكر في الاسواق والجامع والاعياد ، مع عجزهم عن التغيير .

ثم اذا كان الأمر في المداهنة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بهذه المثابة ، فيعلم أن الأمر بالمنكر والنهي عن المعروف كيف حاله . قال رسول الله — صلى الله عليه وآله — : « كيف بكم اذا فسدت نساؤكم وفسق شبابكم ولم تأمروا بالمعروف ولم تنهوا عن المنكر ؟ » فقيل له — صلى الله عليه وآله — : ويكون ذلك يارسول الله ؟ ! قال : « نعم ! كيف بكم اذا أمرتم بالمنكر ونهيتم عن المعروف ؟ ! » ، فقيل له :

يارسول الله ، ويكون ذلك ؟! قال : « نعم ! وشر من ذلك ! كيف بكم اذا رأيتم المعروف منكراً والمنكر معروفاً ؟! » ، وفي رواية : « وعند ذلك يبتلى الناس بفتنة ، يصير الحليم فيها حيران » (١)

ومن تأمل في الأخبار والآثار ، واطلع على التواريخ والسير وقصص الامم السالفة والقرون الماضية ، وما حدثت لهم من العقوبات ، وضم ذلك الى التجربة والمشاهدة في عصره ، من ابتلاء الناس ببعض البلايا السماوية والأرضية ، يعلم أن كل عقوبة سماوية وارضية ، من الطاعون والوباء ، والقحط والغلاء ، وحبس المياه والامطار ، وتسلط الظالمين والاشرار ، ووقوع القتل والغارات ، وحدوث الصواعق والزلازل ، وأمثال ذلك ، تكون مسبوقة بترك الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر بين الناس .

وصل
السعي في الأمر بالمعروف

ضد المداهنة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، هي السعي فيهما والتشمير لهما . وهو أعظم مراسم الدين ، والمهم الذي بعث الله لأجله النبيين ، ونصب من بعدهم الخلفاء والاوصياء ، وجعل نوابهم أولى النفوس القدسية من العلماء . بل هو القطب الذى تدور عليه أرحية الملل والأديان وتطرق الاختلال فيه يؤدى الى سقوطها عن الدوران . ولهذا ورد في

(١) صححنا الاحاديث هنا على (فروع الكافي) : باب الأمر بالمعروف وعلى (الوسائل) : كتاب الامر بالمعروف وعلى (المستدرك) : ٢ / ٣٦٠ — ٣٦١ كتاب الامر بالمعروف .

مدحه والترغيب عليه مما لايمكن احصاؤه من الآيات والأخبار ، قال الله سبحانه :

« وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ » . وقال : « كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ، تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ » (١) . وقال : « فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ » (٢) . وقال : « لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ ، إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ، وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً » . وقال : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ » (٣) .

والقيام بالقسط هو : الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

وقال رسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ : « ما أعمال البر عند

(١) آل عمران ، الآية : ١٠٤ ، ١١٠ .

(٢) الأعراف ، الآية : ١٦٤ :

(٣) النساء ، الآية : ١١٣ ، ١٣٥ .

الجهاد في سبيل الله إلا كنفثة في بحر لجي ، وما جميع أعمال البر والجهاد في سبيل الله عند الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلا كنفثة في بحر لجي » وقال - صلى الله عليه وآله - : « إياكم والجلوس على الطرقات ! » قالوا مالنا بد ، إنما هي مجالسنا نتحدث فيها ، قال : « فاذا أبيتم إلا ذلك ، فأعطوا الطريق حقه » ، قالوا : وما حق الطريق ؟ قال : « غض البصر وكف الأذى ، ورد السلام ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر » ؛ وقال - صلى الله عليه وآله - : « مابعث الله نبياً إلا وله حوارى ، فيمكث النبي بين أظهرهم ماشاء الله ، يعمل فيهم بكتاب الله وبأمره ، حتى اذا قبض الله نبيه ، مكث الحواريون يعملون بكتاب الله وبأمره وسنة نبيهم ، فاذا انقرضوا ، كان من بعدهم قوم يركبون رؤس المنابر يقولون مايعرفون ويعملون ماينكرون . فاذا رأيتم ذلك ، فحق على كل مؤمن جهادهم بيده ، فان لم يستطع فبلسانه ، فان لم يستطع فبقلبه . وليس وراء ذلك إسلام » (١) . وقال أمير المؤمنين - عليه السلام - : « إن من رأى عدواناً يعمل به ومنكراً يدعى اليه فأنكره بقلبه ، فقد سلم وبرىء ومن انكره بلسانه فقد أجر ، وهو أفضل من صاحبه ، ومن انكره بالسيف لتكون كلمة الله العليا وكلمة الظالمين السفلى ، فذلك الذي اصاب سبيل الهدى وقام على الطريق ، ونور في قلبه اليقين » (٢) . وقال - عليه السلام - « فمنهم المنكر للمنكر بقلبه ولسانه ويده ، فذلك المستكمل لخصال الخير ومنهم المنكر بلسانه وقلبه ؛ التارك بيده ، فذلك متمسك بخصلتين من

(١) صححنا هذه النبويات الثلاثة على (احياء العلوم) : ٢ / ٢٧١ ، ٢٧٢ .

(٢) صححنا الحديث على (المستدرك) : كتاب الامر بالمعروف ، الباب ٣ وعلى (الوسائل) : كتاب الامر بالمعروف ، الباب ٣ . وكذا الحديث بعده ، صححناه على (الوسائل) في الموضع المذكور .

خصال الخير ومضيع خصلة . ومنهم المنكر بقلبه ، والتارك بيده ولسانه ، فذلك الذي ضيع أشرف الخصلتين من الثلاث وتمسك بواحدة . ومنهم تارك لانكار المنكر بلسانه وقلبه ويده ، فذلك ميت الاحياء . وما اعمال البر كلها والجهاد في سبيل الله عند الامر بالمعروف والنهي عن المنكر إلا كنفثة في بحر لجي ، وإن الامر بالمعروف والنهي عن المنكر لايقربان من أجل ولا ينقصان من رزق ، وأفضل من ذلك كلمة عدل عند إمام جائر » وفي خبر جابر عن الباقر ـ عليه السلام ـ : « إن الامر بالمعروف والنهي عن المنكر سبيل الانبياء ومنهاج الصلحاء ، فريضة عظيمة ، بها تقام الفرائض وتأمن المذاهب ، وتحل المكاسب ، وترد المظالم ، وتعمر الارض وينتصف من الاعداء ، ويستقيم الامر . فأنكروا بقلوبكم ، والفظوا بألسنتكم ، وصكوا بها جباههم ، ولا تخافوا في الله لومة لائم . فان اتعظوا والى الحق رجعوا فلا سبيل عليهم :

« إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَـٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ » (١) .

هنالك فجاهدوهم بأبدانكم ، وابغضوهم بقلوبكم ، غير طالبين سلطانا ولا باغين مالا ، ولا مريدين لظلم ظفراً ، حتى يفيئوا الى أمر الله ويمضوا على طاعته » (٢)

---

(١) الشورى ، الآية : ٤٢ .

(٢) صححنا الحديث على (فروع الكافي) : كتاب الجهاد ، باب الامر بالمعروف .

فصل

وجوب الأمر بالمعروف وشروطه

مقتضى الآيات والاخبار المذكورة ، وجوب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر . ولا خلاف فيه أيضاً ، إنما الخلاف في كون وجوبهما كفائياً أو عينياً . والحق الاول ، كما يأتي .

ثم الواجب إنما هو الامر بالواجب والنهي عن الحرام . وأما الامر بالمندوب والنهي عن المكروه فمندوب ، وإنما يجب بشروط أربعة :

الاول — العلم بكونهما معروفاً ومنكراً ، ليأمن من الغلط ، فلايجبان في المتشابه ، فمن علم بالقطع الوجوب أو الحرمة ، وعدم جواز الاختلاف فيه من ضرورة الدين أو المذهب أو الاجماع القطعي النظرى أو الكتاب والسنة أو من قول العلماء ، فله أن يأمر وينهى ويحتسب به على كل احد ومن لم يعلمها بالقطع ، بل علمها بالظن الحاصل من الاجتهاد أو التقليد وجوز الاختلاف فيه ، فليس له الامر والنهي والحسبة ، إلا على من كان على هذا الاعتقاد من مجتهد أومقلد ، أولزم عليه أن يكون هذا الاعتقاد وان لم يكن عليه بالفعل للجهل ، كالمقلد المطلق لمجتهد إذا لم يعلم بعض العقائد الاجتهادية لمجتهده ، فيتأتى لغيره ان يحتسب به عليه . وحاصل ماذكر : أن القطعيات الوفاقية تأتى لكل أحد أن يحتسب بها على كل أحد بعد علمها وغير القطعيات الجائز فيها الاختلاف والمرجح أحد طرفيها لاجتهاد لايتأتي لمجتهدها ومقلده فيها الاحتساب ، أي الامر والنهي ، إلا على من كان موافقاً في الاعتقاد أو يلزم أن يكون موافقاً .

الثاني — تجويز التأثير . فلو علم أو غلب على ظنه انه لايؤثر فيه ، لم يجب ، لعدم الفائدة .

الثالث – القدرة والتمكن منه ، وعدم تضمنه بمفسدة . فلو ظن توجه الضرر اليه أو الى أحد من المسلمين بسببه سقط ، إذ لاضرر ولا ضرار في الدين .

الرابع – أن يكون المأمور أو المنهى مصراً على الاستمرار . فلو ظهر منها امارة الإقلاع سقط ، للزوم العبث .

ثم هذه الشروط يختلف اشتراطها بسبب اختلاف درجات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، كما يأتي . ويدل على اشتراط الثلاثة الأول ماروى : « انه سئل مولانا الصادق ـ عليه السلام ـ : ان الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر أواجب على الأمة جميعاً ؟ فقال : لا . فقيل له : ولم؟ قال : انما هو على القوى المطاع ، العالم بالمعروف من المنكر ، لاعلى الضعيف الذي لايهتدى سبيلا الى أى من أى يقول من الحق الى الباطل. والدليل على ذلك من كتاب الله عز وجل ، قوله :

« وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ » (١) .

فهذا خاص غير عام ، كما قال الله عز وجل :

« وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ » (٢) .

ولم يقل على امة موسى ، ولا على كل قوم ، وهم يومئذ امم مختلفة والامة واحد فصاعداً ، كما قال الله عز وجل : (إن ابراهيم كان امة قانتاً لله) يقول مطيعاً لله عز وجل . وليس على من يعلم ذلك في هذه

(١) آل عمران ، الآية : ١٠٤ .

(٢) الأعراف ، الآية : ١٥٨ .

المدنة من حرج ، اذا كان لاقوة له ولا عذر ولا طاقة » . قال مسعدة « سمعت أبا عبد الله ـ عليه السلام ـ وسئل عن الحديث الذي جاء عن النبي صلى الله عليه وآله : (إن أفضل الجهاد كلمة عدل عند امام جائر) مامعناه ــ قال : هذا على أن يأمره بعد معرفته ، وهو مع ذلك يقبل منه وإلا فلا » . وفي خبر آخر : « إنما يؤمر بالمعروف وينهى عن المنكر مؤمن فيتعظ أو جاهل فيتعلم . فأما صاحب سوط أو سيف فلا » . وفي خبر آخر : « من تعرض لسلطان جائر واصابته بلية ، لم يؤجر عليها ولم يرزق الصبر عليها » (١) . ومن الشرائط أن يظهر المنكر على المحتسب من غير تجسس ، فلا يجب ، بل لايجوز التجسس ، كفتح الباب المغلق، ووضع الاذن والانف لاحتباس الصوت والريح ، وطلب ازالة ماتحت الثوب وأمثال ذلك ، لنص الكتاب والسنة .



فصل

عدم اشتراط العدالة فيه

لاتشترط فيه العدالة وائتمار الآمر بما يأمر به وانتهاء الناهي عما ينهى عنه ، لاطلاق الأدلة ، ولأن الواجب على فاعل الحرام المشاهد فعله من غيره أمران : تركه وانكاره ، ولا يسقط بترك أحدهما وجوب الآخر ، كيف ولو شرط ذلك لاقتضى عدم وجوب ذلك إلا على المعصوم ، فينسد باب الحسبة بالكلية .

---

(١) صححنا الأحاديث على (فروع الكافي) : باب الأمر بالمعروف ، وباب انكار المنكر بالقلب . اسقط المؤلف من الحديث الأول قسماً فأكملناه :

وأما الانكار في قوله تعالى :

« أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالبِرِّ وَتَنْسَونَ أَنْفُسَكُمْ » (١) . وقوله تعالى : « لِمَ تَقُولُونَ مَا لاَ تَفْعَلُونَ ؟ كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لاَ تَفْعَلُونَ » (٢) .

وما في حديث الاسرى من قرض مقاريضهم بالنار ، فانما هو على عدم العمل بما يأمر به ويقوله ، لاعلى الأمر والقول . وكذلك ماروي : « أن الله تعالى أوحى الى عيسى : عظ نفسك ، فان اتعظت فعظ الناس وإلا فاستحي مني » (٣) . وقس على ذلك جميع ماورد من هذا القبيل .

وما قيل إن هداية الغير فرع الاهتداء ، وتقويم الغير فرع الاستقامة ففيه أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تارة يكون بالوعظ وتارة بالقهر ومن لم يكن مهتديا مستقيما ، تسقط عنه الحسبة بالوعظ ، لعلم الناس بفسقه فلا يتضمن وعظه وكلامه فائدة ، ولا يؤثر في العالم بفسقه ، ولا يخرج ذلك وعظه وقوله عن الجواز ، كما لاتخرج حسبته القهرية عن التأثير والفائدة أيضاً . إذ الفاسق اذا منع غيره قهراً عن الزنا واللواط وشرب الخمر ، واراق الخمور ، وكسر آلات الملاهي ، حصل التأثير والفائدة بلا شبهة

(١) البقرة ، الآية : ٤٤ .

(٢) الصف ، الآية : ٢ — ٣ .

(٣) صححنا الأحاديث كلها على (فروع الكافي) : باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . وعلى (الوسائل) : كتاب الأمر بالمعروف . وعلى (المستدرك) ٢ / ٣٦٠ ، كتاب الامر بالمعروف والنهى عن المنكر .

والحاصل : أن أحد نوعي الاحتساب — اعني الوعظي — يتوقف تأثيره على العدالة ، وأما نوعه الآخر — أعني القهري — فلا يتوقف عليه مطلقاً .

فان قيل : اذا أتى رجل امرأة إكراهاً ، وهي مستورة الوجه ، فكشف وجهها باختيارها ، فما اشنع واقبح أن ينهاها الرجل في أثناء الزنا عن كشف وجهها ، ويقول لها : أنت مكرهة في الزنا ومختارة في كشف الوجه لغير المحرم ، وما أنا بمحرم لك ، فاستري وجهك .

قلنا : القبح والاستنكار إنما هو لأجل أنه ترك الاهم واشتغل بما هو الاهون ، كما اذا ترك المشتبه وأكل الحرام ، أو ترك الغيبة وشهد بالزور لا لأن هذا النهي هو حرام في نفسه ، أوخرج عن الوجوب الى الاباحة أو الكراهة . ولأن نهيه هذا خرج بفسقه عن التأثير والفائدة ، فالاستنكار عليه وتقبيح نهيه عن هذا من حيث أنه نزل نفسه مقام من يؤثر قوله ، مع أنه لايؤثر ، كما تقدم آنفاً .

ثم ماذكرناه من عدم اشتراط العدالة في العمل بما يأمر به وينهى عنه إنما هو في آحاد الحسبة الصادرة من أفراد الرعية المطلعين على المنكر . وأما من نصب نفسه لاصلاح الناس ونصحهم ، وبيان الاحكام الإلهية نيابة عن رسول الله - صلى الله عليه وآله - والأئمة المعصومين - عليهم السلام - فلا بد فيه من العدالة والتقوى والعلم بالكتاب والسنة ، وغير ذلك من شرائط الاجتهاد . وعلى هذا يحصل جواب آخر عن الآيات والاخبار الواردة في الانكار على الواعظ غير المتعظ بتخصيصها به دون افراد الرعية . وعليه يحمل قول الصادق - عليه السلام - في (مصباح الشريعة) (١) : « من لم ينسلخ عن هواجسه ، ولم يتخلص من آفات نفسه وشهواتها ، ولم يهزم

---

(١) الباب ٦٤ وقد صححنا الحديث عليه وعلى (بحار الانوار) : ١١٤/٢١ باب الأمر المعروف . وعلى (مستدرك الوسائل) : ٢ / ٣٦٣ - ٣٦٥ .

الشيطان ، ولم يدخل في كنف الله وأمان عصمته ، لايصلح له الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، لأنه اذا لم يكن بهذه الصفة ، فكلما أظهر أمراً كان حجة عليه ، ولا ينتفع الناس به . قال الله عز وجل :

« أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ » (١) .

ويقال له : ياخائن ! أتطالب خلقي بما خنت به نفسك وأرخيت عنه عنانك ! » : وكذا يحمل عليه قول الصادق ـ عليه السلام ـ (٢) : « صاحب الامر بالمعروف يحتاج الى أن يكون عالماً بالحلال والحرام ، فارغاً من خاصة نفسه مما يأمرهم به وينهاهم عنه ، ناصحاً للخلق ، رحيما لهم ، رفيقاً بهم ، داعياً لهم باللطف وحسن البيان ، عارفاً بتفاوت اخلاقهم لينزل كلا منزلته ، بصيراً بمكر النفس ومكائد الشيطان ، صابراً على مايلحقه لا يكافيهم بها ولا يشكو منهم ، ولا يستعمل الحمية ولا يغتلظ لنفسه ، مجرداً نيته لله ، مستعيناً به ومبتغياً لوجهه ، فان خالفوه وجفوه صبر ، وإن وافقوه وقبلوا منه شكر ، مفوضاً أمره الى الله ، ناظراً الى عيبه » .

(تذنيب) اعلم أن المحتسب عليه ـ أعني من يؤمر به أوينهى عنه ـ وان إشترط كونه عاقلا بالغاً ، إلا أن هذا الشرط إنما هو في غالب الأوامر والنواهي ، وبعضها لايشترط فيه ذلك . إذ من رأى صبياً أو مجنونا يشرب الخمر ، وجب عليه أن يمنعه ويريق خمره . وكذا إن رأى مجنوناً يزني بمجنونة أو بهيمة ، فعليه أن يمنعه منه ، ولا يلزم منه أن يكون منع بهيمة عن افساد زرع انسان حسبة ونهياً عن منكر ، إذ لا يصدق اسم المحتسب عليه والمنهى إلا على من كان الفعل الممنوع عنه في حقه منكراً وهولايكون الا الانسان دون سائر الحيوانات .

---

(١) البقرة ، الآية : ٤٤ .

(٢) (مصباح الشريعة) : الباب المتقدم .

فصل

مراتب الامر بالمعروف

اعلم أن للامر بالمعروف والنهى عن المنكر مراتب :

الأولى ـ الانكار بالقلب : بأن يبغضه على ارتكاب المعصية . وهذا مشروط بعلم الناهي واصرار المنهى ، ولا يشترط بالشرطين الأخيرين .

الثانية ـ التعريف : بأن يعرف المرتكب للمنكر بأنه معصية ، فان بعض الناس قد يرتكب بعض المعاصي لجهلهم بأنه معصية ، ولو عرف كونه معصية تركه .

الثالثة ـ إظهار الكراهة والإعراض والمهاجرة .

الرابعة ـ الانكار باللسان : بالوعظ ، والنصح ، والتخويف ، والزجر ، مرتباً الأيسر فالأيسر ، الى أن يصل الى التعنيف بالقول والتغليظ في الكلام . كقوله : يا جاهل ! يا أحمق ! لاتخالف ربك ! وههنا شبكة عظيمة للشيطان ، ربما يصطاد بها اكثر الوعاظ . فينبغي لكل عالم ناصح أن يراها بنور البصيرة ، وهي أن يحضره عند الوعظ والارشاد ، ويلقى في قلبه تعززه وشرافته بالعلم ، وذلة من يعظه بالجهل والخسة . فربما يقصد بالتعريف والوعظ الاذلال والتجهيل ، واظهار شرف نفسه بالعلم ، وهذه آفة عظيمة تتضمن كبراً ورياء . وينبغي لكل واعظ دين ألا يغفل عن ذلك ، ويعرف بنور بصيرته عيوب نفسه وقبح سريرته . وعلامة براءة نفسه من هذه الآفة ، أن يكون اتعاظ ذلك العاصي بوعظ غيره أو امتناعه من المعصية بنفسه أحب اليه من إتعاظه بوعظه .

الخامسة ـ المنع بالقهر مباشرة ، ككسر آلات اللهو ، واراقة الخمر واستلاب الثوب المغصوب منه ورده الى صاحبه ، وأمثال ذلك .

السادسة - التهديد والتخويف : كقوله : دع عنك هذا ، وإلا ضربتك او كسرت رأسك ! أو غير ذلك مما يجوز له أن يفعل لو لم ينته عن معصيته . ولا يجوز أن يهدده بما لايجوز فعله ، كقوله : دع هذا وإلا أضرب عنقك ! أو أضرب ولدك ، او استبين زوجتك ، وامثال ذلك .

السابعة - مباشرة الضرب باليد والرجل وغير ذلك ، من دون ان ينتهى الى شهر سلاح وجراح .

الثامنة - الجرح بشهر بعض الأسلحة . وجوزه سيدنا المرتضى - رضي الله عنه - من اصحابنا وجماعة ، والباقون اشترطوا إذن الامام في ذلك ، إذ ربما لايقدر عليه بنفسه ، ويحتاج فيه الى اعوان وانصار يشهرون السلاح ، وربما يستمد الفاسق ايضاً باعوانه ، فيؤدى الى المقاتلة والمحاربة وحدوث فتنة عظيمة .

فصل

معنى وجوبها كفائياً

اذا اجتمعت الشرائط ، وكان المطلع منفرداً ، تعين عليه . وإن كان ثمة غيره ، وشرع احدهما في الأمر والنهى ، فان ظن الآخر ان لمشاركته اثراً في تعجيل ترتب الأثر ورسوخ الانزجار ، وجب عليه ايضا ، وإلا فلا . لأن الغرض وقوع المعروف وارتفاع المنكر ، فمتى حصلا بفعل واحد ، كان السعي من الآخر عبثاً . وهذا معنى كون وجوبها كفائياً .

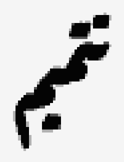
فصل

ماينبغي في الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر

ينبغي لكل من الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر أن يكون حسن الخلق ، صابراً حليما قوياً في نفسه ، لئلا ينزعج ، ولا يضطرب اذا قيل في حقه مالا يليق به . فان اكثر الناس اتباع الهوى ، فاذا نهوا عما يميلون اليه شق ذلك عليهم ، فربما اطلقوا ألسنتهم في حق الناهي ، ويقولون فيه مالا يليق بشأنه ، وربما تجاوزوا الى سوء الأدب قولا وفعلا بالمشافهة .

وأن يكون رفيقاً بالناس ، فان الوعظ بالرفق والملاءمة أوقع وأشد تأثيراً في قلوب أكثر الناس .

وأن يكون قاطعاً للطمع عن الناس ، فان الطامع من الناس في أموالهم أواطلاق ألسنتهم بالثناء عليه لايقدر على الحسبة ، ولذا نقل : « أن بعض المشايخ كان له سنور ، وكان يأخذ من قصاب في جواره كل يوم شيئاً من القد لسنوره ، فرأى على القصاب منكراً ، فدخل الدار أولا ، واخرج السنور ، ثم جاء ووعظ القصاب وشدد عليه القول ، فقال القصاب لايأكل سنورك شيئاً بعد ذلك ، فقال : ما احتسبت عليك إلا بعد اخراج السنور وقطع الطمع عنك ! » .



تتميم

انواع المنكرات

اعلم أن المنكرات إما محظورة أومكروهة ، والمألوفة منها في العادات أكثر من أن تحصى :

فمنها - مايكون غالباً في المساجد : كاساءة الصلاة ، والاخلال ببعض أفعالها ، والتأخير عن اوقاتها ، وادخال النجاسة فيها ، والتكلم فيها بامور الدنيا والبيع والشراء ، ودخول الصبيان والمجانين فيها مع اشتغالهم باللهو واللعب ، وقراءة القرآن فيها باللحن أو الغناء ، ودخول النسوان فيها مع ظن تطرق الريبة ، ونظر الأجانب اليهن أونظرهن اليهم ، ودخول الجنب أو الحائض فيها ، وتغني المؤذنين بالأذان أو غيره مما يقرؤن ، وتقديمهم الأذان على الوقت ، ووعظ من لاينبغي أن يتمكن من الموعظة كمن يكذب في حديثه أويفتي بالمسائل وليس أهلا لها ، أو يظهر من وعظه كونه مرائياً طالباً للجاه ، وأمثال ذلك . فان كل ذلك من المنكرات بعضها محظورة وبعضها مكروهة ، ينبغي لكل مطلع ان ينهى عنها .

ومنها - مايكون غالباً في الأسواق : من الكذب في المحاولات والمعاملات واخفاء العيب ، والايمان الكاذبة ، والمنازعة بالضرب والشتم والطعن واللعن وامثال ذلك ، والتبخس في الكيل والميزان ، والمعاملات الفاسدة باقسامها على ماهو مقرر في الفقهيات .

ومنها - مايكون في الشوارع : كوضع الاساطين ، وبناء الدكات متصلة بالابنية المملوكة ، وتضيق الطرق على المارة بوضع الاطعمة والاحطاب وربط الدواب فيها ، وسوق الدواب فيها وعليها الاشواك والنجاسات - اذا تأذى الناس منها وامكن العدول بها الى موضع واسع ، وإن لم يمكن فلا منع ، إذ حاجة أهل البلد ربما تمس الى ذلك - وتحميل الدواب مالا يطيقها من الحمل ، وذبح القصاب على الطريق أو على باب دكانه بحيث تلوث الطريق بالدم ، وطرح الكناسة على جواد الطريق ، ورش الماء على الطرق بحيث يخشى منه الزلق والسقوط ، وارسال الماء من الميازيب المخرجة من الحائط الى الطرق الضيقة ، وغير ذلك . وقس على ذلك

منكرات الحمات ، والخانات ، والاسواق ، ومجالس العامة ، ومجامع القضاة ومدارس الفقهاء ، ورباطات الصوفية ، ودواوين السلاطين ، وغيرها . فان أمثال ماذكر من المنكرات يجب أن ينهى عنها ، فلو قام بالاحتساب والنهى عنها أحد سقط الحرج على البواقي ، وإلا عم الحرج أهل البلد جميعاً . وأمثال ماذكر إنما هو من المنكرات اليسيرة الجزئية .

وأما المنكرات العظيمة : من البدعة في الدين ، والقتل ، والظلم ، والزنا ، واللواط ، وشرب الخمر ، وانواع الغناء ، والنظر الى غير المحارم وأكل الحرام ، والصلاة في الاماكن المغصوبة ، والوضوء والغسل من المياه المحرمة ، والتصرف في أموال الأوقاف وغصبها ، والمعاملة مع الظالمين والجهل في الاصول الاعتقادية والفروع الواجبة ، وآفات اللسان ، فلا يمكن حصرها لكثرتها ، لاسيا في أمثال زماننا . فلو امكن لمؤمن دين أن يغير هذه المنكرات كلا أو بعضاً بالاحتساب ، فليس له أن يقعد في بيته ، بل يجب عليه الخروج للنهي والتعليم . بل ينبغي لكل مسلم أن يبدأ بنفسه فيصلحها بالمواظبة على الطاعات وترك المحرمات ، ثم يعلم ذلك أهله وأقاربه ثم يتعدى بعد الفراغ منهم الى جيرانه ، ثم الى أهل محلته ، ثم أهل بلده ، ثم أهل السواد المكتنف بلده ، ثم الى غيرهم ، وهكذا الاقرب فالأقرب الى اقصى العالم . فان قام به الادنى سقط عن الابعد ، وإلا لزم الحرج على كل قادر عليه ، قريباً كان أو بعيداً . ولا يسقط الحرج مادام يبقى على وجه الأرض جاهل يعرض عن فروض دينه وهو قادر على أن يسعى اليه بنفسه أو بغيره فيعلمه فريضة . وهذا شغل شاغل لمن يهمه أمر دينه يشغله عن سائر المشاغل . إلا أن إعراض الناس عن أمور دينهم في عصرنا لم يبلغ حداً يقبل الاصلاح ، الى ان تتعلق به مشيئة الله ، فينهض بعض عباده السعداء الأقوياء ، فيدفع هذه الوصمة ، ويسد هذه الثلمة ، ويتلافى هذه الفترة .

ومنها :

الهجرة والتباعد

ولا ريب في كونه من نتائج العداوة والحقد ، أو الحسد أو البخل فيكون من رذائل قوة الغضب أو الشهوة . وهو من ذمائم الأفعال . قال رسول الله - صلى الله عليه وآله - : « أيما مسلمين تهاجرا ، فمكثا ثلاثاً لايصطلحان ، إلا كانا خارجين من الاسلام ، ولم يكن بينهما ولاية . فأيهما سبق الكلام لأخيه ، كان السابق الى الجنة يوم الحساب » . وقال - صلى الله عليه وآله - : « لايحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث .: » وقال الصادق - عليه السلام - : « لايفترق رجلان على الهجران ، إلا استوجب أحدهما البراءة واللعنة ، وربما استحق ذلك كلاهما » ، فقال له معتب : جعلني الله فداك ! هذا الظالم ، فما بال المظلوم ؟! قال : « لأنه لايدعو أخاه الى صلته ، ولا يتعامس له عن كلامه . سمعت أبي - عليه السلام - يقول : اذا تنازع اثنان ، فعاد أحدهما الآخر ، فليرجع المظلوم الى صاحبه حتى يقول لصاحبه : أي أخي ، انا الظالم ، حتى يقطع الهجران بينه وبين صاحبه ، فان الله تبارك وتعالى حكم عدل ، يأخذ للمظلوم من الظالم » . وقال عليه السلام : « لايزال ابليس فرحاً ما اهتجر المسلمان ، فاذا التقيا اصطكت ركبتاه وتخلعت أوصاله ، ونادى : ياويله ! مالقى من الثبور » وقال الباقر عليه السلام : « إن الشيطان يغري بين المؤمنين مالم يرجع أحدهم عن دينه ، فاذا فعلوا ذلك استلقى على قفاه وتمدد ، ثم قال : فزت . فرحم الله امرأ الف بين وليين لنا . يامعشر المؤمنين ، تآلفوا

وتعاطفوا » (١) . والأخبار الواردة في ذم الهجرة والتباعد كثيرة

فيجب على كل طالب لنجاة الآخرة أن يتأمل في امثال هذه الأخبار ثم يتذكر ثواب ضد ذلك وفوائده ، أعنى التآلف والتزاور بين الاخوان بنفسه ، فيحافظ نفسه من حصول الانقطاع والتباعد مع أحد اخوانه ، ولو حصل ذلك كلف نفسه المبادرة الى زيارته وتألفه ، حتى يغلب على الشيطان ونفسه الامارة ، ويفوز بما يرجوه المتقون من عظيم الأجر وجزيل الثواب .

فصل

التزاور والتآلف

قد اشير الى أن ضد التباعد والهجران هو التزاور والتآلف ، وهو من ثمرات النصيحة والمحبة ، وثوابه اكثر من أن يحصى . عن أبي جعفر - عليه السلام - قال : « قال رسول الله - صلى الله عليه وآله - : حدثني جبرئيل - عليه السلام - : أن الله عز وجل أهبط الى الأرض ملكا ، فاقبل ذلك الملك يمشي حتى وقع الى باب عليه رجل يستأذن على رب الدار ، فقال له الملك : ماحاجتك الى رب هذه الدار ؟ قال : أخ لي مسلم زرته في الله تبارك وتعالى . فقال له الملك : ماجاء بك إلا ذاك ؟ فقال : ماجاء بى إلا ذاك . قال : فاني رسول الله اليك ، وهو يقرئك السلام ، ويقول وجبت لك الجنة . وقال الملك : إن الله عز وجل يقول : أيما مسلم زار مسلماً فليس إياه زار ، بل إياي زار ، وثوابه علي الجنـــة » . وقال أمير المؤمنين - عليه السلام - : « لقاء الاخوان مغنم جسيم ، وإن قلوا » .

---

(١) صححنا الاخبار كلها على (الكافي) : باب الهجران .

وقال أبو جعفر الباقر عليه السلام : « إن لله عز وجل جنة لايدخلها الا ثلاثة : رجل حكم على نفسه بالحق ، ورجل زار أخاه المؤمن فى الله ورجل آثر أخاه المؤمن في الله » ؛ وقال - عليه السلام - : « إن المؤمن ليخرج الى أخيه يزوره ، فيوكل الله عز وجل به ملكا ، فيضع جناحاً في الأرض وجناحاً في السماء يظله ، فاذا دخل الى منزله ، ناداه الجبار تبارك وتعالى : أيها العبد المعظم لحقي ، المتبع لآثار نبيي ، حق علي إعظامك ، سلني اعطك ، أدعني اجبك ، اسكت ابتدئك . فاذا انصرف شيعه الملك يظله بجناحه حتى يدخل الى منزله ، ثم يناديه تبارك وتعالى : أيها العبد المعظم لحقي ، حق علي إكرامك ، قد أوجبت لك جنتي ، وشفعتك في عبادي » . وقال - عليه السلام - : « أيما مؤمن خرج الى أخيه يزوره عارفا بحقه ، كتب الله له بكل خطوة حسنة ، ومحيت عنه سيئة ، ورفعت له درجة ، فاذا طرق الباب فتحت له ابواب السماء ، فاذا التقيا وتصافحا وتعانقا ، أقبل الله عليهما بوجهه ، ثم باهى بهما الملائكة فيقول : انظروا الى عبدي تزاورا وتحابا في ، حق علي ألا أعذبهما بالنار بعد ذا الموقف . فاذا إنصرف شيعه ملائكة عدد نفسه وخطاه وكلامه ، يحفظونه عن بلاء الدنيا وبوائق الآخرة الى مثل تلك الليلة من قابل ، فان مات فيما بينهما اعفي من الحساب ، وان كان المزور يعرف من حق الزائر ماعرفه الزائر من حق المزور كان له مثل أجره » .

وقال الصادق - عليه السلام - : « من زار أخاه لله لا لغيره ، التماس موعد الله وتنجز ماعند الله ، وكل الله به سبعين الف ملك ينادونه ألا طبت وطابت لك الجنة ! » ؛ وقال - عليه السلام - : « من زار أخاه في الله ، قال الله عز وجل : إياي زرت ، وثوابك علي ، ولست أرضى لك ثواباً دون الجنة . وقال - عليه السلام - : « من زار أخاه

في الله في مرض أو صحة ، لايأتيه خداعاً ولا استبدالا ، وكل الله به سبعين الف ملك ، ينادون في قفاه : إن طبت وطابت لك الجنة ! فانتم زوار الله ، وأنتم وفد الرحمن ، حتى يأتي منزله » ، فقال له بشير : جعلت فداك ! فان كان المكان بعيداً ؟ قال : « نعم يابشير ! وإن كان المكان مسيرة سنة ، فان الله جواد ، والملائكة كثير ، يشيعونه حتى يرجع الى منزله » . وقال ـ عليه السلام ـ : « من زار أخاه في الله تعالى ولله ، جاء يوم القيامة يخطر بين قباطي من نور (١) ، لايمر بشيء الا أضاء له حتى يقف بين يدي الله عز وجل ، فيقول الله له : مرحباً ! واذا قال مرحباً ، اجزل الله عز وجل له العطية » . وقال ـ عليه السلام ـ : « لزيارة مؤمن في الله خير من عتق عشر رقاب مؤمنات ، ومن أعتق رقبة مؤمنة وقى بكل عضو عضواً من النار ، حتى أن الفرج يقي الفرج » . وقال ـ عليه السلام ـ لأبي خديجة : « كم بينك وبين البصرة ؟ » قال : في الماء خمس اذا طابت الريح ، وعلى الظهر ثمان ونحو ذلك ، فقال : « ما أقرب هذا ، تزاوروا وتعاهدوا بعضكم بعضاً ، فانه لابد يوم القيامة يأتي كل انسان بشاهد يشهد له على دينه » . وقال : « إن المسلم إذا رأى أخاه ، كان حياة لدينه اذا ذكر الله » وقال رسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ : « مثل الأخوين اذا التقيا مثل اليدين تغسل إحداهما الأخرى ، مالقي المؤمنان قط إلا أفاد الله احدهما من صاحبه خيراً » .

والأخبار الواردة بهذه المضامين كثيرة . والسر في هذا الترغيب الشديد على تزاور المؤمنين وملاقاتهم ، كونه دافعاً للحسد والعداوة ، جالباً للتأليف والمحبة . وهو أعظم مايصلح به أمر دنياهم وعقباهم . ولذا ورد

(١) القبط ـ بالكسر ـ : أهل مصر الاصليون . واليهم تنسب الثياب البيض القبطية . والجمع (قباطي) .

الثناء والمدح في الآيات والأخبار على نفس الألفة وانقطاع الوحشة ، لاسيما اذا كانت الرابطة هي التقوى والدين . وورد الذم في التفرقة والتوحش ، قال الله سبحانه في مقام الامتنان على المؤمنين بنعمة الألفة :

« لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلٰكِنَّ اللهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ » (١) . وقال : « فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً » : أي بنعمة الألفة .. وقال سبحانه : « وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُوا » (٢) .

وقال رسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ : « المؤمن إلف مألوف ولا خير في من لا يألف ولا يؤلف » . وهذا هو السر في الترغيب على التسليم والمصافحة والمعانقة . قال رسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ : « أولى الناس بالله وبرسوله من بدأ بالسلام » . وقال أمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ : « لاتغضبوا ولا تقبضوا ، افشوا السلام ، واطيبوا الكلام ، وصلوا بالليل والناس نيام ، تدخلوا الجنة بسلام » . وقال الباقر ـ عليه السلام ـ : « إن الله يحب إفشاء السلام » . وقال ـ عليه السلام ـ : « من التواضع أن تسلم على من لقيت » . وقال الصادق ـ عليه السلام ـ « تصافحوا ، فانها تذهب بالسخيمة » . وقال : « مصافحة المؤمن أفضل من مصافحة الملائكة » . وقال الباقر عليه السلام : « إن المؤمنين إذا

---

(١) الانفال ، الآية : ٦٣ .

(٢) آل عمران ، الآية : ١٠٣ :

التقيا فتصافحا . ادخل الله تعالى يده بين أيديهما ، وأقبل بوجهه على أشدهما حباً لصاحبه . فاذا أقبل الله تعالى بوجهه عليهما ، تحاتت عنهما الذنوب كما تتحات الورق من الشجر » . وقال رسول الله صلى الله عليه وآله : « اذا لقى أحدكم أخاه فليسلم وليصافحه ، فان الله تعالى أكرم بذلك الملائكة فاصنعوا صنع الملائكة » . وقال الصادق ـ عليه السلام ـ : « إن المؤمنين اذا اعتنقا غمرتهما الرحمة ، فاذا التزما لايريد ان بذلك إلا وجه الله ولا يريد ان غرضاً من اغراض الدنيا ، قيل لهما : مغفوراً لكما فاستأنفا ، فاذا اقبلا على الماء ، قالت الملائكة بعضها لبعض : تنحوا عنهما ، فان لهما سراً وقد ستر الله عليهما » (١)

ومنها :

قطع الرحم

وهو إيذاء ذوي اللحمة والقرابة ، أو عدم مواساتهم بما ناله من الرفاهية والثروة والخيرات الدنيوية ، مع احتياجهم اليه . وباعثه إما العداوة أو البخل والخسة ، فهو من رذائل القوة الغضبية أو الشهوية ، ولا ريب في كونه من أعم المهلكات المفسدة للدنيا والدين ، قال الله سبحانه .

« وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ أُولَـئِكَ

---

(١) صححنا الاحاديث كلها على (الكافي) : باب زيارة الاخوان ، وباب المصافحة ، وباب المعانقة وعلى (سفينة البحار) : ١ / ٥٦٧ :

لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ » (١) .

وقال رسول الله - صلى الله عليه وآله - : « أبغض الأعمال الى الله الشرك بالله ، ثم قطيعة الرحم ، ثم الأمر بالمنكر والنهي عن المعروف » وقال - صلى الله عليه وآله - : « لاتقطع رحمك وإن قطعتك » . وقال - صلى الله عليه وآله - : « لاتقطع رحمك وإن قطعتك » . وقال تعالى : « أنا الرحمن ، وهذه الرحم شققت لها اسماً من اسمي ، فمن وصلها وصلته ومن قطعها قطعته » . وقال - صلى الله عليه وآله - : « حافتا الصراط يوم القيامة الرحم والأمانة ، فاذا مر الوصول للرحم المؤدى للامانة نفذ الى الجنة ، واذا مر الخائن للامانة القطوع للرحم لم ينفعهما معه عمل (٢) وتكفأ به الصراط في النار » . وقال أمير المؤمنين - عليه السلام - في خطبة « أعوذ بالله من الذنوب التي تعجل الفناء » ، فقام اليه عبد الله بن الكوى اليشكرى ، فقال : يا أمير المؤمنين ، أوتكون ذنوب تعجل الفناء ؟ فقال « نعم ، ويلك ! قطيعة الرحم . إن أهل البيت ليجتمعون ويتواسون وهم فجرة فيرزقهم الله ، وإن أهـل البيت ليتفرقون ويقطـع بعضهم بعضاً فيحرمهم الله وهم اتقياء » . وقال - عليه السلام - : « اذا قطعوا الارحام جعلت الأموال في أيدى الأشرار » . وقال الباقر عليه السلام : « في كتاب علي - صلوات الله عليه - : ثلاث خصال لايموت صاحبهن ابداً حتى يرى وبالهن : البغي ، وقطيعـة الرحم ، واليمين الكاذبة يبارز الله بها . وإن اعجل الطاعات ثواباً لصلة الرحم . وان القوم ليكونون فجاراً فيتواصلون

(١) الرعد الآية ٢٧ .

(٢) قال في (الوافي) : لم ينفعهما معه عمل ، أي لم ينفع الخائن ولا القطوع مع الخيانة أو القطع عمل وفي نسخة من (الكافي) : لم ينفعه معهما .

فتنمي أموالهم ويثرون . وإن اليمين الكاذبة وقطيعة الرحم لتذران الديار بلاقع من أهلها . وتنقل الرحم ، وإن نقل الرحم انقطاع النسل ». وقال - عليه السلام - : « اتقوا الحالقة (١) ، فانها تميت الرجال » ، قيل : وما الحالقة ؟ قال : « قطيعة الرحم » . وجاء رجل اليه ، فشكى أقاربه فقال له : « اكظم وافعل » ، فقال : انهم يفعلون ويفعلون ، فقال : « أتريد أن تكون مثلهم فلا ينظر الله اليكم ؟ » (٢) . وكتب امير المؤمنين - عليه السلام - الى بعض عماله : « مروا الأقارب أن يتزاوروا ولا يتجاوروا » (٣) ، وذلك لأن التجاور يورث التزاحم على الحقوق ، وذلك ربما يورث التحاسد والتباغض وقطيعة الرحم ، كما هو مشاهد في اكثر ابناء عصرنا ، وليس الخبر كالمعاينة ، وإذا لم يتجاوروا وتزاحت (٤) ديارهم كان أقرب الى التحابب ، كما قيل بالفارسية : « دورى ودوستي » (٥)

وصل

ضد قطيعة الرحم : صلة الرحم

وهو تشريك ذوى اللحمة والقرابات بما ناله من المال والجاه وسائر

(١) قال في (مجمع البحرين) - مادة حلق - : « وفي الحديث : اتقوا الحالقة قال بعض الشارحين : الحالقة هي الخصلة التي من شأنها ان تحلق ، أي تهلك وتستأصل الدين كما يستأصل الموسى الشعر » .

(٢) صححنا الاحاديث كلها على (اصول الكافي) : باب قطيعة الرحم ، وباب صلة الرحم .

(٣) لم نعثر على مصدر لهذا الحديث .

(٤) كذا في النسخ ، والظاهر ان الصحيح « وتباعدت » .

(٥) يعني : التباعد معه التحابب .

خيرات الدنيا ، وهو أعظم القربات وأفضل الطاعات ، قال الله سبحانه :

« وَاعْبُدُوا اللهَ وَلاَ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَبِالْوالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ ... » (١) . وقال : « وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً » (٢). وقال : « الَّذِيْنَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ أَنْ يُوْصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابْ — الى قوله — أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَىٰ الدَّارِ » (٣).

وقال رسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ : « اوصي الشاهد من امتي والغائب ، ومن في أصلاب الرجال وارحام النساء ، الى يوم القيامة : أن يصل الرحم وإن كانت منه على مسيرة سنة ، فان ذلك من الدين » . وقال ـ صلى الله عليه وآله ـ : « إن اعجل الخير ثواباً صلة الرحم » . وقال : « من سره النساء في الأجل ، والزيادة في الرزق ، فليصل رحمه » وقال ـ صلى الله عليه وآله ـ : « إن القوم ليكونون فجرة ولا يكونون بررة ، فيصلون أرحامهم ، فتنمى أموالهم وتطول أعمارهم ، فكيف اذا كانوا ابراراً بررة » . وقال ـ صلى الله عليه وآله ـ : « الصدقة بعشرة والقرض بثمانية عشر ، وصلة الاخوان بعشرين ، وصلة الرحم بأربعة وعشرين »

(١) النساء ، الآية : ٣٦ .

(٢) النساء ، الآية : ١ .

(٣) الرعد الآية ٢١ ، ٢٢ .

وقيل له ـ صلى الله عليه وآله ـ : « أى الناس أفضل ؟ فقال : اتقاهم لله ، وأوصلهم للرحم ، وآمرهم بالمعروف ، وانهاهم عن المنكر » . وقال ـ صلى الله عليه وآله ـ : « إن أهل البيت ليكونون فجاراً ، تنمى أموالهم ويكثر عددهم اذا وصلوا ارحامهم » وقال ـ صلى الله عليه وآله ـ « أفضل الفضائل : أن تصل من قطعك ، وتعطى من حرمك ، وتعفو عمن ظلمك » . وقال ـ صلى الله عليه وآله ـ : « من سره أن يمد الله في عمره ، وأن يبسط في رزقه ، فليصل رحمه . فان الرحم لها لسان يوم القيامة ذلق ، تقول : يارب : صل من وصلني ، واقطع من قطعني ، فالرجل ليرى بسبيل خير حتى اذا أتته الرحم التي قطعها ، فتهوى به الى أسفل قعر في النار » .

وقال أمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ : « صلوا أرحامكم ولو بالتسليم يقول الله تعالى : واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام ، إن الله كان عليكم رقيباً » . وقال الباقر ـ عليه السلام ـ : « إن الرحم متعلقة يوم القيامة بالعرش ، تقول : اللهم صل من وصلني واقطع من قطعني » . هذا تمثيل للمعقول بالمحسوس ، واثبات لحق الرحم على أبلغ وجه ، وتعلقها بالعرش كناية عن مطالبة حقها بمشهد من الله . وقال عليه السلام : « صلة الأرحام تحسن الخلق ، وتسمح الكف ، وتطيب النفس ، وتزيد في الرزق وتنسيء في الأجل » . وقال : « صلة الأرحام تزكى الأعمال ، وتنمى الأموال ، وتدفع البلوى ، وتيسر الحساب ، وتنسيء في الأجل » . وقال الصادق عليه السلام : « صلة الرحم والبر ليهونان الحساب ويعصمان من الذنوب ، فصلوا ارحامكم وبروا باخوانكم ، ولو بحسن السلام ورد الجواب » وقال ـ عليه السلام ـ : « صلة الرحم تهون الحساب يوم القيامة ، وهي منسأة في العمر ، وتقي مصارع السوء » . وقال ـ عليه السلام ـ : « صلة

الرحم وحسن الجوار يعمران الديار ويزيدان في الأعمار » . وقال - عليه السلام - : « مانعلم شيئاً يزيد في العمر إلا صلة الرحم ، حتى أن الرجل يكون أجله ثلاث سنين ، فيكون وصولا للرحم ، فيزيد الله فى عمره ثلاثين سنة ، فيجعلها ثلاثاً وثلاثين سنة . ويكون أجله ثلاثاً وثلاثين سنة فيكون قاطعاً للرحم ، فينقصه الله تعالى ثلاثين سنة ، ويجعل أجله ثلاث سنين » (١) . والأخبار الواردة في فضيلة صلة الرحم وعظم مثوباته اكثر من أن تحصى ، وما ذكرناه كاف لتنبيه الغافل .

تنبيه



المراد بالرحم

المراد بالرحم الذي يحرم قطعه وتجب صلته ، ولو وهب له شيء لايجوز الرجوع عنه ، هو مطلق القريب المعروف بالنسب ، وإن بعدت النسبة وجاز النكاح . والمراد بقطعه أن يؤذيه بالقول أو الفعل ، أو كان له شدة احتياج الى مايقدر عليه زيادة على قدر حاجته ، من سكنى وملبوس ومأكول فيمنعه ، أو أمكنه أن يدفع عنه ظلم ظالم ولم يفعله ، أو هاجره غيظاً وحقداً من دون أن يعوده اذا مرض ، أويزوره اذا قدم من سفر وأمثال ذلك . فان جميع ذلك وأمثالها قطع للرحم . واضـدادها من دفع الأذية ، ومواساته بماله ، وزيارته ، واعانته باللسان واليد والرجل والجاه وغير ذلك : صلة .

(١) صححنا الأخبار هنا كلها على (اصول الكافي) : باب صـلة الرحم . وعلى (سفينة البحار) : ١ / ٥١٤ .

ثم الظاهر تحقق الواسطة بين القطع والصلة ، إذ كل احسان ، ولو كان مما لايحتاج اليه قريبه وهو محتاج اليه ، يسمى صلة ، وعدمه لايسمى قطعاً .

ومنها :

عقوق الوالدين

وهو أشد انواع قطيعة الرحم ، إذ أخص الأرحام وأمسها ماكان بالولادة ، فيتضاعف تأكد الحق فيها ، فهو كقطيعة الرحم ، إما يكون ناشئاً من الحقد والغيظ ، أو من البخل وحب الدنيا ، فيكون من رذائل احدى قوتي الغضب والشهوة . ثم جميع مايدل على ذم قطيعة الرحم يدل على ذم العقوق ، ولكونه أشد أنواع القطيعة وأفظعها ، وردت في خصوص ذمه آيات وأخبار أخر كثيرة ، كقوله تعالى :

« وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً ، إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاَهُمَا فَلاَ تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلاً كَرِيماً » (١) .

وقول رسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ : « كن باراً واقصر على الجنة ، وإن كنت عاقاً فاقصر على النار » . وعن أبي جعفر ـ عليه السلام ـ قال : « قال رسول الله صلى الله عليه وآله في كلام له : إياكم وعقوق

(١) الاسراء ، الآية : ٢٣ .

الوالدين ، فان ريح الجنة توجد من مسيرة الف عام ، ولا يجدها عاق ، ولا قاطع رحم ، ولا شيخ زان ، ولا جار إزاره خيلاء . إنما الكبرياء لله رب العالمين » . وقوله صلى الله عليه وآله : « من أصبح مسخطاً لابويه ، أصبح له بابان مفتوحان الى النار » . وعن أبي جعفر ـ عليه السلام ـ قال : « ان أبي ـ عليه السلام ـ نظر الى رجل ومعه ابنه يمشي والابن متكيء على ذراع الأب ، فما كلمه أبي مقتاً له حتى فارق الدنيا » . وقال الصادق عليه السلام : « من نظر الى أبويه نظر ماقت ، وهما ظالمان له لم يقبل الله له صلاة » . وقال الصادق ـ عليه السلام ـ : « اذا كان يوم القيامة ، كشف غطاء من أغطية الجنة ، فوجد ريحها من كانت له روح من مسيرة خمسمائة عام ، إلا صنفاً واحداً » ، فقيل له : من هم ؟ قال : « العاق لوالديه » . وقال ـ عليه السلام ـ : « لو علم الله شيئاً هو أدنى من اف لنهى عنه ، وهو أدنى العقوق . ومن العقوق أن ينظر الرجل الى والديه فيحد النظر اليهما »(١) وسئل الكاظم عليه السلام عن الرجل يقول لبعض ولده : بأبي أنت وأمي ! أو بأبوي أنت ! أترى بذلك بأساً ؟ فقال : « إن كان ابواه حيين فأرى ذلك عقوقاً ، وان كانا قد ماتا فلا بأس » .

والأخبار في ذم العقوق اكثر من تحصى ، وورد في بعض الأخبار القدسية : « بعزتي وجلالي وارتفاع مكاني ! لو أن العاق لوالديه يعمل بأعمال الأنبياء جميعاً لم أقبلها منه » . وروي ايضاً : « أن أول ما كتب الله في اللوح المحفوظ : إني أنا الله لا إله إلا أنا ، من رضي عنه والداه فانا منه راض ، ومن سخط عليه والداه فأنا عليه ساخط » . وقد ورد

---

(١) صححنا الاحاديث كلها على (اصول الكافي) : باب العقوق . وعلى (مستدرك الوسائل) : ٢/٦٣١ كتاب النكاح . وعلى (الوسائل) : كتاب النكاح .

عن رسول الله انه قال : « كل المسلمين يروني يوم القيامـــة ، إلا عاق الوالدين ، وشارب الخمر ، ومن سمع اسمي ولم يصل علي » . وقد ثبت من الأخبار والتجربة ، أن دعاء الوالد على ولده لايرد ويستجاب ألبته . ودلت الأخبار على أن من لاترضى عنه امه تشتد عليـــه سكرات الموت وعذاب القبر . وكفى للعقوق ذماً أنه ورد في الاسرائيليات : « أنه تعالى أوحى الى موسى : أن من بر والديه وعقني كتبته براً ، ومن برني وعق والديه كتبته عاقاً » .

وصل

بر الوالدين

ضد العقوق (بر الوالدين) والاحسان اليهما ، وهو أفضل القربات وأشرف السعادات : ولذلك ورد ماورد من الحث عليه ، والترغيب اليه قال الله سبحانه :

« وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا » (١) . وقال : « وَٱعْبُدُوا ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِٱلْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا » (٢) .

وقال رسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ : « بر الوالدين أفضل

(١) بني اسرائيل ، الآية : ٢٤ .

(٢) النساء ، الآية : ٣٦ .

من الصلاة والصوم والحج والعمرة والجهاد في سبيل الله » . وقال صلى عليه وآله : « من أصبح مرضياً لابويه ، أصبح لـه بابان مفتوحان الى الجنة » . وعن أبي عبد الله عليه السلام قال : « إن رجلا أتى الى النبي ـ صلى الله عليـه وآله ـ فقال : يارسول الله أوصني . فقال : لاتشرك بالله شيئاً وإن حرقت بالنار وعذبت إلا وقلبك مطمئن بالايمان ، ووالديك فأطعهما وبرهما حين كانا أوميتين وإن امراك ، أن تخرج من أهلك فافعل فان ذلك من الايمان » . وعن أبي عبـد الله عليـه السلام قال : « جاء رجل وسأل النبي صلى الله عليه وآله عن الوالدين . فقال : ابرر امك ، ابرر امك ابرر امـك ابرر اباك ابرر اباك ابرر اباك وبـدأ بالام قبل الأب » . وعن أبي عبد الله ـ عليه السلام ـ قال : « جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وآله فقال : يارسول الله ، من أبر ؟ قال : امك . قال ثم من ؟ قال : امك . قال : ثم من ؟ قال : امك . قال : ثم من ؟ قال : أباك » واتاه رجل آخر وقال : « إني رجل شاب نشيط ، وأحب الجهاد ، ولي والدة تكره ذلك . فقال له النبي ـ صلى الله عليـه وآله ـ ارجع فكن مـع والدتك ، فو الذي بعثني بالحق ! لأنسها بك ليـلة خير من جهاد في سبيل الله سنة » . وقال ابو عبد الله عليه السلام : « ان رسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ أتته اخت له من الرضاعة ، فلما نظر اليها سربها ، وبسط ملحفته لها ، فاجلسها عليها ، ثم أقبل يحدثها ويضحك في وجهها ، ثم قامت فذهبت وجاء أخوها ، فلم يصنع به ماصنع بها ، فقيل له : يارسول الله ، صنعت باخته مالم تصنع به وهو رجل ، فقال: لأنها كانت أبر بوالديها منه » .

وقيل للصادق ـ عليه السلام ـ : « أي الأعمال أفضل ؟ قال : الصلاة لوقتها ، وبر الوالـدين ، والجهاد في سبيـل الله » . وقال له عليه السلام

رجل : « إن أبي قد كبر جداً وضعف ، فنحن نحمله اذا اراد الحاجة فقال : إن استطعت أن تلي ذلك منه فافعل ، ولقمه بيدك ، فانه جنة لك غداً » . وقال له عليه السلام رجل : « إن لي أبوين مخالفين . فقال برهما كما تبر المسلمين ممن يتولانا » . وقال رجل للرضا - عليه السلام - « أدعو لوالدي اذا كانا لايعرفان الحق ؟ قال : ادع لهما وتصدق عنهما، وإن كانا حيين لايعرفان الحق فدارهما ، فان رسول الله - صلى الله عليه وآله - قال : إن الله بعثني بالرحمة لا بالعقوق » . وقد وردت أخبار أخر في الأمر بالبر والاحسان الى الوالدين ، وإن كانا على خلاف الحق وقال - عليه السلام - : « مايمنع الرجل منكم أن يبر والديه حيين وميتين ويصلي عنهما ، ويتصدق عنهما ، ويحج عنهما ، ويصوم عنهما ، فيكون الذي صنع لهما وله مثل ذلك ، فيزيده الله عز وجل ببره وصلاته خيراً كثيراً » (١).

والأخبار في ثواب بر الوالدين غير محصورة . فينبغي لكل مؤمن أن يكون شديد الاهتمام في تكريمهما وتعظيمهما واحترامهما ، ولا يقصر في خدمتهما ، ويحسن صحبتهما ، وألا يتركهما حتى يسألاه شيئاً مما يحتاجان اليه بل يبادر الى الاعطاء قبل أن يفتقرا الى السؤال ، كما ورد في الأخبار ، وإن أضجراه فلا يقل لهما أف ، وان ضرباه لايعبس وجهه ، وقال : غفر الله لكما ، ولا يملأ عينيه من النظر اليهما إلا برحمة ورقة ، ولا يرفع صوته فوق صوتهما ، ولا يده فوق ايديهما ، ولا يتقدم قدامهما ، بل مهما أمكن

(١) صححنا الاحاديث كلها على (اصول الكافي) : باب بر الوالدين وعلى (الوسائل) : كتاب النكاح ابواب احكام العشرة ، باب وجوب بر الوالدين ، وباب وجوب بر الوالدين برين كانا او فاجرين ، وباب جملة من حقوق الوالدين وعلى (المستدرك) ٢ / ٦٢٨ كتاب النكاح .

له لايجلس عندها ، وكلما بالغ في التذلل والتخضع كان أجره أزيد وثوابه اعظم .

وبالجملة : اطاعتها واجبة وطلب رضاها حتم ، فليس للولد أن يرتكب شيئاً من المباحات والمستحبات بدون اذنها ، ولذا أفتى العلماء بأنه لاتجوز المسافرة في طلب العلم إلا باذنها ، إلا اذا كان في طلب علم الفرائض من الصلاة والصوم واصول العقائد ، ولم يكن فى بلده من يعلمه ، ولو كان في بلده من يعلمه لم تجز المسافرة . وقد روى : « أن رجلا هاجر من اليمن الى رسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ وأراد الجهاد ، فقال له ارجع الى ابويك فاستأذنها ، فان اذنا فجاهد ، وإلا فبرهما ما استطعت، فان ذلك خير مما كلف به بعد التوحيد » وجاء آخر اليه للجهاد ، فقال « ألك والدة ؟ » قال : نعم ! قال : « فالزمها ، فان الجنة تحت قدمها » وجاء آخر ، وطلب البيعة على الهجرة الى الجهاد ، وقال : ماجئتك حتى ابكيت والدىّ . قال : « ارجع اليهما ، فأضحكها كما ابكيتهما » . ولو وقعت بين الوالدين مخالفة ، بحيث توقف رضى احدهما على سخط الآخر فينبغي أن يجتهد في الاصلاح بينهما بأى طريق امكن ، ولو بالعرض الى فقيه البلد حتى يطلبها ويعظها ويقيمها على الوفاق ، لئلا ينكسر خاطر أحدهما منه .

واعلم أن حق كبير الأخوة على صغيرهم عظيم ، فينبغي محافظته . قال رسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ : « حق كبير الأخوة على صغيرهم كحق الوالد على ولده » .

تذنيب

حق الجوار

حق الجوار قريب من حق الرحم ، إذ الجــوار يقتضي حقاً وراء ماتقتضيه اخوة الأسلام ، فيستحق الجار المسلم مايستحقه كل مسلم وزيادة فمن قصر في حقه عداوة أو بخلا فهو آثم . قال رسول الله - صلى الله عليه وآله - : « الجيران ثلاثة : فمنهم من له ثلاثة حقوق : حق الجوار وحق الاسلام ، وحق القرابة . ومنهم من له حقان : حق الاســلام ، وحق الجوار . ومنهم من له حق واحد : الكافر له حق الجوار » . فانظر كيف اثبت للكافر حق الجوار . وقال - صلى الله عليه وآله - : « احسن مجاورة من جاورك تكن مؤمناً » . وقال - صلى الله عليه وآله - : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر ، فلا يؤذ جاره » . وقال صلى الله عليه وآله : « لا إيمان لمن لم يأمن جاره بوائقه » . وقيل له - صلى الله عليه وآله - : « فلانة تصوم النهار وتقوم الليــل وتتصدق ، وتؤذى جارها بلسانها . فقال صلى الله عليه وآله : لاخير فيها ، هي من أهل النار » . وعن علي عليه السلام : « إن رسول الله - صلى الله عليه وآله - كتب بين المهاجرين والانصار ومن لحق بهم من أهل يثرب : أن الجار كالنفس غير مضار ولا آثم ، وحرمة الجار على الجار كحرمة أمه » وقال الصادق عليه السلام : « حسن الجوار زيادة في الأعمار وعمارة في الديار » . وقال - عليه السلام - : « ليس منا من لم يحسن مجاورة من جاوره » . وقال - عليه السلام - : « قال رسول الله - صلى الله عليه وآله - : ما آمن بي من بات شبعاناً وجاره جائع » . وقال : « إن يعقوب عليه السلام

لما ذهب عنه بنيامين ، نادى : يارب أما ترحمني ، إذهبت عيني واذهبت ابني ؟ فأوحى الله تبارك وتعالى اليه: لو كنت امتهما لأحييتهما لك ، اجمع بينك وبينهما ، ولكن تذكر الشاة التي ذبحتها وشويتها وأكلت ، وفلان الى جانبك صائم لم تنله منها شيئاً » . وفي رواية أخرى : « فكان بعد ذلك يعقوب ينادى مناديه كل غداة ومساء من منزله على فرسخ : ألا من أراد الغداء أو العشاء فليأت الى يعقوب ! » (١) . وفي بعض الأخبار (٢) : « أن الجار الفقير يتعلق بجاره الغني يوم القيامة ، ويقول : سل يارب هذا لم منعني معروفه وسد بابه دوني ؟ » .

تتميم

حدود الجوار وحقه

معرفة الجوار موكولة الى العرف ، فأي دار يطلق عليها الجار عرفاً يلزم مراعاة حقوق أهلها . والمستفاد من بعض الأخبار : أن كل اربعين داراً من كل واحد من الجوانب الأربعة جيران . ثم لاينحصر حق الجار في مجرد كف الأذى ، إذ ذلك يستحقه كل أحد ، بل لابد من الرفق واهداء الخير والمعروف ، وتشريكه فيما يملكه ويحتاج اليه من المطاعم ، كما ظهر من بعض الأخبار المتقدمة . وينبغي أن يبدأه بالسلام ، ولا يطيل

(١) صححنا الاحاديث هنا على (اصول الكافي): باب حسن الجوار وعلى (المستدرك) : ٢ / ٧٨ و ٧٩ وعلى (الوسائل) : كتاب الحج ، ابواب احكام العشرة ، الباب ٨٥ ـ ٨٨ .

(٢) هذا كلام ذكره في (احياء العلوم): ٢ / ١٨٩ بعد قوله : « إذ يقال».

معه الكلام ، ولا يكثر عن حاله السؤال ، ويعوده في المرض ، ويعزيه في المصيبة ، ويقوم معه في العزاء ، ويهنئه في الفرح ، ويصفح عن زلاته ، ويستر ما اطلع عليه من عوراته ، ولا يضايقه في وضع الجذع على جداره ولا في صب الماء في ميزابه ، ولا في مطرح التراب في فنائه ، ولا في المرور عن طريقه ، ولا يمنعه مايحتاج اليه من الماعون ، ويغض بصره عن حرمه ، ولا يغفل عن ملاحظة داره عند غيبته ، ويتلطف لأولاده في كلمته ، ويرشده الى مايصلحه من أمر دينه ودنياه ، وإن استعان به في أمر أعانه ، وإن استقرضه أقرضه ، ولايستطيل عليه بالبناء فيحجب عنه الريح إلا باذنه ، واذا اشترى شيئاً من لذائذ المطاعم وظرفها فليهد له ، وإن لم يفعل فليدخلها بيته سراً ، ولا يخرج بها أولاده حتى يطلع عليها بعض أولاد جاره ، فيشتهيه وينكسر لذلك خاطره .

ومنها :

طلب العثرات

وتجسس العيوب والعورات وإظهارها . ولا ريب في كونه من نتائج العداوة والحسد ، وربما حدث في القوة الشهوية رداءة توجب الاهتزاز والانبساط ، من ظهور عيب بعض المسلمين ، وإن لم يكن عداوة وحقداً كما قيل :

وعين الرضا عن كل عيب كليلة ولكن عين السخط تبدي المساويا

ومن تصفح الآيات والأخبار ، يعلم أن من يتبع عيوب المسلمين

ويظهرها بين الناس اسوأ الناس واخبثهم ، قال الله تعالى :

« وَلاَ تَجَسَّسُوا » (١) . وقال : « إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ » (٢) .

وقال رسول الله - صلى الله عليه وآله - : « من أذاع فاحشة كان كمبتدئها ، ومن عير مؤمناً بشيء ، لم يمت حتى يرتكبه » . وقال صلى الله عليه وآله : « كل امتي معافى ، إلا المجاهرين » ، والمجاهرة أن يعمل الرجل سوأ فيخبر به . وقال - صلى الله عليه وآلـه - : « من استمع خبر قوم وهم له كارهون ، صبت في أذنيه الآنك يوم القيامة » . وعن أبي جعفر - عليه السلام - قال : « قال رسول الله صلى الله عليه وآله يامعشر من أسلم بلسانه ولم يسلم بقلبه ! لاتتبعوا عثرات المسلمين ، فانه من يتبع عثرات المسلمين يتبع الله عثراته ، ومن تتبع الله عثراته يفضحه » . وقال الباقر عليه السلام : « من اقرب مايكون العبد الى الكفر ان يؤاخي الرجل الرجل على الدين ، فيحصى عليه زلاته ليعيره بها يوماً ما » . وقال الصادق - عليه السلام - : « من أنب مؤمناً أنبه الله عز وجل في الدنيا والآخرة » . وقيل للصادق - عليه السلام - : « شيء يقوله الناس ، عورة المؤمن على المؤمن حرام ؟ فقال : ليس حيث تذهب ، إنما عورة المؤمن أن يراه يتكلم بكلام يعاب عليه فيحفظه عليه ليعيره به يوماً اذا غضب »

وقال الباقر - عليه السلام - : « قال رسول الله صلى الله عليه وآله إن اسرع الخير ثواباً البر ، وأسرع الشر عقوبة البغي ، وكفى بالمرء عيباً

(١) الحجرات ، الآية : ١٢ .

(٢) النور ، الآية : ١٩ .

أن يبصر من الناس مايعمى عنه ، وأن يعير الناس بما لايستطيع تركه ، وأن يؤذي جليسه بما لايعنيه » (١) . والأخبار الواردة بأمثال هذه المضامين كثيرة .

وصل

ستر العيوب

ضد كشف العيوب : سترها واخفاؤها ، وهو من أعظم شعب النصيحة ولا حد لثوابه ، كما يستفاد من الأخبار الكثيرة . قال رسول الله صلى الله عليه وآله : « من ستر على مسلم ستره الله في الدنيا والآخرة » . وقال صلى الله عليه وآله : « لايستر عبد عيب عبد إلا ستره الله يوم القيامة » وقال - صلى الله عليه وآله - : « لايرى امرؤ من أخيه عورة فيسترها عليه ، إلا دخل الجنة » . وكفى بستر العيوب فضلا أنه من أوصاف الله سبحانه ، ومن شدة اعتنائه بستر الفواحش اناط ثبوت الزنا - وهو افحشها - بما لايمكن اتفاقه إلا نادراً ، وهو مشاهدة اربعة عدول كالميل في المكحلة فانظر الى أنه تعالى كيف أسبل الستر على العصاة من خلقه في الدنيا ، بتضييق الطرق المؤدية الى كشفه . ولا تظنن أنك تحرم هذا الستر يوم تبلى السرائر ، فقد ورد في الحديث : « أن الله تعالى إذا ستر على عبد عورته في الدنيا فهو اكرم من يكشفها في الآخرة ، وإن كشفها في الدنيا فهو

---

(١) صححنا الاحاديث كلها على (اصول الكافي) : باب من طلب عثرات المؤمنين وعوراتهم . وعلى (الوسائل) : ابواب احكام العشرة ، الباب ١٥٠ . وعلى (المستدرك) : ٢ / ١٠٤ . وعلى (البحار) : ٤ مج ١٥ / ١٧٥ ، باب تتبع عيوب الناس وافشائها .

أكرم من أن يكشفها أخرى » . وورد أيضا : « أنه يؤتى يوم القيامة بعبد يبكي ، فيقول الله سبحانه له : لم تبكي ؟ فيقول : أبكي على ماسينكشف عني من عوراتي وعيوبي عند الناس والملائكة . فيقول الله : عبدي ماأفتضحتك في الدنيا بكشف عيوبك وفواحشك ، وأنت تعصيني وتضحك ! فكيف أفضحك اليوم بكشفها وأنت تعصيني وتبكي ! » . وفي خبر آخر : « أن رسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ يطلب يوم القيامة من الله سبحانه ألا يحاسب أمته بحضرة من الملائكة والرسل وسائر الامم ، لئلا تظهر عيوبهم عندهم ، بل يحاسبهم بحيث لا يطلع على معاصيهم غيره سبحانه ، وسواه ـ صلى الله عليه وآله ـ ، فيقول الله سبحانه : ياحبيبي ، أنا أرأف بعبادي منك ، فاذا كرهت كشف عيوبهم عند غيرك ، فأنا أكره كشفها عندك أيضاً ، فاحاسبهم وحدي بحيث لايطلع على عثراتهم غيري » .

فاذا كانت عناية الله سبحانه في ستر عيوب العباد بهذه المثابة ، فأنى لك أيها المسكين المبتلى بأنواع العيوب والمعاصي ، تسعى في كشف عيوب عباد الله ، مع أنك مثلهم في الاتصاف بأنواع العيوب والعثرات ! وتأمل أنه لو أظهر أحد بعض فواحشك عند الناس كيف يكون حالك ، فقس عليه حال غيرك ممن تكشف أنت بعض فواحشه . وقد ثبت ووضح من الأخبار والتجربة : أن من يفضح يفتضح ، فياحبيبي ، ترحم على نفسك وتأس بربك ، فاسبل الستر على عيوب غيرك .

ومنها :

افشاء السر

واذاعته . وهو أعم من كشف العيب . إذ السر قد يكون عيباً وقد لايكون بعيب ، ولكن في افشائه ايذاء واهانة بحق الأصدقاء أو غيرهم

من المسلمين ، وهو من رذائل قوة الغضب إن كان منشأه العداوة ، ومن رذائل قوة الشهوة إن كان منشأه تصور نفع مالي ، أومجرد اهتزاز النفس بذلك لخباثتها ، وهو مذموم منهي عنه . قال رسول الله صلى الله عليه وآله : « إذا حدث الرجل الحديث ثم التفت ، فهي أمانة » . وقال - صلى الله عليه وآله - : « الحديث بينكم أمانة » . وورد : « أن من الخيانة أن تحدث بسر أخيك » . وقال عبد الله بن سنان للصادق - عليه السلام - : « عورة المؤمن على المؤمن حرام ؟ فقال : نعم ! قلت : يعني سفلته ؟ قال : ليس حيث تذهب ، إنما هو اذاعة سره » (١) .

فصل

كتمان السر

ضد إفشاء السر : كتمانه ، وهو من الأفعال المحمودة ، وقد أمر به في الأخبار . قال رسول الله - صلى الله عليه وآله - : « طوبى لعبد نومة ، عرفه الله ولم يعرفه الناس ، أولئك مصابيح الهدى وينابيع العلم ، تنجلي عنهم كل فتنة مظلمة ، ليسوا بالمذاييع البذر ، ولا الجفاة المرائين » . وقال أمير المؤمنين - عليه السلام - : « طوبى لعبد نومة ، لايؤبه له ، يعرف الناس ولا يعرفه الناس ، يعرفه الله منه برضوان ، أولئك مصابيح الهدى ، تنجلي عنهم كل فتنة ، ويفتح لهم باب كل رحمة ، ليسوا بالبذر المذاييع ، ولا الجفاة المرائين » . وقال أمير المؤمنين - عليه السلام - « قولوا الخير تعرفوا به ، واعملوا الخير تكونوا من أهله ، ولا تكونوا عجلا مذاييع . فان خياركم الذين اذا نظر اليهم ذكر الله ، وشراركم المشاؤن

---

(١) صححنا الأحاديث على البحار: ١٧٥/٤ مج ١٥ ، باب تتبع عيوب الناس

بالنميمة ، المفرقون بين الأحبة ، المبتغون للبراء المعايب »(١).

تنبيه

النميمة

النميمة تطلق في الأكثر على أن ينم قول الغير الى المقول فيه ، كأن يقال : فلان تكلم فيك بكذا وكذا ، أو فعل فيك كذا وكذا . وعلى هذا تكون نوعا خاصاً من افشاء السر وهتك الستر ، وهو الذي يتضمن فساداً أو سعاية . وقد تطلق على مالا يختص بالمقول فيه ، بل على كشف مايكره كشفه ، سواء كره المنقول عنه أو المنقول اليه أو كرهه ثالث ، وسواء كان الكشف بالقول أو الكتابة أو بالرمز والايماء ، وسواء كان المنقول من الأعمال أو من الأقوال ، وسواء كان ذلك عيباً ونقصانا على المنقول عنه أو لم يكن . وعلى هذا يكون مساوية لافشاء السر وهتك الستر وحينئذ فكل مايرى من احوال الناس ولم يرضوا بافشائه ، فاذاعته نميمة فاللازم على كل مسلم أن يسكت عما يطلع عليه من أحوال غيره ، إلا اذا كان في حكايته نفع لمسلم أودفع لمعصية . كما اذا رأى أحداً يتناول مال غيره ، فعليه أن يشهد به مراعاة لحق المشهود له ، وأما اذا رآه يخفي مالا لنفسه ، فحكايته نميمة وافشاء للسر :

ثم الباعث على النيمة يكون غالباً ارادة السوء بالمحكي عنه ، فيكون داخلا تحت الايذاء ، وربما كان باعثه اظهار المحبة للمحكى له ، أوالتفريح بالحديث ، أو الخوض في الفضول . وعلى أى تقدير ، لاريب فى أن

(١) صححنا الاحاديث كلها على (البحار) : ج ٤ مج ١٥ : باب فضل كتمان السر وعلى (أصول الكافي) : باب كتمان السر ، وباب الرواية على المؤمن

النميمة أرذل الافعال القبيحة واشنعها . وما ورد في ذمهـا من الآيات والأخبار لايحصى كثرة ، قال الله سبحانه :

« هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ . مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ . عُتُلٍّ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ » (١) .

والزنيم : هو ولـد الزنا . فيستفاد من الآية : أن كل من يمشي بالنميمة فهو ولد الزنا : وقال سبحانه :

« وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ (٢) . أي النمام المغتاب .

وقال رسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ : « لايدخل الجنة نمام » وفي خبر آخر : « لايدخل الجنة قتات » : أى النمام . وقال ـ صلى الله عليه وآله ـ : « احبكم الى الله أحسنكم أخلاقا ، الموطئون اكنافا ، الذين يألفون ويؤلفون ، وإن أبغضكم الى الله المشاؤن بالنميمة ، المفرقون بين الأحبة ، الملتمسون للبراء العثرات » (٣) . وقال ـ صلى الله عليه وآله ـ « ألا انبئكم بشراركم ؟ قالوا : بلى يارسول الله ، قال : المشاؤن بالنميمة ، المفرقون بين الأحبة ، الباغون للبراء المعايب » (٤) . وقال صلى الله عليه

(١) القلم ، الآية : ١١ ـ ١٣ .

(٢) الهمزة ، الآية : ١ .

(٣) صححنا الحديث على (المستدرك) : ١١١ كتاب الحج .

(٤) صححنا الحديث على الوسائل : كتاب الحج ، ابواب احكام العشرة ، الباب ١٦٤ . وعلى (المستدرك) : ١١٠ كتاب الحج . وعلى (اصول الكافي) : باب النميمة .

وآله : « من اشار على مسلم كلمة ليشينه بها في الدنيا بغير حق ، شانه الله في النار يوم القيامة » . وقال ـ صلى الله عليه وآله ـ : « أيما رجل أشاع على رجل كلمة وهو منها بريء ليشينه بها في الدنيا ، كان حقاً على الله أن يدينه بها يوم القيامة في النار » . وقال ـ صلى الله عليه وآله ـ : « إن الله لما خلق الجنة قال لها : تكلمي ، قالت : سعد من دخلني . قال الجبار جل جلاله : وعزتي وجلالي ! لايسكن فيك ثمانية نفر من الناس لايسكنك مدمن خمر ، ولا مصر على الزنا ، ولا قتات ـ وهو النمام ـ ، ولا ديوث ، ولا شرطي ، ولا مخنث ، ولا قاطع رحم ، ولا الذي يقول علي عهد الله أن أفعل كذا وكذا ثم لم يف به » . وقال الباقر ـ عليه السلام ـ : « الجنة محرمة على المغتابين المشائين بالنميمة » . وقال ـ عليه السلام ـ : « يحشر العبد يوم القيامة وما ندا دماً (١) ، فيدفع اليه شبه المحجمة أو فوق ذلك ، فيقال له : هذا سهمك من دم فلان ، فيقول : يارب ، انك لتعلم أنك قبضتني وما سفكت دماً ، فيقول : بلى ، سمعت من فلان رواية كذا وكذا فرويتها عليه ، فنقلت حتى صارت الى فلان الجبار فقتله عليها ، وهذا سهمك من دمه » . وقال الصادق ـ عليه السلام ـ : « من روى على مؤمن رواية يريد بها شينه وهدم مروته ليسقط من أعين

(١) قال في مجمع البحرين ـ مادة (ندا) ـ : « فلان ماندا دماً ولا قتل قتلا : أي ماسفك دماً » . وقد كتبت كلمة (ندا) في جميع ماوجدناه من الكتب بالالف ، وعسى أن تكون بالياء هكذا (ندى) كرضى . واحتمل في الوافي أن تكون (ندى) بتشديد الدال ، وذكر احتمالات كثيرة ، فراجعه وقد روي في (الوسائل) ـ كتاب الحج ، ابواب احكام العشرة ، الباب ١٦٣ ـ مثل هذا الحديث عن (الشيخ الطوسي) ، وقد جاء فيه : « وما ادمى دماً » . أما الحديث المذكور هنا ، فقد صححناه على (اصول الكافي) باب الاذاعة .

الناس ، أخرجه الله تعالى من ولايته الى ولاية الشيطان ، ولا يقبله الشيطان » (١) . وروى : « انه اصاب بني اسرائيل قحط ، فاستسقى موسى مرات ، فما اجيب . فأوحى الله تعالى اليه : إني لا استجيب لك ولمن معك وفيكم نمام قد أصر على النميمة . فقال موسى : يارب ، من هو حتى نخرجه من بيننا ؟ فقال : ياموسى ، انهاكم عن النميمة وأكون نماماً ؟! فتابوا باجمعهم ، فسقوا » وروى : « أن ثلث عذاب القبر من النميمة » .

ومن عرف حقيقة النميمة ، يعلم أن النمام شر الناس واخبثهم ، كيف وهو لاينفك من الكذب ، والغيبة ، والغدر ، والخيانة ، والغل ، والحسد والنفاق ، والإفساد بين الناس ، والخديعة . وقد قال الله سبحانه :

« وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ » (٢)

والنمام يسعى في قطع ما أمر الله به أن يوصل ويفسد في الأرض . وقال الله :

« إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ » (٣) . والنمام منهم .

---

(١) صححنا الحديث على (الوسائل) : كتاب الحج ، أبواب احكام العشرة الباب ١٥٧ . وعلى (اصول الكافي) : باب الرواية على المؤمن .

(٢) البقرة ، الآية : ٢٧ .

(٣) الشورى ، الآية : ٤٠ .

وقال رسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ : « لايدخل الجنة قاطع » : أى قاطع بين الناس ، والنمام قاطع بينهم . وقال صلى الله عليه وآله : « شر الناس من اتقاه الناس لشره » : والنمام منهم ، والنمام أعظم شراً من كل أحد .

نقل : أن رجلا باع عبداً ، فقال للمشترى : مافيه عيب إلا النميمة قال رضيت . فاشتراه ، فمكث الغلام اياماً ، ثم قال لزوجة مولاه : إن زوجك لايحبك ، وهو يريد أن يتسرى عليك ، وانا اسحره لك في شعره فقالت : كيف اقدر على أخذ شعره ؟ فقال : اذا نام فخذى الموسى واحلقى من قفاه عند نومه شعرات . ثم قال للزوج : إن امرأتك اتخذت خليلا وتريد أن تقتلك ، فتناوم لها حتى تعرف . فتناوم فجاءته المرأة بالموسى ، فظن أنها تقتله ، فقام وقتلها ، فجاء أهلها وقتلوا الزوج ، فوقع القتال بين القبيلتين ، وطال الأمر بينهم .

ثم يلزم على من تحمل اليه النميمة ألا يصدق النمام ، لأنه فاسق ، والفاسق مردود الشهادة بقوله تعالى :

« إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا » (١) .

وان ينهاه عن ذلك ، وينصحه ويقبح له فعله ، لقوله تعالى :

« وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ » (٢) .

وان يبغضه في الله ، لكونه مبغوضاً عنده تعالى ، وألا يظن بأخيه سوأ بمجرد قوله ، لقوله تعالى :

(١) الحجرات ، الآية : ٦ .

(٢) لقمان ، الآية : ١٧ .

« إجْتَنِبُوا كَثِيراً مِنَ الظَّنِّ » (١) .

وألا يحمل عمله على التجسس والبحث لتحقيق ما حكى له ، لقوله تعالى : « ولا تجسسوا » . وألا يرضى لنفسه مانهى عنه النمام ، فلا يحكى نميمته ، فيقول : فلان قد حكى كذا وكذا ، فيكون به نماماً ومغتاباً .
وروى محمد بن فضيل عن الكاظم ـ عليه السلام ـ : « أنه قال له ـ عليه السلام ـ : جعلت فداك ! الرجل من اخواني يبلغني عنه الشيء الذي اكرهه ، فاسأله عنه فينكر ذلك ، وقد أخبرني عنه قوم ثقات . فقال لي : يامحمد ، كذب سمعك وبصرك عن أخيك ، فان شهد عندك خمسون قسامة ، فقال لك قولا ، فصدقه وكذبهم ، ولا تذيعن عليه شيئاً تشينه به وتهدم مروته ، فتكون من الذين قال الله :

« إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ » (٢) .

وقد روى عن أمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ : « أن رجلا أتاه يسعى اليه برجل ، فقال : ياهذا ، نحن نسأل عما قلت ، فان كنت صادقا مقتناك ، وإن كنت كاذباً عاقبناك ، وإن شئت أن نقيلك أقلناك قال : اقلني يا أمير المؤمنين » . ونقل : « أن رجلا زار بعض الحكماء واخبره بخبر عن غيره ، فقال : قد ابطأت عنى الزيارة ، وبغضت إلي أخى ، وشغلت قلبي الفارغ ، واتهمت نفسك الأمينة » .

---

(١) الحجرات ، الآية : ١٢ .

(٢) صححنا الحديث على (الوسائل) : كتاب الحج ، ابواب احكام العشرة الباب ١٥٧ . والآية من سورة النور : ١٩ .

تتمة

السعاية

السعاية هي النميمة ، بشرط كون المحكي له من يخاف جانبه ، كالسلاطين والأمراء والحكماء والرؤساء وأمثالهم ، فهي أشد أنواع النميمة إثماً ومعصية وهي أيضا تكون من العداوة ومن حب المال وطمعه ، فتكون من رداءة القوتين وخباثتهما . قال رسول الله - صلى الله عليه وآله - : « الساعي بالناس الى الناس لغير رشده» : يعني ليس ولد حلال . وذكرت السعاة عند بعض الأكابر ، فقال : ماظنك بقوم يحمد الصدق من كل طبقة إلا منهم !

ومنها :

الافساد بين الناس

وهو في الأكثر يحصل بالنميمة ، وإن لم يوجب كل نميمة افساداً. ولا ريب في كونه من المهلكات المؤدية الى النار ، قال الله سبحانه :

« الَّذِيْنَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللهِ مِنْ بَعْـــدِ مِيْثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ أَنْ يُوْصَـلَ وَيُفْسِدُوْنَ فِي الأَرْضِ أُولَـئِكَ هُمُ الْخَاسِرُوْنَ » (١) .

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله : « إن فساد ذات البين هي الحالقة » .

---

(١) البقرة ، الآية : ٢٧ .

وصل

الاصلاح

وضده: الاصلاح بين الناس ، وهو أعظم أفراد النصيحة ، ولا غاية لثوبته عند الله . قال رسول الله - صلى الله عليه وآله - : « أفضل الصدقة اصلاح ذات البين » . وقال - صلى الله عليه وآله - : اتقوا الله واصلحوا ذات بينكم ، فان الله تعالى يصلح بين المؤمنين يوم القيامة » . وقال - صلى الله عليه وآله - : « ليس بكذاب من اصلح بين اثنين فقال خيراً » . وقال - صلى الله عليه وآله - : « كل الكذب مكتوب ، إلا أن يكذب الرجل في الحرب ، فان الحرب خدعة ، أو يكذب بين اثنين ليصلح بينهما » . وقال الصادق - عليه السلام - : « صدقة يحبها الله تعالى : اصلاح بين الناس اذا تفاسدوا ، وتقارب بينهم اذا تباعدوا » . وقال - عليه السلام - للمفضل : « إذا رأيت بين اثنين من شيعتنا منازعة فافتدها من مالي » . وقال - عليه السلام - لابن عمار : « ابلغ عني كذا وكذا في اشياء أمر بها . فقال له ابن عمار : فابلغهم عنك ، وأقول عني ماقلت لي وغير الذي قلت ؟ قال : نعم ! إن المصلح ليس بكذاب » . وقال - عليه السلام - : « المصلح ليس بكاذب » (١) : يعني اذا تكلم بما لايطابق الواقع فيما يتوقف عليه الاصلاح لم يعد كلامه كذباً . وهذا يدل على وجوب الاصلاح بين الناس ، لأن ترك الكذب واجب ، ولا يسقط الواجب إلا بواجب آكد منه .

---

(١) صححنا الاحاديث عن الصادق - عليه السلام - على (اصول الكافي) : باب الاصلاح بين الناس وصححنا النبويات على (كنز العمال) : ٢ / ١٤ ، ١٢٨ .

ومنها :

الشماتة

وهو إظهار أن ماحدث بغيره من البلية والمصيبة إنما هو من سوء فعله واساءته ، والغالب صدوره عن العداوة أو الحسد . وعلامته أن يكون مع فرح ومسرة ، وربما صدر عن رداءة القوة الشهوية ، بأن يهتز به ويميل اليه ، مع جهله بمواقع القضاء والقدر ، وإن لم يكن معه حقد وحسد . والتجربة والأخبار شاهدان على أن كل من شمت بمسلم في مصيبة لم يخرج من الدنيا حتى يبتلى بمثلها ويشمت به غيره فيها . قال الصادق - عليه السلام - : « لاتبدى الشماتة لأخيك ، فيرحمه الله ويحلها بك » ؛ وقال - عليه السلام - : « من شمت بمصيبة نزلت بأخيه لم يخرج من الدنيا حتى يفتتن » (١) على أن كل بلية ومصيبة ترد على مسلم يمكن أن تكون كفارة لذنوبه باعثاً لرفع درجاته واعلاء مرتبته في دار الآخرة .

والدليل على ذلك : أن أعظم البلايا والمصائب موكلة بالأنبياء ، ثم بالأولياء ، ثم بالأمثل فالأمثل في درجات الاعتلاء . ولا ريب في أن ورود المصائب والمحن عليهم ليس من سوء فعلهم وإساءتهم . فينبغي لكل عاقل أن يتأمل (أولا) أن الشماتة بمسلم بمصيبة لاينفك في الدنيا من ابتلائه بمثلها ، (وثانياً) أنها ايذاء لأخيه المسلم ، فلا ينفك عن العذاب في الآخرة (وثالثاً) ان نزول هذه المصيبة به لايدل على سوء حاله عند الله ، بل الأرجح دلالته على حسن حاله وتقربه عند الله سبحانه . فليحافظ على نفسه عن ابداء الشماتة لأحد من المسلمين ، وبخوف من يراه من الشامتين عن عقوبة العاجل وعذاب الآجل .

---

(١) صححنا الحديثين على (اصول الكافي) : باب الشماتة .

ومنها :

المراء والجدال والخصومة

إعلم ان المراء طعن في كلام الغير لاظهار خلل فيه ، من غير غرض سوى تحقيره واهانته ، واظهار تفوقه وكياسته . والجدال : مراء يتعلق باظهار المسائل الاعتقادية وتقريرها . والخصومة : لجاج في الكلام لاستيفاء مال أو حق مقصود ، وهذه تكون تارة ابتداءً وتارة اعتراضاً ، والمراء لايكون إلا اعتراضاً على كلام سبق ، فالمراء داخل تحت الابذاء ، ويكون ناشئاً من العداوة أو الحسد . وأما الجدال والخصومة ، فربما صدرا من من أحدهما أيضاً ، وربما لم يصدرا منه .

وحينئذ ، فالجدال إن كان بالحق ـ أى تعلق باثبات احدى العقائد الحقة ـ وكان الغرض منه الارشاد والهداية ، ولم يكن الخصم لدوداً عنوداً فهو الجدال بالأحسن ، وليس مذموماً ، بل ممدوح معدود من الثبات في الايمان الذي هو من نتائج قوة المعرفة وكبر النفس ، قال الله سبحانه :

« وَلاَ تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ » (١) .

وإن لم يكن بالحق ، فهو مذموم اقتضته العصبية أو حب الغلبة أو الطمع ، فيكون من رذائل القوة الغضبية أو الشهوية ، وربما أورث شكوكاً وشبهات تضعف العقيدة الحقة ، ولذا نهى الله سبحانه عنه وذم عليه ، فقال :

« وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلاَ هُدىً وَلاَ

---

(١) العنكبوت ، الآية : ٤٦ .

كِتَابٍ مُنِيرٍ » (١) . وقال : « وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِيْنَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيْثٍ غَيْرِهِ » (٢).

والخصومة أيضاً إن كانت بحق ، أي كانت مما يتوقف عليه استيفاء مال أو حق ثابت ، فهي ممدوحة معدودة من فضائل القوة الشهوية ، وإن كانت بباطل ، أي تعلقت بما يدعيه كذباً أو بلا علم ويقين ، فهي مذمومة معدودة من رذائلها . فالخصومة المذمومة تتناول المخاصمة فيما يعلم قطعاً عدم استحقاقه ، وفيما لاعلم له بالاستحقاق ، كخصومة وكيل القاضي ، فانه قبل أن يعرف أن الحق في أي جانب ، يتوكل في الخصومة من أي جانب كان ، ويخاصم من غير علم وايقان ، فمثله خبّاط العثرات وركاب الشبهات ، يضر بالمسلمين بلا غرض ، ويتحمل أوزار الغير بلا عوض ، فهو أخسر الناس اعمالا واعظمهم في الآخرة أوزاراً ونكالا . وتتناول أيضاً مخاصمة من يطلب حقه ولكنه لايقتصر على قدر الحاجة ، بل يظهر اللدد والعناد في الخصومة قصداً للتساط والإيذاء ، ومن يمزج بخصومته كلمة مؤذية لا يحتاج اليها في اظهار الحق وبيان الحجة ، ومن يحمله على الخصومة محض العناد بقهر الخصم وكسره مع استحقاره لذلك القدر من المال ، وربما صرح بأن قصدى العناد والغلبة عليه وكسر عرضه ، وإذا أخذت منه هذا المال رميته ، ولا أبالى ، فمثله غرضه اللدد واللجاج .

فتنحصر الخصومة الجائزة بمخاصمة المظلوم الذي يطلب حقه وينصر حجته بطريق الشرع من غير قصد عناد وإيذاء ، مع الاقتصار على قدر

---

(١) الحج ، الآية : ٨ .

(٢) الانعام ، الآية : ٦٨ .

الحاجة في الخصومة من دون أن يتكلم بالزائد ولا بكلمات مؤذية ، ففعله ليس بحرام وإن كان الأولى تركه ماوجد اليه سبيلا ، إذ ضبط اللسان في الخصومة على حد الاعتدال متعذر أومتعسر ، لأنها توغر الصدر ، وتهيج الغضب ، وإذا هاج الغضب ذهب المتنازع فيه من البين ، واشتد الحقد بين المتخاصمين حتى يحزن كل واحد بمسرة صاحبه ويفرح بمساءته . فالخصومة مبدأ كل شر ، فينبغي ألا يفتح بابها إلا عند الضرورة على قدر الضرورة ، ولا يتعدى عن الواجب ، إذ أقل درجاتها تشوش الخاطر ، حتى أنه في الصلاة ليشتغل بمخاصمة الخصم ، ويتضمن الطعن والاعتراض أى التجهل والتكذيب ، إذ من يخاصم غيره إما يجهله أو يكذبه ، فيكون آثماً بسوء الكلام ، ويفوت به ضده ، اعني طيب الكلام ، مع ما ورد فيه من الثواب . وكذا الحال في المراء والجدال .

وبالجملة : المراء والجدال والخصومة ، سوى ما استثني ، من ذمائم الأفعال ومبادىء اكثر الشرور والفتن ، ولذا ورد بها الذم الشديد في الأخبار قال رسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ : « من جادل في خصومة بغير علم ، لم يزل في سخط حتى ينزع » . وقال ـ صلى الله عليه وآله ـ « إن أبغض الرجال الى الله الألد الخصم » . وقال ـ صلى الله عليه وآله ـ « ما أتاني جبرئيل قط إلا وعظني ، فآخر قوله لي : إياك ومشادة الناس فانها تكشف العورة وتذهب بالعز » . وقال أمير المؤمنين عليه السلام : « إياكم والمراء والخصومة ، فانهما يمرضان القلوب على الاخوان ، وينبت عليهما النفاق » . وقال علي بن الحسين ـ عليهما السلام ـ : « ويل امه فاسقاً من لايزال ممارياً ! ويل امه فاجراً من لايزال مخاصما ! ويل امه آثماً من كثر كلامه في غير ذات الله ! » . وقال الصادق ـ عليه السلام ـ « لاتمارين حليما ولا سفيهاً ، فان الحليم يغلبك والسفيه يؤذيك » . وقال

« إياك والمشادة ، فانها تورث المعرّة وتظهر العورة » . وقال عليه السلام « إياكم والخصومة ، فانها تشغل القلب ، وتورث النفاق ، وتكسب الضغائن » (١) فمن تأمل في مايدل على ذمها وسوء عاقبتها عقلا ونقلا - فمع عدم ترتب فائدة عليها ، وتذكر ماورد في مدح تركها وفوائد ضدها ، اعني طيب الكلام - يسهل عليه ان يتركها ولا يحوم حولها .

تذنيب

علاج المراء

طريق المعالجة في إزالة المراء والجدال والخصومة : أن يعلم انها توجب التباغض والمباينة ، وتزيل الإلفة والمحبة ، وتقطع الإلتيام والوحدة ولا ريب في أن قوام النظام الأصلح بالإلتيام والوحدة ، كما اقتضته العناية الإلهية والحكمة الازلية ، والمباينة الراجعة الى الكثرة ينافيها ، ولا ينبغي للعاقل أن يرتكب مايضاد فعل الله وحكمته . وهذا هو العلاج العلمي ، وأما العملي ، فليواظب على ضد هذه الثلاثة ، أعنى طيب الكلام ، ويكلف نفسه عليه ، حتى يصير ملكة له وترتفع اضدادها عنه بالمرة :

---

(١) صححنا الاحاديث على (الكافي) : باب المراء والخصومة : وعلى (الوسائل) : كتاب الحج ، ابواب احكام العشرة ، الباب ١٣٥ و ١٣٦ : وعلى (احياء العلوم) : ٢ / ١٠٢ .

وصل

طيب الكلام

قد أشير الى أن ضد الرذائل الثلاث: طيب الكلام، وما ورد في مدحه وفي ثواب تركها أكثر من أن يحصى. قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «ثلاث من لقى الله تعالى بهن دخل الجنة من أي باب شاء: من حسن خلقه، وخشى الله في المغيب والمحضر، وترك المراء وإن كان محقاً». وقال صلى الله عليه وآله: «يمكنكم من الجنة طيب الكلام واطعام الطعام». وقال صلى الله عليه وآله: «إن في الجنة لغرفاً يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها، أعدها الله لمن اطعم الطعام وأطاب الكلام». وقال صلى الله عليه وآله: «الكلمة الطيبة صدقة»: وروى «أن عيسى - عليه السلام - مر به خنزير. فقال: مر بسلامة. فقيل له: ياروح الله، تقول هذا للخنزير! فقال: اكره أن اعود لساني الشر» وقال بعض الحكماء: «الكلام اللين يغسل الضغائن المستكنة في الجوارح» ومنها:

السخرية والاستهزاء

وهو محاكاة أقوال الناس أو أفعالهم أو صفاتهم وخلقهم، قولا وفعلا، أو ايماء واشارة، على وجه يضحك منه. وهو لاينفك عن الايذاء والتحقير والتنبيه على العيوب والنقائص. وإن لم يكن ذلك بحضرة المستهزأ به، فيتضمن الغيبة أيضا. وباعثه إما العداوة أوالتكبر واستصغار المستهزأ به، فيكون من رذائل القوة الغضبية، أو قصد ضحك الأغنياء

وتنشيط قلوبهم ، طمعاً في بعض أوساخهم الملوثة ، وأخذ النبذ من حطامهم المحرمة ، ولا ريب في انه صفة من لاحظ له في الدين ، وشيمة اراذل احزاب الشياطين ، لأنهم يظهرون أكاذيب الأقوال ويرتكبون أعاجيب الأفعال ، يخلعون قلائد الحرية عن الرقاب ، ويهتكون استار الحياء بمرأى من أولي الألباب ، يبتغون عيوب المؤمنين وعوراتهم ، ويظهرون نقائص المسلمين وعثراتهم ، يقلدون أفعال الأخيار على وجه يضحك الاشرار ، ويحاكون صفات الأبرار على أفضح الوجوه في الانظار . ولا ريب في أن المرتكب لهذه الأفعال بعيد عن الانسانية بمراحل ، ومستوجب لعقوبة العاجل وعذاب الآجل ، ولا يخلو ساعة عن الصغار والهوان ، ولا وقع له في قلوب أهل الايمان ، وكفاه ذماً انه جعل تلك المعاصي الخبيثة وسيلة لتحصيل المال أو الواقع في قلوب ابناء الدنيا ، ويلزمه عدم اعتقاده بأن الله سبحانه هو المتكفل لأرزاق العباد .

والطريق في دفعه - بعد التأمل في سوء عاقبته ، ووخامة خاتمته ، وفيما يلزمه من الذلة والهوان في الدنيا - أن يبادر الى ازالة العداوة والتكبر إن كان باعثه ذلك ، وإن كان باعثه تنشيط قلوب أهل الدنيا طمعاً في مالهم ، فليعلم أن لكل نفس ماقدر لها من الأموال والأرزاق ، يصل اليها من الله سبحانه ألبتة ، فان من يتق الله ويتوكل عليه يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب ، ويكون في الآخرة سعيداً ، وان أغواه الشيطان وحثه على تحصيلها من المداخل الخبيثة ، لم يصل اليه اكثر مما قدر له ، وكان في الآخرة شقياً .

وليعلم أيضاً أن المتوكل على الله والمتصف بالحرية ، لايبدل التوكل والحرية بهذه الأفعال لأجل الوصول الى بعض خبائث الأموال ، فليعاتب نفسه ويزجرها بالمواعظ والنصائح ، ويتذكر ماورد في الشريعة من ذم

المستهزئين وتعذيبهم يوم القيامة بصورة الاستهزاء ، قال الله جل شأنه :

« لاَ يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسىٰ أَنْ يَكُونُوا خَيْراً مِنْهُمْ » (١) .

وقال ـ صلى الله عليه وآله ـ : « إن المستهزئين بالناس يفتح لأحدهم باب من الجنة ، فيقال : هلم هلم ! فيجيء بكربه وغمه ، فاذا أتى اغلق دونه ثم يفتح له باب آخر ، فيقال : هلم هلم ! فيجيء بكربه وغمه ، فاذا أتى أغلق دونه . فما يزال كذلك ، حتى يفتح له الباب ، فيقال له : هلم هلم فما يأتيه » . وقال ابن عباس في قوله تعالى :

« يَا وَيْلَتَنَا مَا لِهٰذَا الْكِتَابِ لاَ يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلاَ كَبِيرَةً إلاَّ أَحْصَاهَا » (٢)

« الصغيرة : التبسم بالاستهزاء بالمؤمن ، والكبيرة : القهقهة بذلك » وفيه اشارة الى أن الضحك على الناس من الجرائم العظيمة .

ثم جميع ماذكر إنما هو في حق من يؤذي الناس ويهينهم باستهزائه وسخريته ، وأما من جعل نفسه مسخرة ويسر بأن يهزل ويسخر به ، وإن كان هو ظالماً لنفسه خارجاً عن شعار المؤمنين ، حيث أهان نفسه وأذلها ، إلا أن سخرية الغير به من جملة المزاح ، ويأتي ما يذم منه وما يحمد ، وإنما المحرم منه مايؤدي الى ايذائه وتحقيره : بأن يضحك على كلامه إذا يخبط

(١) الحجرات ، الآية : ١١ .

(٢) الكهف ، الآية : ٥٠ .

ولم ينتظم ، أو على أفعاله اذا كانت مشوشة ، أو على صورته وخلقته إذا كان قصيراً أو طويلاً أو ناقصاً بعيب من العيوب . فالضحك على جملة ذلك داخل في السخرية المنهى عنها .

وطريق علاجه ـ بعد تذكر ماتقدم ـ أن استهزاءه يوجب خزي نفسه يوم القيامة عند الله وعند الملائكة والنبيين وعند الناس أجمعين ، فلو تفكر في حسرته وحيائه وخجله وخزيه يوم يحمل سيئات من استهزأ به ويساق الى النار ، لأدهشه ذلك عن إخزاء غيره ، ولو عرف حقيقة حاله يوم القيامة ، لكان الأولى له أن يضحك على نفسه تارة ويبكي عليها أخرى ، لأنه باستهزائه به عند بعض أراذل الناس عرض نفسه لأن يأخذ بيده ذلك الغير يوم القيامة على ملأ من الناس ويسوقه تحت السياط ، كما يساق الحمار ، الى النار مستهزئاً به ، مسروراً بخزيه وتمكين الله تعالى اياه على الانتقام منه . فمن تأمل في ذلك ، ولم يكن عدواً لنفسه ، اجتنب عن السخرية والاستهزاء كل الاجتناب .

ومنها :

المزاح

وأصله مذموم منهي عنه ، وسببه إما خفة في النفس ، فيكون من رذائل القوة الغضبية ، أو ميل النفس وشهوتها اليه ، أو تطييب خاطر بعض أهل الدنيا طمعاً في مالهم ، فيكون من رذائل القوة الشهوية . وسبب الذم فيه ـ أنه يسقط المهابة والوقار ، وربما أدى الى التباغض والوحشة والضغينة ، وربما انجر الى الهزل والاستهزاء ، وأدخل صاحبه في جملة المستهزأ بهم ، وربما صار باعثاً لظهور العداوة ـ كما قيل ـ وربما جرّ الى اللعب ،

قال رسول الله صلى الله عليه وآله : « لا تمار أخاك ولا تمازحه » ، وقال بعض الأكابر لابنه : « يابني ، لاتمازح الشريف فيحقد عليك ، ولا الدنيء فيجترىء عليك » ، وقال آخر : « اياكم والممازحة ، فانها تورث الضغينة وتجر الى القطيعة » . وقال آخر : « المزاح مسلبة للبهاء ، ومقطعة للاصدقاء » وقيل : « لكل شيء بذر ، وبذر العداوة المزاح » . ومن مفاسد المزاح : أنه سبب للضحك ، وهو منهي عنه : قال الله تعالى :

« فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلاً وَلْيَبْكُوا كَثِيراً » (١) .

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله : « إن الرجل ليتكلم بالكلمة فيضحك بها جلساءه ، يهوي بها أبعد من الثريا » ، وقال : « لو تعلمون ما أعلم لبكيتم كثيراً ولضحكتم قليلا » ، وهو يدل على أن الضحك علامة الغفلة عن الآخرة ، وقال بعض : « من كثر ضحكه قلت هيبته ، ومن مزح استخف به ، ومن أكثر من شيء عرف به ، ومن كثر كلامه كثر سقطه ، ومن كثر سقطه قل حياؤه ، ومن قل حياؤه قل ورعه ، ومن قل ورعه مات قلبه » . وخاطب عارف نفسه وقال : « أتضحك ولعل أكفانك قد خرجت من عند القصار ؟ ! » وقال رجل لأخيه : يا أخي ، هل أتاك أنك وارد النار ؟ قال : نعم ! قال : وهل أتاك أنك خارج منها ؟ فقال : لا ، قال : ففيم الضحك ؟ فما رئي بعد ذلك ضاحكاً حتى مات » . ونظر بعضهم الى قوم يضحكون في يوم الفطر ، فقال : « إن كان هؤلاء قد غفر لهم فما هذا فعل الشاكرين ، وإن كان لم يغفر لهم فما هذا فعل الخائفين » .

ثم المذموم من الضحك هو القهقهة ، والتبسم الذي ينكشف فيه

(١) التوبة ، الآية : ٨٣ :

السن ولا يسمع الصوت ليس مذموماً ، بل محمود لفعل النبي صلى الله عليه وآله (١) .

تذنيب

(المذموم من المزاح)

الحق أن المذموم من المزاح هو الافراط فيه والمداومة عليه ، أو ما يؤدي الى الكذب والغيبة وأمثالها ، ويخرج صاحبه عن الحق . وأما القليل الذي يوجب انبساط خاطر وطيبة قلب ، ولا يتضمن ايذاء ولا كذباً ولا باطلا ، فليس مذموماً ، لقول رسول الله صلى الله عليه وآله : « إني لأمزح ولا أقول إلا حقاً » . ولما روي : « أنهم قالوا له صلى الله عليه وآله : يارسول الله ، انك تداعبنا ! فقال : إني وإن داعبتكم ، فلا أقول إلا حقاً » . ولما روت العامة : « أنه صلى الله عليه وآله كان كثير التبسم ، وكان أفكه الناس » وورد : « أن رسول الله صلى الله عليه وآله كسا ذات يوم واحدة من نسائه ثوباً واسعاً ، وقال لها : إلبسيه واحمدي ، وجري منه ذيلا كذيل العروس » . وقال صلى الله عليه وآله : « لاتدخل الجنة عجوز . فبكت العجوز . فقال : إنك لست يومئذ بعجوز » وجاءت امرأة اليه ، وقالت : « إن زوجي يدعوك . فقال صلى الله عليه وآله : زوجك هو الذي بعينه بياض ؟ قالت : والله مابعينه بياض ؟ فقال : بلى ، إن بعينه بياضاً . فقالت : لا والله ؟ فقال : مامن أحد إلا بعينه بياض » .

(١) راجع أخبار المزاح والضحك والتبسم : كتاب (الوسائل) : الباب ٨٠ - ٨٤ من أبواب أحكام العشرة ، والظاهر ان المؤلف لم يرجع الى أخبارنا التي فيها غنى عن النقل عن اناس مجهولين .

وأراد به البياض المحيط بالحدقة . وجاءته امرأة أخرى ، وقالت : « احملني يارسول الله على بعير . فقال : بل نحملك على ابن البعــير . فقالت : ما أصنع به ، انه لايحملني ، فقال صلى الله عليه وآله : هل من بعير إلا وهو ابن بعير ؟ » . وكان صلى الله عليه وآله يدلع لسانه للحسين عليه السلام فيرى لسانه فيهش له . وقال لصهيب - وبه رمد وهو يأكل التمر - : « أتأكل التمر وأنت أرمد ؟ فقال : إنما آكل بالشق الآخر . فتبسم رسول الله حتى بدت نواجذه » . وروي : « أن خوات ابن جبير كان جالساً الى نسوة من بني كعب بطريق مكة ، وكان ذلك قبل اسلامه . فطلع عليه رسول الله صلى الله عليه وآله فقال له : مالك مع النسوة ؟ قال : يفتلن ضفيراً لجمل لي شرود . فمضى رسول الله لحاجته ثم عاد ، فقال : ياأبا عبد الله أما ترك ذلك الجمل الشراد بعد ؟ قال : فسكت واستحييت ، وكنت بعد ذلك استخفى منه حياء ، حتى أسلمت وقدمت المدينة ، فاطلع علي يوماً وأنا أصلي في المسجد ، فجلس الي ، فطولت الصلاة ، فقال : لاتطول فاني انتظرك ، فلما فرغت قال : يا أبا عبد الله ، أما ترك ذلك الجمل الشراد بعد ؟ قلت : والذي بعثك بالحق نبياً ؟ ماشرد منذ أسلمت ! فقال : الله اكبر الله اكبر ، أللهم اهد أبا عبد الله . فحسن اسلامه » . وكان نعيمان الأنصاري ، رجلا مزّاحاً ، فاذا دخل المدينة شيء نفيس من اللباس أو المطاعم اشترى منه ، وجاء به الى رسول الله صلى الله عليه وآله ويقول : هذا أهديته لك . فاذا جاء صاحبه يطالبه بثمنه ، جاء به الى رسول الله صلى الله عليه وآله ، وقال : يارسول الله ، أعطه ثمن متاعه ، فيقول له النبي - صلى الله عليه وآله - : « أو لم تهده لنا ؟ » فيقول : لم يكن عندي والله ثمنه ، وأحببت أن تأكل منه ، فيتبسم رسول الله ويأمر لصاحبه بثمنه وأمثال هذه المطايبات مروية عن رسول الله - صلى الله عليه وآله - وعن الأئمة

- عليهم السلام - وأكثرها منقولة مع النسوان والصبيان ، وكان ذلك معالجة لضعف قلوبهم ، من غير ميل الى هزل ولا كذب ولا باطل ، وكان صدور ذلك عنهم أحياناً وعلى الندرة ، ومثلهم كانوا يقدرون على المزاح مع عدم خروجهم عن الحق والاعتدال ، وأما غيرهم فاذا فتح باب المزاح فربما وقع في الافراط والباطل . فالأولى لأمثالنا تركه مطلقاً .

ومنها :

الغيبة

وهي أن يذكر الغير بما يكرهه لو بلغه . سواء كان ذلك بنقص في بدنه أو في أخلاقه أو في أقواله ، أو في أفعاله المتعلقه بدينه أو دنياه ، بل وإن كان بنقص في ثوبه أو داره أو دابته .

والدليل على هذا التعميم - بعد إجماع الامة على أن من ذكر غيره بما يكرهه إذا سمعه فهو مغتاب - ما روى عن رسول الله - صلى الله عليه وآله - أنه قال : « هل تدري ما الغيبة ؟ » قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : « ذكرك أخاك بما يكره » ، قيل له : أرأيت ان كان في أخي ماأقول ؟ قال : « إن كان فيه ماتقول فقد اغتبته ، وإن لم يكن فيه فقد بهته » . وما روى : « انه ذكر رجل عنده ، فقالوا : ما أعجزه ! فقال - صلى الله عليه وآله - : اغتبتم أخاكم ، قالوا : يارسول الله ، قلنا مافيه . قال : إن قلتم ماليس فيه فقد بهتموه » . وماروى عن عائشة قالت : « دخلت علينا امرأة ، فلما ولت ، أومأت بيدي انها قصيرة ، فقال صلى الله عليه وآله : اغتبتيها » . وما روى انها قالت : « إني قلت لامرأة مرة وأنا عند النبي - صلى الله عليه وآله - : إن هذه لطويلة الذيل . فقال لي : الفظي الفظي ! فلفظت مضغة لحم » . وقد روي : « ان أحد الشيخين قال للاخر : إن

فلاناً لنؤم ، ثم طلبا أدماً من رسول الله ليأكلا به الخبز . فقال : صلى الله عليه وآله ـ : قد ائتدمتما . فقالا : مانعلمه ، فقال : بلى ! إنكما أكلتما من لحم صاحبكما » .

وأما ماروى عن الصادق عليه السلام انه قال : « صفة الغيبة أن تذكر أحداً بما ليس هو عند الله بعيب ويذم مايحمده أهل العلم فيه . وأما الخوض في ذكر الغائب بما هو عند الله مذموم وصاحبه فيه ملوم ، فليس بغيبة ، وإن كره صاحبه إذا سمع به وكنت أنت معافى عنه وخالياً منه . وتكون في ذلك مبيناً للحق من الباطل ببيان الله ورسوله ، ولكن على شرط ألا يكون للقائل بذلك مراد غير بيان الحق والباطل في دين الله عز وجل ، وأما اذا أراد به نقص المذكور بغير ذلك المعنى ، فهو مأخوذ بفساد مراده وان كان صواباً » (١) فهو مخصوص بما اذا لم يكن صاحبه عالماً بقبحه ، أو كان ساتراً على نفسه كارهاً لظهوره . ويدل على ذلك ماروي عنه عليه السلام أيضاً ، أنه سئل عن الغيبة ، فقال : « هو أن تقول لأخيك في دينه مالم يفعل ، وتبث عليه أمراً قد ستره الله عليه لم يقم فيه حد » . وقال عليه السلام : « الغيبة أن تقول في أخيك ماستره الله عليه ، وأما الأمر الظاهر فيه ، مثل الحدة والعجلة ، فلا » . وقال الكاظم عليه السلام « من ذكر رجلا من خلفه بما هو فيه مما عرفه الناس ، لم يغتبه ، ومن ذكره من خلفه بما هو فيه مما لايعرفه الناس ، اغتابه ، ومن ذكره بما ليس فيه فقد بهته » (٢) . ويأتي ان المجاهر بمعصيته غير ساتر لها ، لاغيبة له فيها .

(١) صححنا الحديث على (مصباح الشريعة) : الباب ٤٩ . وقد تقدم الشك في صحة (مصباح الشريعة) في الجزء الأول .

(٢) صححنا الأحاديث الثلاثة على (الوسائل) : كتاب الحج ، أبواب احكام العشرة ، الباب ١٥٤ ، وعلى (اصول الكافي) : باب الغيبة والبهت . وعلى (البحار) =

والحاصل : ان الاجماع والأخبار متطابقان على أن حقيقة الغيبة هو أن يذكر الغير بما يكرهه اذا سمعه ، سواء كان ذلك بنقص في نفسه أو بدنه ، أو في دينه أو دنياه ، أو فيا يتعلق به من الأشياء ، وربما قيل إنه لاغيبة فيا يتعلق بالدين ، لأنه ذم من ذمه الله ورسوله ، فذكره بالمعاصي وذمه جائز . وأيد ذلك بما روى : «أنه ذكر عند رسول الله امرأة وكثرة صومها وصلاتها ولكنها تؤذي جيرانها . فقال : هي في النار» . وذكرت امرأة اخرى بأنها بخيلة ، فقال : «فما خيرها اذن ؟» . ولا ريب في بطلان هذا القول : لما عرفت من عموم الأدلة . وما ورد من ذم الأشخاص المعينة في كلام الله وكلام حججه إنما هو لتعريف الأحكام وتبيينها ، وسؤال الأصحاب عنهم وذكرهم بالمعاصي ، إنما كان لحاجتهم الى معرفة الأحكام لا للذم واظهار العيب ، ولذا لم يكن ذلك إلا في مجلس الرسول ـ صلى الله عليه وآله . أو الأئمة ـ عليهم السلام ـ .

فصل

(لاتنحصر الغيبة باللسان)

اعلم أن الغيبة لاتنحصر باللسان ، بل كل مايفهم نقصان الغير ، ويعرف مايكرهه فهو غيبة ، سواء كان بالقول أو الفعل ، أو التصريح أو التعريض أو بالاشارة والإيماء ، أو بالغمز والرمز ، أو بالكتابة والحركة ، ولا ريب في أن الذكر باللسان غيبة محرمة . لتفهيمه الغير نقصان أخيك وتعريفه بما يكرهه ، لا لكون المفهم والمعرف لساناً ، فكل ماكان مفهماً ومعرفاً فهو مثله .

= ٤ مج١٥/١٨٤ باب الغيبة ، وقال في الموضع المذكورعن الحديث الأول : «الغيبة هو أن تقول» : الضمير للغيبة ، وتذكيره بتأويل الاغتياب أو باعتبار الخبر .

فالغيبة تتحقق باظهار النقص بالفعل والمحاكاة ، كمشية الأعرج ، بل هو أشد من الغيبة باللسان ، لأنه أعظم في التصوير والتفهيم منه ، وبالإيماء والاشارة ، وقد روي : «أنه دخلت امرأة على عائشة ، فلما ولت ، أومأت بيدها أنها قصيرة . فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ قد اغتبتها » .

وبالكتابة ، إذ القلم أحد اللسانين ، وبالتعريض ، كأن يقول : الحمد لله الذي لم يبتلنا بالدخول على الظلمة ، والتبذل في طلب الجاه والمال ، أو يقول : نعوذ بالله من قلة الحياء ، ونسأله أن يعصمنا منه ، معرضاً في كل ذلك بمن ارتكب ذلك ، فيذكره بصيغة الدعاء ، وربما قدم مدح من يريد غيبته ، ثم اتبعه باظهار عيبه ، كأن يقول : لقد كان فلان حسن الحال ، ولكنه ابتلى بما ابتلى به كلنا من سوء الحال ، وهو جمع بين الرياء والغيبة ، ومدح نفسه بالتشبه بالصلحاء في ذم أنفسهم .

ومن المغتابين المنافقين من يظهر في مقام غيبة مسلم الاغتمام والحزن من سوء حاله ، كأن يقول : لقد ساءني ماجرى على صديقنا فلان من الاهانة والاستخفاف ، أو ارتكابه معصية كذا ، فنسأل الله ان يجعله مكرماً أو يصلح حاله ، أو يقول : قد ابتلى ذلك المسكين بآفة عظيمة ، تاب الله علينا وعليه . وهو كاذب في ادعائه الحزن والكآبة ، وفي اظهار الدعاء ، إذ لو اغتم لأغتم باظهار ما يكرهه أيضاً ، ولو قصد الدعاء لأخفاه في خلواته ، فاظهار الحزن والدعاء ناش عن خبث سريرته ، وهو يظن أنه ناش عن صفاء طويته ، هكذا يلعب الشيطان بمن ليس له قوة البصيرة بمكائد اللعين وتلبيساته ، فيسخر بهم ويضحك عليهم ، ويحبط أعمالهم بمكائده ، وهم يحسبون انهم يحسنون صنعاً . رربما ذكر بعض المغتابين عيب مسلم ولم يتنبه له بعض الحاضرين ، فيقول اسماعاً له واعلاماً لما يقوله : « سبحان الله ماأعجب هذا ! » حتى يتوجه اليه ويعلم ما يريد ، فيستعمل اسم الله آلة لتحقيق خبثه .

ثم المستمع للغيبة أحد المغتابين ، كما ورد به الخبر (١) . وقد دل ذلك أيضاً ما تقدم من حديث الشيخين ، وماروى : « أنه صلى الله عليه وآله لما رجم ماعزاً في الزنا ، قال رجل لآخر : هذا أقعص كما يقعص الكلب . فمر النبي صلى الله عليه وآله معهما بجيفة ، فقال : انهشا من هذه الجيفة ، فقالا : يارسول الله تنهش جيفة ! فقال : ماأصبتما من أخيكما أنتن من هذه » . فجمع بينهما ، مع ان أحدهما كان قائلا والآخر مستمعاً .

وهو إما لايسر باستماعهـا ، إلا أنه لا ينكرها باللسان ولا يكرهها بالقلب ، أو يسر ويفرح باستماعها ، إلا أن النفاق والتزهد حملاه على عدم التصديق ، وربما منع منها رياء وتزهداً ، مع كونه مشتهياً لها بقلبه ، وربما توصل بالحيل المرغبة للمغتاب في زيادة الغيبة . مع التباس الأمر عليه بأنه يشتهيها ، مثل أن يظهر التعجب ويقول : عجبت منه ماعلمت أنه كذلك وما عرفته الى الآن إلا بالخير ، وكنت أحسب فيه غير هذا عافانا الله من بلائه . فان ذلك تصديق للمغتاب ، وباعث لزيادة نشاطه في الغيبة ، فكأنه يستخرج منه الغيبة بهذا الطريق .

والحاصل أن المستمع لايخرج عن اثم الغيبة إلا بأن ينكر بلسانه ، أو يقطع الكلام بكلام آخر ، أو يقوم من المجلس ، وإن لم يقدر على شيء من ذلك ، فلينكر بقلبه ، وإن قال بلسانه : اسكت ، وهو يشتهيه بقلبه فذلك نفاق ، ولا يخرجه من الإثم مالم يكرهه بقلبه . ومع عدم الخوف لايكفي أن يشير باليد أو حاجبه أو جبينه ، أي اسكت ، إذ ذلك استحقار للمذكور ، مع أنه ينبغي أن يعظمه فيذب عنه صريحاً . قال

(١) اشارة الى مارواه الشيخ أبو الفتوح الرازي في تفسيره ، عن رسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ أنه قال : «المستمع أحد المغتابين» . والى قول أمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ « السامع للغيبة أحد المغتابين » . (بحار الأنوار) : ٤ مج ١٥ /١٧٩ .

النبي صلى الله عليـه وآله : « من أذل عنده مؤمن وهو يقدر على أن ينتصر له فلم ينصره ، أذله الله يوم القيامة على رؤس الخلائق » . وقال « من رد عن عرض أخيه بالغيب ، كان حقاً على الله ان يرد عن عرضه يوم القيامة » . وقال صلى الله عليه وآله : « من ذب عن عرض أخيه بالغيب ، كان حقاً على الله أن يعتقه من النار » . وقال صلى الله عليـه وآله : « من رد عن عرض أخيه ، كان له حجاباً من النار » . وقال - صلى الله عليه وآله - : « مامن رجل ذكر عنده اخوه المسلم ، وهو يستطيع نصره ولو بكلمة ولم ينصره ، إلا اذله الله عز وجـل فى الدنيا والآخرة . ومن ذكر عنـده اخوه المسلم فنصره ، نصره الله في الدنيا والآخرة » . وقال - صلى الله عليه وآله - : « من حمى عرض أخيـه المسلم في الدنيا ، بعث الله له ملـكا يحميه يوم القيامة من النار » وقال - صلى الله عليه وآله - : « من تطول على أخيه فى غيبته ، سمعها عنه في مجلس فردها ، رد الله عنه الف الف باب من الشر فى الدنيا والآخرة وان لم يردها وهو قادر على ردها، كان عليه كوزر من اغتابه سبعين مرة » وقال الباقر عليه السلام « من اغتيب عنده اخوه المؤمن فنصره واعانه ، نصره الله في الدنيا والآخرة، ومن لم ينصره ولم يدفع عنه وهو يقدر على نصرته وعونه ، إلا خفضه الله في الدنيا والآخرة » . وبهذه المضامين أخبار كثيرة اخر .

فصل

بواعث الغيبـة

اعلم ان باعث الغيبـة - غالباً - إما الغضب أو الحقد أو الحسد ،

فيكون من نتائجها ، ومن رذائل قوة الغضب ، وله بواعث أخر :

الأول - السخرية والاستهزاء : فان ذلك كما يجرى في الحضور يجرى في الغيبة أيضاً ، وقد عرفت ان منشأهما ماذا ؟ .

الثاني - اللعب والهزل والمطايبة : فيذكر غيره بما يضحك الناس عليه على سبيل التعجب والمحاكاة . ويأتى ان باعث الهزل والمزاح ماذا ، وانه متعلق بالقوة الشهوية .

الثالث - ارادة الافتخار والمباهاة : بأن يرفع نفسه بتنقيص غيره ، فيقول : فلان لايعلم شيئاً . وغرضه أن يثبت في ضمن ذلك فضل نفسه وأنه أفضل منه . وظاهر أن منشأ ذلك التكبر أو الحسد ، فيكون ايضاً من رذائل القوة الغضبية .

الرابع - أن ينسب الى شيء من القبائح ، فيريد أن يتبرأ منه بذكر الذي فعله ، وكان اللازم عليه أن يبرىء نفسه منه ، ولا يتعرض للغير الذي فعله ، وقد يذكر غيره بأنه كان مشاركا له في الفعل ، ليتمهد بذلك عذر نفسه فى فعله ، وربما كان منشأ ذلك صغر النفس وخبثها .

الخامس - مرافقة الاقران ومساعدتهم على الكلام ، حذراً عن تنفرهم واستثقالهم إياه لولاه ، فيساعدهم على اظهار عيوب المسلمين وذكر مساويهم ، ظناً منه أنه مجاملة في الصحبة ، فيهلك معهم . وباعث ذلك ايضاً صغر النفس وضعفها .

السادس - أن يستشعر من رجل أنه سيذكر مساويه ، أو يقبح حاله عند محتشم ، أو يشهد عليه بشهادة ، فيبادره قبل ذلك باظهار عداوته ، أو تقبيح حاله ، ليسقط أثر كلامه وشهادته . وربما ذكره بماهو فيه قطعاً ، بحيث ثبت ذلك عند السامعين ليكذب عليه بعده ، فيروج كذبه بالصدق الأول ويستشهد به ويقول : ليس الكذب من عادتي ، فاني اخبرتكم قبل ذلك

من أحواله كذا وكـذا ، فكان كما قلت ، فهذا أيضا صدق كسابقه : وهذا أيضاً منشأه الجبن وضعف النفس .

السابع - الرحمة ، وهو أن يحزن ويغتم بسبب ما ابتـلى به غيره ، فيقول : المسكين فلان قد غمني ما ارتكبه من القبح ، أو ماحدث به من الاهانة والاستخفاف ! فيكون صادقاً في اغتمامـه ، إلا انه لما ذكر اسمه واظهر عيبه صار مغتاباً ، وقد كان له الاغتمام بدون ذكر اسمه وعيبه ممكناً فاوقعه الشيطان فيه ليبطل ثواب حزنه ورحمته .

الثامن - التعجب من صدور المنكر والغضب لله عليه ، بأن يرى منكراً من انسان أو سمعه ، فيقول عند جماعة : ماعجب من فلان أن يتعارف مثل هذا المنكر ! أو يغضب منه ، فيظهر غضبه واسمه ومنكره ، فانه وإن كان صادقا في تعجبه من المنكر وغضبه عليه ، لكن كان اللازم ان يتعجب منه ويغضب عليه ، ولكنه لايظهر اسمه عند من لم يطلع على ماصدر منه المنكر ، بل يظهر غضبه عليه بالنهي عن المنكر والأمر بالمعروف من غير أن يظهره لغيره ، فلما أوقعه الشيطان في ذكره بالسوء صار مغتابا وبطل ثواب تعجبه وغضبه ، وصار آثماً من حيث لايدرى :

وهذه الثلاثة الأخيرة مما يغمض دركها ، لأن اكثر الناس يظنون أن الرحمة والتعجب والغضب اذا كان لله كان عذراً في ذكر الاسم ، وهو خطأ محض ، إذ المرخص في الغيبة حاجات مخصوصة لامندوحة فيها عن ذكر الاسم دون غيرها ، وقد روى : « أن رجلا مر على قوم في عصر النبي - صلى الله عليه وآله - ، فلما جاوزهم ، قال رجل منهم: إني أبغض هـذا الرجل لله ، فقال القوم : والله لبئس ماقلت ! وإنا نخبره بذلك ، فاخبروه به ، فاتى الرجل رسول الله - صلى الله عليـه وآله - وحكى له ما قال ، وسأله أن يدعوه . فدعاه ، وسأله عما قال في حقه

فقال : نعم ! قد قلت ذلك . فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ : ولم تبغضه ؟ فقال : أنا جاره وأنا به خبير ، والله مارأيته يصلي صلاة قط إلا هذه المكتوبة ! فقال : يارسول الله ، فاسأله هل رآني أخرتها عن وقتها أو أسأت الوضوء لها والركوع والسجود ؟ فسأله ، فقال : لا فقال : والله مارأيته يصوم شهراً قط إلا هذا الشهر الذي يصومه كل بر وفاجر ! قال : فاسأله يارسول الله هل رآني افطرت فيه أو نقصت من حقه شيئاً ؟ فسأله ، فقال : لا ! فقال : والله مارأيته يعطي سائلا قط ولا مسكيناً ، ولا رأيته ينفق من ماله شيئاً في سبيل الخير إلا هذه الزكاة التي يؤديها البر والفاجر ! قال : فاسأله هل رآني نقصت منها شيئاً أوما كست فيها طالبها الذي يسألها ؟ فسأله فقال : لا ! فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ للرجل : قم ، فلعله خير منك » . ولا ريب في أن انكار القوم عليه بعد قوله أبغضه لله يفيد عدم جواز اظهار المنكر الصادر من شخص لغيره ، وإن كان في مقام الغضب والبغض لله .

فصل

ذم الغيبة

لما علمت حقيقة الغيبة وبواعثها ، فأعلم أنها أعظم المهلكات وأشد المعاصي ، وقد نص الله سبحانه على ذمها في كتابه ، وشبه صاحبها بآكل لحم الميتة ، فقال :

« وَلاَ تَجَسَّسُوا وَلاَ يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضاً ، أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ

أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ » (١) . وقال : « لاَ يُحِبُّ اللهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلاَّ مَنْ ظُلِمَ وَكَانَ اللهُ سَمِيعاً عَلِيماً » (٢) . وقال : « مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ » (٣) .

وقال رسول الله - صلى الله عليه وآله - : « المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه » . والغيبة تتناول العرض . وقال - صلى الله عليه وآله - : « إياكم والغيبة ، فان الغيبة أشد من الزنا ، فان الرجل قد يزنى ويتوب فيتوب الله عليه ، وإن صاحب الغيبة لايغفر له حتى يغفر له صاحبه » . وقال - صلى الله عليه وآله - : « مررت ليلة أسري بي على قوم يخمشون وجوهم بأظافيرهم ، فقلت : ياجبرئيل ، من هؤلاء ؟ قال الذين يغتابون الناس ، ويقعون في أعراضهم » . وخطب - صلى الله عليه وآله يوماً حتى أسمع العواتق في بيوتها ، فقال : « يامعشر من آمن بلسانه ولم يؤمن بقلبه ! لاتغتابوا المسلمين ، ولا تتبعوا عوراتهم ، فان من تتبع عورة أخيه يتتبع الله عورته حتى يفضحه في جوف بيته » . وخطب صلى الله عليه وآله يوماً فذكر الربا وعظم شأنه ، فقال : « إن الدرهم يصيبه الرجل من الربا أعظم عند الله في الخطيئة من ست وثلاثين زنية يزنيها الرجل ، وإن أربى الربا عرض الرجل المسلم » . ومر - صلى الله عليه وآله - على قبرين يعذب صاحباهما ، فقال : « إنهما ليعذبان في كبيرة ،

(١) الحجرات ، الآية : ١٢ .

(٢) النساء ، الآية : ١٤٧ .

(٣) ق ، الآية : ١٨ .

أما أحدهما فكان يغتاب الناس ، واما الآخر فكان لايستبرى من بوله ، ودعا بجريدة رطبة أو جريدتين فكسرهما ، ثم أمر بكل كسرة فغرست على قبره ، وقال : « أما إنه يهون من عذابهما ماكانتا رطبتين » وروى « أنه - صلى الله عليه وآله - أمر الناس بصوم يوم ، وقال : لايفطرن أحد حتى آذن له . فصام الناس ، حتى اذا أمسوا ، جعل الرجل يجيء فيقول : يارسول الله ، ظللت صائماً فاذن لي لأفطر ، فيأذن له ، والرجل والرجل ، حتى جاء رجل ، فقال : يارسول الله ، فتاتان من أهلي ظلتا صائمتين ، وانهما تستحيان أن تأتياك ، فأذن لهما لتفطرا . فاعرض عنه ثم عاوده فاعرض عنه . ثم عاوده ، فقال : انهما لم تصوما ، وكيف صام من ظل هذا اليوم يأكل لحوم الناس ، أذهب فرهما إن كانتا صائمتين أن تستقيئا . فرجع اليهما ، فاخبرهما ، فاستقاءتا ، فقاءت كل واحدة منهما حلقة من دم . فرجع الى النبي صلى الله عليه وآله فاخبره ، فقال : والذي نفس محمد بيده ! لو بقيتا في بطنيهما لاكلتهما النار » . وأوحى الله تعالى الى موسى عليه السلام : « من مات تائباً من الغيبة فهو آخر من يدخل الجنة ، ومن مات مصراً عليها فهو اول من يدخل النار » . وقال صلى الله عليه وآله : « من مشى في غيبـــة اخيه وكشف عورته كانت أول خطوة خطاها وضعها في جهنم ، فكشف الله عورته على رؤس الخلائق ، ومن اغتاب مسلماً ، بطل صومه ونقض وضوءه ، فان مات وهو كذلك مات وهو مستحل لما حرم الله » . وقال صلى الله عليه وآله : « الغيبة أسرع في دين الرجل المسلم من الاكلة في جوفه » (١) . وقال - صلى الله

(١) الرواية مذكورة في (البحار) : ٤ مج ١٥ / ١٧٧ . قال في الموضع المذكور : « بيان : الاكلة - كفرحة - داء في العضو يأتكل منه ، وقد يقرأ بمد الهمزة على وزن فاعلة ، أي العلة التي تأكل اللحم. والأول أوفق باللغة . وقيل=

عليه وآله - « الجلوس في المسجد انتظاراً للصلاة عبادة ، مالم يحدث »، فقيل : يارسول الله ، وما الحدث ؟ قال : « الاغتياب » . وقال - صلى الله عليه وآله - : « من اغتاب مسلماً أو مسلمة لم يقبل الله صلاته ولا صيامه أربعين يوماً وليلة، إلا أن يغفر له صاحبه » . وقال - صلى الله عليه وآله : « من اغتاب مسلماً في شهر رمضان لم يؤجر على صيامه » وقال - صلى الله عليه وآله - : « من اغتاب مؤمناً بما فيه ، لم يجمع الله بينهما في الجنة أبداً ، ومن اغتاب مؤمناً بما ليس فيه ، انقطعت العصمة بينهما ، وكان المغتاب في النار خالداً فيها وبئس المصير » . وقال - صلى الله عليه وآله - : « كذب من زعم أنه ولد من حلال وهو يأكل لحوم الناس بالغيبة . فاجتنب الغيبة فانها إدام كلاب النار » . وقال - صلى الله عليه وآله - : « ماعمر مجلس بالغيبة إلا خرب بالدين ، فنزهوا أسماعكم من من استماع الغيبة ، فان القائل والمستمع لها شريكان في الاثم » . وقال - صلى الله عليه وآله - : « ما النار في التبن بأسرع من الغيبة في حسنة العبد » (١) وقال الصادق عليه السلام : « من قال في مؤمن مارأته عيناه وسمعته اذناه ، فهو من الذين قال الله عز وجل : (إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم) » . وقال عليه السلام : « من روى على مؤمن رواية يريد بها شينه وهدم مروته ليسقط من أعين

= الاكلة - بالضم - اللقمة، وكلاهما محتملان الى ان ذكر الجوف يؤيد الأول وارادة الاضافة والاذهاب يؤيد الثاني والأول أقرب وأصوب ، وتشبيه الغيبة بأكل اللقمة أنسب ، لأن الله سبحانه شبهها بأكل اللحم » .

(١) صححنا الأحاديث هنا على (الوسائل) : كتاب الحج ، ابواب احكام العشرة ، الباب ١٥٢ . وعلى (البحار) : ٤ مج ١٥ / ١٧٧ : وعلى (المستدك) : ٢ / ١٠٦ وعلى (احياء العلوم) : ٣ / ١٢٣ .

الناس ، اخرجه الله من ولايته الى ولاية الشيطان ، فلا يقبله الشيطان ».
وقال عليه السلام : « من اغتاب أخاه المؤمن من غير ترة بينهما فهو شرك شيطان » (١) . وقال عليه السلام : « الغيبة حرام على كل مسلم ، وانها لتأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب » .

والأخبار الواردة في ذم الغيبة مما لايكاد يمكن حصرها ، وماذكرناه كاف لايقاظ الطالبين . والعقل أيضاً حاكم بأنها أخبث الرذائل ، وقد كان السلف لايرون العبادة في الصوم والصلاة ، بل في الكف عن اعراض الناس ، لأنه كان عندهم أفضل الأعمال ، ويرون خلافه صفة المنافقين ، ويعتقدون أن الوصول الى المراتب العالية في الجنة يتوقف على ترك الغيبة ، لما ورد عن رسول الله - صلى الله عليه وآله - أنه قال : « من حسنت صلاته وكثرت عياله ، وقل ماله ، ولم يغتب المسلمين ، كان معي في الجنة كهاتين » وما أقبح بالرجل المسلم أن يغفل عن عيوب نفسه ، ويتجسس على عيوب اخوانه ، ويظهرها بين الناس ، فما باله يبصر القذى في عين أخيه ، ولا يبصر الجذع في عين نفسه .

فياحبيبي ، اذا أردت أن تذكر عيوب غيرك ، فاذكر عيوبك ، وتيقن بأنك لن تصيب حقيقة الإيمان ، حتى لاتعيب الناس بعيب هو فيك ، وحتى تبدأ باصلاح ذلك العيب . واذا كان شغلك اصلاح عيوب نفسك ، كان شغلك في خاصة نفسك ، ولم تكن لك فرصة للاشتغال بغيرك ، وحينئذ كنت من أحب العباد الى الله ، لقول النبي - صلى الله عليه وآله - : « طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس ! » . واعلم أن عجز غيرك في الاجتناب عن ذلك العيب وصعوبة ازالته عليه كعجزك عن الاجتناب عنه إن كان ذلك

(١) صححنا الأحاديث الثلاثة على (الوسائل) في الموضع المتقدم . وعلى (اصول الكافي) باب الغيبة والبهت . وعلى (المستدرك) .

العيب فعلا اختيارياً ، وإن كان أمراً خلقياً ، فالذم له ذم للخالق تعالى . فإن من ذم صنعة فقد ذم صانعها . قيل لبعض الحكماء : ياقبيح الوجه ! فقال : « ماكان خلق وجهي إلي فاحسنه » . ولو فرض براءتك عن جميع العيوب ، فلتشكر الله ، ولا تلوث نفسك بأعظم العيوب . إذا أكل لحوم الميتات أشد العيوب وأقبحها ، مع انك لو ظننت خلوك عن جميع العيوب لكنت أجهل الناس ، ولا عيب أعظم من مثل هذا الجهل .

ثم ينبغي أن يعلم المغتاب ان الغيبة تحبط حسناته وتزيد في سيئاته . لما ثبت من الأخبار الكثيرة : ان الغيبة تنقل حسنات المغتاب يوم القيامة الى من اغتابه ، وان لم تكن له حسنة نقل اليه من سيئاته . قال رسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ : « يؤتى أحدكم يوم القيامة ، فيوقف بين يدي الله تعالى ويدفع اليه كتابه ، فلا يرى حسناته ، فيقول : إلهي ليس هذا كتابي ، فإني لا أرى فيه طاعتي ، فيقول له : إن ربك لايضل ولا ينسى ، ذهب عملك باغتياب الناس . ثم يؤتى بآخر ويدفع اليه كتابه ، فيرى فيه طاعات كثيرة ، فيقول : إلهي ماهذا كتابي ، فإني ماعملت هذه الطاعات ، فيقول له : إن فلاناً إغتابك فدفعت حسناته اليك » . وفي معناه أخبار اخر : ولا ريب في أن العبد يدخل النار بأن تترجح كفة سيئاته ، وربما تنقل اليه سيئة واحدة مما اغتاب به مسلماً ، فيحصل به الرجحان ويدخل لأجله النار . وأقل مافي الباب أن ينقص من ثواب صالحات أعماله ، وذلك بعد المخاصمة والمطالبة والسؤال والجواب والمناقشة في الحساب . وروى عن بعضهم : « أن رجلاً قيل له : ان فلاناً قد اغتابك ، فبعث اليه طبقاً من الرطب ، وقال : بلغني أنك قد أهديت الي من حسناتك ، فأردت أن أكافيك عليها فاعذرني ، فاني لا أقدر أن أكافيك على التمام » .

والحاصل : أن العاقل ينبغي أن يتـأمل في أن من يغتابه ان كان

صديقاً ومحباً له ، فاظهار عيوبه وعثراته بعيد عن المروة والانصاف ، وان كان عدواً له ، فتحمل خطاياه ومعاصيه ونقل حسناته الى ديوانه غاية الحماقة والجهل .

فصل

(علاج الغيبة)

الطريق في علاج الغيبة وتركها ، أن يتذكر أولا ماتقدم من مفاسدها الاخروية ، ثم يتذكر مفاسدها في الدنيا ، فإنه قد تصل الغيبة الى من اغتيب ، فتصير منشأ لعداوته أو لزيادة عداوته ، فيتعرض لايذاء المغتاب واهانته ، وربما انجر الأمر بينهما الى مالا يمكن تداركه من الضرب والقتل وأمثال ذلك . ثم يتذكر فوائد أضدادها - كما نشير اليها - ، وبعد ذلك فليراقب لسانه ، ويقدم التروي في كل كلام يريد أن يتكلم به ، فان تضمن غيبة سكت عنه ، وكلف نفسه ذلك على الاستمرار ، حتى يرتفع عن نفسه الميل الجلي والخفي الى الغيبة .

والعمدة في العلاج أن يقطع أسبابها المذكورة ، وقد تقدم علاج الغضب والحقد والحسد والاستهزاء والسخريه ، ويأتي طريق العلاج في الهزل والمطايبة والافتخار والمباهاة . وأما تنزيه النفس بنسبة مانسب اليه من الجناية الى الغير ، فمعالجته أن يعلم أن التعرض لمقت الخالق أشد من التعرض لمقت المخلوق ، ومن اغتاب تعرض لمقت الله وسخطه قطعاً ، ولا يدري أنه يتخلص من سخط الناس أم لا ، فيحصل بعمله ذم الله وسخطه تقديراً ، وينتظر دفع ذم الناس نسيئة ، وهذا غاية الجهل والخذلان . وأما تعرضه لمشاركة الغير في الفعل تمهيداً لعذر نفسه ، كأن يقول إني أكلت الحرام ، لأن فلاناً أيضاً أكل ، وقبلت مال السلطان ، لأن فلاناً

أيضاً قبل ، مع أنه أعلم مني ، فلا ريب في أنه جهل وسفه ، لأنه اعتذر بالاقتداء بمن لايجوز الاقتداء به . فان من خالف الله لايقتدى به كائناً من كان ، فلو دخل غيره النار وهو يقدر على عدم الدخول فهل يقتدى به في الدخول ، ولو دخل عد سفياً أحمق ، ففعله معصية ، وعذره غبية وغباوة ، فجمع بين المعصيتين والحماقة ، ومثله كمثل الشاة ، اذا نظرت الى العنز تردى نفسها من الجبل فهي أيضاً تردي نفسها ، ولو كان لها لسان ناطق واعتذرت عن فعلها بأن العنز اكيس مني وقد اهلكت نفسها فكذلك فعلت أنا ، لكان هذا المغتاب المعتذر يضحك عليها ، مع أن حاله مثل حالها ولا يضحك على نفسه .

والعجب أن بعض الأشقياء من العوام ، لما صارت قلوبهم عش الشيطان وصرفوا أعمارهم في المعاصي ، واشتغلت ذممهم بمظالم الناس بحيث لايرجى لهم الخلاص ، مالت نفوسهم الخبيثة الى الا يكون معاد وحساب وحشر وعقاب ، ولما وجد ذلك الميل منهم اللعين ، خرج من الكمين ، ووسوس في صدورهم بأنواع الشكوك والشبهات ، حتى ضعف بها عقائدهم أو افسدها ، ودعاهم في مقام الاعتذار عن أعمالهم الخبيثة ألا يصرحوا بما ارتكز في قلوبهم ويشتهونه ، خوفاً من القتل واجراء أحكام الكفار عليهم ولم يدعهم أيضاً تلبيسهم وتزويرهم وغلبة الشيطنة عليهم أن يعترفوا بالنقص وسوء الحال فحملهم الشيطان باغوائه على أن يعتذروا من سوء فعالهم بأن بعض العلماء يفعلون مانفعل ولا يجتنبون عن مثل أعمالنا ، من طلب الرئاسة وأخذ الأموال المحرمة ، ولم يدروا أن هذا القول ناش من جهلهم وخباثتهم .

إذ تقول لهم : إن فعل هذا البعض إن صار منشأ لزوال ايمانكم بالمعاد والحساب ، فأنتم كافرون ، وباعث أعمالكم الخبيثة هو الكفر وعدم الاذعان بأحوال النشأة الآخرة . وإن لم يصر منشأ له ، بل ايمانكم ثابت ،

فالازم عليكم العمل بمقتضاه ، من غير تزلزل بعمل الغير كائناً من كان . فما الحجة في عمل هذا البعض ، مع اعتقادكم بأنه على باطل ؟ ! .

وأيضاً لو كان باعث أعمالكم الخبيثة فعل العلماء ، فلم اقتديتم بهذا البعض مع عدم كونه من علماء الآخرة وعدم اطلاعه على حقيقة العلم ؟ ولو كنتم صادقين فيما تنسبون اليه ، فهو المتأكل بعلمه ، وانما حصل نبذا من علوم الدنيا ليتوسل بها الى حطامها ، ولا يعد مثله عند أولي الألباب عالماً ، بل هو متشبه بالعلماء . ولم ما اقتديتم بعلماء الآخرة المتخلفين بشراشرهم عن الدنيا وحطامها ؟ وانكار وجود مثلهم ، والقدح في الكل مع كثرتهم في أقطار الأرض غاية اللجاج والعناد . ولو سلمنا منكم ذلك ، فلم ما اقتديتم بطوائف الأنبياء والأوصياء ، مع أنهم أعلم الناس باتفاق الكل ، وحقيقة العلم ليس إلا عنـــدهم ؟ فان أنكروا أعلميتهم وعصمتهم من المعاصي ، واحتملوا كونهم أمثالا لهم ، ظهر ما في بواطنهم من الكفر الخفي .

وأما موافقة الاقران ، فعلاجه أن يتذكر ان الله يسخط عليه ويبغضه اذا اختار رضا المخلوقين على رضاه ، وكيف يرضى المؤمن ان يترك رضا ربه لرضا بعض أراذل الناس ؟ وهل هذا إلا كونه تعالى أهون عنده منهم ؟ وهو ينافي الايمان .

وأما استشعاره من رجل انه يقبح عند محتشم حاله أو يشهد عليه بشهادة فيبادره بالغيبة اسقاطاً لأثر كلامه ، فعلاجه أن يعلم : (أولا) ان مجرد الاستشعار لايستلزم الوقوع ، فلعله لايقبح حاله ولا يشهد عليه ، فالمواخذة بمحض التوهم تنافي الديانة والايمان . و (ثانياً) ان اقتضاء قوله سقوط أثر كلام من اغتابه في حقه بمجرد توهم ، والتعرض لمقت الله يقيناً بمجرد توهم ترتب فائدة دنيويه عليه محض الجهل والحماقة . و (ثالثاً) أن تأدي فعل الغير - أعني تقبيح حاله عند محتشم مع فرض وقوعه - الى اضراره في حيز

الشك ، إذ ربما لم يقبله المحتشم ، وربما لم تقبل شهادته شرعاً ، فتقبيح حاله وتحمل معاصيه بدون الجزم بصيرورته سبباً لايذائه عض الجهل والخذلان .

وأما الرحمة له على اثمه والتعجب منه والغضب لله عليه ، وان كان كل منها حسناً ، الا أنه اذا لم تكن معه غيبة ، وأما اذا كانت معه غيبة أحبط أجره وبقي اثمها ، فالعلاج ان يتأمل باعث الرحمة والتعجب والغضب هو الايمان وحماية الدين ، واذا كان معها غيبة أضرت بالدين والايمان ، وليس شيء من الامور الثلاث ملزوماً للغيبة لإمكان تحققه بدونها ، فمقتضى الايمان وحماية الدين أن يترحم ويتعجب ويغضب لله ، مع ترك الغيبة واظهار الاثم والعيب ، ليكون مأجوراً غير آثم .

فصل

(مسوغات الغيبة)

لما عرفت ان الغيبة ذكر الغير بما يكرهه لو سمعه ، فاعلم ان ذلك انما يحرم اذا قصد به هتك عرضه ، والتفكه به ، أو اضحاك الناس منه . واما اذا كان ذلك لغرض صحيح لايمكن التوصل اليه إلا به . فلا يحرم ، والاغراض الصحيحة المرخصة له امور .

الأول — التظلم عند من له رتبة الحكم واحقاق الحقوق ، كالقضاة والمفتين والسلاطين ، فان نسبة الظلم والسوء الى الغير عندهم لاستيفاء الحق جائز ، لقول النبي صلى الله عليه وآله : « لصاحب الحق مقال » ، وقوله صلى الله عليه وآله « ليّ الواجد يحل عرضه وعقوبته » وعدم انكاره صلى الله عليه وآله على قول هند بحضرته : إن أبا سفيان رجل شحيح لايعطيني مايكفيني اياي وولدي ، أفآخذ من غير علمه ؟ وقوله — صلى الله عليه وآله —

لها : « خذي مايكفيك وولدك بالمعروف » .

الثاني — الاستعانة على رفع المنكر ورد العاصي الى الصلاح ، وانما يستباح بها ذكر مساءته بالقصد الصحيح لابدونه .

الثالث — نصح المستشير في التزويج ، وايداع الامانة ، وامثالهما . كذلك جرح الشاهد والمفتي والقاضى اذا سئل عنهم ، فله ان يذكر مايعرفه من عدم العدالة والأهلية للافتاء والقضاء ، بشرط صحة القصد وارادة الهداية وعدم باعث حسد أو تلبيس من الشيطان ، وكذلك توقي المسلمين من الشر والضرر أو سرايه الفسق والبدعة ، فإن من رأى عالماً أو غيره من المؤمنين يتردد الى ذي شر أو فاسق أو مبتدع ، وخاف أن يتضرر ويتعدى اليه الفسق والبدعة بمصاحبته . يجوز له أن يكشف له مايعرفه من شره وفسقه وبدعته . بشرط كون الباعث مجرد خوف وصول الشر والفساد أو سراية الفسق والبدعة اليه . قال رسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ : « أترعوون عن ذكر الفاجر حتى لايعرفه الناس ؟ اذكروه بما فيه يحذره الناس » . ومن جملة مايدخل في تحذير المسلمين وتوقيهم من الشر والضرر ، اظهار عيب يعلمه في مبيع ، وان كرهه البايع ، حفظاً للمشتري من الضرر . مثل أن يشتري عبداً ، وقد عرفه بالسرقة أو الفسق أو عيب آخر ، أو فرساً ، وقد عرفه بكونه مال الغير ، فله أن يظهر ذلك ، لاستلزام سكوته ضرراً على المشتري .

الرابع — رد من ادعى نسباً ليس له .

الخامس — القدح في مقالة أو دعوى باطلة في الدين .

السابع — ضرورة التعريف ، فانه اذا كان أحد معروفاً بلقب يعرب عن عيب ، وتوقف تعريفه عليه ، ولم يكن اثم في ذكره ، بشرط عدم امكان التعريف بعبارة اخرى ، لفعل الرواة والعلماء في الاعصار والامصار

فالهم يقولون : روى الأعمش والأعرج وغير ذلك ، لأن الغالب صيرورته بحيث لايكرهه صاحبه .

الثامن — كون المقول فيه مستحقاً للاستخفاف ، لتظاهره وتجاهره بفسق ، كالظلم والزنا وشرب الخمر وغير ذلك ، بشرط عدم التعدى عما يتظاهر به ، اذ لو ذكره بغير مايتظاهر به لكان اثماً ، وأما اذا ذكر منه مجرد مايتجاهر به فلا اثم عليه ، اذ صاحبه لايستنكف من ذكره ، وربما يتفاخر به ويقصد اظهاره . ومع قطع النظر عن ذلك ، فالأخبار دالة عليه ، كما تقدم جملة منها . وقال رسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ : « من القى جلباب الحياء من وجهه فلا غيبة له » . وقال ـ صلى الله عليه وآله ـ : « ليس لفاسق غيبة » .

والظاهر أن ذكر مايتجاهر به من العيوب ليس غيبة ، لاشرعاً ولا لغة ، لا انه غيبة استثنى جوازها شرعاً ، قال الجوهرى : « الغيبة أن يتكلم خلف انسان مستور بما يغمه لو سمعه ، فان كان صدقاً سمى غيبة وإن كان كذبا سمى بهتاناً » .

هذا وقد صرح جماعة بجواز الغيبة في موضعين آخرين : أحدهما : أن يكون اثنان أو اكثر مطلعين على عيب رجل ، فيقع تحاكيه بينهم من غير أن يظهروه لغيرهم ممن لم يطلع عليه ، وفي بعض الأخبار المتقدمة دلالة على جوازه ، كما لايخفى . وثانيهما : أن يكون متعلقها ـ اعني المقول فيه ـ غير محصور ، كأن يقال : « قال قوم كذا ، أو أهل البلد الفلاني كذا » . ومثله إذا قال : « بعض الناس يقول أو يفعل كذا ، أو من مر بنا اليوم شأنه كذا » ، اذا لم يتعين البعض والمار عند المخاطب ، ولو انتقل الى شخص معين لقيام بعض القرائن ، كانت غيبة محرمة ، وكذا لو قال : « بعض من قدم من السفر ، أو بعض من يدعى العلم » ، إن

كان معه قرينة يفهم عين الشخص فهو غيبة وإلا فلا . وكذا ذكر مصنف في كتابه فاضلا معيناً ، وتهجين كلامه بلا اقتران شيء من الاعذار المحوجة الى ذكره غيبة ، وأما لو ذكره بدون تعيينه ، كأن يقول : « ومن الفضلاء من صدر عنه في المقام هفوة أوعثرة » ، فليس غيبة . ثم السر في اشتراط الغيبة بكونه تعريضاً لشخص معين ، وعدم كون التعرض بالمبهم وغير المحصور غيبة ، عدم حصول الكراهة مع الابهام وعدم الانحصار ، كما لايخفى . وربما كان في بعض الأخبار أيضا اشعار به ، وقد كان رسول الله - صلى الله عليه وآله - اذا كره من انسان شيئاً يقول : « ما بال أقوام يفعلون كذا وكذا » من دون تعيين للفاعل .



كفارة الغيبة

كفارة الغيبة - بعد التوبة والندم للخروج عن حق الله - أن يخرج من حق من اغتابه . وطريق الخروج من حقه ، إن كان ميتا أو غائبا لم يمكن الوصول اليه ، أن يكثر له من الاستغفار والدعاء ، ليحسب ذلك يوم القيامة من حسناته ويقابل بها سيئة الغيبة ، وإن حياً يمكن الوصول اليه ولم تبلغ اليه الغيبة ، وكان في بلوغها اليه مظنة العداوة والفتنة ، فليكثر له أيضا من الدعاء والاستغفار ، من دون ان يخبره بها ، وإن بلغت اليه أو لم تبلغه ، ولم يكن في بلوغها ظن الفتنة والعداوة ، فليستحله متعذراً متأسفاً مبالغاً في الثناء عليه والتودد اليه ، وليواظب على ذلك حتى يطيب قلبه ويحله فان لم يطب قلبه من ذلك ولم يحله ، كان اعتذاره وتودده حسنة يقابل بها سيئة الغيبة في القيامة .

والدليل على هذا التفصيل قول الصادق عليه السلام: « وإن اغتبت فبلغ المغتاب ، فاستحل منه ، فان لم تبلغه لم تلحقه ، فاستغفر الله » (١) وذلك لأن في الاستحلال مع عدم البلوغ اليه إثارة للفتنة وجلب الضغائن وفي حكم من لم يبلغه من لم يقدر على الوصول اليه بموت أوغيبة ، وعلى هذا فقول النبي - صلى الله عليه وآله - : « كفارة من اغتبته أن تستغفر له » ، محمول على صورة عدم امكان الوصول اليه ، أو إمكانه مع ايجاب الاعلام والاستحلال لإثارة الفتنة والعداوة . وقوله - صلى الله عليه وآله -: « من كانت لأخيه عنـــده مظلمة في عرض أو مال ، فليتحللها منه من قبل أن يأتي يوم ليس هناك دينار ولا درهم ، إنما يؤخذ من حسناته ، فان لم تكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فزيدت على سيئاته » ، محمول على صورة البلوغ ، مع عدم ايجاب الاعلام والاستحلال فتنة وعداوة.



البهتان

قد ظهر مما تقدم أن البهتان أن تقول في مسلم مايكرهه ولم يكن فيه ، فان كان ذلك في غيبته كان كذبا وغيبة ، وإن كان بحضوره كان أشد انواع الكذب . وعلى اى تقدير ، فهو أشد إثماً من الغيبة والكذب قال الله سبحانه :

« وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْماً ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئاً فَقَدْ

---

(١) هذا جزء من الحديث المتقدم عن مصباح (الشريعة) : ٢٨٩ ، الباب ٤٩ فصححناه عليه .

أَحتَمَلَ بُهْتَاناً وَإِثْماً مُبِيناً »(١) .

وقال رسول الله - صلى الله عليه وآله - : « من بهت مؤمناً أو مؤمنة ، أو قال فيه ماليس فيه ، أقامه الله على تل من نار ، حتى يخرج مما قاله فيه » . وقال الصادق عليه السلام : « من بهت مؤمناً أو مؤمنة بما ليس فيه ، بعثه الله عز وجل في طينة خبال ، حتى يخرج مما قال » قلت : وما طينة خبال ؟ قال : « صديد يخرج من فروج المومسات »(٢) ثم ماورد في ذم اللسان وكونه شر الاعضاء ومنبع أكثر المعاصي - كما يأتي في موضعه - يدل على ذم الغيبة والبهتان ، كما يدل على ذم جميع آفات اللسان مما تقدم : من الفحش ، واللعن ، والطعن ، والسخرية ، وغير ذلك ، وما يأتي : من الكذب ، والمزاح ، والخوض في الباطل . وفضول الكلام ، وغير ذلك .

وصل
المدح ومواضع حسنه وقبحه

الغيبة لما كانت راجعة الى الذم ، فضدها المدح ودفع الذم ، والبهتان لما كان كذبا ، فضده الصدق . وكما أن لكل واحدة من آفات اللسان مما مر ومما يأتي ضداً خاصاً ، فكذلك لجميعها ضد واحد عام هو الصمت - كما اشير اليه فيما سبق أيضاً وضد البهتان - أعني الصدق - يأتي في

---

(١) النساء ، الآية : ١١١ .

(٢) صححنا الاحاديث كلها على (اصول الكافي) : باب الغيبة والبهتان . وعلى (الوسائل) : كتاب الحج ، باب تحريم البهتان في المؤمن : وعلى (المستدرك): ١٠٧ ، كتاب الحج ، باب تحريم البهتان للمؤمن.

مقام بيان الكذب . وأما الضد العام للكل ، فقد يأتي في موضعه مع مايدل بعمومه على ذم جميع آفات اللسان ، فهنا نشير الى بيان المدح وما يحمد منه ، حتى يكون ضداً لها وفضيلة للقوة الغضبية أو الشهوية ، وما يذم منه حتى يكون رذيلة لاحدهما ، فنقول :

لاريب في أن مدح المؤمن في غيبته وحضوره ممدوح مندوب اليه لكونه ادخالا للسرور عليه ، وقد علم مدحه وثوابه ، ولما ورد من أن رسول الله - صلى الله عليه وآله - أثنى على أصحابه ، وأنه قال لجماعة - لما اثنوا على بعض الموتى - : « وجبت لكم الجنة ، وانتم شهداء الله في الأرض» ولما ورد من « أن لبني آدم جلساء من الملائكة، فاذا ذكر أحد أخاه المسلم بخير ، قالت الملائكة : ولك مثله ، واذا ذكره بسوء ، قالت الملائكة : ياابن آدم المستور عورته ، اربع على نفسك! واحمد الله إذ ستر عورتك» ولكنه ليس راجحاً مندوباً على الإطلاق ، بل اذا سلم من آفاته ، وهي أن يكون صدقا لايفرط المادح فيه ، بحيث ينتهي الى الكذب ، وألا يكون المادح فيه مرائياً منافقاً ، بأن يكون غرضه اظهار الحب مع عدم كونه محباً في الواقع سواء كان صادقاً فيما ينسبه اليه من المدح أم لا ، وألا يمدح الظالم والفاسق وإن كان صادقاً فيما يقول في حقه ، لأنه يفرح بمدحه وادخال الفرح على الظالم أو الفاسق غير جائز ، قال رسول الله صلى الله عليه وآله : « إن الله ليغضب اذا مدح الفاسق » . فالظالم الفاسق ينبغي أن يذم ليغتم ، ولا يمدح ليفرح ، وألا يقول مالا يتحققه ولا سبيل له الى الاطلاع عليه .

وهذه الآفة إنما تتطرق فى المدح بالأوصاف المطلقة والخفية ، كقولك إنه تقي ورع زاهد خير ، أو قولك : إنه عدل رضى ، وأمثال ذلك ،

لتوقف الصدق في ذلك على قيام الأدلة والخبرة الباطنة ، وتحققها في غاية الندرة . فالغالب أن المدح بامثال ذلك يكون من غير تحقق وتثبت ، وألا يحدث في الممدوح كبراً أو اعجاباً يوجبان هلاكه ، ولا رضى عن نفسه يوجب فتوره عن العمل ، إذ من اطلقت الألسنة بالثناء عليه يرضى عن نفسه ، ويظن أنه قد أدرك ، وهذا يوجب فتوره عن العمل ، إذ المتشمر له إنما هو من يرى نفسه مقصراً ، ولذلك قال رسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ : لرجل مدح بحضرته رجلا آخر : « ويحك ! قطعت عنق صاحبك ، لو سمعها ما أفلح » وقال ـ صلى الله عليه وآله ـ : « اذا مدحت أخاك في وجهه ، فكأنما أمررت على حلقه الموسى » وقال أيضا لمن مدح رجلا : « عقرت الرجل عقرك الله ! » . وقال ـ صلى الله عليه وآله ـ : « لو مشى رجل الى رجل بسكين مرهف ، كان خيراً له من أن يثنى عليه في وجهه » .

والسر في هذه الأخبار : أن المدح يوجب الفتور عن العمل ، أو الكبر أو العجب ، وهو مهلك ، كقطع العنق والعقر وامرار الموسى أو السكين على الحلق ، فان سلم المدح عن الآفات المذكورة المتعلقة بالمادح والممدوح كان ممدوحاً ، وإلا كان مذموماً . وبذلك يحصل الجمع بين ماورد في مدحه ـ كما تقدم ـ وما ورد في ذمه .

فاللازم على المادح أن يحترز عما تقدم من الآفات المتعلقة به ، وعلى الممدوح أن يحترز من آفة الكبر والعجب والفتور والرياء ، بأن يعرف نفسه ويتذكر خطر الخاتمة ، ولا يغفل عن دقائق الرياء ، ويظهر كراهة المدح ، واليه الاشارة بقوله ـ صلى الله عليه وآله ـ : « احثوا التراب في وجوه المداحين » . وبالجملة : اللازم على الممدوح ألا يتفاوت حاله بالمدح ، وهذا فرع معرفة نفسه ، وتذكر مالا يعرفه المادح من عثراته

وينبغي أن يظهر أنه ليس كما عرفوه ، قال بعض الصالحين لما اثنى عليه « اللهم إن هؤلاء لايعرفوني وانت تعرفني » . وقال أمـير المؤمنين عليه السلام لما أثنى عليـه : « اللهم اغفر لى مالا يعلمون ، ولا تؤاخذنى بما يقولون ، واجعلني خيراً مما يظنون » .

ثم الظاهر عدم المؤاخذة والأثم بالانبساط والارتياح بالمدح ، لكون النفوس مجبولة على الفرح والسرور بنسبة الكمال اليها ، ولكن بشرط أن يكره من نفسه ذلك الارتياح ، ويقهر نفسه ويعاتبها على ذلك ، ويجتهد في ازالة ذلك عنها ، إذ مقتضى العقل الفرح بوجود الكمال فيه لابنسبته اليه ، فما ينسب اليه منه إن كان موجوداً فيه ، فينبغي أن يكون فرحه به لابنسبته اليه ، إذ الانبساط بتصريح رجل بأنك صاحب هذا الكمال حمق وصفه . وإن لم يكن موجوداً فيـه ، فاللازم أن يحزن ويغضب ، لكونه استهزاء لامدحاً . والحاصل : أن العاقل ينبغي ألا يسر بمدح الغير ولا يحزن بذمه ، إذ من ملك ياقوتة شريفة حمراء أى ضرر عليه إذا قال رجل إنها خرزة ، وإذا ملك خرزة أى فائدة له اذا قال انها ياقوتة :

ومنها :

الكذب

وهو اما في القول ، أى الإخبار عن الأشياء على خلاف ماهي عليه وصدوره إما عن العداوة أو الحسد أو الغضب ، فيكون من رذائل قوة الغضب ، أو من حب المال والطمع ، أو الاعتياد الحاصل من مخالطة أهل الكذب ، فيكون من رذائل قوة الشهوة .

أو في النيـة والارادة ، وهو عدم تمحيضها بالله ، بألا يكون الله

سبحانه بانفراده باعث طاعاته وحركاته ، بل يمازجه شيء من حظوظ النفس : وهذا يرجع الى الرياء ، ويأتي كونه من رذائل أيّ قوة .

وإما في العزم ، أي الجزم على الخير ، وذلك بأن يعزم على شيء من الخيرات والقربات ، ويكون في عزمه نوع ميل وضعف وتردد يضاد الصدق في العزيمة ، وهذا ايضاً من رداءة قوة الشهوة .

وإما في الوفاء بالعزم ، فان النفس قد تسخو بالعزم في الحال ، لعدم مشقة في الوعد ، فاذا حقت الحقائق ، وحصل التمكن ، وهاجت الشهوات ، انحلت العزيمة ، ولم يتفق الوفاء بالعزم ، وهذا ايضا من رذائل قوة الشهوة ومن انواع الشره .

وإما في الأعمال ، وهو ان تدل اعماله الظاهرة على أمر في باطنه لايتصف هو به ، أي لايكون باطنه مثل ظاهره ولا خيراً منه . وهذا غير الرياء ، لأن المرائي هو الذي يقصد غير الله تعالى في أعماله ، ورب واقف على هيئة الخشوع في صلاته ليس يقصد به مشاهدة غيره سبحانه ولكن قلبه غافل عن الله وعن الصلاة ، فمن نظر الى مايصدر عن ظاهره من الخشوع والاستكانة ، يظن انه بشراشره منقطع الى جناب ربه ، وحذف ماسواه عن صحيفة قلبه ، وهو بكليته عنه تعالى غافل ، والى أمر من امور الدنيا متوجه . وكذلك قد يمشي الرجل على هيئة الطمأنينة والوقار ، بحيث من يراه يجزم بأنه صاحب السكينة والوقار ، مع ان باطنه ليس موصوفاً بذلك . فمثل ذلك كاذب في عمله ، وان لم يكن مرائياً ملتفتاً الى الخلق ، ولا نجاة من هذا الكذب إلا باستواء السريرة والعلانية ، أو كون الباطن أحسن من الظاهر . وهذا القسم من الكذب ربما كان من رذائل قوة الشهوة ، وربما كان من رذائل قوة الغضب ، وربما كان من رداءة القوة المدركة ، بأن كان باعثه مجرد الوساوس .

وأما في مقامات الدين ، كالكذب في الخوف والرجاء ، والزهد والتقوى ، والحب والتعظيم ، والتوكل والتسليم ، وغير ذلك من الفضائل الخلقية ، فان لها مبادىء يطلق الاسم بظهورها ، ثم لها حقائق ولوازم وغايات والصادق المحقق من نال حقائقها ولوازمها وغاياتها ، فمن لم يبلغها كان كاذباً فيها . مثلا الخوف من الله تعالى له مبدأ هو الايمان به سبحانه وحقيقة هو تألم الباطن واحتراقه ، ولوازم وآثار هي اصفرار اللون وارتعاد الفرائص وتكدر العيش وتقسم الفكر وغير ذلك ، وغايات هي الاجتناب عن المعاصي والسيئات والمواظبة على الطاعات والعبادات ، فمن آمن بالله تعالى صدق عليه كونه خائفاً منه خوفاً يطلق عليه الاسم ، إلا أنه إن لم تكن معه حرقة القلب وتكدر العيش والتشمر للعمل كان خوفاً كاذباً ، وإن كان معه ذلك كان خوفاً صادقاً ، أي بالغاً درجة الحقيقة ، قال أمير المؤمنين ـ صلوات الله عليه ـ : « إياكم والكذب ، فان كل راج طالب ، وكل خائف هارب » (١) : أي لاتكذبوا في ادعائكم الرجاء والخوف من الله ، وذلك لأن كل راج طالب لما يرجو ، ساع في أسبابه ، وأنتم لستم كذلك ، وكل خائف هارب مما يخاف منه ، مجتنب مما يقربه منه ، وأنتم لستم كذلك ، وهذا مثل قوله عليه السلام في نهج البلاغة : « كذب والله العظيم مابإله لايتبين رجاءه في عمله ! وكل من رجا عرف رجاؤه إلا رجاء الله ، فانه مدخول ، وكل خوف محقق إلا خوف الله فانه معلول ... » (٢) .

---

(١) صححنا الرواية على (اصول الكافي) : باب الكذب ، وعلى (البحار) ٣ مج ١٥ / ٣٩ ، باب الكذب .

(٢) هذا الكلام مروى في (الوافي) : ٣/ ٤٠٩ باب الكذب : وفي (البحار) ٣ مج ١٥ / ٣٥ . وهو مروى عن (نهج البلاغة) كما صرح به العلامة المجلسي ـ قدس سره ـ في الموضع المذكور .

ثم الكـذب في كل مقام لما كان راجعاً الى عدمه ، فيكون رذيلة متعلقة بالقوة التي في هذا المقام فضيلة متعلقة بها . وبما ذكر يظهر : أن من له مبدأ الايمان ، اعني الاقرار بالشهادتين ، وكان فاقداً لحقيقته ، اعنى اليقـين القطعي بالمبدأ والمعاد ، أو للوازمـه وغاياته ، اعني الخوف الصادق منه تعالى والتعظيم الحقيقي لـه سبحانه والاهتمام البالغ في امتثال أوامره ونواهيه ، كان كاذباً في دعوى الايمان .

فصل

ذم الكذب

الكذب أقبح الذنوب وأفحشها ، وأخبث العيوب وأشنعها ، قال الله سبحانه :

« إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ » (١) .

« فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقاً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ » (٢) .

وقال رسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ « إياكم والكذب ، فان الكذب يهدى الى الفجور ، والفجور يهدى الى النار » . وقال صلى الله عليه وآله : « المؤمن اذا كـذب من غير عذر لعنه سبعون الف ملك ، وخرج من قلبه نتن حتى يبلغ العرش ، فيلعنه حملة العرش ، وكتب الله

(١) النحل ، الآية : ١٠٥ .

(٢) التوبه ، الآية : ٧٨ .

عليه بتلك الكذبة سبعين زنية ، أهونها كمن زنى مع أمه » (١) . وسئل صلى الله عليه وآله : « يكون المؤمن جباناً ؟ قال : نعم ! قيل : ويكون بخيلا ؟ قال : نعم ! قيل ويكون كذاباً ؟ قال : لا ! » وقال صلى الله عليه وآله : « كبرت خيانة أن تحدث أخاك حديثاً هو لك به مصدق وأنت له به كاذب » . وقال صلى الله عليه وآله : « الكذب ينقص الرزق » : وقال صلى الله عليه وآله : « ويل للذى يحدث فيكذب ليضحك به القوم ! ويل له ويل له ! » . وقال صلى الله عليه وآله : « رأيت كأن رجلا جاءني ، فقال لي : قم ، فقمت معه ، فاذا أنا برجلين أحدهما قائم والآخر جالس ، وبيد القائم كلوب من حديد يلقمه في شدق الجالس فيجذبه حتى يبلغ كاهله ، ثم يجذبه فيلقمه الجانب الآخر فيمده ، فاذا مده رجع الآخر كما كان ، فقلت للذي أقامني : ماهذا ؟ فقال : هذا رجل كذاب ، يعذب فى قبره الى يوم القيامة » . وقال صلى الله عليه وآله : « ألا أخبركم بأكبر الكبائر : الإشراك بالله ، وعقوق الوالدين ، وقول الزور » : أى الكذب . وقال صلى الله عليه وآله : « إن العبد ليكذب الكذبة فيتباعد الملك منه مسيرة ميل من نتن ماجاء به » . وقال صلى الله عليه وآله : « إن للشيطان كحلا ولعوقاً ونشوقاً . فاما لعوقه فالكذب ، وأما نشوقه فالغضب ، وأما كحله فالنوم » (٢) . وقال روح الله لأصحابه : « من كثر كذبه ذهب بهاؤه » . وقال امير المؤمنين عليه

(١) صححنا هذين الحديثين على (جامع الأخبار) : الباب ١٢ الفصل ٧ .

(٢) مثل مضمون هذه الرواية ورد في (الوسائل) في الموضع الآتي الباب ١٣٨ وفي (المستدرك) فى الموضع الآتي وفى (سفينة البحار) : ٢ : ٤٧٣ ، وفيه اختلاف عما في نسخ (جامع السعادات) ، فان الموجود بهذه الكتب بهذا النص : « ان لابليس كحلا ولعوقاً وسعوطاً ، فكحله النعاس ، ولعوقه الكذب ، وسعوطه الكبر » .

السلام : « لايجد العبد طعم الايمان حتى يترك الكذب ، هزله وجده ». وقال عليه السلام : « أعظم الخطايا عند الله اللسان والكذب ، وشر الندامة ندامة يوم القيامة » . وقال علي بن الحسين - عليهما السلام - : « اتقوا الكذب الصغير منه والكبير في كل جد وهزل ، فان الرجل اذا كذب في الصغير اجترأ على الكبير » . وقال ابو جعفر عليه السلام : « إن الله عز وجل جعل للشر أقفالا ، وجعل مفاتيح تلك الأقفال الشراب ، والكذب شر من الشراب » . وقال عليه السلام : « الكذب هو خراب الايمان » وقال عليه السلام : « إن أول من يكذب الكذاب الله عز وجل ، ثم الملكان اللذان معه ، ثم هو يعلم أنه كاذب » . وقال الامام الزكي العسكري عليه السلام : « جعلت الخبائث كلها في بيت ، وجعل مفتاحها الكذب » والأخبار الواردة في ذم الكذب اكثر من أن تحصى . واشد أنواع الكذب إثماً ومعصية الكذب على الله وعلى رسوله وعلى الأئمة ، وكفاه ذماً أنه يبطل الصوم ، ويوجب القضاء والكفارة على الاقوى . قال الصادق عليه السلام : « إن الكذبة لتفطر الصائم » ، قال الراوي : وأينا لايكون ذلك منه ، قال : « ليس حيث ذهبت ، إنما الكذب على الله تعالى وعلى رسوله وعلى الأئمة - عليهم السلام - » . وقال عليه السلام : « الكذب على الله وعلى رسوله وعلى الأوصياء - عليهم السلام - من الكبائر » . وذكر عنده عليه السلام الحائك ، وكونه ملعوناً ، فقال : « إنما ذلك الذي يحوك الكذب على الله وعلى رسوله » . وقال الباقر عليه السلام : « لا تكذب علينا كذبة ، فتسلب الحنيفية » (١).

(١) صححنا اكثر الأحاديث هنا على (الوسائل) : الباب ١٣٨ - ١٤٠ من ابواب أحكام العشرة ، وعلى (المستدرك): ٢/ ١٠٠ - ١٠٢ وعلى (اصول الكافي) باب الكذب ، وعلى (البحار) : ٣ مج ١٥ / ٣٥ ، باب الكذب .

فصل

مسوغات الكذب

الكذب حرام ، لما فيه من الضرر على المخاطب أو على غيره ، أو لايجابه اعتقاد المخاطب خلاف الواقع ، فيصير سبباً لجهله . وهذا القسم مع كونه أهون الدرجات وأقلها إثماً ، محرم أيضاً ، إذ إلقاء خلاف الواقع على الغير وسببية جهله غير جائز ، إلا أنه اذا كان مما يتوقف عليه تحصيل مصلحة مهمة ، ولم يمكن التوصل اليها بالصدق ، زالت حرمته وارتفع اثمه فان كانت المصلحة مما يجب تحصيلها ، كانقاذ مسلم من القتل والاسر او حفظ عرضه او ماله المحترم ، كان الكذب فيه واجباً . وان كانت راجحة غير بالغة حد الوجوب ، فالكذب لتحصيلها مباح أوراجح مثلها كالاصلاح بين الناس والغلبة على العدو في الحرب ، وتطييب خاطر امرأته واسترضائها وقد وردت الأخبار المتكثرة بجواز الكذب اذا توقف عليه تحصيل هذه المقاصد الثلاثة ، كما روى : « ان رسول الله - صلى الله عليه وآله - لم يرخص في شيء من الكذب إلا في ثلاث : الرجل يقول القول يريد به الاصلاح ، والرجل يقول القول في الحرب ، والرجل يحدث امرأته والمرأة تحدث زوجها » ، وقال - صلى الله عليه وآله - : « ليس بكذاب من أصلح بين اثنين فقال خيراً » . وقال - صلى الله عليه وآله - : « كل الكذب يكتب على ابن آدم ، الا رجل كذب بين رجلين يصلح بينهما » . وقال - صلى الله عليه وآله - : كل الكذب مكتوب كذبا لامحالة إلا أن يكذب الرجل في الحرب ، فان الحرب خدعة ، أو يكون بين رجلين شحناء فيصلح بينهما ، أويحدث امرأته يرضيها » . وقال - صلى الله عليه وآله - : « لاكذب على المصلح » . وقال الصادق - عليه السلام -

« كل كذب مسؤل عنه صاحبه يوماً ، إلا كذباً في ثلاثة : رجل كايد في حروبه ، فهو موضوع عنه . أو رجل اصلح بين اثنين يلقى هذا بغير مايلقى به هذا ، يريد بذلك الإصلاح مابينهما . أو رجل وعد أهله شيئاً وهو لايريد أن يتم لهم » . وقال ـ عليه السلام ـ : « الكلام ثلاثة : صدق وكذب ، واصلاح بين الناس » ، قيل له : ما الاصلاح بين الناس قال : « تسمع في الرجل كلاماً يبلغه فيخبث نفسه ، فتلقاه وتقول : قد سمعت من فلان فيك من الخير كذا وكذا ، خلاف ماسمعت منه » (١) وقد تقدمت اخبار اخر في هذا المعنى .

وهذه الأخبار وإن اختصت بالمقاصد الثلاثة ، إلا أن غيرها من المقاصد الضرورية التي فوقها أو مثلها في المصلحة يلحقها من باب الأولوية أو اتحاد الطريق . والأخبار التي وردت في ذم هتك السر وكشف العيوب والفواحش تفيد وجوب القول بعدم الاطلاع ، وإن كان مطلعاً مع كونه كذباً ، فلا اثم على أحد بصدور الكذب عنه اذا كان وسيلة الى شيء من المقاصد الصحيحة الضرورية له أولغيره من المسلمين ، فان أخذه ظالم وسأله عن ماله فله أن ينكر ، وإن أخذه سلطان وسأله عن فاحشة ارتكبها بينه وبين الله فله أن ينكر ، وإن سئل عما يعلمه عن عيب أخيه أو سره فله أن ينكره ، ولو وقع بين اثنين فساد فله أن يكذب ، توسلا الى الإصلاح بينهما وكذا يجوز له للاصلاح بين الضرات من نسائه أن يظهر لكل واحدة أنها أحب اليه ، وإن كانت امرأته لاتطيعه إلا بوعد .الا يقدر عليه ، يجوز أن يعدها في الحال تطيباً لقلبها ، وإن لم يكن صادقاً

---

(١) صححنا هذه الأخبار على (اصول الكافي) : باب الكذب . و (الوسائل): كتاب الحج ، الباب ١٤١ من ابواب العشرة ، و (كنز العمال) : ٢ / ١٢٨ . و (احياء العلوم) : ٣ / ١١٩ .

في وعده . ويلحق بالنساء الصبيان ، فان الصبي اذا لم يرغب فيما يؤمر به من الكتابة وغيرها إلا بوعد أو وعيد وتخويف ، كان ذلك جائزاً ، وإن لم يكن في نيته الوفاء به . وكذا لو تكدر منه انسان ، وكان لايطيب قلبه إلا بالاعتذار اليه ، بانكار ذنب واظهار زيادة تودد ، كان ذلك جائزاً وإن لم يكن صدقاً .

والحاصل : أن الكذب لدفع ضرر أو شر أو فساد جائز ، بشرط صحة القصد . وقد ورد : ان الكذب المباح يكتب ويحاسب عليه لتصحيح قصده ، فان كان قصده صحيحاً يعفى ، وإلا يؤاخذ به . فينبغي ان يجهد في تصحيح قصده ، وان يحترز عنه مالم يضطر اليه ، ويقتصر فيه على حد الواجب ، ولا يتعدى الى مايستغنى عنه .

ولا ريب في أن مايجب ويضطر اليه هو الكذب لأمور في فواتها محذور واضرار ، وليس كل الكذب لزيادة المال والجاه وغير ذلك مما يستغنى عنه ، فانه محرم قطعاً ، إذ فواته لايوجب ضرراً وفساداً واعداماً للموجود بل إنما يوجب فوت حظ من حظوظ النفس . وكذلك فتوى العالم بما لايحققه وفتوى من ليس له اهلية الافتاء ، اظهاراً للفضل أو طلباً للجاه والمال ، بل هو اشد انواع الكذب إثما وحرمة ، لأنه مع كونه كذبا لا يستغنى عنه ، كذب على الله وعلى رسوله .

فالكذب اذا كان وسيلة الى مايستغنى عنه حرام مطلقاً ، واذا كان وسيلة الى مالا يستغنى عنه ينبغي أن يوازن (١) محذور الكذب مع محذور

(١) لم يثبت لهذه الموازنة على عمومها دليل من الشرع ، وكل ماثبت منه تلك المواضع المذكورة آنفاً ، التي جاز فيها الكذب ، وهي : الاصلاح والحرب والزوجة ، وفي الحصر بالمواضع الثلاثة في الروايات المتقدمة دليل على عدم جواز الكذب في غيرها، لاسيما مثل قوله - عليه السلام - . « كل كذب مسؤول عنه صاحبه =

الصدق ، فيترك أشدهما وقعاً في نظر الشرع . وبيان ذلك : أن الكذب في نفسه محذور ، والصدق في المواضع المذكورة يوجب محذوراً ، فينبغي أن يقابل أحد المحذورين بالآخر ، ويوازنا بالميزان القسط ، فان كان محذور الكذب أهون من محذور الصدق فله الكذب ، وان كان محذور الصدق أهون وجب الصدق ، وقد يتقابل المحذوران بحيث يتردد فيهما ، وحينئذ فالميل الى الصدق أولى ، إذ الكذب أصله الحرمة ، وإنما يباح بضرورة أو حاجة مهمة ، واذا شك في كون الحاجة مهمة ، لزم الرجوع الى أصل التحريم .



تنبيه

التورية والمبالغة

كل موضع يجوز فيه الكذب ، إن أمكن عدم التصريح به والعدول الى التعريض والتورية ، كان الأولى ذلك . وما قيل : إن في المعاريض لمندوحة عن الكذب ، وإن فيها مايغني الرجل عن الكذب ، ليس المراد به أنه يجوز التعريض بدون حاجة واضطرار ، إذ التعريض بالكذب يقوم مقام التصريح به ، لأن المحذور من الكذب تفهيم الشيء على خلاف ماهو عليه في نفسه ، وهذا موجود في الكذب بالمعاريض . فالمراد أن التعريض يجوز اذا اضطر الانسان الى الكذب ، ومست الحاجة اليه ، واقتضته المصلحة في بعض الأحوال في تأديب النساء والصبيان ومن يجرى مجراهم

=يوماً ، إلا كذباً في ثلاثة ... » ولكن ثبت استثناء بعض المواضع ، كدفع الظلم ، فلا يتعداها .

وفي الحذر عن الظلمة والاشرار في قتال الأعداء . فمن اضطر الى الكذب في شيء من ذلك فهو جائز له ، لأن نطقه فيه إنما هو على مقتضى الحق والدين ، فهو في الحقيقة صادق ، وإن كان كلامه مفهما غير ما هو عليه لصدق نيته وصحة قصده وارادته الخير والصلاح ، فمثل هذا النطق لايكون خارجا عن حقيقة الصدق ، إذ الصدق ليس مقصوداً لذاته ، بل للدلالة على الحق ، فلا ينظر الى قالبه وصورته ، بل الى معناه وحقيقته . نعم ، ينبغي له في هذه المواضع أن يعدل الى المعاريض ماوجد اليه سبيلا يصدق اللفظ حينئذ أيضا وإن كان متشاركاً مع التصريح في تفهيم الشيء على خلاف ماهو عليه في الواقع . وقد كان رسول الله - صلى الله عليه وآله - اذا توجه الى سفر وراه بغيره ، لئلا ينتهي الخبر الى الاعداء فيقصدونه .

ومما يدل على جواز التعريض مع صحة النية ، ماروى في الاحتجاج « أنه سئل الصادق - عليه السلام - عن قول الله تعالى في قصة ابراهيم - عليه السلام - :

« قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَـٰذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ » (١).

قال : ما فعله كبيرهم وما كذب ابراهيم . قيل : وكيف ذلك ؟ فقال : إنمـا قال ابراهيم فاسألوهم إن كانوا ينطقون ، أي إن نطقوا فكبيرهم فعـل ، وإن لم ينطقوا فلم يفعل كبيرهم شيئاً ، فما نطقوا وما كذب ابراهيم - عليه السلام - وسئل عن قوله تعالى :

« أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ » (٢) .

---

(١) الانبياء ، الآية : ٦٣ .

(٢) يوسف ، الآية : ٧٠ .

قال : انهم سرقوا يوسف من أبيه ، ألا ترى أنه قال لهم حين قالوا : ماذا تفقدون ؟ قالوا : نفقد صواع الملك ، ولم يقولوا : سرقتم صواع الملك ، انما سرقوا يوسف من أبيه » . « وسئل عن قول ابراهيم:

« فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ . فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ » (١) .

قال : ما كان ابراهيم سقيما ، وما كذب ، انما عنى سقيما في دينه ، اى مرتادا » .

وطريق التعريض والتورية : أن يخبر المتكلم المخاطب بلفظ ذي احتمالين أحدهما غير مطابق للواقع واظهر في المقام ، فيحمله المخاطب عليه ، وثانيهما مطابق له يريده المتكلم ، كما ظهر من خبر الاحتجاج . ومن أمثلته : أنه اذا طلبك ظالم وانت في دارك ولا تريد الخروج اليه ، أن تقول لأحد أن يضع اصبعه في موضع ويقول : ليس ههنا . واذا بلغ عنك شيء الى رجل ، وأردت تطييب قلبه من غير أن تكذب ، تقول له : ان الله ليعلم ما قلت من ذلك من شيء ، على أن يكون لفظة (ما) عندك للابهام ، وعند المستمع للنفي . وقد ظهر مما ذكر : أن كل تعريض لغرض باطل كالتصريح في عدم الجواز ، لأن فيه تقريراً للغير على ظن كاذب . نعم قد تباح المعاريض لغرض خفيف ، كتطييب قلب الغير بالمزاح ، كقول النبي - صلى الله عليه وآله - : « لاتدخل الجنة عجوز » و « في عين زوجك بياض » و « نحملك على ولد بعير » ... وقس عليه أمثال ذلك

ومن الكذب الذي يجوز ولا يوجب الفسق ، ماجرت به العادة في المبالغة ، كقولك : قلت لك كذا مائة مرة ، وطلبتك مائة مرة . وأمثال ذلك لأنه لايراد بذلك تفهيم المرات بعددها ، بل تفهيم المبالغة . فان لم

(١) الصافات ، الآية : ٨٨ ، ٨٩ .

يكن طلبه إلا مرة واحدة كان كاذبا ، وان طلبه مرات لايعتاد مثلها في الكثرة فلا يأثم ، وان لم تبلغ مائة .

ومن الكذب الذى لا اثم عليه ما يكون في أنواع المجاز والاستعارات والتشبيهات ، إذ الغرض تفهيم نوع من المناسبة والمبالغة ، لادعوى الحقيقة والمساواة من جميع الجهات .

ومن الكذب الذى جرت العادة به ، ويتساهل فيه ، قول الرجل اذا قيل له : كل الطعام : (لا اشتهيه) ، مع كونه مشتهياً له . وهذا منهى عنه كما تدل عليه بعض الاخبار ، إلا اذا كان فيه غرض صحيح ، وما جرت العادة به قول الرجل : (الله يعلم) فيما لايعلمه ، وهو اشد أنواع الكذب ، قال عيسى - عليه السلام - : « إن من أعظم الذنوب عند الله ان يقول العبد : ان الله يعلم لما لايعلم » . ومن الكذب الذى عظم ذنبه ويتساهل فيه ، الكذب في حكاية المنام ، قال رسول الله - صلى الله عليه وآله - « إن من اعظم الفرية ان يدعى الرجل الى غير أبيه ، أو يرى عينيه في المنام مالم ير ، أو يقول على مالم أقل » . وقال - صلى الله عليه وآله - : « من كذب في حلم ، كلف يوم القيامة أن يعقد بين شعرتين » .

تذنيب

شهادة الزور ، اليمين الكاذب ، خلف الوعد

من أنواع الكذب وافحشها : شهادة الزور ، واليمين الكاذب ، وخلف الوعد .

ويدل على ذم الاول قوله تعالى في صفة المؤمنين :

« وَالَّذِيْنَ لاَ يَشْهَـدُونَ الزُّوْرَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَاماً » (١) .

وقول النبي - صلى الله عليه وآله - : « شاهد الزور كعابد الوثن » وعلى ذم الثاني قول النبي - صلى الله عليه وآله - : « التجارهم الفجار ! » فقيل : يارسول الله ، أليس الله قد أحل البيع ؟ فقال : « نعم ! ولكنهم يحلفون فيأثمون ، ويحدثون فيكذبون » وقوله - صلى الله عليه وآله - : « ثلاث نفر لايكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر اليهم ولا يزكيهم : المنان بعطيته ، والمنفق سلعته بالحلف الفاجر ، والمسبل إزاره » وقوله - صلى الله عليه وآله - : « ماحلف حالف بالله فادخل فيها جناح بعوضة ، إلا كانت نكتة في قلبه الى يوم القيامة » . وقوله - صلى الله عليه وآله - : « ثلاث يشنأهم الله : التاجر او البايع الحلاف ، والفقير المختال ، والبخيل المنان » .

وعلى ذم الثالث قول النبي - صلى الله عليه وآله - : « من كان يؤمن بالله وباليوم الآخر فليف اذا وعد » . وقول الصادق - عليه السلام - « عدة المؤمن أخاه نذر لاكفارة له ، فمن اخلف فبخلف الله تعالى بدأ ولمقته تعرض ، وذلك قوله تعالى :

يَاأَيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنُوا لِمَ تَقُوْلُونَ مَا لاَ تَفْعَلُونَ . كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللهِ أَنْ تَقُوْلُوا مَا لاَ تَفْعَلُونَ » (٢) .

---

(١) الفرقان ، الآية : ٧٢ . (٢) الصف ، الآية : ٢ - ٣ .

وقال رسول الله - صلى الله عليه وآله - : « أربع من كن فيه كان منافقاً ومن كانت فيه خلة منهن كانت فيه خلة من النفاق ، حتى يدعها : اذا حدث كذب ، واذا وعد اخلف ، واذا خاصم فجر » : فمن وعد وكان عند الوعد عازما على ألا يفي ، أوكان عازما على الوفاء وتركه بدون عذر ، فهو منافق . وأما إن عن له عذر من الوفاء، لم يكن منافقاً وآثما . وان جرى عليه ماهو صورة النفاق ، فالاولى أن يحترز عن صورة النفاق ايضاً كما يحترز عن حقيقته ، وذلك بألا يجزم في الوعد ، بل يعلقه على المشية ومثلها .

ايقاظ

علاج الكذب

طريق معالجة الكذب : أولا : أن يتأمل في ماورد في ذمه من الآيات والاخبار ، ليعلم أنه لو لم يتركه لادركه الهلاك الابدى . ثم يتذكر أن كل كاذب ساقط عن القلوب في الدنيا ولا يعتني أحد بقوله ، وكثيراً مايفتضح عند الناس بظهور كذبه . ومن اسباب افتضاحه أن الله سبحانه يسلط عليه النسيان ، حتى أنه لو قال شيئاً ينسى أنه قاله ، فيقول خلاف ماقاله ، فيفتضح . والى ذلك اشار الصادق - عليه السلام - بقوله : « إن مما أعان الله به على الكذابين النسيان » . ثم يتأمل في الآيات والاخبار الواردة في مدح ضده ، أعني الصدق كما يأتي ، وبعد ذلك ان لم يكن عدواً لنفسه ، فليقدم التروى في كل كلام يريد أن يتكلم به ، فان كان كذبا يتركه وليجتنب مجالسة الفساق وأهل الكذب ، ويجالس الصلحاء وأهل الصدق .

وصل

الصدق ومدحه

ضد الكذب الصدق . وهو أشرف الصفات المرضية ، ورئيس الفضائل النفسية ، وما ورد في مدحه وعظم فائدته من الآيات والأخبار مما لايمكن احصاؤه ، قال الله سبحانه :

« رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ » (١) . وقال : « إِتَّقُوا اللهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ » (٢) . وقال : « الصَّابِرِيْنَ وَالصَّادِقِيْنَ وَالْقَانِتِيْنَ وَالْمُنْفِقِيْنَ وَالْمُسْتَغْفِرِيْنَ بِالْأَسْحَارِ » (٣) وقال سبحانه : « إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِيْنَ آمَنُوا بِاللهِ وَرَسُوْلِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا - الى قوله - أُولَـئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ » (٤) . وقال عز وجل : « وَلَـكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ . ثم قال : وَالصَّابِرِيْنَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِيْنَ الْبَأْسِ أُولَـئِكَ الَّذِيْنَ صَدَقُوا » (٥) .

وقال رسول الله - صلى الله عليه وآله - : « تقبلوا الي بست أتقبل

(١) الاحزاب ، الآية ٢٣ .
(٢) التوبة ، الآية ١٢٠ .
(٣) آل عمران ١٧ .
(٤) الحجرات ، الآية ١٥ .
(٥) البقرة الآية ١٧٧ .

لكم بالجنة : اذا حدث احدكم فلا يكذب ، وإذا وعد فلا يخلف ، واذا ائتمن فلا يخن وغضوا أبصاركم ، وكفوا أيديكم ، واحفظوا فروجكم » وعن الصادقين ـ عليهما السلام ـ : « ان الرجل ليصدق حتى يكتبه الله صديقاً » . وعن الصادق عليه السلام قال : « كونوا دعاة الناس بالخير بغير ألسنتكم ، ليروا منكم الاجتهاد والصدق والورع » . وعنه عليه السلام « من صدق لسانه زكى عمله ، ومن حسنت نيته زيد في رزقه ، ومن حسن بره بأهل بيته مد له في عمره » . وعنه عليه السلام قال : « لاتنظروا الى طول ركوع الرجل وسجوده ، فان ذلك شيء اعتاده ، ولو تركه لاستوحش لذلك ، ولكن انظروا الى صدق حديثه واداء أمانته » . وقال عليه السلام لبعض اصحابه : « انظر الى مابلغ به علي ـ عليه السلام ـ عند رسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ فالزمه ، فان علياً ـ عليه السلام ـ انما بلغ مابلغ به عند رسول الله بصدق الحديث وأداء الامانة » . وعنه ـ عليه السلام ـ قال : « إن الله لم يبعث نبياً إلا بصدق الحديث واداء الامانة الى البر والفاجر » (١) وقال ـ عليه السلام ـ : « أربع من كن فيه كمل ايمانه ولو كان مابين قرنه الى قدمه ذنوب لم ينقصه ذلك ـ قال ـ . هي الصدق ، واداء الامانة ، والحياء ، وحسن الخلق » ، وقد وردت بهذه المضامين اخبار كثيرة اخر . ومن انواع الصدق في الشهادة ، وهو ضد شهادة الزور والصدق في اليمين ، وهو ضد الكذب فيه ، والوفاء بالعهد وهو ضد خلف الوعد ، وهذا القسم من الصدق ، اعني الوفاء بالعهد ،

---

(١) صححنا اغلب الاحاديث على (اصول الكافي) : باب الصدق واداء الأمانة . وعلى (الوسائل) : كتاب الحج ، باب وجوب الصدق وعلى (المستدرك) ٢ / ٨٤ – ٨٩ .

أفضل أنواع الصدق القولي وأحبها ، ولذا اثنى الله تعالى على نبيه اسماعيل به ، وقال :

« إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولاً نَبِيّاً » (١) .

قيل : انه واعد انساناً في موضع فلم يرجع اليه ، فبقي اثنين وعشرين يوماً في انتظاره . وروى : « أنه بايع رجل رسول الله - صلى الله عليه وآله - ووعده أن يأتيه في مكانه ذلك ، فنسي وعده في يومه وغده ، واتاه في اليوم الثالث وهو في مكانه » وقال رسول الله : « العدة دين » وقال - صلى الله عليه وآله - : « الوأى - أى الوعد - مثل الدين أو أفضل » .

تكميل

أقسام الصدق

الصدق كالكذب له أنواع ستة :

الاول - الصدق في القول ، وهو الإخبار عن الاشياء على ما هي عليه ، وكمال هذا النوع بترك المعاريض من دون ضرورة ، حذراً من تفهيم الخلاف وكسب القلب صورة كاذبة ، ورعاية معناه في الفاظه التي يناجي بها الله سبحانه ، فمن قال : « وجهت وجهي للذي فطر السماوات والارض » وفي قلبه سواه ، أو قال : « اياك نعبد » وهو يعبد الدنيا بتقيد قلبه بها ، إذ كل من تقيد قلبه بشيء فهو عبد له ، كما دلت عليه الاخبار ، فهو كاذب .

الثاني - الصدق في النية والارادة ، ويرجع ذلك الى الاخلاص ،

(١) مريم ، الآية ٥٤ .

وهو تمحيض النية وتخليصها لله ، بألا يكون له باعث في طاعاته ، بل في جميع حركاته وسكناته ، إلا الله . فالشوب يبطله ويكذب صاحبه :

الثالث — الصدق في العزم ، أى الجزم على الخير : فان الانسان قد يقدم العزم على العمل ، ويقول في نفسه : إن رزقني الله كذا تصدقت منه كذا ، وإن خلصني الله من تلك البلية فعلت كذا . فان كان في باطنه جازماً على هذا العزم ، مصمما على العمل بمقتضاه ، فعزمه صادق ، وإن كان في عزمه نوع ميل وضعف وتردد ، كان عزمه كاذباً ، إذ التردد في العزيمة يضاد الصدق فيها ، وكان الصدق هنا بمعنى القوة والتامية ، كما يقال : لفلان شهوة صادقة ، أى قوة تامة ، أو شهوة كاذبة ، أى ناقصة ضعيفة .

الرابع — الصدق في الوفاء بالعزم : فان النفس قد تسخو بالعزم في الحال ، إذ لامشقة في الوعد ، فاذا حان حين العمل بمقتضاه ، هاجت الشهوات وتعارضت مع باعث الدين ، وربما غلبته بحيث انحلت العزيمة ولم يتفق الوفاء بمتعلق الوعد ، وهذا يضاد الصدق فيه ، ولذلك قال الله سبحانه :

« رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ » (١) .

الخامس — الصدق في الاعمال : وهو تطابق الباطن والظاهر واستواء السريرة والعلانية ، أو كون الباطن خيراً من الظاهر ، بألا تدل اعماله الظاهرة على أمر في باطنه لايتصف هو به ، لابأن يترك الاعمال ، بل بأن يستجر الباطن الى تصديق الظاهر . وهذا اعلى مراتب الاخلاص ، لإمكان تحقق نوع من الاخلاص بما دون ذلك ، وهو أن يخالف الباطن

(١) الاحزاب ، الآية ٢٣ .

الظاهـــر من دون قصد ، فان ذلك ليس رياء فـــلا يمتنـــع صدق اسم الاخلاص عليه :

توضيح ذلك : أن الرياء هو أن تقصد غير الله سبحانه في الاعمال وقد تصدر عن انسان اعمال ظاهرة تدل على أنه صاحب فضيلة باطنة ، من التوجه الى الله والانس به ، أو السكينة والوقار ، أو التسليم والرضا وغير ذلك ، مع أنه فاقد لها ، لحصول الغلبة المانعة عن تحققها ، أو اتفاق صدور الاعمال الظاهرة بهذه الهيئة من دون أن يقصد بها مشاهدة غيره سبحانه ، فهذا غير صادق في عمله ، كاذب في دلالة الظاهر على الباطن وإن لم يكن مرائياً ولا ملتفتاً الى الخلق ، فاذن مخالفة الظاهر للباطن ان كانت من قصـــد سميت رياء ، ويفوت بها الاخلاص ، وان كانت من غير قصد سميت كذبا ويفوت بها الصدق ، وربما لم يفت بها بعض مراتب الاخلاص . وهذا النوع من الصدق - اعني مساواة السر والعلانية أوكونه خـــيراً منها - أعز من الانواع السابقة عليه ، ولذلك كرر طلبه من الله سيد الرسل - صلى الله عليـــه وآله - في دعواته بقوله : « اللهم اجعل سريرتي خيراً من علانيتي ، واجعل علانيتي صالحة » وورد : « أنه اذا ساوت سريرة المؤمن علانيته ، باهى الله به الملائكة ، يقول : هذا عبدي حقاً ! » . وكان بعض الأكابر يقول : « من يدلني على بكاء بالليل بسام بالنهار ؟» . ولنعم ماقيل :

اذا السر والاعلان في المؤمن استوى فقد عز في الدارين واستوجب الثنا
وان خالف الاعلان سراً فما له على سعيه فضل سوى الكد والعنا
كما خالص الدينار في السوق نافق ومغشوشه المردود لايقتضي المنى

ومن جملة هذا الصدق : موافقة القول والفعل ، فلا يقول مالايفعل ولا يأمر بما لايعمل . فمن وعظ ولم يتعظ في نفسه كان كاذباً . ومن

هنا قال أمير المؤمنين - عليه السلام - : « اني والله ما احثكم على طاعة إلا واسبقكم اليها ، ولا انهاكم عن معصية إلا وأتناهى قبلكم عنها » :

السادس — الصدق في مقامات الدين : من الصبر ، والشكر ، والتوكل والحب ، والرجاء ، والخوف ، والزهد ، والتعظيم ، والرضا ، والتسليم ، وغير ذلك . وهو اعلى درجات الصدق وأعزها ، فمن اتصف بحقائق هذه المقامات ولوازمها وآثارها وغاياتها فهو الصديق الحق ، ومن كان له فيها مجرد مايطلق عليه الاسم دون اتصافه بحقائقها وآثارها وغاياتها فهو كاذب فيها . أما ترى أن من خاف سلطاناً أو غيره كيف يصفر لونه ويتعذر عليه أكله ونومه ويتنغص عليه عيشه ويتفرق عليه فكره وترتعد فرائصه وتتزلزل اركانه وجوانبه ؟ وقد ينزح عن وطنه ويفترق عن أهله وولده ، فيستبدل بالانس الوحشة ، وبالراحة التعب والمشقة ، فيعترض للاخطار ويختار مشقة الاسفار ، كل ذلك من درك المحذور . فمثل هذا الخوف هو الخوف الصادق المحقق . ثم ان من يدعي الخوف من الله أو من النار ولا يظهر عليه شيء من ذلك عند ارادة المعصية وصدورها عنه ، فخوفه خوف كاذب . قال النبي - صلى الله عليه وآله - : « لم أر مثل النار نام هاربها ، ولم ار مثل الجنة نام طالبها » .

ثم لاغاية لهذه المقدمات حتى يمكن لأحد أن ينال غايتها ، بل لكل عبد منها حظ بحسب حاله ومرتبته ، فمعرفة الله وتعظيمه والخوف منه غير متناهية ، فلذلك لما رأى النبي - صلى الله عليه وآله - جبرئيل على صورته الاصلية ، خر مغشياً عليه ، وقال - بعد عودته الى صورته الاولى وافاقته - « ماظننت أحداً من خلق الله هكذا ! قال له : فكيف لو رأيت اسرافيل إن العرش على كاهله ، وان رجليه قد مرقتا تخوم الارضين السفلى ، وأنه ليتصاغر من عظمة الله حتى يصير كالوصع ! » : أي كالعصفور الصغير

وقال - صلى الله عليه وآله - : « مررت ليلة أسرى بي - أنا وجبرئيل - بالملا الاعلى كالحلس البالى من خشية الله » : اى كالكساء الذي يلقى على ظهر البعير .

فانظر الى اعاظم الملائكة والنبين ، كيف تصير حالهم من شدة الخشية والتعظيم ، وهـذا انما هو لقوة معرفتهم بعظمة الله وجلاله ، وفوق مالم يدركوه من عظمته وقدرته مراتب غير متناهية . فاختلاف الناس في مراتب الخوف والتعظيم والحب والانس إنما هو بحسب اختلافهم في معرفة الله ، وليس يمكن ان يوجد من بلغ غايتها ، فاختلاف الناس إنما هو في القدر الذي يمكن أن يبلغ اليه ، والبلوغ اليه في الجميع أيضا نادر ، فالصادق في جميع المقامات عزيز جداً .

ومن علامات هذا الصدق : كتمان المصائب والطاعات جميعاً ، وكراهة اطلاع الخلق عليها . وقد روى : « ان الله تعالى اوحى الى موسى - عليه السلام - : إني اذا أحببت عبداً ابتليته ببلايا لاتقوى لها الجبال ، لأنظر كيف صدقه ، فان وجدته صابراً اتخذته ولياً وحبيباً ، وان وجدته جزوعا يشكوني الى خلقي خذلته ولم ابال » . وقال الصادق - عليه السلام - : « اذا أردت أن تعلم أصادق أنت أم كاذب ، فانظر في صدق معناك وعقد دعواك ، وعيرهما بقسطاس من الله عز وجل كأنك في القيامة ، قال عزه وجل :

« وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ » (١) .

فاذا اعتدل معناك بغور دعواك ثبت لك الصدق . وادنى حد الصدق ألا يخالف اللسان القلب ولا القلب اللسان ، ومثل الصادق الموصوف بما

(١) الاعراف ، الآية : ٧ .

ذكرنا كمثل النازع لروحه ، إن لم ينزع فماذا يصنع » (١)

تنبيه

اللسان أضر الجوارح

اعلم أن اكثر ماتقدم من الرذائل المذكورة في هـذا المقام : من الكذب والغيبة ، والبهتان ، والشماتة ، والسخرية ، والمزاح وغيرها ، وفي المقام الثالث - اعني التكلم بما لاينبغي والفضول والخوض في الباطل - من آفات اللسان وهو اضر الجوارح بالإنسان ، وأعظمها اهلاكاً له ، وآفاته اكثر من آفات سائر الأعضاء ، وهي وان كانت من المعاصي الظاهرة ، إلا أنها تؤدى الى مساوىء الأخلاق والملكات . إذ الأخلاق انما ترسخ في النفس بتكرير الأعمال ، والاعمال انما تصدر من القلب بتوسط الجوارح ، وكل جارحة تصلح لأن تصدر منها الأعمال الحسنة الجالبة للاخلاق الجميلة ، وأن تصدر منها الاعمال القبيحة المورثة للاخلاق السيئة ، فلابد من مراعاة القلب والجوارح معاً بصرفهما الى الخيرات ومنعهما من الشرور : وعمدة ماتصدر منه الذمائم الظاهرة المؤدية الى الرذائل الباطنية هو اللسان ، وهو أعظم آفة للشيطان في استغواء نوع الانسان ، فمراقبته اهم ، ومحافظته أوجب وألزم . والسر فيه - كما قيل - : أنه من نعم الله العظيمة ، ولطائف صنعه الغريبة ، فانه وإن كان صغيراً جرمه ، عظم طاعته وجرمه ، إذ لايتبين الايمان والكفر إلا بشهادته ، ولا يهتدى الى شيء من امور النشأتين إلا بدلالته ، وما من موجود اومعدوم إلا وهو يتناوله ويتعرض له باثبات

(١) هذا الحديث في (مصباح الشريعة) : الباب ٧٥ فصححناه عليه .

أو نفي ، اذ كل مايتناوله العلم يعبر عنه اللسان اما بحق أو باطل ، ولا شيء إلا والعلم يتناوله .

وهذه خاصية لاتوجد في سائر الاعضاء ، اذ العين لاتصل الى غير الالوان والصور ، والاذن لاتصل الى غير الأصوات ، واليد لاتصل الى غير الأجسام ، وكذا سائر الأعضاء ، واللسان رحب الميدان وسيع الجولان ليس له مرد ، ولا لمجاله منتهى ولا حد ، فله في الخير مجال رحب ، وفي الشر ذيل سحب ، فمن اطلق عذبة اللسان واهمله مرخى العنان سلك به الشيطان في كل ميدان ، وأوقعه في أودية الضلالة والخذلان ، وساقه الله شفا جرف هار ، الى أن يضطره الى الهلاك والبوار ، ولذلك قال سيد الرسل - صلى الله عليه وآله - : « هل يكب الناس على مناخرهم في النار إلا حصائد ألسنتهم ؟ » (١). فلا ينجى من شر اللسان الا أن يقيد بلجام الشرع ، ولا يطلق الا فيما ينفع في الدنيا والآخرة ، ويكف عن كل مايخشى غائلته في العاجلة والآجلة ، وعلم مايحمد اطلاق اللسان فيه او يذم غامض عزيز ، والعمل بمقتضاه على من عرفه ثقيل عسير ، وهو اعصى الأعضاء على الانسان ، اذ لاتعب في تحريكه ولا مؤنة في اطلاقه فلايجوز التساهل في الاحتراز عن آفاته وغوائله ، وفي الحذر عن مصائده وحبائله .

والآيات والأخبار الواردة في ذمه وفي كثرة آفاته وفي الأمر بمحافظته والتحذير عنه كثيرة ، وهي بعمومها تدل على ذم جميع آفاته مما مر ومما يأتي : قال الله سبحانه :

« مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ » (٢) .

---

(١) رواه في « اصول الكافي » : باب الصمت وحفظ اللسان ، فصححناه عليه .

(٢) ق ، الآية : ١٨ .

وقال : «لاَ خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ ، إلاّ مَنْ أمَرَ بِصَدَقَةٍ أوْ مَعْرُوفٍ أوْ إصْلاَحٍ بَيْنَ النَّاسِ » (١) .

وقال رسول الله - صلى الله عليه وآله - : « من يتكفل لي بما بين لحييه ورجليه ، اتكفل له بالجنة » . وقال - صلى الله عليه وآله - : « من وقى شر قبقبه وذبذبه ولقلقه ، فقد وقى » (٢) : والقبقب : البطن والذبذب الفرج ، واللقلق : اللسان . وقيل له - صلى الله عليه وآله -: « ما النجاة ؟ قال : إملك عليك لسانك » . وقال - صلى الله عليه وآله - « اكبر مايدخل الناس النار الاجوفان : الفم ، والفرج » ، والمراد بالفم اللسان . وقال - صلى الله عليه وآله - : « وهل يكب الناس على مناخرهم في النار إلا حصائد ألسنتهم ؟ » . وقال له رجل : « ما أخوف ما يخاف علي ؟ فاخذ بلسانه ، وقال : هذا » . وقال - صلى الله عليه وآله - « لايستقيم ايمان عبد حتى يستقيم قلبه ، ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه » وقال - صلى الله عليه وآله - : « اذا أصبح ابن آدم أصبحت الأعضاء كلها تكفر اللسان ، فتقول : اتق الله فينا ، فانما نحن بك ، فان استقمت استقمنا ، وإن اعوججت اعوججنا » (٣) . « وقال له رجل : اوصني ! فقال - صلى الله عليه وآله - : أعبد الله كأنك تراه وعد نفسك في الموتى وان شئت أنبأتك بما هو أملك لك من هذا كله - وأشار بيده الى لسانه » وقال - صلى الله عليه وآله - : « ان الله عند لسان كل قائل ، فليتق

(١) النساء ، الآية : ١١٣ .

(٢) تقدم هذا الحديث في ٢ / ٤ .

(٣) صححنا الحديث على (كنز العمال) : ٢ / ١١١ .

الله امرؤ على مايقول » . وقال - صلى الله عليه وآله - : « من لم يحسب كلامه من عمله ، كثرت خطاياه وحضر عذابه » . وقال - صلى الله عليه وآله - : « يعذب الله اللسان بعذاب لايعذبه به شيئاً من الجوارح ، فيقول أى رب ! عذبتني بعذاب لم تعذب به شيئاً من الجوارح . فيقال له : خرجت منك كلمة بلغت مشارق الارض ومغاربها ، فسفك بها الدم الحرام ، وانتهب بها المال الحرام ، وانتهك بها الفرج الحرام . وعزتي وجلالي ! لأعذبنك بعذاب لا أعذب به شيئاً من جوارحك ! » . وقال - صلى الله عليه وآله - : ان كان في شيء شوم ففي اللسان » . وقال أمير المؤمنين - عليه السلام - لرجل يتكلم بفضول الكلام : « ياهذا ! إنك تملي على حافظيك كتاباً الى ربك ، فتكلم بما يعنيك ، ودع مالا يعنيك » (١) وقال أمير المؤمنين عليه السلام : « المرء مخبوء تحت لسانه ، فزن كلامك ، واعرضه على العقل والمعرفة ، فان كان لله وفي الله فتكلم وان كان غير ذلك فالسكوت خير منه ، وليس على الجوارح عبادة اخف مؤنة وأفضل منزلة واعظم قدراً عند الله كلام فيه رضى الله عز وجل ولوجهه ونشر آلائه ونعمائه في عباده ، ألا ان الله لم يجعل فيما بينه وبين رسله معنى يكشف ما أسر اليهم من مكنونات علمه ومخزونات وحيه غير الكلام ، وكذلك بين الرسل والامم ، فثبت بهذا أنه أفضل الوسائل (والكلف والعبادة) (٢) . وكذلك لامعصية أثقل على العبد وأسرع عقوبة عند الله وأشدها ملامة واعجلها سآمة عند الخلق منه ، واللسان

---

(١) صححنا الاحاديث الاربعة على (اصول الكافي) : باب الصمت وحفظ اللسان . وعلى (الوافي) : ٢ / ٣٤٠ وعلى (البحار) ٣ مج ١٥ / ١٨٨ ، ١٨٩ ، باب السكوت والصمت .

(٢) وفي نسخ (جامع السعادات) : « والطف العبادة » .

ترجمان الضمير وصاحب خبر القلب ، وبه ينكشف مافي سر الباطن ، وعليه يحاسب الخلق يوم القيامة ، والكلام خمر يسكر العقول ماكان منه لغير الله وليس شيء احق بطول السجن من اللسان » (١) وقال السجاد - عليه السلام - : « إن لسان ابن آدم يشرف في كل يوم على جوارحه كل صباح فيقول : كيف اصبحتم ؟ فيقولون بخير ان تركتنا ! ويقولون : الله الله فينا ! ويناشدونه ويقولون : انما نثاب ونعاقب بك » . وقال الصادق عليه السلام : « مامن يوم إلا وكل عضو من اعضاء الجسد يكفر اللسان يقول : نشدتك الله أن نعذب فيك ! » (٢).

تتميم

الصمت

لما علمت كون اللسان شر الأعضاء وكثرة آفاته وذمه ، فاعلم أنه لانجاة من خطره إلا بالصمت ، وقد اشير فيما سبق : أن الصمت ضد لجميع آفات اللسان ، وبالمواظبة عليه تزول كلها ، وهو من فضائل قوة الغضب أو الشهوة ، وفضيلته عظيمة وفوائده جسيمة ، فان فيه جمع الهم ودوام الوقار ، والفراغ للعبادة والفكر والذكر ، وللسلامة من تبعات القول في الدنيا ومن حسناته في الآخرة . ولذا مدحه الشرع وحث عليه ، قال

(١) صححنا الحديث على (مصباح الشريعة) : الباب ٤٦ .

(٢) الحديثان الاخيران مرويان في (الكافي) : باب الصمت . قال في (الوافي) ٢ / ٣٤٠ : « يكفر اللسان : أي يذل ويخضع . والتكفير : هو ان ينحني الانسان ويطأطيء رأسه قريباً من الركوع » .

رسول الله - صلى الله عليه وآلـه - : « من صمت نجا » . وقال : « الصمت حكم ، وقليل فاعله » . وقال - صلى الله عليه وآله - : « من كف لسانه ستر الله عورته » . وقال - صلى الله عليه وآله - : ألا أخبركم بأيسر العبادة وأهونها على البدن : الصمت وحسن الخلق » . وقال - صلى الله عليـه وآله - : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقـل خيراً أو وليسكت » . وقال - صلى الله عليه وآله - : « رحم الله عبداً تكلم خـيراً فغنم ، أو سكت عن سوء فسلم » . وجاء اليه - صلى الله عليه وآله - أعرابي وقال : « دلني على عمل يدخلني الجنـة . قال : اطعم الجائع واسق الظمآن ، وأمر بالمعروف ، وانه عن المنكر ، فان لم تطق ، فكف لسانك إلا من خير » . وقال - صلى الله عليه وآله - : « اخزن لسانك إلا من خير ، فانك بذلك تغلب الشيطان » وقال - صلى الله عليه وآله - « اذا رأيتم المؤمن صموتاً وقوراً فادنوا منه ، فانه يلقن الحكمة » . وقال - صلى الله عليـه وآله - : « الناس ثلاثة : غانم ، وسالم ، وشاحب ، فالغانم : الذي يذكر الله ، والسالم : الساكت ، والشاحب : الذي يخوض في الباطل » . وقال - صلى الله عليه وآله - : « إن لسان المؤمن وراء قلبه ، فاذا أراد أن يتكلم بشيء تدبره بقلبه ، ثم أمضاه بلسانه . وان لسان المنافق امام قلبه ، فاذا هم بشيء امضاه بلسانه ولم يتدبره بقلبه » . وقال - صلى الله عليـه وآله - : « أمسك لسانك ، فانها صدقة تصدق بها على نفسك » .. ثم قال : « ولا يعرف عبد حقيقة الايمان حتى يخزن من لسانه » . وقال - صلى الله عليـه وآله - لرجل اتاه : « ألا أدلك على امر يدخلك الله به الجنة ؟ قال : بلى يارسول الله ! قال : أنل مما أنالك الله ! قال : فان كنت احوج ممن انيله ؟ قال : فانصر المظلوم . قال : فان كنت أضعف ممن أنصره ، قال : فاصنـع للاخرق - يعني

أشر عليه ـ . قال : فان كنت اخرق ممن أصنع له : قال : فاصمت لسانك إلا من خير ، أما يسرك أن تكون فيك خصلة من هذه الخصال تجرك الى الجنـــة ؟ » . وقال ـ صلى الله عليه وآلـه ـ : « نجاة المؤمن حفظ لسانه » . وجاء رجل اليه ـ صلى الله عليه وآله ـ فقال : « يارسول الله أوصني ! قال : احفظ لسانك . قال : يارسول الله اوصني ! قال احفظ لسانك . قال : يارسول الله اوصني ! قال : احفظ لسانك . ويحك وهل يكب الناس على مناخرهم في النار إلا حصائد ألسنتهم ؟ » .

وقيل لعيسى بن مريم ـ عليه السلام ـ : « دلنا على عمل ندخل به الجنة . قال : لاتنطقوا أبداً . قالوا : لانستطيع ذلك . قال : فلا تنطقوا إلا بخير » . وقال ـ عليه السلام ـ أيضاً : « العبادة عشرة اجزاء ، تسعة منها في الصمت ، وجزء في الفرار عن الناس » . وقال : « لاتكثروا الكلام في غير ذكر الله ، فان الذين يكثرون الكلام في غير ذكر الله قاسية قلوبهم ولكن لايعلمون » . وقال لقمان لابنه : « يابني ، إن كنت زعمت أن الكلام من فضة ، فان السكوت من ذهب » .

وقال ابو جعفر الباقر ـ عليـه السلام ـ : « كان أبو ذر يقول : يامبتغي العلم ، إن هذا اللسان مفتاح خير ومفتاح شر ، فاختم على لسانك كما تختم على ذهبك وورقك » . وقال ـ عليـــه السلام ـ : « إنما شيعتنا الخرس » . وقال الصادق ـ عليه السلام ـ لمولى له يقال له (سالم) ـ بعد أن وضع يده على شفتيه ـ : « ياسالم ، احفظ لسانك تسلم ، ولا تحمل الناس على رقابنا » . وقال ـ عليه السلام ـ : « في حكمـة آل داود : على العاقل أن يكون عارفا بزمانه ، مقبلا على شأنه ، حافظاً للسانه » . وقال ـ عليه السلام ـ : « لايزال العبد المؤمن يكتب محسناً مادام ساكتا فاذا تكلم كتب محسناً أو مسيئاً » . وقال ـ عليه السلام ـ : « النوم راحة

للجسد ، والنطق راحة للروح ، والسكوت راحة للعقل » . وقال - عليه السلام - « الصمت كنز وافر ، وزين الحليم ، وستر الجاهل » : وقال ابو الحسن الرضا - عليه السلام - : « احفظ لسانك تعز ، ولا تمكن الناس من قيادك فتذل رقبتك » . وقال - عليه السلام - « من علامات الفقه : الحلم ، والعلم ، والصمت ، ان الصمت باب من أبواب الحكمة ، إن الصمت يكسب المحبة ، انه دليل على كل خير » . وقال - عليه السلام - : « كان الرجل من بنى اسرائيل اذا أراد العبادة صمت قبل ذلك بعشر سنين » (١)

وفى (مصباح الشريعة) عن مولانا الصادق - عليه السلام - قال : « الصمت شعار المحققين بحقائق ماسبق وجف القلم به ، وهو مفتاح كل راحة من الدنيا والآخرة ، وفيه رضا الرب ، وتخفيف الحساب والصون من الخطايا والزلل وقد جعله الله سترا على الجاهل وزيناً للعالم ، ومعه عزل الهوى ، ورياضة النفس ، وحلاوة العبادة ، وزوال قسوة القلب ، والعفاف والمروة والظرف . فاغلق باب لسانك عما لك منه بد ، لاسيما اذا لم تجد أهلا للكلام والمساعد في المذاكرة لله وفي الله . وكان ربيع بن خيثم يضع قرطاساً بين يديه ، فيكتب كل مايتكلم به ثم يحاسب نفسه عشية ، ماله وما عليه ، ويقول : آه آه ! نجا الصامتون وبقينا . وكان بعض اصحاب رسول الله - صلى الله عليه وآله - يضع الحصاة في فمه ، فاذا أراد أن يتكلم بما علم أنه لله وفي الله ولوجه الله أخرجها . وان كثيراً من الصحابة

---

(١) صححنا الاحاديث هنا على (اصول الكافي) : باب الصمت ، وعلى (الوسائل) كتاب الحج ، الباب ١١٧ من احكام العشرة . وعلى (المستدرك) ٢ / ٨٨ ، ٨٩ . وعلى (سفينة البحار) : ٢ / ٥٠ ، ٥١ . وعلى (البحار) ٢ مج ١٥ / ١٨٩ باب السكوت والصمت . وعلى (احياء العلوم) : ٣ / ٩٣ - ٩٥ . وعلى (كنز العمال) : ٢ / ٧٢ و ١١١ .

- رضوان الله عليهم - كانوا يتنفسون تنفس الغرقى ، ويتكلمون شبه المرضى وانما سبب هلاك الخلق ونجاتهم الكلام والصمت . فطوبى لمن رزق معرفة عيب الكلام وصوابه ، وعلم الصمت وفوائده ! فان ذلك من أخلاق الانبياء وشعار الاصفياء . ومن علم قدر الكلام أحسن صحبة الصمت ومن أشرف على ما في لطائف الصمت واؤتمن على خزائنه كان كلامه وصمته كله عبادة ولا يطلع على عبادته هذه إلا الملك الجبار » (١).

وقد ظهر من هذه الاخبار : أن الصمت مع سهولته أنفع للانسان من كل عمل ، وكيف لايكون كذلك ، وخطر اللسان الذي هو أعظم الاخطار وآفاته التي هي أشد المهلكات لاينسد إلا به ؟ والكلام وان كان في بعضه فوائد وعوائد ، إلا أن الامتياز بين الممدوح والمذموم منه مشكل ومع الامتياز فالاقتصار على مجرد الممدوح عند اطلاق اللسان أشكل ، وحينئذ فالصمت عما لاجزم بتضمنه للخير والثواب من الكلام أولى وانفع

وقد نقل : « أن أربعة من أذكياء الملوك - ملك الهند ، وملك الصين ، وكسرى ، وقيصر - تلاقوا في وقت ، فاجتمعوا على ذم الكلام ومدح الصمت فقال أحدهم : أنا أندم على ماقلت ولا أندم على مالم أقل وقال الآخر : إني اذا تكلمت بالكلمة ملكتني ولم أملكها ، واذا لم أتكلم بها ملكتها ولم تملكني . وقال الثالث : عجبت للمتكلم ، ان رجعت عليه كلمته ضرته ، وان لم ترجع لم تنفعه . وقال الرابع : أنا على رد مالم اقل أقدر مني على رد ماقلت » .

---

(١) مصباح الشريعة : الباب ٢٧ .

ومنها :

حب الجاه والشهرة

والمراد بالشهرة : انتشار الصيت ، ومعنى الجاه : ملك القلوب وتسخيرها بالتعظيم والاطاعة والانقياد له . وبعبارة اخرى : قيام المنزلة في قلوب الناس ، وانما تصير القلوب مملوكة مسخرة للشخص ، باشتمالها على اعتقاد اتصافه بكمال حقيقي ، اوبما يظنه كمالا ، من علم وعبادة ، أو ورع وزهادة ، أوقوة وشجاعة ، أوبذل وسخاوة ، أو سلطنة وولاية أو منصب ورياسة ، أو غنى ومال ، او حسن وجمال ، أو غير ذلك مما يعتقده الناس كمالا . وتسخير القلوب وانقيادها على قدر اعتقادها ، وبحسب درجة ذلك الكمال عندها ، فبقدر مايعتقد أرباب القلوب تذعن له قلوبهم وبقدر اذعانها تكون قدرته عليهم ، وبقدر قدرته يكون فرحه وحبه للجاه . ثم تلك القلوب تبعث أربابها على المدح والثناء ، فان المعتقد للكمال لايسكت عن ذكر ما يعتقده فيثني عليه ، وعلى الخدمة والاعانة ، فانه لايبخل ببذل نفسه في طاعته بقدر اعتقاده ، وعلى الايثار وترك المنازعة والتعظيم والتوقير والابتداء بالسلام وتسليم الصدر في المحافل والتقديم في جميع المقاصد .

(تنبيه) : حب الجاه والشهرة إن كان من حيث ايجابهما الغلبة والاستيلاء حتى ترجع حقيقة الى حبها وكان طالبها طالباً لها ، فهو من رذائل قوة الغضب ، وان كان من حيث التوصل بها الى قضاء الشهوات وحظوظ النفس البهيمية ، فهو من رذائل قوة الشهوة ، وان كان من الحيثيتين فهو من رذائلهما بالاشتراك ، بمعنى مدخلية كل منهما في حدوث خصوص هذه الصفة . والاصل اشتراك القوتين في حدوث حب الجاه

والشهرة - كما ذكرناه في جملة مايتعلق بهما معاً - بخلاف حب المال ، فان الغالب أن حبه من حيث التوصل به الى قضاء حظوظ القوة الشهوية ، وكونه لمجرد الاستيلاء عليه بالمالكية والتمكن على التصرف فيه نادر ، ولذا ذكرناه فيما يتعلق بقوة الشهوة .

فصل

ذم حب الجاه والشهرة

اعلم ان حب الجاه والشهرة من المهلكات العظيمة ، وطالبهما طالب الآفات الدنيوية والاخروية ، ومن إشتهر اسمه وانتشر صيتـه لايكاد أن تسلم دنياه وعقباه ، إلا من شهره الله لنشر دينه من غير تكلف طلب للشهرة منه . ولذا ورد في ذمها مالا يمكن احصاؤه من الآيات والاخبار : قال الله سبحانه :

« تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِيْنَ لاَ يُرِيْدُوْنَ عُلُوّاً فِي الأَرْضِ وَلاَ فَسَاداً » (١) . وقال : « مَنْ كَانَ يُرِيْدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِيْنَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيْهَا وَهُمْ فِيْهَا لاَ يُبْخَسُونَ أُولَـئِكَ الَّذِيْنَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ إِلاَّ النَّارُ وَحَبِطَ مَاصَنَعُوا فِيْهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ » (٢) .

---

(١) القصص ، الآية : ٨٣ .

(٢) هود ، الآية : ١٥ - ١٦ .

وهذا بعمومه متناول لحب الجاه ، لأنه أعظم لذة من لذات الحياة الدنيا واكبر زينة من زينتها .

وقال رسول الله - صلى الله عليه وآله - : « حب الجاه والمال ينبتان النفاق في القلب كما ينبت الماء البقل » . وقال - صلى الله عليه وآله - : « ماذئبان ضاريان أرسلا في زريبة غنم باكثر فساداً من حب الجاه والمال في دين الرجل المسلم » . وقال - صلى الله عليه وآله - : « حسب امرىء من الشر إلا من عصمه الله أن يشير الناس اليه بالاصابع » . وقال امير المؤمنين - عليه السلام - : « تبذل ولا تشتهر ، ولا ترفع شخصك لتذكر ، وتعلم واكتم ، واصمت تسلم ، تسر الأبرار وتغيظ الفجار » . وقال الباقر - عليه السلام - . « لاتطلبن الرياسة ولا تكن ذنباً ، ولا تأكل الناس بنا فيفقرك الله » . وقال الصادق - عليه السلام - : « اياكم وهؤلاء الرؤساء الذين يترأسون ، فو الله ماخفقت النعال خلف رجل إلا هلك وأهلك ! » . وقال - عليه السلام - : « ملعون من ترأس ، ملعون من هم بها ، ملعون من حدث بها نفسه ! » وقال - عليه السلام - : « من أراد الرياسة هلك » . وقال - عليه السلام - : « أترى لا اعرف خياركم من شراركم بلى والله ! إن شراركم من أحب أن يوطأ عقبه ، أنه لابد من كذاب أو عاجز الرأي » (١) .

والأخبار بهذه المضامين كثيرة ، ولكثرة آفاتها لايزال اكابر العلماء وأعاظم الاتقياء يفرون منها فرار الرجل من الحية السوداء ، حتى أن بعضهم اذا جلس اليه أكثر من ثلاثة قام من مجلسه ، وبعضهم يبكي لأجل أن اسمه بلغ المسجد الجامع ، وبعضهم اذا تبعه اناس من عقبه التفت اليهم

(١) الاحاديث الخمسة الاخيرة صححناها على (اصول الكافي) : باب طلب الرياسة . و (الوسائل) : كتاب الجهاد ، الباب ٤٩ من ابواب جهاد النفس .

وقال : « على م تتبعوني ، فو الله لو تعلمون ما اغلق عليه بابي ما تبعني منكم رجلان » . وبعضهم يقول : « لا اعرف رجلا احب أن يعرف إلا ذهب دينه وافتضح » . وآخر يقول : « لايجد حلاوة الآخرة رجل يحب أن يعرفه الناس » . وآخر يقول : « والله ماصدق الله عبد إلا سره ألا يشعر بمكانه » .

ومن فساد حب الجاه : أن من غلب على قلبه حب الجاه ، صار مقصور الهم على مراعاة الخلق ، مشغوفا بالتودد اليهم والمراءاة لأجلهم ، ولا يزال في أقواله وأفعاله متلفتاً الى مايعظم منزلته عندهم ، وذلك بذر النفاق وأصل الفساد ، ويجر لامحالة الى التساهل في العبادات والمراآة بها والى اقتحام المحظورات للتوصل بها الى اقتناص القلوب ، ولذلك شبه رسول الله حب الشرف والمال وافسادهما للدين بذئبين ضاربين ، وقال : « إنه ينبت النفاق كما ينبت الماء البقل » ، إذ النفاق هو مخالفة الظاهر للباطن بالقول والفعل ، وكل من طلب المنزلة في قلوب الناس يضطر الى النفاق معهم ، والى التظاهر بخصال حميدة هو خال عنها ، وذلك عين النفاق :

فصل

الجاه احب من المال

إن لملك القلوب ترجيح على ملك المال بوجوه :

الأول ـ أن المال معرض التلف والزوال ، لأنه يغصب ويسرق وتطمع فيه الملوك والظلمة ، ويحتاج فيه الى الحفظ والحراسة ، وتتطرق اليه أخطار كثيرة . وأما القلوب اذا ملكت ، فهي من هذه الآفات محفوظة

نعم انما يزول ملك القلوب بتغيير اعتقادها فيما صدقت به من الكمال الحقيقي أو الوهمي .

الثاني ــ ان التوصل بالجاه الى المال أيسر من التوصل بالمال الى الجاه فالعالم أو الزاهد الذى تقرر له جاه في القلوب ، لو قصد اكتساب المال تيسر له بسهولة ، لأن أموال أرباب القلوب مسخرة للقلوب ، ومبذولة لمن اذعنت له بالانقياد واعتقدت فيه أوصاف الكمال ، وأما الخسيس العارى عن الكمال اذا ظفر بكثرة من المال ولم يكن له جاه يحفظ به ماله وأراد أن يتوصل به الى الجاه ، لم يتيسر له .

الثالث ــ أن ملك القلوب يسرى وينمو ويتزايد من غير حاجة الى تعب ومشقة ، اذ القلوب اذا أذعنت بشخص واعتقدت اتصافه بعلم او عمل أو غيره ، أفصحت الالسنة بما فيها لامحالة ، فيصف مايعتقده لغيره وهو أيضا يذعن به ويصفه لآخر ، فلا يزال يستطار في الاقطار ، ويسرى من واحد الى واحد ، الى أن يجتمع معظم القلوب على التعظيم والقبول . وأما المال ، فمن ملك شيئاً منه فلا يقدر على استنمائه إلا بتعب ومقاساة . ولهذه الوجوه تستحقر الأموال في مقابلة عظم الجاه وانتشار الصيت وانطلاق الالسنة بالمدح والثناء .

فصل

لابد للانسان من جاه

كما أنه لابد من أدنى مال لضرورة المطعم والملبس والمسكن ومثله ليس بمذموم ، فكذلك لابد من ادنى جاه لضرورة المعيشة مع الخلق ، إذ الانسان كما لايستغنى عن طعام يتناوله فيجوز أن يحب الطعام والمال

الذي يباع به الطعام. فكذلك لايستغني عن خادم يخدمه ورفيق يعينه وسلطان يحرسه ويدفع عنه ظلم الأشرار ، فحبه لأن يكون له في قلب خادمه من المنزلة مايدعوه الى الخدمة وفي قلب رفيقه من المحل مايحسن به مرافقته ، وفي قلب السلطان من المحل مايدفع به الشر عنه ، ليس بمذموم . إذ الجاه كالمال وسيلة الى الاغراض ، فلا فرق بينهما ، إلا أن هذا يقضي الى ألا يكون المال والجاه محبوبين باعيانهما بل من حيث التوصل بهما الى غيرهما ولا ريب في أن كل مايراد به التوصل الى محبوب فالمحبوب هو المقصود المتوسل اليه دون الوسيلة .

ومثل هذا الحب مثل حب الانسان أن يكون في داره بيت الخلاء لقضاء حاجته ، ولو استغنى عن قضاء الحاجة ولم يضطر اليه ، كره اشتمال داره على بيت الخلاء ، ومثل أن يحب زوجته ليدفع بها فضلة الشهوة ، ولو كفى مؤنة الشهوة لأحب مهاجرتها ، واذا كان حبها لضرورة البدن والمعيشة لا لذاتهما ، لم يكن مذموماً ، والمذموم أن يحبها لذاتهما : وفيما يجاوز ضرورة البدن كحب زوجته لذاتها حب العشاق حتى لو كفى مؤنة الشهوة لبقى مستصحباً لحبها .

ثم حبها باعيانها وان كان مذموماً مرجوحا ، لكنه لايوصف صاحبه بالفسق والعصيان مالم يحمله الحب على مباشرة معصية ، وما لم يتوصل الى اكتسابها بكذب وخداع وتلبيس ، كأن يظهر للناس قولا أو فعلا اعتقدوا لأجله اتصافه بوصف ليس فيه ، مثل العلم والورع أو علو النسب ، وبذلك يطلب قيام المنزلة فى قلوبهم ، وما لم يتوصل الى اكتسابها بعبادة ، إذ التوصل الى المال والجاه بالعبادة جناية على الدين وهو حرام ، واليه يرجع معنى الرياء المحظور ، كما يأتي .

وأما طلبها بصفة هو متصف بها ، فهو مباح غير مذموم ، وذلك

كقول يوسف - عليه السلام - :

« اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ » (١) .

حيث طلب المنزلة في قلب الملك بكونه حفظاً عليما ، وكان صادقاً في قوله . وكذا طلبها باخفاء عيب من عيوبه ومعصية من معاصيه ، حتى لايعلمه فلا تزول به منزلته في قلبه ، مباح غير مذموم ، إذ حفظ الستر على القبائح جائز ، بل لايجوز هتك السّر واظهار القبيح ، وهذا ليس فيه كذب وتلبيس بل هو سد لطريق العلم بما لافائدة للعلم به ، كالذي يخفي عن الساطان أنه يشرب الخمر ولا يلقى اليه أنه ورع ، فان قوله إنه ورع تلبيس ، وعدم اقراره بالشرب لايوجب اعتقاد الورع ، بل يمنع العلم بالشرب ، وهو جائز شرعا وعقلا .

فصل

دفع اشكال في حب المال والجاه

إن قيل : الوجه في حبها بالعرض وفي حب قدر مايضطر اليها في المعيشة وضرورة البدن ظاهر ، فما الوجه في حبها باعيانها وفي حب الزائد عن قدر الضرورة منها ؟ كحب جمع المال ، وكنز الكنوز ، وادخار الذخائر ، واستكثار الخزائن وراء جميع الحاجات ، وحب اتساع الجاه وانتشار الصيت الى اقاصي البلاد التي يعلم قطعاً أنه قط لايطؤها ولا يشاهد أهلها ليعظموه ويمينوه على غرض من اغراضه ، فانه مع ذلك يلتذ به غاية الالتذاذ ويسر به غاية السرور ، حتى لايجد في نفسه لذة أقوى منه ، ويراه فوق جميع لذاته وابتهاجاته .

(١) يوسف ، الآية : ٥٥ .

قلنا : الوجه في ذلك أمران :

الاول — دفع ألم الخوف الناشيء من سوء الظن وطول الامل . فان الانسان وإن كان له من المال مايكفيه في الحال ، إلا أنه لطول أمله قد يخطر بباله ان المال الذي فيه كفايته ربما يتلف فيحتاج الى غيره ، فاذا خطر ذلك بباله ، هاج الخوف في قلبه ، ولا يزول ألم الخوف إلا بالأمن الحاصل من وجود مال آخر يفزع اليه إن أصابت هذا المال آفة ، فهو أبداً لحبه للحياة وشفقته على نفسه يقدر طول الحياة وهجوم الحاجات ، ويقدر امكان تطرق الآفات الى الاموال ويستشعر الخوف من ذلك ، فيطلب مايدفع خوفه ، وهو كثرة المال ، حتى ان اصيب بطائفة من ماله يفزع الى الاخرى . وهذا خوف لاموقف له عند مقدار مخصوص من المال ، ولذلك لم يكن لمياسه موقف الى أن يملك جميع مافي الدنيا ، ولذلك قال - صلى الله عليه وآله - : « منهومان لايشبعان : منهوم العلم ، ومنهوم المال » ومثل هذه العلة تطرد في حب قيام المنزلة والجاه في قلوب الاباعد عن وطنه وبلده ، فانه لايخلو عن تقدير سبب يزعجه عن الوطن ، أويزعج أولئك عن أوطانهم الى وطنه ، ويحتاج الى الاستعانة بهم ومهما كان ذلك ممكناً ، كان للنفس لذة وسرور بقيام المنزلة في قلوبهم ، لما فيه من الأمن من هذا الخوف .

الثاني — أن الانسان مركب من اصول مختلفة : هي القوة الشهوية ، والقوة السبعية ، والقوة الشيطانية ، والروح الذي هو أمر رباني ، ولذلك له ميل الى صفات بهيمية ، كالأكل والوقاع ، والى صفات سبعية ، كالقتل والايذاء ، والى صفات شيطانية ، كالمكر والخديعة والاغواء ، والى صفات ربوبية ، كالعلم والقدرة والكبر والعز والفخر والاستعلاء . فهو لما فيه من الأمر الرباني يحب الربوبية بالطبع ، ومعنى الربوبية التوحد بالكمال ، والتفرد

بالوجود على سبيل الاستقلال ، والاستيلاء على جميع الاشياء بالغلبة ، واستناد الكل اليه بالصدور منه والمعلولية .

وبالجملة : مقتضى الربوبية التفرد بالوجود والكمال ورجوع كل وجود وكمال اليه ، إذ هو التام فوق التام ، ولا يتحقق ذلك إلا بالتفرد بالوجود والكمال والقدرة والاستيلاء على جميع ما عداه . إذ المشاركة في الوجود نقص لامحالة ، فكمال الشمس في أنها موجودة وحدها . فلو كانت معها شمس اخرى كان ذلك نقصاناً في حقها ، إذ لم تكن متفردة بكمال معنى الشمسية فاذا كان معنى الربوبية هو التفرد بالوجود والكمال ، وكل انسان كان فيه أمر رباني ، فالتفرد بالوجود والكمال محبوب له بالطبع ، وضده - اعني العبودية - قهر على نفسه ، لأنه علم أن المتفرد بالوجود والكمال هو الله تعالى ، اذ ليس معه موجود سواه ، فان ماسواه أثر من آثار قدرته لاقوام له بذاته ، بل هو قائم به ، وليس له معية بالوجود بالنسبة اليه تعالى ، إذ المعية توجب المساواة في الرتبة ، وهي نقصان في الكمال إذ الكامل الحقيقي من لانظير له في الوجود ، والكمال بوجه من الوجوه وان كان لغيره وجود وكمال بعد كونه صادراً منه معلولا له ، إذ تحقق الموجودات وذوات الممكنات لايوجب نقصاناً في ذاته سبحانه بعد استنادها جميعها اليه ، وكونها أضعف منه بمراتب غير متناهية في الوجود والكمال شدة وقوة ، فكما ان اشراق نور الشمس في أقطار الآفاق ليس نقصاناً في الشمس ، بل هو من جملة كمالها ، وانما نقصانها بوجود شمس أخرى مساوية لها في الرتبة مستغنية عنها ، فكذلك وجود كل مافي العالم اذا كان من اشراق نور القدرة الإلهية تابعاً لها ، لم يكن ذلك نقصاناً في الواجب سبحانه ، بل كان كمالا له .

ولما علم ذلك ، وتيقن بأن التفرد بالوجود والكمال والاستيلاء التام

على جميع الاشياء لايليق به ، لأنه عبد مملوك مقهور تحت القدرة الإلهية ، عرف أنه عاجز عن درك منتهى الكمال الذى هو التفرد بالوجود والاستيلاء أى كون وجود غيره منه . إلا أنه لم تسقط شهوته للكمال ، بل هو محب له ملتذ به لذاته لا لمعنى آخر وراء الكمال ، وطالب لتحصيل ما يتمكن منه . فمطلق الكمال محبوب عنده ، إلا أن طلبه إنما يتعلق بالكمال الممكن في حقه ومن الكمال الممكن في حقه أن يحصل له نوع استيلاء على كل الموجودات ، فكان ذلك محبوباً عنده ومطلوباً له . ولما كانت الموجودات منقسمة الى مالا تحصى ولكن لاتستولى عليه قدرة الخلق بالتصرف، كالأفلاك والكواكب وملكوت السماوات ونفوس الملائكة والجن والشياطين والجبال والبحار وغير ذلك ، والى مايقبل التغير وتستولى عليه قدرة العباد ، كالأرض وأجزائها وما عليها من المعادن والنبات والحيوان ، ومن جملتهـا قلوب الآدميين ونفوسهم لكونها قابلة للتغير والتأثير مثل أجسادهم واجساد سائر الحيوانات — فلم يكن للانسان أن يتصور إمكان استيلائه على الكل بالتصرف فيه ، فلم يتعرض لطلب ذلك ، بل أحب في كل منها نوع الاستيلاء الذي يمكن في حقه والاستيلاء الذى يمكنه في حقه بالنظر الى القسمين الاولين هو الاحاطة عليه بالعلم والاطلاع على اسراره ، لأن ذلك نوع استيلاء . اذ المحاط به تحت القدرة ، والعالم كالمستولى عليه . ولذلك أحب الانسان ان يعرف الواجب تعالى والملائـكة والافـلاك والكواكب وعائب الملك والملكوت ، لأن ذلك نوع استيلاء ، والاستيلاء نوع كمال .

وأما القسم الثالث ، فيمكنه أن يستولى عليه بالتصرف فيه كيف يريد فيقدر على الأراضي والاملاك بأن يتصرف فيها بالحيازة والضبط والزرع والغرس ، وعلى الأجساد الأرضيـة الحيوانية والنباتية والجمادية بالركوب والضبط والحمل والرفع والوضع والتسليم والمنع ، وعلى نفوس الآدميين

وقلوبهم بأن تكون مسخرة متصرفة تحت اشارته وارادته وصيرورتها محبة له باعتقاد الكمال فيه. ولكون هذا النوع من الاستيلاء نوع كمال ، أحب الانسان هذا الاستيلاء على الأموال والقلوب ، وإن كان لايحتاج اليها في ملبسه ومطعمه وفي شهوات نفسه ، ولذلك طلب استرقاق العبيد واستعباد الأحرار ولو بالقهر والغلبة. وقد ظهر مما ذكر : أن محبوب النفس بذاتها هو الكمال بالعلم والقدرة ، والمال والجاه محبوب لكونه من أسباب القدرة ولما كانت المعلومات والمقدورات غير متناهية ، فلا يكاد أن تقف النفس الى حد من العلم والقدرة ، ولها درجات غير متناهية ، فسرور كل نفس ولذتها بقدر الدرجة التي تدركها .

فصل

الكمال الحقيقي في العلم والقدرة لا المال والجاه

لما عرفت أن المحبوب عند الانسان هو العلم والقدرة والمال والجاه لكونها كمالا ، فاعلم أنه اشتبه الأمر عليه باغواء الشيطان ، حيث التبس عليه الكمال الحقيقي بالوهمي ، وتيقن بكون جميع ذلك كمالا وأحبه . إذ التحقيق أن بعضها كمال حقيقي وبعضها كمال وهمي لا اصل له ، والسعي في طلبه جهل وخسران وتضييع وقت وخذلان .

بيان ذلك : أنه لاريب في عدم كون المال والجاه كمالا ، لأن القدرة والاستيلاء على أعيان الاموال بوجوه التصرف وعلى القلوب والأبدان بالتسخير والانقياد ينقطع بالموت ، فمن ظن ذلك كمالا فقد جهل . فالخلق كلهم في غمرة هذا الجهل ، فانهم يظنون أن القدرة على الأجساد بقهر الحشمة ، وعلى أعيان الأموال بسعة الغنى ، وعلى تعظيم القلوب بسعة الجاه

كمال . ولما اعتقدوا كون ذلك كمالا أحبوه ، ولما احبوه طلبوه ، ولما طلبوه شغلوا به وتهالكوا عليه ، فنسوا الكمال الحقيقي الذي يوجب القرب من الله ، اعنى العلم والحرية كما يأتي . فهؤلاءهم الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة ، فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون ، وهم الذين لم يفهموا قوله تعالى :

« الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ، وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَاباً » (١) .

فالعلم والحرية وفضائل الأخلاق هي الباقيات الصالحات التي تبقى كمالا للنفس بعد خراب البدن ، والمال والجاه هو الذى ينقضى على القرب وهو كما مثله الله تعالى ، حيث قال :

« إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ ... » (٢) .

وكل ماتذروه رياح الموت فهو زهرة الحياة الدنيا ، وكل مالا يقطعه الموت فهو من الباقيات الصالحات .

فقد ظهر أن كمال القدرة بالمال والجاه كمال وهمي لا أصل له ، وأن من قصر الوقت على طلبه وظنه مقصوداً فهو جاهل ، إلا قدر البلغة منها الى الكمال الحقيقي .

وأما العلم ، فلا ريب في كون ما هو حقيقة العلم كمالا حقيقياً ، إذ

(١) الكهف ، الآية : ٤٧ .

(٢) يونس ، الآية : ٢٤ .

الكمال الحقيقي هو الذي يقرب من يتصف به من الله ويبقى كمالا للنفس بعد الموت . ولا شك في أن العلم بالله وبصفاته وأفعاله وحكمته في ملكوت السماوات والارض وترتيب الدنيا والآخرة وما يتعلق به هو المقرب للعبد الى الله ، إذ هو علم ثابت لايقبل التغيير والانقلاب ، اذ معلوماته أزلية أبدية وليس لها تغير وانقلاب : حتى يتغير العلم بتغيرها مثل التغيرات التي يتغير العلم بها بتغيرها وانقلابها ، كالعلم بكون زيد في الدار .

فهو علم ثابت أزلا وأبداً من دون تغير واختلاف ، كالعلم بجواز الجائزات ووجوب الواجبات واستحالة المستحيلات . فهذا العلم ـ اعني معرفة الله ومعرفة صفاته وأفعاله ـ هو الكمال الحقيقي الذى يبقى بعد الموت وينطوى فيه العلم بالنظام الجملي الأصلح وجميع المعارف المحيطة بالموجودات وحقائق الاشياء ، اذ الموجودات كلها من أفعاله ، فمن عرفها من حيث هي فعل الله ومن حيث ارتباطها بالقدرة والارادة والحكمة ، كانت هذه المعرفة من تكملة معرفة الله التي تبقى كمالا للنفس بعد الموت ، وتكون نوراً للعارفين بعد الموت يسعى بين أيديهم وأيمانهم : « يقولون ربنا أتمم لنا نورنا » ، وهي رأس مال يوصل الى كشف مالم ينكشف في الدنيا ، كما أن من معه سراج خفى ، فانه يجوز أن يصير ذلك سبباً لزيادة النور بسراج آخر يقتبس منه ، فيكمل النور بذلك النور الخفي على سبيل الاستتمام ، ومن ليس معه أصل السراج لامطمع له في ذلك . فمن ليس له أصل معرفة الله لم يكن له مطمع في هذا النور ، بل هو في « ظلمات في بحر لجى ، يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ، ظلمات بعضها فوق بعض » .

وما عدا هذه المعرفة من المعارف ، إما لافائدة فيه أصلا ، كمعرفة الشعر وأنساب العرب ومثلها ، أوله منفعة في معرفة الله ، كمعرفة لغة

العرب والتفسير والفقه والاخبار ، ومعرفة طريق تزكية النفس التي تفيد استعداداً لقبول الهداية الى معرفة الله ، كما قال تعالى :

« قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا (١) . وقال : « وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا (٢) .

فهو من حيث إنه وسيلة الى معرفة الله والى تحصيل الحرية مما لابد منه بالعرض .

ثم ان المعرفة التي هي كمال حقيقي للانسان ليس كمال العلم وغايته ، إذ لايتصور كمال العلم ونهايته إلا للواجب تعالى ، إذ كمال العلم انما يتحقق بامور ثلاثة :

الأول — أن يحيط بكل المعلومات ، ولا يتحقق ذلك في علم البشر . إذ ما أوتي من العلم إلا قليلا ، بل العلم الذي يحيط بجميع المعلومات هو علم الله تعالى ، وعلم العبد انما يتحقق ببعض المعلومات ، وكلما كانت معلوماته اكثر كان علمه أقرب الى علم الله تعالى .

الثاني — ان يتعلق بالمعلوم على ماهو به ، ويكون المعلوم منكشفاً واضحاً في غاية الانكشاف والوضوح ، بحيث لايقبل انكشافاً أتم منه . وهذا أيضا غير ممكن التحقيق في حق الانسان ، إذ علمه لايخلو عن كدرة وابهام ، بل الكشف التام الذي هو غاية الظهور والانجلاء مختص بعلم الله تعالى ، إذ معلوماته مكشوفة بأتم أنواع الكشف على ماهي عليها ، وعلم العبد له ببعض مراتب الانكشاف ، فكلما كان اجلى واوضح وأتقن واوفق للمعلوم في تفاصيل صفاته ، كان أقرب الى علم الله .

---

(١) الشمس ، الآية : ٩ .

(٢) العنكبوت ، الآية : ٦٩ .

الثالث — أن يكون باقياً أبد الآباد ، بحيث لايتغـير ولا يزول . وهذا ايضا مختص بعلم الله تعالى ، اذ علمه تعالى باق لايتصور أن يختلف ويتغير ويزول ، وعلم الانسان يتغير ويزول ، فكلما كان علمه بمعلومات لاتقبل التغير والانقلاب ، كان أقرب الى علم الله تعالى .

هذا ، ومن الكمالات للانسان : التحلي بفضائل الأخلاق والصفات لايجابها صفاء النفس المؤدى الى البهجة الدائمية والحرية ، أعني الخلاص من أسر الشهوات وغموم الدنيا والاستيلاء عليها بالقهر ، تشبهاً بالملائكة الذين لاتستغرقهم الشهوة ولا يستهويهم الغضب ، اذ رفـع آثار الشهوة والغضب من النفس كمال حقيقي ، لأنه من صفات الملائكة . ومن صفات الكمال لله سبحانه عدم تطرق التغير والتأثر على حريم كبريائه ، فمن كان عن التغير والتأثر بالعوارض أبعد كان الى الله أقرب .

وأما القدرة ، فقد قال بعض العلماء : « أما القدرة فليس فيها كمال حقيقي للعبد ، إذ القدرة الحقيقية لله ، وما يحدث من الأشياء عقيب ارادة العبد وقدرته وحركته ، فهي حادثة باحداث الله تعالى . نعم ، له كمال من جهة القدرة بالاضافة الى الحال ، وهي وسيلة الى كمال العلم ، كسلامة أطرافه وقوة يده للبطش ، ورجله للمشي ، وحواسه للادراك ، فان هذه القوى آلة للوصول به الى حقيقة كمال العلم ، وقد يحتاج في استيفاء هذه القوى الى القدرة بالمال والجاه للتوصل به الى المطعم والملبس ، وذلك الى قدر معلوم ، فان لم يستعمله للوصول به الى معرفة الله فلا خير فيه ألبته إلا من حيث اللذة الحالية التي تنقضي على القرب ، ولا طريق للعبد الى اكتساب كمال القدرة الباقية بعد موته ، إذ قدرته على كل شيء من الأرضيات كالمال والأبدان والنفوس ، تنقطع بالموت » .

وأنت خبير بأن تحقق نوع قدرة للعباد مما لاريب فيه ، وإن كانت

أسبابها وأصلها من الله سبحانه ، إلا أن القدرة على الامور الدنيوية الفانية كالمال والأشخاص وغير ذلك ، ليست كمالا حقيقياً ، لزوالها بالموت . نعم الحق ثبوت القدرة النفسية للعبد - اعني تأثير نفسه في الغير من الكائنات تأثيراً روحانياً معنوياً ، كما هو ظاهر من تأثير بعض النفوس في الانسان والحيوان والنبات والجماد بأنواع التأثيرات ، ومثل هذه القدرة تبقى للنفوس بعد الموت ولذا ترى أن من يستغيث ببعض النفوس الكاملة من الأموات يرى منها عجائب التأثيرات والاستفاضات ، فما ذكره بعض العلماء من عدم بقاء قدرة للنفوس بعد الموت محل النظر .

وقد ظهر بما ذكر : أن الكمال الحقيقي للانسان هو العلم الحقيقي وفضائل الأخلاق والحرية والقدرة .

فصل

علاج حب الجاه

اعلم ان علاج حب الجاه مركب من علم وعمل . وعلاجه العلمي : أن يعلم أن السبب الذي لأجله أحب الجاه - وهو كمال القدرة على اشخاص الناس وعلى قلوبهم ان صفا وسلم - فآخره الموت ، فليس هو من الباقيات الصالحات بل لو سجد له كل من على وجه الأرض الى خمسين سنة او اكثر لابد بالأخرة من موت الساجد والمسجود له ، ويكون حاله كحال من مات قبله من ذوى الجاه مع المتواضعين له . ولا ينبغي للعاقل أن يترك بمثل ذلك الدين الذى هو الحياة الأبدية التى لا انقطاع لها . ومن فهم الكمال الحقيقي والكمال الوهمي - كما سبق - صغر الجاه في عينه ، إلا أن ذلك انما يصغر في عـين من ينظر الى الآخرة كأنه يشاهدها ويستحقر

العاجلة ويكون الموت كالحاصل عنده ، وأبصار اكثر الخلق ضعيفة مقصورة على العاجلة لاتمتد نورها الى مشاهدة العواقب ، كما قال الله تعالى :

« بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ » (١) .

وقال : « كَلاَّ بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَتَذَرُونَ الآخِرَةَ » (٢) .

فمن هذه مرتبته ، فينبغي ان يعالج قلبه من حب الجاه بمعرفة الآفات العاجلة ، وهو يتفكر في الأخطار التي يستهدف لها أرباب الجاه في الدنيا فان كل ذى جاه محسود مقصود بالإيذاء ، وخائف على الدوام على جاهه ولا يزال في الاضطراب والخوف من أن يتغير منزلته في القلوب . مع أن قلوب الناس أشد تغيراً وانقلاباً من القدر في غليانه ، وهي مرددة بين الاقبال والاعراض ، فكلما يبنى على قلوب الخلق يضاهي مابني على أمواج البحر فانه لاثبات له . والاشتغال بمراعاة القلوب وحفظ الجاه ودفع كيد الحساد ومنع اذى الأعداء اشتغال عن الله وتعرض لمقته في العاجل والآجل كل ذلك غموم عاجلة مكدرة للذة الجاه ، فلا يبقى في الدنيا أيضاً مرجوها بمخوفها ، فضلا عما يفوت في الآخرة . فبهذا ينبغي أن تعالج البصيرة الضعيفة وأما من نفذت بصيرته وقوى ايمانه فــلا التفات له الى الدنيا . فهذا هو العلاج العلمي :

وأما العلاج العملي فاسقاط الجاه عن قلوب الخلق بالانس بضد الجاه الذي هو الخمول ويقنع بالقبول من الخالق ، وأقوى العلاج لقطع الجاه الاعتزال عن الناس والهجرة الى مواضع الخمول ، لامجرد الاعتزال فى بيته في البلدة التي هو فيها مشهور ، لأن المعتزل في بيته في البلدة التي هو فيها

---

(١) الأعلى ، الآية : ١٦ - ١٧ .

(٢) القيامة ، الآية : ٢٠ - ٢١ .

مشهور عند أهلها لايخلو بسبب عزلته عن حب المنزلة التي ترسخ له في القلوب ، فربما يظن أنه ليس محباً لذلك الجاه وهو مغرور ، وانما سكنت نفسه لأنها ظفرت بمقصودها ، ولو تغير الناس عما اعتقدوا فيه وذموه أو نسبوه الى امر غير لائق ، ربما جزعت نفسه وتألمت وتوصلت الى الاعتذار من ذلك واماطة ذلك الغبار عن قلوبهم ، وربما يحتاج في إزالة ذلك عن قلوبهم الى كذب وتلبيس ولا يبالى به ، وبه يتبين انه بعد محب للجاه والمنزلة ، ولا يمكنه ألا يحب المنزلة في قلوب الناس مادام يطمع في الناس ولا يقطع الطمع عن الناس إلا بالقناعة . فمن قنع استغنى عن الناس ، واذا استغنى لم يشتغل قلبه بالناس ولم يكن لقيام منزلته في القلوب وزن عنده ، بل من لم يطمع في الناس وكان من أهل المعرفة ، كان الناس عنده كالبهائم ، فكيف يكون طالباً لقيام منزلته في قلوبهم ؟ .

والحاصل : أن الغالب والباعث على قيام المنزلة في قلوب الناس هو الطمع منهم ، ولذا ترى انك لاتطلب قيام منزلتك في قلوب من فى أقصى لمشرق أو المغرب ، لعدم طمع لك فيهم ، ثم ينبغي أن يستعين على المعالجة بالأخبار الواردة في ذم الجاه - كما مر - وفي مدح الخمول ، كما يأتي .

فصل

حب الخمول

ضد حب الجاه والشهرة حب الخمول ، وهو شعبة من الزهد ، كما أن حب الجاه شعبة من حب الدنيا . فحب الدنيا والزهد ضدان :

ثم الخمول من صفات المؤمنين وخصال الموقنين ، وقد كانت طوائف العرفاء المتوحدين ومن يماثلهم من سلفنا الصالحين محبين له طالبين إياه ، وكل من عرف الله واحبه وانس به ، كان محباً للخمول متوحشاً من الجاه

وانتشار الصيت ، كما تنادي به كتب السير والتواريخ . وقد وردت بمدحه أخبار كثيرة ، كقول رسول الله - صلى الله عليه وآله - : « إن اليسير من الرياء شرك ، وان الله يحب الاتقياء الأخفياء ، الذين اذا غابوا لم يفقدوا واذا حضروا لم يعرفوا ، قلوبهم مصابيح الهدى ، ينجون من كل غبراء مظلمة » . وقوله - صلى الله عليه وآله - : « رب ذي طمرين لايؤبه له لو أقسم على الله لأبره ، لو قال : اللهم اسألك الجنة ! لأعطاه الجنة ولم يعطه من الدنيا شيئاً » . وقوله - صلى الله عليه وآله - : « ألا أدلكم على أهل الجنة ؟ كل ضعيف مستضعف ، لو اقسم على الله لأبره » . وقوله - صلى الله عليه وآله - : « إن أهل الجنة كل اشعث أغبر ذي طمرين لايؤبه له ، الذين اذا استأذنوا على الامراء لم يؤذن لهم ، واذا خطبوا النساء لم ينكحوا ، واذا قالوا لم ينصت لهم . حوائج أحدهم تتخلخل في صدره ، لو قسم نوره يوم القيامة على الناس لوسعهم » . وقوله - صلى الله عليه وآله - : « إن من امتي من لو اتى أحدكم يسأله ديناراً لم يعطه إياه ، أو يسأله درهماً لم يعطه اياه ولو سأل الله تعالى الجنة لأعطاها إياه ، ولو سأله الدنيا لم يعطها اياه ، وما منعها اياه لهوانه عليه » وقوله - صلى الله عليه وآله - : « قال الله عز وجل : ان من أغبط أوليائي عندي رجلا خفيف الحال ، ذا حظ من صلاة ، أحسن عبادة ربه بالغيب وكان غامضا في الناس ، جعل رزقه كفافاً فصبر عليه ، عجلت منيته فقل تراثه وقل بواكيه » (١) . وورد : « أن الله تعالى يقول في مقام الامتنان على بعض عبيده : ألم أنعم عليك ؟ ألم استرك ؟ ألم أخمل ذكرك » . وقال بعض خيار الصحابة : « كونوا ينابيع العلم ، مصابيح الهدى ، احلاس البيوت ، سرج الليل ، جدد القلوب ، خلقان الثياب . تعرفون في أهل

(١) تقدم الحديث في ٢ / ٥٩ ، وذكرنا في التعليقة تفسير معنى (خفيف) .

السماء ، ويخفون في أهل الأرض » . ومن اطلع على أحوال أكابر الدين والسلف الصالحين من ايثارهم الخمول والذل على الجاه والشهرة والغلبة ، ثم في ماورد في مدحهما من الأخبار ، تيقن بأنهما من أوصاف المؤمنين ، ولابد للمؤمن من الاتصاف بهما ، ولذا ورد : « أن المؤمن لايخلو عن ذلة او علة أو قلة » .

ومنها :

حب المدح

وكراهة الذم . وهما من نتائج حب الجاه ، ومن المهلكات العظيمة إذ كل محب للمدح والثناء خائف من الذم ، يجعل أفعاله وحركاته على مايوافق رضا الناس ، رجاءاً للمدح وخوفا من الذم . فيختار رضا المخلوق على رضا الخالق ، فيرتكب المحظورات ويترك الواجبات ، ويتهاون في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ويتعدى عن الانصاف والحق ، وكل ذلك من المهلكات ، وليس للمؤمن أن يحوم حولها ، بل المؤمن من لم يؤثر قط رضا المخلوق على رضا الخالق ، ولا تأخـذه في الله لومة لائم . ولعظم فساد حب المدح وبغض الذم ورد في ذمهما ماورد في الأخبار ، قال رسول الله - صلى الله عليه وآله - : « إنما هلك الناس بإتباع الهوى وحب الثناء » . وقال - صلى الله عليه وآله - : « رأس التواضع أن تكره أن تذكر بالبر والتقوى » . وقال - صلى الله عليه وآله - لرجل اثنى على آخر بحضرته : « لو كان صاحبك حاضراً فرضي بالذى قلت فمات على ذلك ، دخل النار » . وقال - صلى الله عليه وآله - : لما مدح آخر : « ويحك ! قطعت ظهره ! ولو سمعك ما أفلح الى يوم القيامة » . وقال

- صلى الله عليه وآله - : « ألا لاتمادحوا ! واذا رأيتم المداحين فاحثوا في وجوههم التراب » . وقال - صلى الله عليه وآله - : « ويل للصائم ! وويل للقائم ! وويل لصاحب التصوف ! إلا من ... فقيل : يارسول الله إلا من ؟ فقال : إلا من تنزهت نفسه عن الدنيا ، وأبغض المدحة واستحب المذمة » .

فصل

مراتب حب المدح وكراهة الذم

اعلم أن لحب المدح وكراهة الذم مرتبتين : أولاهما : أن يفرح بالمدح ويشكر المادح ، ويغضب من الذم ويحقد على الذام ، ويكافيه او يحب مكافاته . وهذا حال أكثر الخلق ؛ ولا حد لاعها . واخراها : أن يفرح باطنه ويرتاح للمادح ، ولكن يحفظ ظاهره من اظهار السرور ، ويتبغض في الباطن على الذام ، ولكن يمسك لسانه وجوارحه عن مكافاته وهذه وان كانت نقصاناً ، إلا أنها بالنظر الى الاولى كمال .

وباعتبار آخر ، لحب المدح درجات :

الاولى - أن يتمنى المدح وانتشار الصيت بحيث يتوصل الى نيلهما بكل ممكن ، حتى يرائي بالعبادات ولا يبالي بمفارقة المحظورات ، لاستمالة قلوب الناس واستنطاق ألسنتهم بالمدح . وهذا من الهالكين .

الثانية - أن يريد ذلك ويطلبه بالمباحات لا بالعبادات وارتكاب المحظورات ، وهذا على شفا جرف الهلاك . اذ حدود الكلام والأعمال التي يستميل بها القلوب لايمكنه أن يضبطها ، فيوشك أن يقع فيما لايحل له ليتوصل به الى نيل المدح . فهو قريب من الهالكين .

الثالثة - ألا يريد المدح ولا يسعى لطلبه ، ولكن اذا مدح سر وارتاح ، من غير وجدان كراهة في نفسه لهذا السرور والارتياح . وهذا أيضا نقصان ، وان كان أقل اثماً بالاضافة الى ماقبله .

الرابعة - أن يسر ويرتاح ، ولكن كره هذا السرور والارتياح ، وكلف قلبه كراهة المدح وبغضه ، وهو في مقام المجاهدة ، ولعل الله يسامحه اذا بذل جهده . ومع ذلك لم يقدر على ربط نفسه على كراهة المدح دائما .

فصل

اسباب حب المدح

حب المدح والثناء له أسباب :

الأول - شعور النفس بكمالها ، فان الكمال لما كان محبوباً فمهما شعرت النفس بكمالها ارتاحت واهتزت وتلذذت ، والمدح يشعر نفس الممدوح بكمالها ، فان كان مابه المدح وصفاً مشكوكا فيه صادر عن خبير بصير لايجازف في القول ، كالوصف بكمال العلم والورع وبالحسن المطلق ، فاللذة فيه عظيمة لأن الانسان ربما كان شاكاً في كمال علمه وكمال حسنه ويكون شائقاً لزوال هذا الشك ، فاذا ذكره غيره ، (لا) سيما اذا كان من أهل البصيرة ، أورث ذلك طمأنينة وثقة بوجود ذلك الكمال ، فعظمت لذته ، ولو كان صادراً ممن لابصيرة له ، كانت لذته أقل لقلة الاطمئنان بقوله . وإن كان مابه المدح وصفاً جلياً ، كاعتدال القامة وبياض اللون كانت لذته في غاية القلة ، لأن ثناءه لايورث ماليس له من الطمأنينة والثقة إلا أنه لايخلو عن لذة ما ، اذ النفس قد تغفل عنه فتخلو عن لذته ، فتنبهها عليه بالمدح يورث لذة ما . ولضد هذه العلة يبغض الذم ايضاً ،

لأنه يشعر بنقصان في نفسه ، والنقصان ضد الكمال .

الثاني - ان المدح يدل على أن قلب المادح ملك الممدوح ، وانه مريد له معتقد فيه ومسخر تحت مشيته ، وملك القلوب محبوب ، والشعور بحصوله لذيذ ، ولذلك تعظم اللذة مهما صدرت ممن تتسع قدرته وينتفع باقتناص قلبه كالملوك والأكابر ، ولضد هذه العلة يكره الذم ويتألم القلب به .

الثالث - أن المدح سبب اصطياد قلب كل من يسمعه ، لاسيما اذا كان المادح ممن يعتنى بقوله ، وهذا يختص بمدح يقع على الملأ .

الرابع - أن المدح يدل على حشمة الممدوح واضطرار المادح الى اطلاق اللسان بالثناء عليه طوعا أو قهراً ، والحشمة محبوبة لما فيها من الغلبة والقدرة ، فشعور النفس بها يورث لذة ، وهذه اللذة تحصل وان علم الممدوح ان المادح لايعتقد بما يقوله ، اذ مايطلبه يحصل منه ، ولضد هذه العلة يبغض الذم ايضا .

وهذه الأسباب قد تجتمع في مدح واحد فيعظم به الالتذاذ ، وقد تفترق فينتقص ويندفع استشعار الكمال ، بأن يعلم الممدوح أن المادح غير صادق في مدحه ، فان كان يعلم أن المادح ليس يعتقد مايقوله بطلت اللذة الثانية أيضاً ، وهو استيلاءه على قلبه ، وبقيت لذة الاستيلاء بالحشمة على اضطرار لسانه الى النطق بالمدح .

فصل

علاج المدح وكراهة الذم

اذا علم أن حب المدح وكراهة الذم من المهلكات ، فيجب أن يبادر الى العلاج .

وعلاج الأول : أن يلاحظ أسبابه ، ويعلم أن شيئاً منها لايصلح حقيقة لأن يكون سبباً له . أما استشعار الكمال بالمدح ، فلأن المادح ان صدق فليكن الفرح من فضل الله حيث أعطاه هذه الصفات ، وإن كذب فينبغي أن يغمه ذلك ولا يفرح به لأنه استهزاء به ، مع أن الفرح مطلقاً في صورة الصدق من السفاهة ، اذ الوصف الذى مدح به إن كان مما لايستحق الفرح به ، كالثروة والجاه وغيرهما من المطالب الدنيوية ، فالفرح به من قلة العقل ، لأنها كمالات وهمية لا أصل لها ، وان كان مما يستحق الفرح به كالعلم والورع ، فالفرح إنما هو لكونه مقرباً الى الله ، وهذا فرع حسن الخاتمة وهو غير معلوم . ففي الخوف من خطر الخاتمة شغل شاغل من الفرح بكل شيء . وأما دلالة المدح على تسخير قلب المادح وكونه سبباً لتسخير قلب من يسمعه ، فحب ذلك يرجع الى حب الجاه والمنزلة في القلوب ، وقد سبق طريق معالجته . وأما دلالته على الحشمة ، فانها ليست إلا قدرة عارضة ناقصة لاثبات لها ، والعاقل لايفرح بمثلها .

وأما علاج الثاني : - اعني كراهة الذم - فيعلم بالمقايسة على علاج حب المدح . والقول الوجيز فيه : ان من يذمك إن كان صادقاً وقصده النصح والارشاد ، فلا ينبغي أن تبغضه وتغضب عليه ، بل ينبغي أن تفرح وتجتهد في ازالة الصفة المذمومة عن نفسك ، وما أقبح بالمؤمن أن يغضب على من يحسن اليه ويريد هدايته . وان كان قصده الإيذاء والتعنت ، فلا ينبغي لك أيضا أن تبغضه وتكره ذلك ، لأنه أرشدك الى عيبك إن كنت جاهلا به ، وذكرك إياه إن كنت غافلا عنه ، وقبحه في عينك إن كنت متذكراً له . وعلى التقادير قد استفدت منه ماتنتفع به ، وينبغي لك أن تغتنمه وتبادر الى ازالة عيبك . وإن كان كاذباً مفتريا عليك بما أنت منه بريء ، فينبغي لك أيضا ألا تكره ذلك ولا تشتغل بذمه ، لأنك وإن

خلوت من ذلك العيب ، إلا أنك لاتخلو من عيوب اخر مساوية له وافحش منها ، فاشكر الله تعالى على أنه سترها ولم يطلع أحداً عليها ، ودفعها بذكر ما أنت منه بريء ، مع أنه كفارة لبقية مساويك . ومن ذمك أهدى اليك حسناته وجنى على دينه ، حتى سقط من عين الله وأهلك نفسه بافترائه عليك ، فما بالك تحزن بحط ذنوبك واهداء الحسنات اليك ؟ ولم تغضب عليه ، مع أن الله سبحانه غضب عليه وأبعده من رحمته ؟ فان ذلك كاف لانتقامك منه .

وصل

ضد حب المدح

ضد حب المدح وكراهة الذم : إما كراهة المدح وحب الذم ، أو مساواتها عنده بحيث لاتسره المدحة ولا تغمه المذمة . وقد تقدم بعض الأخبار الدالة على ذم من لم يتصف بالحالة الاولى . وهي وإن كانت نادرة الوجود ، إذ ما أقل على بسيط الأرض - (لا) سيما في هذه الاعصار - من تستوى عنده المدحة والمذمة ، فضلا عمن يكره المدح ويسر بالذم ، إلا أن تحصيلها ممكن إذ كل من عرف أن المدح مضر بدينه وقاصم لظهره فلا بد أن يكرهه ويبغض المادح ، لو كان عاقلا مشفقاً على نفسه . وكذا من عرف أن الذام له يرشده الى عيوبه ويهدى اليه بعض حسناته ، لابد أن يحبه ويسر بذمه .

وأما الحالة الثانية ، فهي أولى درجات الكمال ، ومن لم يتصف بها فهو ناقص . فالاتصاف بها لازم على كل مؤمن . وربما ظن بعض الناس اتصافه بها ، مع كونه فاقداً لها . فمن ظن ذلك من نفسه ، فلا بد أن

يمتحن نفسه بعلاماتها ، حتى يظهر له صدق ظنه وكذبه ، وعلاماته : ألا يكون سعيه ونشاطه في قضاء حوائج المادح اكثر منها في قضاء حوائج الذام ، وألا يتفاوت همه وحزنه لأجل موتها وابتلائها بمصيبة ، وألا تكون ذلة المادح أخف في قلبه وعينه من ذلة الذام ، وألا يكون جلوس الذام عنده اثقل ولا قيامه أهون من جلوس المادح وقيامه . وبالجملة : أن يستويا عنده من كل وجه . فمن وجد نفسه استواءهما في جميع الجهات ، فهو ممن يتساوى عنده المدح والذم .

ومنها :

الرياء

وهو طلب المنزلة في قلوب الناس بخصال الخير أو مايدل عليها من الآثار . فهو من أصناف الجاه ، إذ هو طلب المنزلة في القلوب بأى عمل اتفق ، والرياء طلب المنزلة باداته خصال الخير أو ما يدل على الخير ثم خصال الخير يشمل أعمال البر بأسرها ، وهي أعم من العادات إن خصت العبادة بمثل الصلاة والصوم والحج والصدقة وأمثال ذلك ومساوقة لها إن أريد بالعبادة كل فعل يقصد به التقرب ويترتب عليه الثواب إذ على هذا كل عمل من أعمال الخير ، سواء كان من الواجبات أو المندوبات او المباحات في الاصل اذا قصد به القربة كان طاعة وعبادة ، وان لم يقصد به ذلك لم يكن عبادة ولا عمل خير ، ولو كان مثل الصلاة : وربما خص الرياء عادة بطلب المنزلة في القلوب بالعبادة بالمعنى الأخص . .

والمراد بالآثار الدالة على الخيرية هي كل فعل ليس فى ذاته براً

وخيراً ، وإنما يستدل به على الخيرية

وهي إما متعلقة بالبدن ، كاظهار النحول والصفار ليستدل بها على قلة الأكل أوالصوم وسهر الليل ، ويوهم بذلك شدة الاجتهاد وعظم الحزن على امر الدين وغلبة الخوف من الله ومن أهوال الآخرة ، وكخفض الصوت ليستدل به على ان وقار الشرع قد خفض صوته ... وقس عليها غيرها من الامور المتعلقة بالبدن ، الدالة على الخيرية قصداً الى تحصيل المنزلة في قلوب الناس ، وكل ذلك يضر بالدين وينافي الورع واليقين ، ولذا قال عيسى - عليه السلام - : « اذا صام احدكم ، فليدهن رأسه ، ويرجل شعره ، ويكحل عينيه » ، خوفا من نزع الشيطان بالرياء . ثم هذه مراآة أهل الدين بالبدن ، وأما أهل الدنيا فيراؤن في البدن باظهار السمن وصفاء اللون ونظافة البدن وحسن الوجه وأمثال ذلك.

أو متعلقة بالزى والهيئة كحلق الشارب وإطراق الرأس في المشي ، والهدوء في الحركة ، وأبقاء أثر السجود في الجبهة ، ولبس الصوف أو الثوب الخشن أو الابيض وتعظيم العمامة ولبس الطيلسان والدراعة ، وامثال ذلك مما يدل على العلم والتقوى او الانخلاع عن الدنيا .

والمراؤن من اهل الدين بالزى واللباس على طبقات : منهم من يرى طلب المنزلة بالثياب الخشة ، ومنهم من يرى بالثياب الفاخرة ، ومنهم من يرى بالوسخة ، ومنهم من يراه بالنظيفة ، وللناس فيما يعشقون مذاهب وأما أهل الدنيا فلا ريب في أنهم يراؤن في اللباس بلبس الثياب النفيسة وركوب المراكب الرفيعة وأمثال ذلك .

أومتعلقة بالقول والحركات كاظهار الغضب والاسف على المنكرات ومفارقة الناس للمعاصي ، ليستدل بها على حمايته للدين وشدة اهتمامه على الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، مع ان قلبه لم يكن متأثراً عن ذلك ،

وكارخاء الجفون وتنكيس الرأس عند الكلام واظهار الهدوء والسكون في المشي ، ليستدل بذلك على وقاره ، وربما اسرع المرائي في المشي الى حاجة فاذا اطلع عليه واحد رجع الى الوقار خوفا من أن ينسب الى عدم الوقار فاذا غاب الرجل عاد الى عجلته .

أو متعلقة بغير ذلك كمن يتكلف ان يكثر الزائرون له والواردون عليه (لا) سيما من العلماء والعباد والامراء ليقال إن أهل الدين والعظماء يتبركون بزيارته .

فصل

ذم الرياء

الرياء من الكبائر الموبقة والمعاصي المهلكة وقد تعاضدت الآيات والأخبار على ذمه ، قال سبحانه :

« فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلاتِهِمْ سَاهُونَ الَّذِينَ هُمْ يُرَاؤُنَ وَيَمْنَعُونَ الْمَـاعُونَ » (١) . وقال سبحانه : « فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلاَ يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحداً » (٢) . وقال سبحانه : « يُرَاؤُنَ النَّاسَ وَلاَ يَذْكُرُونَ اللهَ إِلاَّ قَلِيلاً » (٣) . وقال : « كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ » (٤) .

---

(١) الماعون ، الآية : ٤ — ٧ .　(٢) الكهف ، الآية : ١١٠ .

(٣) النساء الآية : ١٤٢ .　(٤) البقرة ، الآية : ٢٦٤ .

وقال رسول الله - صلى الله عليه وآله - « إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الاصغر » قالوا: وما الشرك الاصغر ؟ قال : « الرياء، يقول الله عز وجل يوم القيامة للمرائين إذا جازى العباد باعمالهم : اذهبوا الى الذين كنتم تراؤن لهم في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم الجزاء » . وقال - صلى الله عليه وآله - : « استعيذوا بالله من جب الحزن » قيل : وما هو يارسول الله ؟ قال : « واد في جهنم أعد للقراء المرائين » . وقال - صلى الله عليه وآله - : « يقول الله تعالى : من عمل لي عملا اشرك فيه غيري فهو له كله ، وأنا منه بريء ، وأنا أغنى الأغنياء عن الشرك » وقال - صلى الله عليه وآله وسلم - : « لايقبل الله تعالى عملاً فيه مثقال ذرة من رياء » . وقال - صلى الله عليه وآله - : « إن أدنى الرياء الشرك » وقال - صلى الله عليه وآله - : « إن المرائي ينادى عليه يوم القيامة يافاجر ياغادر يامرائي ضل عملك وحبط اجرك اذهب فخذ اجرك ممن كنت تعمل له » . وكان - صلى الله عليه وآله - يبكي ، فقيل له : مايبكيك ؟ قال « إني تخوفت على امتي الشرك أما انهم لايعبدون صنماً ولاشمساً ولا قمراً ولا حجراً ولكنهم يراؤن باعمالهم » . وقال - صلى الله عليه وآله - : « سيأتي على الناس زمان تخبث فيه سرائرهم وتحسن فيه علانيتهم طمعاً في الدنيا لايريدون به ماعند ربهم ، يكون دينهم رياء لايخالطهم خوف يعمهم الله بعقاب فيدعونه دعاء الغريق فلا يستجيب لهم » وقال : « إن الملك ليصعد بعمل العبد مبتهجاً به فاذا صعد بحسناته يقول الله عز وجل : اجعلوها في سجين إنه ليس إياى اراد به » (١) وقال - صلى الله عليه وآله - : « ان الحفظة تصعد بعمل العبد الى السماء السابعة من صوم وصلاة

(١) صححنا الحديث وكذا ماقبله على (اصول الكافي) . باب الرياء وباقي الاحاديث النبوية على (احياء العلوم) ج ٣ ص ٢٥٤ .

وتفقه واجتهاد وورع ، لها دوي كدوي الرعد وضوء كضوء الشمس معه ثلاثة آلاف ملك ، فيجاوزون به الى السماء السابعة ، فيقول لهم الملك الموكل بها قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه اضربوا به جوارحه ، اقفلوا به على قلبه ، إني أحجب عن ربي كل عمل لم يرد به وجه ربي ، إنه أراد بعمله غير الله ، إنه أراد رفعة عند الفقهاء وذكراً عند العلماء وصيتاً في المدائن ، أمرني أن لا أدع عمله يجاوزني الى غيرى ، وكل عمل لم يكن لله خالصاً فهو رياء ، ولا يقبل الله عمل المرائي ، قال - صلى الله عليه وآله - : وتصعد الحفظة بعمل العبد من صلاة وزكاة وصيام وحج وعمرة وخلق حسن وصمت وذكر الله تعالى وتشيعه ملائكة السماوات حتى يقطع الحجب كلها الى الله فيقفون به بين يديه ويشهدون له بالعمل الصالح المخلص لله ، قال : فيقول الله تعالى لهم انتم الحفظة على عمل عبدى وأنا الرقيب على نفسه ، انه لم يردني بهذا العمل وأراد به غيرى فعليه لعنتي فتقول الملائكة كلهم عليه لعنتك ولعنتنا ، وتقول السماوات كلها عليه لعنة الله ولعنتنا ، وتلعنه السماوات السبع ومن فيهن » .

وقال أمير المؤمنين - عليه السلام - : « اخشوا الله خشية ليست بتعذير (١) واعملوا بغير رياء ولا سمعة فانه من عمل لغير الله وكله الله الى عمله يوم القيامة » وقال الباقر - عليه السلام - : « الا بقاء على العمل اشد من العمل » قيل: وما الا بقاء على العمل؟ قال: « يصل الرجل بصلة وينفق نفقة لله وحده لاشريك له فكتب له سراً ثم يذكرها فتمحى فتكتب له علانيه ثم يذكرها فتمحى فتكتب له رياء » . وقال الصادق - عليه السلام - : « قال الله تعالى انا خير شريك فمن عمل لي ولغيرى فهو لمن عمل له

(١) قال في الوافي في باب الرياء ٣/ ٤٠٠: بيان (بتعذير) - بحذف المضاف - اى ذات تعذير ، وهو بالعين المهملة والذال المعجمة بمعنى التقصير .

غيري » . وقال - عليه السلام - : « قال الله تعالى : أنا أغنى الاغنياء عن الشريك فمن اشرك معي غيري في عمل لم أقبله إلا ما كان لي خالصاً » وقال - عليه السلام - : « كل رياء شرك ، إنه من عمل للناس كان ثوابه على الناس ، ومن عمل لله كان ثوابه على الله » . وعن أبي عبد الله - عليه السلام - في قول الله عز وجل :

« فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلاَ يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً » .

قال : « الرجل يعمل شيئاً من الثواب لايطلب به وجه الله إنما يطلب تزكية الناس ، يشتهي أن يسمع به الناس فهذا الذى اشرك بعبادة ربه » ثم قال : « مامن عبد أسر خيراً فذهبت الايام أبداً حتى يظهر الله له خيراً ، وما من عبد يسر شراً فذهبت الايام حتى يظهر الله له شراً » . وقال - عليه السلام - : ما يصنع أحدكم أن يظهر حسناً ويسر سيئاً أليس يرجع الى نفسه فيعلم أن ذلك ليس كذلك والله عز وجل يقول : « بل الانسان على نفسه بصيرة » . ان السريرة اذا صحت قويت العلانية . وقال - عليه السلام - : « من أراد الله بالقليل من عمله اظهر الله له اكثر مما أراده به ومن أراده الناس بالكثير من عمله في تعب من بدنه وسهر من ليله أبى الله إلا أن يقلله في عين من سمعه » . وقال - عليه السلام - لعباد البصرى : « ويلك ياعباد ! إياك والرياء فانه من عمل لغير الله وكله الله الى من عمل له » . وقال - عليه السلام - : « اجعلوا أمركم هذا لله ولا تجعلوه للناس فانه ما كان لله فهو لله وما كان للناس فهو لايصعد الى الله » . وقال الرضا - عليه السلام - لمحمد بن عرفة : « ويحك يابن

عرقة اعملوا لغير رياء ولا سمعة فانه من عمل لغير الله وكله الله الى ماعمل ويحك ماعمل أحـد عملا إلا أراده الله به إن خيراً فخيراً وإن شراً فشراً » (١) .

وكفى للرياء ذماً انه يوجب الاستحقار لله وجعله أهون من عباده الضعفاء الذين لايقدرون نفعاً ولا ضراً ، اذ من قصد بعبادة الله عبداً من عبيده فلا ريب في أن ذلك لأجل ظنه بأن هذا العبد أقدر على تحصيل أغراضه من الله وأنه اولى بالتقرب اليه منه تعالى وأى استحقار بمالك الملوك اشد من ذلك .

فصل

(أقسام الرياء)

الرياء إما في العبادات أو في غيرها (والاول) حرام مطلقاً وصاحبه ممقوت عند الله وهو يبطل أصل العبادة ولأن الاعمال بالنيات ، والمرائى بالعبادة لم يقصد امتثال أمر الله بل قصد ادراك مال أو جاه أو غرض آخر من الأغراض فلا يكون ممتثلا لأمر الله خارجا عن عهدة التكليف ، ثم مع بطلان عبادته وعدم خروجه عن عهدة التكليف يكون له اثم على حدة لأجل الرياء ، كما دلت عليه الآيات والأخبار ، فيكون أسوأ حالا ممن ترك العبادة رأساً ، كيف لا والمرائى بالعبادة جمع بين الاستهزاء بالله والتلبيس والمكر لأنه خيل الى الناس أنه مطيع لله من أهل الدين وليس كذلك .

وأما الرياء بغير العبادات ، فقد يكون مذموماً ، وقد يكون مباحاً ،

(١) صححنا الاحاديث عن آل البيت عليهم السلام (على اصول الكافي) باب الرياء وعلى (البحار) مج ١٥ : ٤٣/٣ . وعلى(الوسائل) ـ ج ١ ، الباب ١١ ، ١٢ ١٤ من أبواب مقدمة العبادات ـ .

وقد يكون مستحباً ، وقد يكون واجباً ، إذ يجب على المؤمن صيانة عرضه وألا يفعل ما يعاب عليه ، فلا يليق بذوي المروات أن يرتكبوا الامور الخسيسة بانفسهم عند مشاهدة الناس وان جاز لهم ذلك في الخلوة ، ومن زين نفسه باللباس او غيره في أعين الناس حذراً من لومهم واستثقالهم أو استقذارهم اياه كان ذلك مباحاً له ، إذ الحذر من ألم الذم غير مذموم إلا أن ذلك يختلف باختلاف الازمنة والبلاد والأشخاص من العباد ، فربما كان بعض أقسام الرياء بغير العبادات مذموماً بالنظر الى وقت او شخص أو بلد غير مذموم بالنظر الى آخر . روى : « ان رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ أراد يوماً أن يخرج على أصحابه ، فكان ينظر في حب من الماء ويسوي عمامته وشعره ، فقيل له : أو تفعل ذلك يارسول الله ؟ فقال : نعم ، إن الله تعالى يحب من العبد أن يتزين لأخوانه إذا خرج اليهم » . وقال أمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ : « يتزين أحدكم لأخيه المسلم كما يتزين للغريب الذي يحب أن يراه في أحسن الهيئة » ، وقال الصادق ـ عليه السلام ـ : « الثوب النقي يكبت العدو » . وروى : « أنه ـ عليه السلام ـ نظر الى رجل من أهل المدينة قد اشترى لعياله شيئاً وهو يحمله ، فلما رآه الرجل استحى منه ، فقال ـ عليه السلام ـ : اشتريته لعيالك وحملته اليهم ، أما والله لو لا أهل المدينة لاحببت أن اشتري لعيالي الشيء ثم احمله اليهم » (١) أراد ـ عليه السلام ـ لو لا مخافة ان يعيبوه على ذلك لفعل مثل فعله ، إلا أنه لما كان في زمان يعاب عليه بمثله لم يجز له أن يرتكبه ، ولما لم يكن ذلك مما يعاب عليه في زمن أمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ كان يرتكبه وكان ذلك منقبة له وتعليما . فظهر أن ارتكاب

(١) تقدم هذا الحديث في ١/٣٥٨ ، والاحاديث الثلاثة الاخيرة صححناها على (الوسائل) ـ كتاب الصلاة ، ابواب احكام الملابس ، الباب ٤ ـ ٦ .

بعض الامور وعدم ارتكاب بعض الافعال قد يكون رياء محبوباً وقد يكون رياء مذموماً .

فصل

(تأثير الرياء على العبادة)

الرياء إما أن يكون مجرداً عن قصد القربة والثواب بحيث لولاه والفرد صاحبه لترك العمل وهو أشد درجات الرياء واعظمها اثما ، أو يكون مع قصدهما فان كان قصداً ضعيفاً مرجوحا بحيث لو كان خاليا عن قصد الرياء لم يبعثاه على العمل ، ولو كان قصد الرياء خالياً عنهما بعثه عليه ، كان قريباً من سابقه وان كان مساوياً لقصد الرياء بحيث لو كان كل واحد خاليا عن الآخر لم يبعثه على العمل ، فالحق كونه مفسداً للعمل أيضاً لظواهر الاخبار . وان كان راجحاً على قصد الرياء غالباً عليه بأن يكون قصد الرياء واطلاع الناس مرجحاً ومقوياً لنشاطه بحيث لو لم يكن لم يترك العمل ، ولو كان قصد الرياء وحده لما أقدم على العمل ، (فبعض العلماء) على أنه لا يحبط أصل العمل والثواب بل ينقص من الثواب أو يعاقب صاحبه على مقدار قصد الرياء ، ويثاب على مقدار قصد الثواب و (فيه نظر) إذ ظواهر الأخبار تفيد ابطاله اصل العمل والثواب لصدق الرياء عليه وصدق المرائي على صاحبه ، لقول أمير المؤمنين - عليه السلام - « ثلاث علامات للمرائي : ينشط اذا رأى الناس ، ويكسل اذا كان وحده ويحب أن يحمد في كل اموره » وما تقدم من الأخبار الدالة على أن كل عمل اشرك مع الله تعالى غيره كان الله منه بريئاً ولم يقبله ، صريح في المطلوب . وحملها على ما اذا تساوى القصد أو كان قصد الرياء ارجح خلاف الظاهر . ثم الظاهر ان البطلان في هذه الصورة إنما هو اذا رجع قصده الى حبه اطلاع الناس عليه لتقع منزلة له في قلوبهم ، ليتوسل بها

الى نيل غرض من الاغراض الدنيوية ، وأما إذا كان سروره وقصده من اطلاع الناس لاحد المقاصد الصحيحة الآتية فلا بأس به ولا يبطل العمل.

تنبيه

(السرور بالاطلاع على العبادة)

من كان قصده اخفاء الطاعة والاخلاص لله ، فاذا اتفق اطلاع الناس على طاعته فلا بأس بالسرور به ، من حيث علمه بأن الله اطلعهم عليه واظهر الجميل من حاله ، فيستدل به على حسن صنع الله بـه من حيث انه ستر الطاعه والمعصية ، والله تعالى ابقى معصيته على الستر وأظهر طاعته ، فيكون فرحه بجميل نظر الله وفضله له لا بمدح الناس وقيام المنزلة في قلوبهم ، وقد قال الله تعالى :

« قُلْ بِفَضْلِ اللهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا » (١).

وكأنه ظهر له بظهور طاعتـه أنه عنـد الله مقبول ففـرح به أو من حيث استدلاله باظهار الله الجميل وستره القبيح في الدنيا أنه كذلك يفعل به في الآخرة ، قال رسول الله - صلى الله عليه وآله - : « ماستر الله على عبد في الدنيا إلا ستر الله عليه في الأخرة » . فالأول فرح بالقبول في الحال من غـير ملاحظة المستقبل ، وهذا التفات الى المستقبل . أو من حيث ظنه رغبة المطلعين في الاقتداء في الطاعة ، فيتضاعف بذلك اجره . إذ يكون له اجره السر بما قصده أولا ، واجر العلانية بما اظهره آخراً ومن اقتدى الناس به في طاعة فله اجر اعمال المقتدين به من غير أن ينقص

(١) يونس ، الآية : ٥٨ .

من اجورهم شيء . أو من حيث فرحــه بطاعة المطلعين لله في مدحهم وحبهم للمطيع ، وميل قلوبهم الى الطاعة ، اذ من الناس من يمقت أهل الطاعة ويحسدهم أو يستهزىء بهم وينسبهم الى الرياء ، فهذا فرح بحسن ايمان عباد الله ، وعلامة الاخلاص فيه : أن يكون سروره بمدحهم غيره مثل سروره بمدحهم اياه .

ويدل على عدم البأس بالسرور فيما ذكر ماروى : « أن رجلا قال لرسول الله - صلى الله عليه وآله - : اني اسر العمل لا أحب أن يطلع عليه أحد فيطلع عليه فيسرني ! قال : لك أجران : أجر السر وأجر العلانية » وما روي : « أنه سئل الباقر - عليه السلام - عن الرجل يعمل الشيء من الخير فيراه انسان فيسره ذلك ، قال : لابأس ، مامن احد إلا وهو يحب أن يظهر الله له في الناس الخير اذا لم يكن صنع ذلك » . وهذان الخبران باطلاقهما يدلان على نفي البأس بالسرور لأجل المقاصد المذكورة ويخصص منهما ما هو المذموم من الفرح الحاصل من اطلاع الناس ، وان كان قصده الاخفاء أولا ، وهو أن يكون فرحه لقيام منزلته في قلوب الناس حتى يمدحوه ويعظموه ويقوموا بحوائجه ، وانما يخصص ذلك منهما مع شمول اطلاقهما له ايضا لمعارض أقوى .

هذا وقد تقدم أن قصده أولا - اى في حال عقد الطاعة - إطلاع الناس عليه وارتياحه به لأحد المقاصد المذكورة لابأس به ايضاً ، فعدم البأس لايختص بطرو القصد والارتياح بعد العقد او بعد تمام العمل :

ثم كما لابأس بالسرور من ظهور الطاعات للمقاصد المذكورة ، فكذلك لابأس بكتمان المعاصي واغتمامه باطلاع الناس عليها لاسباب نذكرها ، بل الحق رجحان الكتمان ومزيته بعد ارتكابها ، وان كان الاصل في الاخلاص استواء السريرة والعلانية . ولذا قال بعض الاكابر : « عليك بعمل العلانية

وهو ما إذا ظهر لم تستح منه » . وقال بعضهم : « ماعملت عملا ابالي ان يطلع الناس عليه إلا اتياني اهلي والبول والغائط » . إلا ان ذلك درجة عظيمة ليست شرعة لكل وارد ، ولا يصل اليها إلا واحد بعد واحد . إذ كل انسان - إلا من عصمه الله - لايخلو من ذنوب باطنة ، (لا) سيما مايختلج بباله من الاماني الباطلة والامور الشهوية ، والله مطلع عليها وهي مخفية عن الناس ، والسعي في اخفائها وكراهة ظهورها جائز بل راجح ، بشرط ألا يكون باعث اخفائها قصد أن يعتقدوا فيه الورع والصلاح ، بل كان الباعث :

١ - إما كون السر مأموراً به .

٢ - أو كون الهتك واظهار المعاصي منهياً عنه . قال رسول الله - صلى الله عليه وآله - : « من ارتكب شيئاً من هذه القاذورات فليستره بستر الله تعالى » . ويعرف صدق ذلك بكراهة ظهورها عن الغير ، أوكون ستر الله عليه في الدنيا دليلا على ستره في الآخرة ، لما ورد في الخبر : « أن من ستر الله عليه في الدنيا ستر الله عليه في الآخرة » .

٣ - أو كون ظهور المعاصي موجباً لذم الناس ، والذم يؤلم القلب ويشغله عن طاعة الله ، ويصده عن الاشتغال بتحصيل ماخلق لأجله ، ولكون التألم بالذم جبلياً غير ممكن الدفع بسهولة يكون اخفاء ماظهوره يؤدى الى حدوثه جائزاً . نعم ، كمال الصدق استواء المدح والذم ، إلا أن ذلك قليل جداً ، واكثر الطباع تألم بالذم ، لما فيه من الشعور بالنقصان وربما كان التألم بالذم ممدوحاً اذا كان الذام من أهل البصيرة في الدين ، فان ذمه يدل على وجود نقصان فيه ، فينبغي أن يتألم منه ويتشمر لدفعه

٤ - أو كون الناس شهداءه يوم القيامة ، كما ورد فيجوز الاخفاء لئلا يشهدوا عليه يوم القيامة .

٥ - أو خوف ان يقصد بشر او سوء اذا عرف ذنبه .

٦ - أو خوف صيرورة الذام عاصياً بذمه ، وهذا من كمال الايمان ويعرف بتسوية ذمه وذم غيره .

٧ - أو خوف سقوط وقع المعاصي من نفسه او اقتداء الغير به فيها وهذه العلة هي المبيحة لاظهار الطاعة ، ويختص ذلك بمن يقتدى به من الائمة وامثالهم ، ولهذه العلة ينبغي أن يخفي العاصي معصيته من أهله وولده أيضا ، لئلا يقتدوا به فيها .

٨ - أو حبه محبة الناس له لا للتوسل بها الى الاغراض الدنيوية ، بل ليستدل بها على محبة الله تعالى له ، لأن من أحبه الله تعالى جعله محبوباً في قلوب الناس .

٩ - أو مجرد الحياء من ظهور قبائحه ، وهو غير خوف الذم والقصد بالشر ، إذ هو من فضائل الاخلاق ومن كريم الطبع ، قال رسول الله - صلى الله عليه وآله - : « الحياء خير كله » . وقال الصادق - عليه السلام - : « الحياء شعبة من الايمان » . وقال - صلى الله عليه وآله - : « ان الله تعالى يحب الحيي الحليم » . ومن صدر عنه فسق ولم يبال بظهوره للناس ، فقد جمع الى الفسق المتك وعدم الحياء - أعني الوقاحة - ، فهو أسوأ حالا ممن يفسق ويستحي فيستره .

ثم كثيراً مايشتبه الحياء بالرياء ، فيدعي من يرائي بأنه يستحي ، وأن تركه السيئات أو اخفاءها أو تحسينه للعبادات إنما هو لأجل الحياء من الناس دون الرياء ، وذلك كذب ، وبيان ذلك : أن الحياء خلق ينبعث من الطبع الكريم ، ويمكن أن يهيج عقيبه داعية الرياء فيرائي معه ويمكن أن يهيج داعية الاخلاص فيجمعه اليه . مثلا من طلب صديقه قرضاً ، فان رده صريحاً من غير مبالاة ومن دون أن يتعلل ارتكب الوقاحة وعدم الحياء .

وان اعطاه بمجرد انقباض نفسه من استشعار قبح رده مشافهة من دون رغبة في الثواب ولا خوف من ذمه أوحب الى مدحه حتى لوطلبه مراسلة أو بتوسط غيره من الأجانب لرده ، فاعطاؤه هذا صادر عن مجرد الحياء من دون ترتب رياء أو اخلاص عليه . وان تعسر عليه الرد للحياء وكان مافي نفسه من البخل مانعاً من الاعطاء فحدث خاطر الرياء ، ويخاطب نفسه بأنه ينبغي أن تعطيه حتى يمدحك بالسخاء ولا يذمك بالبخل فاعطاه لذلك فهو مزج الرياء بالحياء ، والمحرك للرياء هو هيجان الحياء . وان تعسر عليه الرد للحياء والاعطاء للبخل ، فهيج باعث الاخلاص ، ويقول له : ان الصدقة بواحدة والقرض بثمانية ، ففيه اجر عظيم ، وادخال السرور على قلب مسلم صديق من أقرب القربات ، فسخت نفسه بالاعطاء ، فهو جمع بين الحياء والاخلاص ثم الحياء لايكون إلا في القبائح الشرعية أوالعقلية أو العرفيــة ، كالبخل ومقارفة الذنوب والظلم وصدور بعض الحركات القبيحة عرفا في المحافل ، والرياء يكون في المباحات أيضاً ، حتى انه لوعاد الضاحك الى الانقباض والمستعجل في المشي الى الهدوء بعد اطلاع الناس كان مرائياً ، وربما ظن أن باعث ذلك هو الحياء وهو الجهل ، إذ باعثه مجرد الرياء . وما قيل : إن بعض الحياء ضعف ، فالمراد أن الحياء مما ليس بقبيح ناش من ضعف النفس ، كالحياء من وعظ الناس واقامة الصلاة ومن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، الا إذا وجد عذر يحسن الحياء معه ، كأن يشاهد معصية من شيخ فيستحى من شيبته أن ينكر عليه ، لأن من اجلال الله اجلال ذى الشيبة المسلم ، ولو استحيي من الله ولا يضيع الأمر بالمعروف لكان أحسن . وأقوياء النفوس من أهل الايمان يؤثرون الحياء من الله على الحياء من الخلق ، وأما ضعفاء النفوس منهم فقد لايقدرون على ذلك .

فصل

متعلقات الرياء

الرياء إما باصل الايمان ، وهو اظهار الشهادتين مع التكذيب باطناً وهذا هو كفر النفاق ، وقد كان في صدر الاسلام كثيراً ، وقل مايوجد في أمثال زماننا ، وان كثر فيه انكار بعض ضروريات الدين ، كالجنة والنار والثواب والعقاب واعتقاد طي بساط احكام الشرع باطناً ، ميلا الى قول الملاحدة وأهل الاباحة ، مع اظهار الخلاف ظاهراً ، وهذا ايضا معدود من كفر النفاق ، وصاحبه ينسل عن الدين مخلد بالنار . وصاحب كفر النفاق مطلقاً أسوأ حالا من الكافر المحارب ، لأنه جمع بين الكفر الباطن والنفاق الظاهر . أو باصول العبادات مع التصديق باصل الدين ، كأن يصلي في الملأ دون الخلوة ، ويصوم مع اطلاع الناس عليه ويفطر بدونه ، ومثله وإن لم ينسل من أصل الدين ، إلا أنه شر المسلمين ، لترجيحه الخلق على الخالق ، وكون التقرب اليهم أحب من التقرب لديه وكون خوفه من ذمهم أشد من خوفه من عقابه سبحانه . أو بالنوافل والسنن ، وهذا ايضا مذموم مهلك ، ولكنه دون ماقبله ، لأن صاحبه وان قدم مدح الخلق على مدح الخالق ، إلا أنه لم يقدم خوف ذمهم على خوف عقابه ، لعدم ترتب عقاب على ترك النافلة . أو بأوصاف العبادة الواجبة أو المستحبة ، كفعل مافي تركه نقصان أو كراهة أو ترك مافي فعله أحدهما أو بزيادات خارجة عن نفس النوافل ، كحضوره الجماعة قبل القوم وقصده الصف الاول ، وأمثال ذلك . وكل ذلك مذموم ، إلا أن بعضه أشد من بعض .

فصل

(بواعث الرياء)

باعث الرياء إما التمكن من المعصية، كاظهار الورع والتقوى لتفوض اليه الحكومة والقضاء، لينال الجاه والاستيلاء، ويحكم بالجور، ويأخذ الرشا، أو تسلم اليه الودائع والصدقات وأموال اليتامى وأمثال ذلك فيأخذ لنفسه منها ما يقدر عليها، وكحضوره مجالس العلم والوعظ والتعزية لملاحظة النسوان والصبيان، وهذا أشد درجات الرياء اثماً، ويقرب منه اظهار الديانة والتقوى ليدفع عن نفسه تهمة ما اقترفه من الجرائم، أو نيل حظ مباح من حظوظ الدنيا، كالاشتغال بالوعظ والتذكير والامامة والتدريس واظهار الصلاح والورع، لتستبذل له الأموال وترغب في تزويجه النسوان أو خوف أن ينظر اليه بعين النقص والحقارة، أو ينسب الى الكسالة والبطالة كترك العجلة والضحك بعد اطلاع الناس عليه، خوفا من أن يعرف باللهو والهزل فيستحقر، وكالقيام للتهجد واداء النوافل اذا وقع بين المتهجدين والمتنفلين لئلا ينسب الى الكسالة، ولو خلي بنفسه لم يتنفل مطلقاً، وكذا الامتناع من الاكل والشرب في اليوم الذي يصام فيه تطوعا وتصريحه بأني صائم، خوفا من أن ينسب الى البطالة، وربما لم يصرح بكونه صائماً، بل يقول: لي عذر، وحينئذ قد جمع بين رياءين بكونه صائماً، والرياء بكونه مخلصاً غير مراء. ثم ان ألجأته الكسالة والشهوة الى عدم القيام الى النوافل وعدم الصبر عن الاكل والشرب، ذكر لنفسه عذرا تصريحاً أو تعريضا، كأن يتعلل الترك بمرض أو ضعف أو شدة العطش أو تطييب خاطر فلان، وقس عليها غيرها من الكلمات والاعذار، فانها لا تسبق الى اللسان الا لرسوخ عرق الرياء في النفس، والمخلص لا يريد

غير الله والتقرب اليه ، ولا يعتني بالخلق وحصول المنزلة في قلوبهم ، فان لم يصم لم يحب أن يعتقد غيره فيه ما يخالف علم الله ليكون ملبساً ، وان صام قنع بعلم الله ولم يشرك فيه غيره . ثم هذه البواعث لما كان بعضها صادراً من رداءة قوة الغضب وبعضها من رداءة قوة الشهوة ، فيكون بعض أنواع الرياء من رذائل الاولى وبعضها من رذائل الثانية .

تنبيه

(الرياء الجلي والخفي)

الرياء جلي وخفي ، والجلي : ما يبعث على العمل لولا قصد الثواب والخفي : مالا يبعثه بمجرده إلا أنه يخفف العمل الذي أريد به التقرب في الخلوة ، ويعرف بالسرور اذا اطلع عليه الناس ، لا للمقاصد المتقدمة ، بل لطلب نوع منزلة في قلوب الناس ، ويتوقع التعظيم والتوقير وقضاء الحوائج منهم ووجدان الاستبعاد من نفسه لو قصر في احترامه ، كأن نفسه تتقاضى الاكرام والاحترام على الطاعة التي اخفاها مع أنه لم يطلع عليه أحد . ولاشك أن هذا التقاضي لا ينفك عن شوب خفي من الرياء أخفى من دبيب النمل ، ولو كان عنده وجود الطاعة كعدمها في كل ما يتعلق بالخلق وقنع بعلم الله فيها لم يكن لهذا التوقع وجه . فعلامة خلوص العمل من الرياء ألا يجد تفرقة بين أن يطلع على عبادته انسان أو بهيمة ، ومهما وجد تفرقة في ذلك فلا يكون منفكا عن توقع ما (عن) (١) الناس في طاعته ، وذلك مما يحبط العمل . قال أمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ : « إن الله تعالى يقول للقراء يوم القيامة : ألم يكن يرخص عليكم السعر ؟

(١) كذا في النسخ ، ولعل (عند) مكان (عن) .

ألم تكونوا تبدأون بالسلام ؟ ألم تكونوا تقضى لكم الحوائج ؟ فلا اجر لكم ، قد استوفيتم اجوركم ! » .

فصل

(كيف يفسد الرياء العمل)

لو عقد العمل على الاخلاص واستمر الى الفراغ ، لم يحبطه السرور بظهوره بعده ، لا من قبله كما دل عليه بعض الظواهر السالفة . ولا يعصى به أيضاً إن كان لأجل أحد المقاصد السالفة ، ويكتب له معصية إن كان لظنه حصول منزلة له في القلوب . ولو كان ظهوره بعده من نفسه بالتحدث مع الرغبة والسرور بذلك ، فربما قيل باحباطه العمل ، إذ حب التحدث به يدل على أن قلبه عند العبادة لم يخل عن عقد خفى من الرياء . وقد أيد ذلك بما روى : « أن رجلا قال للنبي صلى الله عليه وآله وسلم : إني صمت الدهر . فقال صلى الله عليه وآله وسلم : لاصمت ولا افطرت ! » وما روى : « أن ابن مسعود سمع رجلا يقول : قرأت البارحة سورة البقرة . فقال : ذلك حظه منها » .

والظاهر أنه لا يحبط عمله ، بل يثاب عليه ، وان عوقب على ماصدر منه بعد الفراغ من الرياء . والتعليل لو تم لا يفيد البطلان ، إذ العقد الذي لم يشعر به صاحبه لا يؤاخذ به ، وإلا لزم التكليف بالمحال . والخبر لو صح فانكاره صلى الله عليه وآله وسلم لأجل كراهية صوم الدهر لا لاظهاره : وقول ابن مسعود لو ثبت لا حجية فيه .

ولو عقد العمل على الاخلاص ، وورد في اثنائه وارد السرور باطلاع بعض الناس عليه ، فان لم يكن باعثاً على العمل ومؤثراً فيه بحيث لو لم يحدث لأتم العمل على الاخلاص من غير فتور ، وكان أيضاً لأحد المقاصد

الصحيحة المتقدمة ، فلا بطلان ولا اثم ، لما تقدم من الأخبار . وإن لم يكن باعثاً ولكن لم يكن لشيء من المقاصد المذكورة ، بل كان لغلفه نيل الجاه أو المال بالظهور ، فالحق بطلان العمل وكونه آثماً للعمومات السالفة وان كان باعثاً ومؤثراً فهو الرياء المحرم ، سواء كان غالباً على قصد التقرب أومساوياً له او مغلوباً عنه ، فيحبط العمل وعليه الاعادة لوكان فريضة ، لما تقدم من العمومات ، ولقوله صلى الله عليه وآله وسلم : « العمل كالوعاء ، اذا طاب آخره طاب أوله » . وقوله صلى الله عليه وآله وسلم : « من راءى بعمله ساعة ، حبط عمله الذي كان قبله » . ثم هذا في العمل المركب الذي له اجزاء ، ويتوقف صحته على صحة كل واحد منها ، كالصوم والصلاة والحج . وأما العمل الذي كل جزء منه منفرد ، كالصدقة والقراءة ، فما يطرأ من الرياء في اثنائه إنمـا يفسد الباقي دون الماضي فطرؤه فيه في الاثناء بالنسبـة الى الماضي كطروئه بعد الفراغ في الاول . وهذا حكم الرياء الطاريء بعد عقد الطاعة على الاخلاص أو قبله سواء لم يرجع عنه حتى يتمها ، أو ندم بعده في الاثناء أيضا ورجع واستغفر وأما المقارن حال العقد ، بأن يبتدى بالصلاة مثلا على قصد الرياء ، فان اتمها عليه فلا خلاف في كونه آثماً وعدم الاعتداد بها . وان ندم عليه في الاثناء ورجع واستغفر ، فان مجرد القصد الى الغير الباعث الى اطلاع الناس لبعض المقاصد المتقدمة وارتياحه به فلا بأس به ولا يحبط العمل ، وان كان غير ذلك أفسده ، سواء في ذلك جميع شقوقه المتقدمة ، كما علم وجهه .

فائدة

(شوائب الرياء مبطلة للعمل)

لما كان المناط في الاعمال ، صحة وفساداً ، هو القصد والنية ، إذ الاعمال بالنيات ، ولكل امرىء ما نوى ، فكل عمل تدخله شوائب الرياء فهو فاسد ، سواء وقع سراً او علانية ، وكل عمل كان خالصاً لله وأمن صاحبه من دخول الرياء فيه فلا بأس باسراره ولا باظهاره . ثم لو تعلق قصد صحيح باظهار نفس العمل أو التحدث به بعد الفراغ عنه ، كترغيب الناس في الخير وتنبيههم على الاقتداء به فيه ، كان اظهاره أفضل من اسراره بشرط عدم اشتماله على رياء أو فساد آخر ، كاهانة الفقير في التصدق ، ولو اشتمل على شيء من ذلك ، كان اسراره أفضل من اعلانه وبذلك يجمع بين الاقوال والأخبار .

والحاصل : أنه متى انفك القلب عن شوائب الرياء ، بحيث يتم الاخلاص على وجه واحد في الحالتين ، فما فيه القدوة وهو العلانية أفضل ومهما حصلت فيه شوائب الرياء لم ينفعه اقتداء غيره ، لكونه مهلكا له ، فالسر أفضل منه . فعلى من يظهر العمل أن يعلم او يظن انه يقتدى به وان يراقب قلبه لئلا يكون فيه حب الرياء الخفى ، فربما اظهر العمل لعذر الاقتداء وكان في نفسه قصد التجمل بالعمل وكونه مقتدى به ، وهذا حال كل من يظهر العمل ، إلا من أيده الله بقوة النفس وخلوص النية ، فلا ينبغي لضعيف النفس أن يخدع نفسه فيضل ويضل ويهلك من حيث لا يشعر . فان الضعيف مثاله مثال الغريق الذى يعلم سباحه ضعيفة فينظر الى جماعة من الغرقى فيرحمهم ، وأقبل عليهم لينجيهم فتشبثوا به ،

وهلك وهلكوا . وهذه المواضع مزال أقدام العلماء والعباد، فانهم يتشبهون بالاقوياء في الاظهار ولا تقوى قلوبهم على الاخلاص ، فتحبط اجورهم بالرياء . ودرك ذلك غامض جداً لايبلغـه الا الخائضون في غمرات علم الاخلاق ؛ ويعرف الخلوص في ذلك بألا يتفاوت حاله باقتداء الناس به وبغيره من اقرانه وامثاله، فان كان قلبه أميل الى أن يكون هو المقتدى به ، فاظهاره العمل غير خال عن شوائب الرياء .

ايقاظ

لما عرفت أن المناط في صحة الأعمال وفسادها هو القصد والنية، تعلم أن كل عمل لم يكن خالصاً لوجه الله وأريد به غـيره سبحانه ينبغي أن يترك ويعرض عنه ، وإن كان خالصاً له تعالى مقصوداً على قصد صحيح لاينبغي تركه لمجرد بعض الوساوس والخواطر الشيطانية . فان الشيطان يدعو أولا الى ترك العمل فان لم يجب يدعو الى الرياء ، فاذ أيس منه يقول : هذا العمل ليس خالصاً ، بل هو رياء ، فأى فائدة منه ؟!.

ثم الاعمال إما من الطاعات اللازمة التي لاتعلق لها بالغير ، كالصلاة والصوم والحج وأمثالها ، أو من الطاعات المتعدية التي لها تعلق بالخلق ، كالامامـة والقضاء والحكومة والافتاء والوعظ والتذكير والتعليم والتدريس وانفاق المال وغير ذلك .

والقسم الاول : إن دخله الرياء قبل الفعل ، بأن يكون باعثه الرياء دون الخلوص والقربة ، فينبغي أن يترك ولا يشرع فيه ، وإن دخله بعد العقد أو معه ، فلا ينبغي أن يترك ، لأنه وجد له باعث ديني ، وإنمـا طرأه باعث الرياء ، فليجاهد في دفـع الرياء وتحصيل الاخلاص ، ويرد نفسه اليه قهراً بالمعالجات التي نذكـرها . ومهما كان في المجاهدة مع نفسه

معاتباً لها قاهراً عليها في ميلها الى الرياء ، ووجد من طبعه كراهية هـذا الميل ، فالنجاة في حقه مرجوة ، ولعل الله يسامحه بعظيم رحمته . وأما اذا لم يكن في مقام المجاهدة،ولم يكن كارهاً مما يجد في نفسه من الميل الى الرياء بل أعطى زمام الاختيار الى النفس الامارة ، وهي ترائي في الاعمال ، وهو يتبعها في ذلك من غـير قهر عليها وكراهية لفعلها ، فلا ريب في فساد أعماله وأولوية تركها ، وان كان باعثها ابتداء محض القربة ودخلها الرياء مع العقد أوبعده .

وأما القسم الثاني : المتعلق بالخلق - اعني امامـة الصلاة والقضاء والتدريس والافتاء والوعـظ والارشاد وأمثال ذلك - فاخطارها عظيمة ، ومثوبتها جسيمة . فمن له أهليه ذلك من حيث العلم - ان كان ذا نفس قوية لا يعتني بالناس ولا تزعجها وساوس الخناس وله معرفة تامة بعظمة ربه وقدرته وسائر صفاته الكمالية ، بحيث شغله ذلك عن الالتفات الى الخلق وما في أيديهم حتى يرائي لأجلهم اويختار رضاهم على رضا ربه - فالأولى لمثله ألا يترك هـذه المناصب ليفوز بمثوبتها العظيمة . وان كان ذا نفس ضعيفة ، كخيط مرسل في الهواء تفيئها (١) الريح مرة هكذا ومرة هكذا فهو لايأمن الرياء وسائر اخطارها . فاللازم لمثله تركها . والذلك كان أهل اليقين من السلف يتدافعون هذه المناصب ماوجدوا اليه سبيلا . وورد ماورد من الأخبـار في عظم خطرها وكثرة آفاتها ولزوم التثبت والاحتياط لمن يزاولها وما ورد من الوعيد الشديد في حق علماء السوء يكفي للزوم الحذر عن فتن العلم وغوائله . ومما يقصم ظهور أمثالنا من الـذين يقولون مالا يعلمون ويأمرون بما لايفعلون ، قول عيسى بن مريم - عليها السلام - : « ياعلماء السوء ! تصومون وتصلون وتتصدقون ولا تفعلون ما تؤمرون !

(١) وفي نسختنا الخطية (تعليها) .

وتدرسون مالا تعلمون فيا سوء ما تحكمون ! تتوبون بالقول والاماني ، وتعملون بالهوى ، وما يغني عنكم أن تنقوا جلودكم وقلوبكم دنسة ! بحق أقول لكم : لاتكونوا كالمنخل يخرج منه الدقيق الطيب وتبقى فيه النخالة كذلك انتم ! تخرجون الحكم من أفواهكم ويبقى الغل في صدوركم ! ياعبيد الدنيا ! كيف يدرك الآخرة من لاتنقضي من الدنيا شهوته ولا تنقطع منها رغبته ! بحق أقول لكم : إن قلوبكم تبكي من اعمالكم ، جعلتم الدنيا تحت ألسنتكم والعمل تحت أقدامكم بحق أقول لكم : أفسدتم آخرتكم بصلاح دنياكم ، فصلاح الدنيا أحب اليكم من صلاح الآخرة ! فاى ناس أخس منكم لو تعلمون ! ويلكم ! حتى متى تصفون الطريق للمدلجين وتقيمون في محلة المتحيرين كأنكم تدعون أهل الدنيا ليتركوها لكم ! مهلا مهلا ! ويلكم ! ماذا يغنى عن البيت المظلم أن يوضع السراج فوق ظهره وجوفه وحش مظلم ! كذلك لايغني عنكم أن يكون نور العلم بافواهكم واجوافكم منه وحشة معطلة . ياعبيد الدنيا ! توشك الدنيا أن تقلعكم عن اصولكم فتلقيكم على وجوهكم ، ثم تكبكم على مناخركم ، ثم تأخذ خطاياكم بنواصيكم ! يدفعكم العلم من خلفكم ، ثم يسلمكم الى الملك الديان حفاة عراة فرادى ! فيوقفكم على سوآتكم ، ثم يجزيكم بسوء أعمالكم !! » (١)

هذا ويعرف الصادق المخلص من أهل هذه المناصب بأنه اذا ظهر من هو أعدل وأحسن وعظاً واكثر علماً منه وأشد قبولا للناس فرح به ولم يحسده واذا حضر الاكابر والأعاظم مجلسه أواقتدوا به لم يتغير كلامه ولم يتفاوت حاله ، بل يبقى على ما كان عليه ، وينظر الى عباد الله بعين واحدة .

---

(١) روى هذا الحديث في (احياء العلوم) : ٣ / ٢٨١ ، فصححناه عليه وهو يرويه عن (الحارث المحاسبي) .

تنبيه

لما عرفت حقيقـــة الرياء ، تعلم أنه اذا صار عمل بعض الصالحين أو قولهم محركا لغيرهم على الاشتغال بالطاعة لم تكن هذه الطاعة رياء اذا عقدت على الخلوص ، وان لم يكن هـــذا الغير ليفعل هذه الطاعة اذا لم يشاهدها من بعض الصالحين أو لم يسمعها منه . فمن لم تكن عادته التهجد وبات مـــع قوم متهجدين في موضع ، فاذا قاموا للتهجد إنبعث نشاطه للموافقة ووافقهم في التهجد ، ولم يكن ذلك رياء بعد أن يكون قصده منه الثواب والتقرب الى الله ، إذ كل مؤمن راغب في عبادة الله وفي قيام الليل ، ولكن قد تعوقه العوائق وتمنعه الغفلة ، فاذا شاهد قوماً يتهجدون ربما صارت مشاهدة طاعتهم سبباً لزوال غفلته ، كما يصير قولهم ووعظهم سبباً لذلك ، فيتحرك باعث الدين دون الرياء ويدعوه الى موافقتهم . وربما كان الموضع مما ليس فيه عائق ، فيغتنم الفرصة ويبعثه ما فيه من الايمان الى الطاعة . وقس على التهجد غيره : من الصوم ، والتصدق ، والقراءة والذكر ، وغيرها من أعمال البر .

فصل

علاج الرياء

لما كانت الاسباب الباعثة على الرياء هي حب لذة المدح والفرار من ألم الذم والطمع بما في أيدي الناس ، فالطريق فى علاجه أن يقطع هـذه الاسباب وقـــد تقدم طريق العلاج في قطع الاولين ، ويأتي طريق ازالة الثالث . وما نذكره هنا من العلاج العلمي للرياء ، هو أن يعلم أن الشيء إنما يرغب فيه لكونه نافعاً ، واذا علم أنه ضار ليعرض عنه البتة . وحينئذ

فينبغي لكل مؤمن أن يتذكر مضرة الرياء وما يفوته من صلاح قلبه وما يحرم عنه في الحال من التوفيق وفي الآخرة من المنزلة عند الله وما يتعرض له من المقت والعذاب ومتى تذكر ذلك وقابل مايحصل له في الدنيا من الناس الذين راءى لأجلهم بما يفوته في الآخرة من ثواب الاعمال ، لترك الرياء لامحالة ، مع ان العمل الواحد ربما تترجح به كفة حسناته لو خلص فاذا فسد بالرياء حول الى كفة السيئات ، فتترجح به ويهوى الى النار . هذا مع أن المرائى في الدنيا متشتت الهم متفرق البال بسبب ملاحظة قلوب الناس ، فان رضاهم غاية لاتدرك ، وكلما يرضى به فريق يسخط به فريق ومن طلب رضاهم في سخط الله سخط الله عليه وأسخطهم أيضاً . ثم اى غرض له في مدحهم وايثار ذم الله لأجل مدحهم ولا يزيده مدحهم رزقا ولا اجلالا ولا ينفعه يوم فقره وفاقته وهو يوم القيامة ؟! ومن كان رياؤه لأجل الطمع بما في ايدى الناس ، ينبغى أن يعلم ان الله هو المسخر للقلوب بالمنع والاعطاء ، وان الخلق مضطرون فيه ، ولا رازق إلا الله، ومن طمع في الخلق لم يخل عن الذل والخسة ، وان وصل الى المراد لم يخل عن المنة والمهانة ، واذا قرر ذلك في نفسه ولم يكن منكراً لأمسه ، زالت غفلته وفترت عن الرياء رغبته وأقبل على الله بقلبه ، وانقطع بشراشره الى جناب ربه . ويكفيه أن يعلم أن الناس لو علموا مافي باطنه من قصد الرياء واظهار الاخلاص لمقتوه ، وسيكشف الله عن سره حتى يبغضه اليهم ولو أخلص لله لكشف الله لهم اخلاصه وحببه اليهم وسخرهم له ، وأطلق ألسنتهم بمدحه وثنائه ، مع أنه لايحصل له كمال بمدحهم ولا نقصان بذمهم

ثم من تنور قلبه بنور الايمان وانشرح صدره باليقين والعرفان ، وعرف معنى الواجب وحقيقة الممكن ، وتيقن بأن الواجب ـ أى الحقيقة التي تقتضي بنفس ذاته التحقق والبقاء ، وهو صرف الوجود ـ يجب أن

يكون تاماً فوق التمام ، ولا يتصور حقيقة أتم كمالا منـــه ، والحقيقة التي هذا شأنها يجب أن يكون ماسواها باسره مستنـداً اليها وصادراً عنها على أشرف انحاء الصدور وأقواها . وهذا النحو الأشرف الأقوى الذى لايتصور نحوه أقوى منه في الاختراع وأدل منه على كمال عظمة الموجد وقدرته ، وهو كون ماسواه سبحانه من الموجودات ، إما اعتبارات وشؤنات لدرجات ذاته واشراقات لتجليات صفاته ، كما ذهب اليه قوم ، أو كونها ماهيات امكانية اختراعية علماً وعيناً ، صادرة عن سبحانه بوجودات خاصة متعددة ارتباطية بمحض ارادته ومشيتـه ، كما ذهب اليه آخرون (١) ولو لم يكن غيره من الموجودات مستنداً اليه على أقوى أنحاء الاستناد ، لم يكن تاما فوق التمام ، اذ تكون الذات التي يستند الكل اليها باحد النحوين اكمل منه واشرف . واذا عرف أنه سبحانه كذلك ، يعرف أنه ليس في الوجود حقيقة أحد سواه وغيره حقيقته العدم وما له من الوجود والظهور منـــه سبحانه ، وبعد هذه المعرفة لايختار غيره تعالى عليه ، ويعلم أن العباد كلهم

---

(١) القول الاول مبني على اصالة الوجود ، والثاني على اصالة الماهية : وهذا البحث الذى ذكره المؤلف من دقائق الفلسفة الآلهية واعلاها ولقد أحسن فيه البيان جداً. فانه مبنى على فهم معنى واجب الوجود لذاته ، وهو الذى يكون ذاته بذاته ، مع قطع النظر عن كل ماعـداه ، ومن حيث هو هو منشأ لانتزاع انه موجود ، فلذلك يجب ان يكون صرف الوجود انه لاشيء له الوجود إلا اكان ممكناً ، ويجب أن يكون متصفاً بجميع الكمالات بل اكمل الكمالات ومن جملتها ان تكون الموجودات مستندة اليـــه على اقوى انحاء الاستناد . واذا لم يتصف بجميع الكمالات لايتصف باعدامها ، فيدخل في حقيقته العدم ، فـلم يكن صرف الوجود ، فلم يكن واجب الوجود لذاته ، وهذا خلاف الفرض ، أوبهذه الطريقة يستدل على اتصافه بجميع صفات الجمال والجلال .

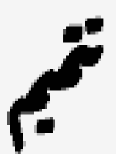
عجزة لايملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضرراً ، ولا يملكون موتاً ولا حياة ، فلا يتغير قلبه بمشاهدة الخلق ، ولا يلتفت اليهم إلا بخطرات ضعيفة لايشق عليه ازالتها ، فيعمل عمل من لوكان على وجه الأرض وحده لكان يعمله

وأما العلاج العملي، فهو أن يعود نفسه على اخفاء العبادات واغلاق الابواب دونها ، كما تغلق الابواب دون الفواحش ، حتى يقنع قلبه بعلم الله واطلاعه على عبادته ، ولا تنازعه النفس الى طلب علم غير الله به . وذلك وإن شق في بداية المجاهدة ، لكن اذا صبر عليه مدة بالتكلف سقط عنه ثقله وهان عليه بتواصل الطاف الله وما يمده به عبادة من حسن التوفيق والتأييد :

« إِنَّ اللهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ » (١) .

فمن العبد المجاهدة ومن الله الهداية :

« إِنَّ اللهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ » (٢) .



القالع مغارس الرياء من قلبه بقطع الطمع واستحقار مدح الناس وذمهم ربما لايتركه الشيطان ، (لا) سيما في اثناء العبادة ، فعارضه بخطرات الرياء ونزغاته ، حتى احدث في قلبه ميلا خفياً الى الرياء وحباً له . والحق أن ذلك ليس من الرياء المحرم ، ولا تفسد به العبادة ، مع كونه كارهاً

---

(١) الرعد ، الآية : ١١ .

(٢) التوبة ، الآية ١٢٠ .

لهذا الميل والحب وقاهراً على نفسه ماقتاً لها في تأثرها ونفيرها عن نزغات الشيطان ومنازعا للشيطان ومجاهداً اياه لدفع خطراته ، لأن الله لم يكلف عباده الا مايطيقون ، وليس في وسعهم منع الشيطان عن نزغاته ولا قمع الطبع حتى لا يميل الى شهواته ، وغاية مايقدرون عليه أن يقابلوا نزغاته وميل الطبع بالكراهة والقهر على النفس في هذا الميل ، مع المجاهدة في دفع ذلك بتذكر المعالجات المقررة لدفع الرياء والوساوس ، واذا فعلوا ذلك أدوا مايجب عليهم . ويدل على ذلك أيضا ماتقدم من الأخبار الدالة على عدم المؤاخذة بمجرد الوسوسة ، وقول النبي - صلى الله عليه وآله - : « الحمد لله الذي رد كيد الشيطان الى الوسوسة » . فوسوسة الشيطان وميل النفس لايضران مع ردها بالكراهة والاباء ، اذ الوساوس والخواطر والتذكرات والتخيلات المهيجة للرياء من الشيطان ، والميل والرغبة بعد تلك الخواطر من النفس ، والإباء والكراهة من الايمان ومن آثار العقل فلا يضر مامن النفس والشيطان اذا قوبل بما من العقل والايمان . ولذا قال بعض الاكابر « ما كان من نفسك فكرهته نفسك لنفسك ، فلا يضرك ماهو من عدوك وما كان من نفسك فرضيته نفسك لنفسك فعاتبها عليه » .

ثم الطرق المتصورة في دفع خطرات الرياء في اثناء العبادة مع كراهتها أربع :

الاولى - أن يشتغل بمجادلة الشيطان في رد نزغاته ، ويطيل معه الجدال .

الثانية - أن يقتصر على تكذيب الشيطان ودفعه من غير اشتغال بمجادلته .

الثالثة - ألا يشتغل بتكذيبه أيضاً ، بل يكتفي بما قرر في عقد ضميره من كراهة الرياء وكذب الشيطان ، فيستمر على ما كان عليه مستصحباً له

غير مشتغل بالمخاصمة والتكذيب .

الرابعة - أن يزيد فيما هو فيه من الاخلاص والاشتغال بالله ، أوما يؤدي اليها ، كاخفاء العبادة والصدقة غيظا للشيطان ، لأن ذلك يغيظ الشيطان ويوجب يأسه ، ومهما عرف من العبد هذه العادة ، كف عنه خوفا من أن يزيد في حسناته .

ولا ريب في أن الاشتغال بالمجادلة والتكذيب واطالتها يمنع الحضور ويصد عن التوجه الى الله ، وهو نقصان لأهل السلوك ، فالصواب لكل مؤمن ان يقرر دائما في عقد ضميره كراهية الرياء وتكذيب الشيطان ويعزم أبدا على أنه اذا تهجم عليه الشيطان وعارضه بنزغات الرياء زاد ماهو فيه مما يغيظ الشيطان ويوجب يأسه ، فاذا حدثت خطرات الشيطان في الاثناء اكتفى بما عقد عليه اولا مستصحباً له ، وزاد في الاخلاص وما يؤدي اليه فان ذلك يوجب قنوط الشيطان . واذا عرف العبد بهذه الصفة لايتعرض له لئلا يزيد فيما يغيظه . وينبغي لكل مؤمن أن يكون هذا ديدنه في جميع الصفات والملكات ، مثلا اذا حصل اليقين والعقيدة الجازمة بالمبدأ وصفاته الكمالية ، وقرر ذلك في نفسه ، وأثبت في قلبه كراهية الشك وخطور الوساوس ، فاذا حدث بعض الوساوس في اثناء عبادة أو غيرها ، ينبغي ألا يشتغل بطول المجاهدة مع الشيطان ، ويكفى بما تقرر في قلبه من اليقين وكراهية الشك والوسوسة ، معتقداً بأن هذه الوساوس لا أصل لها ولاعبرة بها . وكذا اذا قرر في نفسه النصيحة للمسلمين وكراهية الحسد ، فاذا أوقع الشيطان نزغات الحسد في قلبه ، ينبغي ألا يلتفت اليها ، ويستصحب ماكان عليه من النصيحة والكراهة ، وقس عليها سائر الصفات والأخلاق.

ثم مثل من يشتغل بطول المجاهدة مع الشيطان مثل من قصد مجلساً من مجالس العلم والوعظ لينال فائدة وهداية فعارضه ضال فاسق ودعاه الى

مجلس فسق فابى والكر عليـه ، فاذا عرف الضال إياه ، اشتغل بالمجادلة معه ، وهو أيضاً يساعده على ذلك ليرد ضلاله ، ظاناً أن ذلك مصلحته مع أنه غرض الضال إذ قصده من المجادلة أن يؤخره عن نيل مقصوده. ومثل من يشتغل بالتكذيب مثل من لايشتغل بالقتال مع الضال بعد دعوته الى مجلس الضلال ، بل وقف بقدر أن يدفع في منحره ، وذهب مستعجلا ففرح الضال بقدر توقفه للدفع . ومثل من يكتفى بعقد الضمير مثل من لم يلتفت الى الضال بعد دعوته أصلا ، واستمر على ماكان عليه من المشي ومثل من يزيد فيما كان له من الاخلاص أو مايؤدى اليه مثل من يزيد في عجلته بعد دعوته ليغيظـه . ولا ريب في أن الضال يمكن أن يعاود الجميع في الدعوة الى الضلالة اذا مروا عليه مرة اخرى إلا الأخير ، مخافة أن يزداد فائدة باستعجاله .

وصل
الاخلاص وحقيقته

ضد الرياء : الاخلاص ، وهو تجريد القصد عن الشوائب كلها . فن عمل طاعة رياء فهو مراء مطلق ، ومن عملها وانضم الى قصد القربة قصد غرض دنيوي انضماما غـير مستقل فعمله مشوب غير خالص ، كقصد الانتفاع بالحمية من الصوم ، وقصد التخلص من مؤنة العبد أوسوء خلقه من عتقه ، وقصد صحة المزاج أو التخلص من بعض الشرور والاحزان من الحج ، وقصد العزة بين الناس أو سهولة طلب المال من تعلم العلم ، وقصد النظافة والتبرد وطيب الرائحة من الوضوء والغسل ، والتخلص عن ابرام السائل من التصدق عليه ، وهكذا . فمتى كان باعث الطاعة هو التقرب ولكن انضافت اليه خطرة من هذه الخطرات ، خرج عمله من الاخلاص

فالاخلاص تخليص العمل عن هذه الشوائب كلها ، كثيرها وقليلها والمخلص من يكون عمله لمحض التقرب الى الله سبحانه ، من دون قصد شيء آخر أصـلا .

ثم أعلى مراتب الاخلاص ـ وهو الاخلاص المطلق واخلاص الصديقين ـ ارادة محض وجه الله سبحانه من العمل ، دون توقع غرض في الدارين ولا يتحقق إلا لمحب لله تعالى مستهتراً به ، مستغرق الهم بعظمته وجلاله بحيث لم يكن ملتفتاً الى الدنيا مطلقاً . وأدناها ـ وهو الاخلاص الاضافي ـ قصد الثواب والاستخلاص من العذاب ، وقد أشار سيد الرسل ـ صلى الله عليه وآله ـ الى حقيقـة الاخلاص بقوله : « هو أن تقول ربي الله ثم تستقيم كما امرت (١) تعمل لله ، لاتحب أن تحمد عليه ! اى لاتعبد هواك ونفسك ، ولا تعبد إلا ربك ، وتستقيم في عبادتك كما امرت » . وهذا اشارة الى قطع ماسوى الله سبحانه عن مجرى النظر ، وهو الاخلاص حقاً . ويتوقف تحصيله على كسر حظوظ النفس وقطع الطمع عن الدنيا والتجرد في الآخرة ، بحيث مايغلب ذلك على القلب والتفكر في صفات الله تعالى وافعاله والاشتغال بمناجاته حتى يغلب على قلبه نور جلاله وعظمته ويستولى عليه حبه وأنسه ، وكم من اعمال يتعب الانسان فيها ويظن انها خالصة لوجه الله تعالى ، ويكون فيها مغروراً لعدم عثوره على وجه الآفة فيها ، كما حكى عن بعضهم أنه قال : « قضيت صلاة ثلاثين سنة كنت صليتها في المسجد جماعة في الصف الاول ، لأني تأخرت يوماً لعذر وصليت في الصف الثاني ، فاعترتني خجلة من الناس حيث رأونى في الصف الثاني فعرفت أن نظـر الناس الى في الصف الاول كان يسرني ، وكان سبب

---

(١) اشارة الى قوله تعالى ، مخاطباً لنبيه ـ صلى الله عليه وآله ـ : « فاستقم كما امرت » .

استراحة قلبي من ذلك من حيث لا اشعر » . وهذا دقيق غامض ، وقلما تسلم الأعمال من أمثاله ، وقل من يتنبه له ، والغافلون عنه يرون حسناتهم في الآخرة كلها سيئات ، وهم المرادون بقوله تعالى :

« وَبَدا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا » (١) . « وَبَدا لَهُمْ مِنَ اللهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ » (٢) . وبقوله : « قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً ؟ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً » (٣) .

فصل

مدح الاخلاص

الاخلاص منزل من منازل الدين ، ومقام من مقامات الموقنين . وهو الكبريت الأحمر ، وتوفيق الوصول اليه من الله الاكبر ، ولذا ورد في فضيلته ماورد من الآيات والأخبار ، قال الله تعالى :

« وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ » (٤) . وقال : « أَلاَ لِلّهِ الدِّينُ الخَالِصُ » (٥) . وقال « إِلاَّ الَّذِينَ

---

(١) الجاثية ، الآية : ٣٣ :

(٢) الزمر ، الآية : ٤٧ :

(٣) الكهف ، الآية : ١٠٣ ، ١٠٤ .

(٤) البينة ، الآية : ٥ . (٥) الزمر ، الآية : ٣ .

تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلهِ » (١) وقال : « فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلاَ يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً » (٢) .

نزل فيمن يعمل لله ويحب أن يحمد عليه .

وفي الخبر القدسي : « الأخلاص سر من اسراري ، استودعته قلب من أحببت من عبادى » . وقال رسول الله - صلى الله عليه وآله - « اخلص العمل يجزك منه القليل » . وقال - صلى الله عليه وآله - : « مامن عبد يخلص العمل لله تعالى أربعين يوماً إلا ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه » . وقال - صلى الله عليه وآله - : « ثلاث لايغل عليهن » . وعد منها قلب رجل مسلم أخلص العمل لله عز وجل . وقال أمير المؤمنين عليه السلام : « لاتهتموا لقلة العمل ، واهتموا للقبول » . وقال أمير المؤمنين عليه السلام : « طوبى لمن أخلص لله العبادة والدعاء ، ولم يشغل قلبه بما ترى عيناه ، ولم ينس ذكر الله بما تسمع اذناه ، ولم يحزن صدره بما اعطى غيره ! » . وقال الباقر - عليه السلام - : « ما اخلص عبد الايمان بالله أربعين يوماً - أو قال : ما أجمل عبد ذكر الله أربعين يوماً - الا زهده الله تعالى في الدنيا وبصره داءها ودواءها ، وأثبت الحكمة في قلبه وانطق بها لسانه » . وقال الصادق عليه السلام في قول الله عز وجل

« لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً » :

(١) النساء ، الآية : ١٤٦ .

(٢) الكهف ، الآية : ١١٠ .

« ليس يعني اكثركم عملا ، ولكن اصوبكم عملا . وانما الاصابة خشية الله والنية الصادقة » .. ثم قال : « الايفاء على العمل حتى يخلص أشد من العمل ، والعمل الخالص الذي لاتريد أن يحمدك عليه أحد إلا الله عز وجل ، والنية أفضل من العمل ، ألا وان النية هي العمل » . . ثم تلا قوله عز وجل « قل كل يعمل على شاكلته » : يعني على نيته » .

وقال الصادق ـ عليه السلام ـ: « الاخلاص (١) يجمع فواضل الاعمال وهو معنى مفتاحه القبول وتوفيقه الرضا ، فمن تقبل الله منه ورضى عنه فهو المخلص وان قل عمله ، ومن لايتقبل الله منه فليس بمخلص وان كثر عملـه ، اعتباراً بآدم ـ عليه السلام ـ وابليس . وعلامـة القبول وجود الاستقامة ببذل كل المحاب مع اصابة علم كل حركة وسكون ، والمخلص ذائب روحه باذل مهجته في تقويم مابه العلم والأعمال والعامل والمعمول بالعمل ، لأنه اذا ادرك ذلك فقـد أدرك ذلك الكل ، واذا فاته ذلك فاته الكل ، وهو تصفية معاني التنزيه في التوحيد كما قال الاول : هلك العاملون إلا العابدون ، وهلك العابدون إلا العالمـون وهلك العالمون إلا الصادقون ، وهلك الصادقون إلا المخلصون ، وهلك المخلصون إلا المتقون وهلك المتقون إلا الموقنون ، وأن الموقنين لعلى خطر عظيم ! قال الله لنبيه ـ صلى الله عليه وآله ـ : واعبد ربك حتى يأتيك اليقين . وأدنى حـد الاخلاص بذل العبد طاقته ، ثم لايجعل لعمله عند الله قدراً فيوجب به على ربه مكافاة بعمله ، لعلمه أنه لو طالبـه بوفاء حق العبودية لعجز ، وادنى مقام المخلص في الدنيا السلامة في جميع الآثام ، وفي الآخرة النجاة

(١) صححنا الاخبار المروية عن أهل البيت ـ عليهم السلام ـ على (الكافي) باب الاخلاص . وعلى (الوافي) : ٣ / ٣٢٨ ، ٣٢٩ باب الاخلاص :

من النار والفوز بالجنة » (١) .

ومن تأمل في هذه الاخبار وفي غيرها مما لم يذكر، يعلم أن الاخلاص رأس الفضائل ورئيسها ، وهو المناط في قبول الأعمال وصحتها ، ولا عبرة بعمل لا اخلاص معه ، ولا خلاص من الشيطان إلا بالاخلاص ، لقوله:

« إلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِيْنَ » (٢) .

وما ورد في الاسرائليات من حكاية العابد والشيطان والشجرة مشهور وفي الكتب مسطور (٣) .

فصل

آفات الاخلاص

الآفات التي تكدر الاخلاص وتشوشه لها درجات في الظهور والخفاء اجلاها الرياء الظاهر ، وهو ظاهر . ثم تحسين العبادة والسعي في الخشوع فيها في الملا دون الخلوة ليتأسى به الناس ، ولو كان عمله هذا خالصاً لله لم يتركه في الخلوة ، إذ من يرى الخشوع وحسن العبادة خيراً لا يرتضي لغيره تركه ، فكيف يرتضي ذلك لنفسه في الخلوة ، ثم تحسينها في الخلوة أيضا بقصد التسوية بين الخلوة والملا ، وهذا من الرياء الغامض ، لأنه حسن عبادته في الخلوة ليحسنها في الملا ، فلا يكون فرق بينهما في التفاته فيها الى الخلق ، اذ الاخلاص الواقعي أن تكون مشاهدة الخلق لعبادته

(١) صححنا الرواية على (مصباح الشريعة) : الباب ٧٧ وعلى (البحار) : مج ١٥ : ٢/٨٦ باب الاخلاص عن (مصباح الشريعة) .

(٢) الحجر ، الآية ٤٠ .

(٣) راجع (احياء العلوم) ٣٢٢/٤ .

كمشاهدة البهائم لها ، من دون تفاوت اصلا ، فكأن نفسه لاتسمح باساءة العبادة بين اظهر الناس ، ثم يستحي من نفسه أن يكون في صورة المرائين ويظن أن ذلك يزول باستواء عبادته في الخلوة والملأ ، وليس كما ظنه ، اذ زوال ذلك موقوف على عدم التفاته الى الخلق في الملأ والخلوة كما لايلتفت الى الجمادات فيهما مع أنه مشغول الهم بالخلق فيهما جميعاً . واخفاها أن يقول له الشيطان ـ وهو في العبادة في الملأ بعد يأسه عن المكائد السابقـة ـ : « أنت واقف بين يدي الله سبحانه ، فتفكر في جلاله وعظمته ، واستحي من أن ينظر الى قلبك وهو غافل عنه ! فيحضر بذلك قلبه وتخشع جوارحه » وهذا أخفى مكائد الشيطان وخداعه ، ولو كانت هذه الخطرة ناشئة عن الاخلاص لما انفكت عنه في الخلوة ولم يخص خطورها بحالة حضور غيره وعلامة الامن من هذه الآفة : أن يكون هذا الخاطر مما يألفه في الخلوة كما يألفه في الملأ ، ولا يكون حضور الغير سبباً لحضوره كما لايكون حضور بهيمة سبباً له ، فما دام العبد يفرق في أحواله وأعماله بين مشاهدة انسان ومشاهدة بهيمة ، فهو بعد خارج عن صفو الاخلاص مدنس الباطن بالشرك الخفي من الرياء ، وهذا الشرك أخفى في قلب ابن آدم من دبيب النملة السوداء في الليلة الظلماء على الصخرة الصماء ، كما ورد به الخبر ولا يسلم منه إلا من عصمه الله بخفي لطفه ، اذ الشيطان ملازم للمتشمرين لعبادة الله ، لايغفل عنهم لحظـة ليحملهم على الرياء في كل واحد من أفعالهم وأعمالهم .

تتميم

الحق ـ كما أشير اليه ـ أن الشوب الممزوج بالاخلاص إن كان من المقاصد الصحيحة الراجحة شرعا ، لم يبطل العمل والاخلاص ولم ينقص

الأجر والثواب . اذ نية الخيرات المتعددة توجب تضاعف الثواب بحسبها وإن كان من الاغراض الدنيوية الراجعة الى حب جاه أو طمع مال فهو مبطل للعمل والثواب ، سواء كان الباعث الديني أضعف من الباعث النفسي أو مساويا له أو أقوى منه ، لظواهر الاخبار المتقدمة . ومع ابطاله العمل يترتب عليه عقاب على حدة أيضاً ، إذ الرياء في العبادة في نفسه منهى عنه محرم ، سواء كان هو الباعث وحده او انضم الى نيـة التقرب انضماما مستقلا أو غير مستقل ، فن ارتكبه كان آثماً لأجل الرياء في نفسه وتاركا للعبادة من حيث دخول الرياء فيها ، فان كانت واجبة ترتب اثم آخر على تركها إلا أن يسقطه بقضائها ، وان كانت مستحبـة لم يلزم قضاؤها ولم يترتب اثم على تركها ، بل كان اثمها منحصراً بما يترتب على الرياء في نفسه . ثم الاثم المترتب على الرياء المحض اشـد واغلظ من المترتب على الرياء الممزوج بالقربـة ، ويتزايد اثم الممزوج بحسب ازدياد قوة باعث الرياء بالنظر الى باعث الاخلاص ، وينقص بحسب نقصان ذلك .

وعلى ماذكرناه ، فما انعقد عليه اجماع الأمـة من أن من خرج حاجا ومعه تجارة صح حجه واثيب عليه ، مع أن سفره ليس خالصاً للحج ، فالوجه فيه أن التجارة تعرض للرزق ، وهو أيضاً عبادة . وقد تقدم أن نية الخيرات المتعددة موجبة لتضاعف الثواب بحسبها ، فلا حاجة الى ماقيل « إن التاجر إنما يثاب على أعمال الحج عند انتهائه الى مكة وتجارته غير موقوفة عليـه فهو خالص ، وإنما المشترك طول المسافة ، ولا ثواب فيـه مهما قصد تجارة » ، ولا الى ماقيل : « مهما كان الحج هو المحرك الأصلي وكان غرض التجارة كالمعين والتابع ، فلا ينفك نفس السفر عن الثواب » نعم ، إذا كانت التجارة للجمع والادخار من غير حاجة ، فلا يبعد أن يقال ذلك،وكذا إذاانضم الى قصد الحج قصد التفرج ودفع التوحش عن الاهل

انضمامها غير مستقل ، ومثاله اذا انضم الى نيـــة الوضوء التبرد ، والى نية الصوم قصد الحمية ، والى نية العتق الخلاص من المؤنة وسوء الخلق ، الى غير ذلك ، اذا لم تكن المنضمات مستقلة .

ومن العلماء من قال : « إن الباعثين إن تساويا تساقطا ، وصار العمل لا له ولا عليه ، وان كان باعث الرياء أقوى لم يكن العمل نافعاً ، بل كان مضراً وموجباً للعقاب ، وإن كان عقابه أخف من عقاب الذي تجرد للرياء وان كان باعث التقرب اقوى فله ثواب بقدر مافضل من قوته ، لقوله تعالى :

« فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ . وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ » (١) . وقوله تعالى : « إِنَّ اللهَ لاَ يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ » (٢)

فلا ينبغي أن يضيع قصد الخير ، بل إن كان قصد التقرب غالباً على الرياء حبط منه القدر الذي يساويه وبقيت زيادة ، وإن كان مغلوباً سقط بسببه شيء من عقوبة القصد الفاسد . والسر : أن الأعمال تأثيرها في القلوب بتأكيد صفاتها ، فداعيـة الرياء من المهلكات ، وقوة هذا المهلك بالعمل على وفقه ، وداعية الخير من المنجيات ، وقوته بالعمل على وفقه ، فاذا اجتمعت الصفات في القلب فهما متضادتان ، فإذا عمل على وفق مقتضى الرياء قويت تلك الصفـــة ، وان عمل على وفق داعية الخير قويت أيضاً تلك الصفة ، واحدهما مهلك والآخر منج . فان كانت تقويته لهذا بقدر

---

(١) الزلزال ، الآية : ٧ ، ٨ .

(٢) النساء ، الآية : ٤٠ .

تقويته للاخر فقد تقاوما، وان كان احدهما غالباً زاد تأثيره بقدر الفاضل من قوته، كما في تأثير الأدوية والأغذية المتضادة» انتهى (١).

وفيه: أن اطلاق الظواهر يفيد كون شوب الرياء محبطاً للعمل والثواب وقدم تقدم بعضها. ومنها ماروى: «أن رجلا سأل النبي - صلى الله عليه وآله -: عمن يصطنع المعروف - أوقال يتصدق - فيحب أن يحمد ويؤجر، فلم يدر مايقول له، حتى ازل قوله تعالى:

«فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلاَ يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً» (٢).

ولا ريب في أنه قصد الحمد والأجر جميعاً، ومع ذلك نزلت في حقه هذه الآية.

ومنها ماروى: «أن اعرابياً أتاه - صلى الله عليه وآله - وقال: يارسول الله، الرجل يقاتل حمية، والرجل يقاتل شجاعة، والرجل يقاتل ليرى مكانه في سبيل الله! فقال - صلى الله عليه وآله - من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله». وحملها على صورة تساوى القصدين

(١) ابو حامد الغزالي: (احياء العلوم): ٣٢٨/٤. ونقله المؤلف باختصار وتصرف قليلين.

(٢) هذه مروية في (البحار): مج ١٥: ٣ / ٥٩، باب ذم السمعة والاغترار بمدح الناس، عن عدة الداعي بمضمون يقارب ماهنا ونصه عن سعيد بن جبير قال: «جاء رجل الى النبي - صلى الله عليه وآله - فقال: اني اتصدق واصل الرحم ولا اصنع ذلك إلا لله فيذكر عني واحمد عليه، فأسر في ذلك واعجب به. فسكت رسول الله - صلى الله عليه وآله - ولم يقل شيئاً، فنزل قوله تعالى: إنما أنا بشر.. الآية».

أو غلبة قصد الرياء خلاف الظاهر . وما ذكره من أن الكل قصد وفعل تأثيراً خاصاً على حدة ، ففيه أن ذلك اذا لم يبطله ضده . ونحن نقول : إن مقتضى الاخبار كصريح العقل يدل على أن قصد الرياء يبطل قصد القربة اذا تواردا على فعل واحد ، فـلا يبقى لقصد التقـرب تأثير حتى يتصف بالزيادة على تأثير قصد الرياء .

ومنها :

النفاق

وهو مخالفة السر والعلن ، سواء كان في الايمان أوفي الطاعات أوفي المعاشرات مع الناس ، وسواء قصـد به طلب الجاه والمال أم لا . وعلى هذا فهو أعم من الرياء مطلقاً ، وان خص بمخالفة القلب واللسان أو بمخالفة الظاهر والباطن في معاملة الناس ومصاحبتهم ، فبينهما عموم وخصوص من وجه . وعلى التقادير ، إن كان باعثه الجبن فهو من رذائل قوة الغضب من جانب التفريط ، وان كان باعثه طلب الجاه فهو من رذائلها من جانب الافراط وإن كان منشأه تحصيل مال أومنكح فهو من رداءة قوة الشهوة ولا ريب فى أنه من المهلكات العظيمة ، وقد تعاضدت الآيات والأخبار على ذمه . وأشد أنواع النفاق ـ بعد كفر النفاق ـ كون الرجل ذا وجهين ولسانين ، بأن يمدح أخاه المسلم في حضوره ويظهر له المحبة والنصيحة ، ويذمه في غيبته ويؤذيه بالسب والسعاية الى الظالمين وهتك عرضه واتلاف ماله وغيرذلك ، وبأن يتردد بين متعادين ويتكلم لكل واحد بكلام يوافقه ويحسن لكل واحد منهما ماهو عليه من المعاداة مع صاحبه ويمدحه (١) على

(١) وفي النسخ (اثناه) بدل (يمدحه) ، ولم نر لها وجهاً .

ذلك ، أو يعد كل واحد منهما أنه ينصره ، أو ينقل كلام كل واحد الى الآخر . وهذا شر من النميمة التي هي النقل من احد الجانبين . وبالجملة هو بجميع أقسامه مذموم محرم ، قال رسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ « من كان له وجهان في الدنيا ، كان له لسانان من نار يوم القيامة » . وقال ـ صلى الله عليه وآله ـ : « تجدون من شر عباد الله يوم القيامة ذا الوجهين : الذي يأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه » . وقال ـ صلى الله عليه وآله ـ : « يجيء يوم القيامة ذو الوجهين دالعاً لسانه في قفاه وآخر من قدامه يلتهبان ناراً حتى يلتهبان خده ، ثم يقال : هذا الذي كان في الدنيا ذا وجهين وذا لسانين ، يعرف بذلك يوم القيامة » . وورد في التوراة « بطلت الامانة والرجل مع صاحبه بشفتين مختلفتين ، يهلك الله يوم القيامة كل شفتين مختلفتين » . وعن علي بن اسباط ، عن عبد الرحمن بن حماد ، رفعه قال : قال الله تبارك وتعالى لعيسى : « ياعيسى ، ليكن لسانك في السر والعلانية لساناً واحداً ، وكذلك قلبك ، إني احذرك نفسك ، وكفى بي خبيرا ! لايصلح لسانان في فم واحد ، ولا سيفان في غمد واحد ، ولا قلبان في صدر واحد ، وكذلك الاذهان ! » . وقال الباقر عليه السلام : « لبئس العبد عبد يكون ذا وجهين وذا لسانين ، يطرى أخاه شاهداً ويأكله غائباً ، إن أعطى حسده وان ابتلى خذله » .

ثم لايخفى أن الدخول على المتعادين والمجاملة مع كل منهما قولا وفعلا لايوجب كونه منافقاً ولا ذا لسانين اذا كان صادقاً ، إذ الواحد قد يصادق متعادين ، ولكن صداقة ضعيفة ، إذ الصداقة التامة تقتضي معاداة الاعداء وكذا من ابتلى بذي شر يخاف شره ، يجوز أن يجامله ويتقيه ويظهر له في حضوره من المدح والمحبة مالم يعتقد به قلبه ، وهو معنى المداراة ، وهو وان كان نفاقا إلا أنه جائز شرعا للعذر ، قال الله سبحانه :

« ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ » (١).

وروى : « أنه استأذن رجل على رسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ فقال : ائذنوا له فبئس رجل العشيرة . فلما دخل ألان له القول ، حتى ظن أن له عنده منزلة . فلما خرج ، قيل له : لما دخل قلت الذي قلت ثم ألنت له القول ؟ ! فقال : إن شر الناس منزلة عند الله يوم القيامة من اكرمه الناس اتقاء لشره » . ويدل على جواز ذلك جميع أخبار التقية واخبار المداراة . وفي خبر : « ماوقى المرء به عرضه فهو له صدقة » . وقال بعض الصحابة : « كنا نبشر في وجوه أقوام نلعنهم بقلوبنا » . ثم جواز ذلك انما اذا اضطر الى الدخول على ذي الشر ومدحه مظنة الضرر أما لو كان مستغنياً عن الدخول والثناء أو عن احدهما ، ومع ذلك ابدى بلسانه ماليس في قلبه من المدح ، فهو نفاق محرم .

ثم ضد النفاق استواء السر والعلانية ، أو كون الباطن خيراً من الظاهر ، وهو من شرائف الصفات ، وكان الاتصاف به والاجتناب من النفاق أهم مقاصد المؤمنين من الصدر الاول . ومن تأمل في ماورد في ذم النفاق وفي مدح موافقة الباطن مع الظاهر ، وتقدم الروية في كل قول وفعل لم يصعب عليه أن يحافظ نفسه من رذيلة النفاق .

انتهى الجزء الثاني

ويليه الجزء الثالث ، وأوله (ومنها : الغرور)

---

(١) المؤمنون ، الآية : ٩٦ .

فهرست الجزء الثاني من (جامع السعادات)

ص	٩	الخطأ	الصواب
٣٦٨	٩	لاتحصى	مما لايقبل التغيير
٣٦٨	١٩	عائب	غائب
٤١٥	١	٢١٥	٤١٥

